المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحق

دراسة مقارنة في العهد المكي

تأليف
الدكتور سليمان بن حمد العودة
الأستاذ المشارك بكلية العلوم العربية والاجتماعية بالقصيم

طبع على نفقة
خادم الحرمين الشريفين
الملك فهد بن عبد العزيز
وفقه الله

بمناسبة افتتاح المدينة الجامعية

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
عمادة البحث العلمي
سلسلة نشر الرسائل الجامعية
(١٤)

السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق

دراسة مقارنة في العهد المكي

تأليف
الدكتور سليمان بن حمد العودة
الأستاذ المشارك بكلية العلوم العربية والاجتماعية بالقصيم

طبع على نفقة
خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز
وفقه الله

بمناسبة افتتاح المدينة الجامعية

أشرفت على طباعته إدارة الثقافة والنشر بالجامعة

الطبعة الأولى
١٤١٤هـ = ١٩٩٣م

السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق

دراسة مقارنة في العهد المكي



تقديم لمعالي مدير الجامعة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد:

فتهتم جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بدراسة التاريخ الإسلامي لأنه جزء من رسالتها في تقديم الإسلام للمجتمعات البشرية، ولتنهض بدورها البناء في خدمة الدين ومثله ومبادئه .

وتوكيدا لهذا فإنها تقوم بنشر العديد من المؤلفات والرسائل الجامعية التي تخدم العقيدة الإسلامية وتوضحها .

ومن هذه الرسائل « السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحق، دراسة مقارنة في العهد المكي » للدكتور سليمان بن حمد العودة والتي اشتملت على خمسة فصول تطرق فيها المؤلف إلى تاريخ تدوين السيرة، وفصَّل في سيرة الرسول ﷺ والبعثة ونزول الوحي والمعجزات النبوية والإسراء والمعراج وأساليب الدعوة في مكة والهجرة إلى الحبشة والهجرة إلى المدينة . ثم ختم الباحث رسالته ببعض النتائج التي توصل إليها في بحثه .

إن هذا الجهد الطيب يدل على إخلاص الباحث في دراسته للتاريخ وتقديمه للسيرة النبوية بشكل واضح وجلي .

والجامعة يشرفها أن تطبع هذه الرسالة على نفقة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ـ حفظه الله ـ رغبة منه في نشر العلم الشرعي واحتفاء بانتقال الجامعة إلى مقرهاالجديد جزاه الله خير الجزاء، وجعل صنيعه هذا من الأعمال الصالحة والصدقات الجارية المقبولة، وله مني ومن المسؤولين في الجامعة ومن طلبة العلم أوفى الشكر وأبلغ التقدير .

وقد صدر هذا الكتاب ضمن مجموعة مختارة من الكتب التي رأت الجامعة إصدارها بهذه المناسبة إسهاما منها في خدمة الثقافة الإسلامية

والفكر الإسلامي الأصيل، ولتوكيد أن البناء الحضاري الشامخ لايقتصر على المادة، وإنما يتجاوز ذلك إلى نهضة في الفكر، ونشاط في التدريس والبحث العلمي، وخدمة المجتمع والدعوة الإسلامية، وأن هذه المدينة الجامعية الجديدة ينبغي أن تكون عونا وحافزا للجامعة على التقدم والرقي في جميع المجالات، وأن تكون من شواهد الأعمال المجيدة لحكومة خادم الحرمين الشريفين - أيده الله - في خدمة العلم وأهله وطلابه .

وصلّ الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين .

أ.د. محمد بن عبد الله العجلان



المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين وبعد: فتمثل سيرة النبي ـ ﷺ ـ أصح وأشمل ، وأزكى وأطهر سيرة في الوجود ، ويكفي أن يقول الحقّ تبارك وتعالى في وصف صاحبها : ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ . والسيرة بهذا التصور لم تنل ـ في حجم الرسائل الجامعية ـ ما يكافئها من الدراسة والتوثيق والبيان .

وقد أخذ التأليف في السيرة ـ في مراحله الأولى ـ جانب جمع الروايات مشفوعة بالإسناد ـ غالبا ـ وكانت هذه الروايات جمعا لأحداث السيرة دون تمحيص دقيق يكشف الصحيح منها والضعيف ، إذ لم يشترط أصحابها الصحة فيما يجمعون ، ولعل معرفة الناس في تلك العصور بالإسناد وأحوال الرواة جعلت أولئك الأعلام يكتفون بذكر الحادثة مسندة ليستدل الناس ـ بإسنادها ـ على صحتها أو ضعفها .

وحيث لم تعد هذه المعرفة بالرجال وأنواع الأسانيد من أسس الثقافة في القرون المتأخرة ، بل يندر أن تجد من يهتم بذلك من مثقفي هذا العصر ، فقد جاءت كتابات المعاصرين من أهل التاريخ خلوا ـ في الغالب ـ من تمييز الروايات وفق قواعد المحدّثين .

وإذا كان بالإمكان تلمس العذر ـ للخلاص من هذا المنهج النقدي ـ في أحداث التأريخ الإسلامي في عصوره المتأخرة ، فليس ثمة عذر في عدم الإفادة من هذا المنهج في أحداث التأريخ الإسلامي في عصوره المتقدمة بشكل عام ، وفي أحداث السيرة النبوية بشكل خاص ، وذلك لتوفر الإسناد الذي يمكن دراسته والحكم على الرواية من خلاله ، ولوجود آراء نقدية في

هذه الحادثة أو تلك ـ وإن كانت مبعثرة هنا وهناك ـ لكن جمعها والإفادة منها للحكم على الروايات من الأهمية بمكان في سبيل إخراج سيرة صحيحة تنأى بها عن تشكيك المغرضين ، وتجليها موثقة لا سبيل إلى تضعيفها أو الطعن في بعض مروياتها من قبل الناقدين.

ولاشك أن كتابة السيرة ـ بهذا المنهج ـ تحتاج إلى جهد وإلى نوع من التخصص يستطيع المتضلعون فيه دراسة الأسانيد والحكم على الروايات ، لكن ذلك لا يعفي غيرهم من التبعة في هذا المجال .

إن التوجه إلى توثيق نصوص السيرة مطلب ملح تفرضه طبيعة الرسالة الخاتمة ، وهو ضرورة تقتضيه المنهجية الحقة التي تميز صحيح الأخبار من معلولها قبل أن تستخرج العبر والدروس منها . ولقد كان توثيق نصوص السيرة من أبرز نتائج هذه الدراسة ـ كما سيراه القارئ ـ.

ولقد غبرت على الباحثين والمختصين في حقل التأريخ الإسلامي سنون دون أن يفيدوا من كتب السنة الفائدة المرجوة ، ولا شك أنها تمثل مصدراً مهما من مصادر التاريخ الإسلامي بشكل عام ، وأحداث السيرة على الخصوص ، وهي وإن كانت لا تقدم الحادثة في قالب كالذي تقدمه به كتب التأريخ ـ لاختلاف طبيعة المنهج ـ إلا أنها ربما رصدت حدثا كان نصيبه الإهمال في المدونات التاريخية ، وربما أوردته من مصدر آخر فزاد توثيق الخبر ، وربما زادت عليه ، أو أوضحت إشكالا فيه ، أو نحو ذلك ، ولهذا فالبعد عنها وعدم الإفادة منها يبقي نتائج البحوث والدراسات ناقصة في هذا الميدان. ويأتي الصحيحان (صحيح البخاري ، وصحيح مسلم) في الذؤابة من كتب السنة ، فالإجماع منعقد على أنهما أصح الكتب بعد كتاب الله ، وهما وإن اشترطا في تدوين الروايات ـ بشكل عام ـ علواً في الإسناد أسقطا بسببه كمّا من الروايات التاريخية لا ترقى إلى هذا الشرط ، فقد حفلا بنصوص كثيرة للسيرة ، وجمع هذه الروايات ومن ثمّ الموازنة بينها وبين ما ساقه ابن إسحق في السيرة يكشف نتائج طيبة ـ سأشير إلى بعضها في خاتمة الرسالة ـ .

لهذه الأسباب وغيرها تبدو أهمية الموضوع « السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحق دراسة مقارنة في العهد المكي» وأهمية البحث ليست لمجرد جمع وترتيب وقائع السيرة في الصحيحين في العهد المكي – مع ما لهذه من أهمية ـ وليست لمقابلة النصوص بين الصحيحين وابن إسحق وبيان المؤتلف والمختلف فيها فحسب ـ وهذه هي الأخرى لها أهميتها ـ وإنما تهدف الدراسة فوق هذا وذاك ، إلى نقد النصوص التي يقع فيها التعارض والاختلاف وسبر أغوارها ، وغالبا ما تنتهي ببيان ضعف إسنادها وسقوط الرواية من أصلها، وأحيانا لأمور أخرى ستتضح في ثنايا البحث ـ بمشيئة الله ـ .

وكان عليّ قبل أن أسجل أن أقرأ ، بل أديم القراءة في الصحيحين لاستخراج نصوص السيرة منها ووجدت أنه لا يكفي القراءة في كتب المغازي والسير ، أو الفضائل أو نحوها من مظان أبواب السير في الصحيحين، بل رأيت الأمر ملحًّا على استيفاء قراءة الصحيحين صفحة صفحة .. بل حديثا حديثا إذ لم يكن بوسعي جمع الروايات بطرقها المختلفة وما تحويه هذه الطرق من زيادات ـ أحيانا ـ إلا بهذه الطريقة ، بل إن هذا الشمول في القراءة كشف لي نصوصا لا توجد في مظانها المتوقعة فيها ، إذ من المصاعب التي تواجه الباحث في الصحيحين صعوبة استخراج بعض الحوادث منهما نظرا لعدم وضوح الحادثة أحيانا إما لتسميتها بغير اسمها المألوف في كتب السير ، أو لذكرها عرضا في نص عام يجمع إليها غيرها ، وعلى سبيل المثال جاء ذكرحادثة (حصار الشعب) في البخاري هكذا : عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال:قال رسول اللهﷺ ـ حين أراد حنينا ـ: «منزلنا غدا إن شاء الله بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر » وبهذا العرض قد يفوت على القارئ أن قصد البخاري بذلك الإشارة إلى حصار الشعب ، لاسيما وقد ذكرها في كتاب «مناقب الأنصار» وبوّب لها بـ«تقاسم المشركين على النبيﷺ» ، وقبل هذا ذكر البخاري الحادثة في

كتاب الحج تحت باب «نزول النبى ـ ﷺ ـ مكة» ، وفي الجهاد والسير ضمن باب «إذا أسلم قوم في دار الحرب» ، وفي المغازي ضمن باب «أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح » ، كما ذكرها مسلم في كتاب الحج ضمن باب « استحباب النزول بالمحصب يوم النفر والصلاة به» . وكل هذه الأبواب قد لا تلفت نظر من يبحث عن هذه الحادثة في الصحيحين إذا لم يقرأ ما تحتها ، بل قد يحتاج الأمر إلى قراءة في شروح الصحيحين ، ولهذا أجدني مضطراً هنا ـ وقد أستبق الأحداث في الكلام على مصادر الرسالة ـ للقول بأنني أفدت كثيراً من شرح ابن حجر للبخاري (فتح الباري) فكثيراً ماتحيرت في قصد البخاري بهذا الحديث أو بهذه الترجمة، وحين أعمد إلى الفتح، يفتح الله به عليّ ماأشكل والتبس . وصدق من قال: «لا هجرة بعد الفتح» فرحمه الله ورحم غيره من العلماء الذين خدموا العلم وطلابه .

وكلمة لا بد من إيضاحها في المنهج حيث اعتمدت في تدوين الأحداث على ماذكره الشيخان أو أحدهما في صحيحيهما ، واعتبرت ذلك أصلا أقارن بعده ماجاء في سيرة ابن إسحق وربما غيره موافقا أو مخالفا لهما في ذات الحدث ، مشيرا إذا كانت هذه الحادثة أو تلك لا توجد أصلا في سيرة ابن إسحق على أن ذلك زيادة حفلت بها نصوص الصحيحين دون ابن إسحق ، وعلى هذا فقد يرى القارئ أن ثمة أحداثا أخر في العهد المكي [1]ـ في سيرة ابن إسحق ـ لم تذكر ، فهذا سببها، وعلى أي حال فلا أدعي أنني أتيت على الصغير والكبير واستوفيت كل ماورد في الصحيحين من أحداث السيرة فقد يندّ عني مالم يكن في الحسبان مما يندرج في دائرة الخطأ والنسيان وحسبي أنني اجتهدت ما وسعني الجهد،

---

(١) منها على سبيل المثال لا الحصر : كفالة جده عبد المطلب له ، وكفالة عمه أبي طالب في صغره ، اختلاف قريش في وضع الحجر الأسود وحكم النبي ﷺ بينهم ، حرب الفجار ، إسلام حمزة رضي الله عنه ، خبر الصحيفة المعلقة في الكعبة ، خبر دار الندوة واجتماع قريش بها حين علمت بخبرهجرته للمدينة.

وماتوفيقي إلا بالله.

هذا وتنتظم الرسالة في خمسة فصول أساسية ، وهناك فصل تمهيدي قصدت منه التعريف بابن إسحق وما قيل فيه جرحًا أو تعديلا ، ورأي العلماء فيه خاصة في جانب المغازي والسير ـ وهو مانحن بصدده ـ ومنهجه في تدوين أحداث السيرة ، ورواة المغازي والسير عنه ، ثم أتبعت ذلك الحديث عن الإمام البخاري ، مع وقفة عند صحيحه ، ومنهجه في تدوين أحداث السيرة ،وأخيرا ترجمت للإمام مسلم وتحدثت عن صحيحه ، وما أمكن الوقوف عليه من منهجه في أحداث السيرة .وقد حاولت ـ في هذا التمهيد ـ إبراز الفرق بين منهج المحدثين بشكل عام وأصحاب السير في كتابة وعرض أحداث السيرة .

أما الفصل الأول من الرسالة « محمدﷺبين الميلاد والنبوة» .فيشمل: الحديث عن مولد النبي ﷺ ، ونشأته ، وأسمائه ، وفضل نسبه ، والبيئة التي عاش فيها ، وموقفه منها ، وصفاته الخَلْقية والخُلقية ، وتوقفت طويلا عند بعض ما وقع له في تلك الفترة، وهو يحتاج إلى مزيد بيان وإيضاح من أمثال «شق صدره» ورحلته مع عمه إلى الشام .كما توقفت عند زواجه بخديجة ومن عقد عليهن أو دخل بهن في الفترة المكية .

وشمل الفصل الثاني « البعثة وبعض الأحداث في مكة» : إرهاصات النبوة والعزلة، والتحنث ، ثم نزول الوحي وفترته ، والخلاف فيه ، وأول مانزل من القرآن ومَاأشكل فيه ، وألحقت بهذا الفصل الحديث عن بعض الأحداث البارزة في مكة كإسلام عمر ، وحصار الشعب ، وموت عمّ النبي ﷺ ، وزوجه خديجة . وأخيراً نماذج من معجزات النبوة في مكة كالإسراء والمعراج ، وانشقاق القمر ، وإخباره ﷺ عن جمع من الشهداء وهو على جبل «حراء» ، إضافة إلى معجزة القرآن الكريم.

أما الفصل الثالث فكان عن «أساليب الدعوة في مكة»وقد تحدثت فيه

عن الدعوة في مرحلتها السرية ـ مدعّما ذلك بنصوص الصحيحين وماذكره ابن إسحق ـ ثم ذكرت نماذج لأوائل المؤمنين،ثم انتقل الحديث إلى مرحلة الجهر بالدعوة،وموقف قريش منها وإيذاء النبي والمؤمنين،وإبطاء قريش بالإسلام ودعاء النبي عليهم،ثم الحديث عن هجرة الحبشة وعودة المهاجرين،وقصة الغرانيق ـ التي أطلت الوقوف عندها لكثرة الحديث حولها ـ ثم ختمت هذا الفصل بالحديث عن ذهابه ﷺ للطائف مع بيان ما اختلفت فيه رواية الصحيحين عن ابن إسحق في هذه الحادثة .

وكان الفصل الرابع عن «مقدمات الهجرة» وابتدأته بالحديث عن بدء إسلام الأنصار، فألمحت إلى إشارة البخاري لذلك، أما ابن إسحق فاستجمعت رواياته قبل بيعة العقبة ودرستها دراسة نقدية ، كما شمل الحديث ـ في هذا الفصل ـ الوقوف عند أسباب إسلام الأنصار ، وأبنت عن إضافة الصحيحين في الأسباب مالا يتوفر عند ابن إسحق وبيعة العقبة الأولى ومناحي الاتفاق والاختلاف بين رواية ابن إسحق والصحيحين ، وإمكان الجمع بينهما ، والإشكالات التي استشكلها بعض العلماء في رواية الصحيحين لها والإجابة عنها ، وبيعة العقبة الثانية ورواية الصحيحين لها ، ومحصلة رواية ابن إسحق، وما يتفق أو يختلف مع رواية الصحيحين.وبالجملة ففي كل روايات العقبة ـ وفيما يخص روايات ابن إسحق ـ كنت أقف عند سند الرواية وأبين درجتها من الصحة والضعف .

أما الفصل الأخير (الخامس) فكان عن « الهجرة إلى المدينة» ، وابتدأته بذكر ماوقع في روايات الصحيحين من أسباب الهجرة ، وأعقبته بما ذكره ابن إسحق،وأوضحت زيادة الصحيحين منها ثم وقفت عند اختيار المدينة مكانا للهجرة ، ونصوص الصحيحين في ذلك، وأول من هاجر من المسلمين والاختلاف بين رواية الصحيحين وابن إسحق، ثم هجرة من هاجر من المسلمين ، ووقفت عند هجرة عمر ومن كان معه ، وأوضحت الفهم

الخاطئ في هجرته علنا وأن الرواية بذلك لا تستقيم أمام النقد العلمي ، ثم أخذ البحث طريقه في هجرة النبي ﷺ من حين أذن له ، إلى أن وصل إلى الغار وما صاحب ذلك من دراسة نقدية للروايات ، ثم حديث الرحل(في طريق الهجرة) وما يتضمنه هذا الحديث من زيادات في الصحيحين لا وجود لها عند ابن إسحق ، كما توقفت عند الطريق الذي سلكه النبيﷺ في هجرته فحاولت إيضاح معالمه . وجمعت ما ورد في وصفه من الصحيحين وابن إسحق . وأخيراً الوصول إلى المدينة واستقبال الأنصار ، ولفت الانتباه إلى صيغة الاستقبال ـ كما وردت في الصحيحين ـ مشيراً إلى ضعف ما اشتهر بأنه اُستُقْبِلَ بهذه الأبيات :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع ... إلخ وذلك لضعف الرواية به سنداً ومتناً.

ثم أنهيت الرسالة بخاتمة أشرت فيها إلى أهم النتائج التي وصلت إليها.

* * *

مصادر الرسالة:

تنوعت مصادر الرسالة نظراً لطبيعة الموضوع ومنهج الكتابة ، فشملت كتب الحديث والسير، وهما مصدران في السيرة يكمل أحدهما الآخر ، ولكل منهما منهج وطريقة،فميزة كتب السير أنها تبسط الموضوع وتجمع أطرافه بشكل لا يتوفر في كتب الحديث دائما ، لكننا مع ذلك نلفي كتب الحديث ـ أحياناً ـ تفصّل مجملا ، أو توضح مبهماً ، أو توثق حدثاً ورد في كتب السير لكن بإسناد فيه مقال فأوردته كتب الحديث من طريق آخر لامطعن فيه .

ومن كتب الحديث التي أفدت منها ـ إضافة إلى الصحيحين ـ مسند الإمام أحمد، وسنن الترمذي ، ومستدرك الحاكم ، وجامع الأصول لابن الأثير الجزري ، ومجمع الزوائد للهيثمي .

أما كتب السير فأبرزها سيرة ابن إسحق وتهذيبها لابن هشام، وتعد سيرة ابن إسحق من أبرز كتب السيرة النبوية ، وقد استطاع مؤلفها أن يجمع ـ في سيرته ـ بين منهج أهل الحديث الملتزم بسوق الرواية الواحدة بإسنادها دون خلط بين الروايات ، وبين منهج الإخباريين الذين كانوا يسوقون الروايات الكثيرة مساقًا واحداً دون إسناد ، ودون تمييز بين رواية وأخرى ، فجاءت سيرة ابن إسحق مسندة غالباً ، ولكنها تجمع في الخبر الواحد أكثر من رواية ويسوقها مساقاً واحداً ، وربما نبّه إلى ذلك في بداية الرواية.

وهذا المنهج أعطى لسيرته مزية ترابط الحدث ، ووضوح الصورة ، الأمر الذي تفقده في روايات المحدِّثين الذين يجزئون سياق الحادثة بتجزئة مروياتها، ولقناعة أهل الحديث بهذا المنهج وخوفهم اختلاط صحيح الروايات بمعلولها عابوا على ابن إسحق صنيعه ، فقد سئل الإمام أحمد عن قبوله لحديث ابن إسحق إذا انفرد به فقال : لاوالله إني رأيته يحدث عن جماعة بالحديث الواحد ولا يفصل كلام ذا من كلام ذا .

وسيرة ابن إسحق تغلب عليها الروايات الصحيحة ، ومقارنتها بماورد في الصحيحين تؤكد ذلك ، وهذا ابن عدي يوثق لنا ـ في الجملة ـ مرويات ابن إسحق فيقول : وقد فتشت أحاديث ابن إسحق الكثيرة فلم أجد في أحاديثه مايتهيأ أن يقطع عليه بالضعف ، وربما أخطأ أو وهم في الشيءبعد الشيء كما يخطئ غيره ، ولم يتخلف في الرواية عنه الثقات والأئمة وهو لا بأس به [١].

وقال الذهبي : ولابن إسحق ارتفاع بحسبه لاسيما في السير[٢].ولعل ذلك يكشف لنا الاتجاه الخاطئ عند بعض المستشرقين ومن شايعهم من مؤرخينا إذ يعلون من شأن مغازي الواقدي ويقدمونها على سيرة ابن إسحق ، والحق ـ كما يقول الدكتور العمري ـ:إن سيرة ابن إسحق أدق وأوثق وتتطابق معلوماتها مع معلومات كتب الحديث في كثير من الجوانب[٣].

ومع ذلك كله فلا يعني هذا ـ كما أسلفت ـ أن سيرة ابن إسحق خلو من الروايات الشاذة، وقد أنصفه الذهبي حين قال فيه : ماله عندي ذنب إلا ماقد حشى في السيرة من الأشياء المنكرة والمنقطعة[٤].

والحديث عن سيرة ابن إسحق لا ينفك عن تهذيبها « سيرة ابن هشام » وحين يعلم أن عدداً من الرواة نقلوا السيرة عن ابن إسحق ، فلا شك أن أوفى ماوصل إلينا رواية البكائى عن ابن إسحق وهي التي هذبها تلميذه ابن هشام فحذف منها ماليس له علاقة بالسيرة ، وليس للرسولﷺ فيه ذكر، كما هذب من أشعارها، واختصر من مطولاتها ، وأوضح الغريب والمبهم فيها كما أبان عن ذلك في مقدمة كتابه .

ولقد أثنى العلماء على جهود ابن هشام في السيرة،واشتهرت سيرته حتى كاد بعض الناس أن ينسوا صاحبها الأول وهو ابن إسحق . يقول القفطي:

---

(١) انظر: الكامل في الضعفاء لابن عدي ٢١٢٥/٦.

(٢) سير أعلام النبلاء١٤١/٧.

(٣) انظر: المجتمع المدني في عهد النبوة للدكتور أكرم العمري ص ٢٧.

(٤) ميزان الاعتدال ٤٦٩/٣.

وهذه السيرة التي يرويها عن ابن إسحق قد هذب منها أماكن مرة بالزيادة ومرة بالنقصان وصارت لا تعرف إلا بسيرة ابن هشام[1].

وتظهر أمانة ابن هشام في محافظته على نص رواية ابن إسحق إذ يقدم لها بالقول:(قال ابن إسحق)ثم يورد نص الرواية، وإذا عقب عليها فإنه يبين عن ذلك بقوله:(قال ابن هشام)وهذا كثير لمن تأمله وأحيانا ينقل روايات ليست لابن إسحق ويقدم لها بالقول : حدثني بعض أهل العلم ، أو فيما يذكر لي بعض أهل العلم ، أو فيما بلغني ونحوها مما يؤكد دقته وأمانته في النقل. ومنها «الدرر في اختصار المغازى والسير» والكتاب مختصر، لكنه مفيد. فقد أفاد مؤلفه من مغازي موسى بن عقبة كثيراً كما ذكر ذلك في مقدمته[2]،و«عيون الأثر» لابن سيد الناس. وميزته أنه نقل عن مصادر لا تكاد توجد بين أيدينا حيث نقل عن مغازي «محمد بن عائذ القرشي»[3] وساق في آخر كتابه سنده عنه[4]، و«جوامع السيرة» لابن حزم،و«زاد المعاد» لابن القيم ، و«سيرة الذهبي» وهي مع اختصارها لها قيمتها العلمية نظراً لوقفات الذهبي النقدية، و«سيرة ابن كثير» ـ وهي في نظري ـ من أجود كتب السير لجمع مؤلفها بين كتب الحديث والسير من جهة، ولترجيحات ابن كثير وآرائه من جهة أخرى ، وسيرة الصالحي «سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد » والتي ذكر مؤلفها أنه اقتضبها من أكثر من ثلاثمائة كتاب وتحرى فيها الصواب[5]. وللكتاب فضل مزّية حيث يختم المؤلف كل باب من أبوابه

---

(١) انظر : إنباه الرواة ٢/٢١٢.

(٢) انظر : مقدمة الكتاب ص (٣).

(٣) هو : الإمام المؤرخ الصادق أبو عبد الله القرشي الدمشقي ، تولى ديوان الخراج بالشام زمن المأمون ، جمع كتاب المغازي ، يقول الذهبيُّ : سمعت معظمه ، وله كتاب الفتوح والصوائف. (سير أعلام النبلاء ١١/١٠٥ ، ١٠٦) .وقد وثقه ابن معين وذكره أبو زرعة الدمشقي في أهل الفتوى بدمشق ، ورماه بعضهم في القدر ، توفي سنة (٢٣٣هـ) .(المصدر السابق ١١/١٠٥ ، وانظر : تهذيب التهذيب ٩/ ٢٤١ ـ٢٤٢).

(٤) عيون الأثر ٢/٣٤٤.

(٥) انظر : مقدمة المؤلف ١/١ .

بإيضاح المشكل ،ويبين فيه النفائس المستجدات مع بيان لغريب الألفاظ وضبط المشكلات ،والجمع بين الأحاديث التي يظن بها أنها من المتناقضات.

ويلحق بهذين النوعين من المصادر (كتب الحديث والسير) شروحهما، وهي من الأهمية بمكان، خاصة شروح كتب الحديث، وأهم الشروح للصحيحين شرح النووي على صحيح مسلم، وشرح ابن حجر«الفتح» للبخاري ورغم أهمية شرح النووي، فشرح ابن حجر للبخاري يبرز مصدراً مهما لا يستغنى عنه الباحث في السيرة ليس فقط لأنه حفظ لنا نقولا في السيرة لا تتوفر بين أيدينا الآن[1]، وإنما كذلك لموازنات ابن حجر وتعليقاته الجياد، وصدق من قال: «لاهجرة بعد الفتح». ويقصد بذلك فتح الباري.

أما شروح كتب السير، فأبرزها شرح« السهيلي»(أ) ،« الروض الأنف» ، وشرح أبي ذر الخشني(ب).

كما شملت مصادر الرسالة كتب « الشمائل »و«الدلائل» ومن أهمها: دلائل النبوة لأبي نعيم(ج)، ودلائل النبوة للبيهقي(د) وهو من أحسن ماألف في بابه حتى قال عنه الذهبي:«عليك به فإنه كله هدى ونور » ، والشفاء بتعريف حقوق المصطفي ﷺ للقاضي عياض(هـ) .

وتشكل كتب الطبقات والتراجم مصدراً مهما من مصادر الموضوع ، ويأتي في مقدمتها « الطبقات الكبرى» لابن سعد (و)، وقد أفرد فيه جزءاً خاصاً بالسيرة، فانفرد بأشياء دون غيره ، فقد روى طائفة من مرويات «ابن إسحق » في السيرة من غير طريق شيخه الواقدي(ز)، فروى من طريق هارون

---

(١) من أمثال «السيرة الصحيحة » لسليمان بن طرخان التيمي (ت ١٤٣هـ)انظر : نقول ابن حجر منها في الفتح ٢٣/١، ٤٩٨/٧، ٧١٠/٨ ، والسير لابن إسحق الفزاري(ت ١٨٥هـ)انظر : نقول ابن حجر منها في الفتح ٢٢/١، ٧٧/٦، والمغازي لمحمد بن عائذ القرشي (ت ٢٣٣هـ). وانظر : نقول ابن حجر منها في الفتح ٣٠٢/٧، ٣٢٦ ، ٣٣٧، ٣٤٣، ٣٥٩ وغيرها ، وانظر : منهج كتابة التاريخ الإسلامي لمحمد بن صامل السلمي ص ٣١٠ ـ٣١٦ .

ابن أبي عيسى عن ابن إسحق[1]، ومن طريق عبد الله بن إدريس الأودي عن ابن إسحق[2]، ومن طريق إبراهيم بن سعد عن ابن إسحق[3]، فضلاعن كونه أخذ من مغازي موسى بن عقبة من غير طريق شيخه[4]، وكذا من مغازي أبي معشر السندي[5].

ومن هذا النوع من المصادر : فضائل الصحابة للإمام أحمد ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، والاستيعاب لابن عبد البر ، وأسد الغابة لابن الأثير ، والإصابة لابن حجر ـ وهو من أوسعها ـ وتحوي هذه الثلاثة الأخيرة جملاً من وقائع السيرة ، سواء كان ذلك عن طريق الترجمة للنبي ﷺ ـ وذكر مختصر لسيرته ـ كما صنع ابن عبد البر ، وابن الأثير ـ أو كان عن طريق التراجم للصحابة ـ كما فعل ابن حجر ـ .

هذه تعاريف لأعلام وردت في ص١٠ .

(أ) عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي، حافظ ، عالم باللغة والسير، ولد في مالقة، وعمي وعمره ١٧ سنة ، اتصل خبره بعد نبوغه بصاحب مراكش فطلبه إليها وأكرمه حتى توفي فيها سنة ٥٨١ هـ.

له غير شرح السيرة: «التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام » و« الإيضاح والتبيين لما أبهم من تفسير الكتاب المبين»و«نتائج الفكر». (الأعلام للزركلي ٨٦/٤).

---

(١) انظر : الطبقات ١/ ٥١ ، ٥/٢ .

(٢) المصدر السابق ٥/٢، ٥٥ .

(٣) المصدر نفسه ٦/٣.

(٤) المصدر نفسه ٦/٣.

(٥) المصدر نفسه ٥/٣ = وأبو معشر هو : نجيح بن عبد الرحمن السندي، الإمام المحدث ، صاحب المغازي ، كان يعاصر ابن إسحق وتوفي بعده سنة ١٧٠هـ، وذكره ابن سعد في الطبقة السادسة من التابعين من أهل المدينة وقال عنه : كان كثير الحديث ضعيفًا (الطبقات ٤١٨/٥)ويقال:كان أميا إلا أنه حفظ المغازي وأخبار الناس (سير أعلام النبلاء ٤٢٧/٧).

(ب) أبو ذر مصعب بن محمد بن مسعود الخشني الجياني الأندلسي ، قاض، من العلماء بالحديث والسير والنحو ، أصله من مدينة جيّان ولد ونشأ فيها وتجوّل في العدوة والأندلس ، وولي القضاء في جيان أيام المنصور ، واستقر بفاس وتوفي بها سنة ٦٠٤هـ ، له من الكتب: شرح غريب السيرة، شرح الإيضاح ، وشرح الجمل . (الأعلام ١٥١/٨) .

(ج) أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحق الأصبهاني حافظ مشهور ومؤرخ ،عده ابن خلكان من الثقات، وقال الذهبي: تكلم فيه بلا حجة ولكن هذه عقوبة من الله لكلامه في ابن منده بهوى ، ولد ومات بأصبهان ، له من المصنفات : حلية الأولياء ، وتاريخ أصبهان ، وطبقات الأصفياء ، ومعرفة الصحابة ، وطبقات المحدثين. توفي سنة ٤٣١هـ.(وفيات الأعيان ٩١/١ ، وميزان الاعتدال ١١/١ ، والأعلام ١٥٠/١).

(د) أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي الشافعي ، ولد في خسرو جرد ، ونشأ في بيهق ورحل إلى بغداد والكوفة ومكة وغيرها ، ومات في نيسابور سنة ٤٥٨هـ ، قال عنه إمام الحرمين الجويني: مامن شافعي إلا وللشافعي عليه فضل إلا البيهقي . فإن له المنة والفضل على الشافعي لكثرة تصانيفه في نصرة مذهبه وبسط موجزه وتأييد آرائه ، وقال الذهبي: أصاب الجويني هكذا هو، ولو شاء البيهقي أن يعمل لنفسه مذهبًا يجتهد فيه لكان قادراً على ذلك لسعة علومه ومعرفته بالاختلاف.

صنف زهاء ألف،جزء منها « السنن الكبرى »، والسنن الصغرى، والمعارف، والأسماء والصفات، والآداب، والترغيب والترهيب وغيرها.(سير أعلام النبلاء ١٦٩/١٨ ،تذكرة الحفاظ ١١٣٢/٣ والأعلام للزركلي١١٣/١).

(هـ) أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي كان إمام وقته في الحديث وعلومه والنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم، مولده في سبتة ، وولي قضاءها ، ثم قضاء غرناطة ، وله مصنفات منها :

الإكمال في شرح مسلم، ومشارق الأنوار، والتنبيهات، وكتاب في التاريخ، توفي بمراكش سنة ٥٤٤هـ.(وفيات الأعيان ٤٨٣/٣ ، والأعلام ٢٨٢/٥).

(و) محمد بن سعد بن منيع الزهري مولاهم،صحب الواقدي زماناً وكتب عنه، ومن أشهر كتبه الطبقات الذي قال فيه الخطيب البغدادي : أجاد فيه وأحسن وهو من أهل العدالة والفضل ، وحديثه يدل على صدقه فإنه يتحرى في كثير من رواياته كما قال الخطيب ، ولد في البصرة وسكن بغداد وبها توفي سنة ٢٣٠هـ.(تاريخ بغداد ٣٢١/٥ ، والأعلام ٦/٧).

(ز) محمد بن عمر بن واقد أبو عبد الله الواقدي المدني ، ولد بالمدينة سنة ١٣٠هـ قال عنه الخطيب البغدادي: قدم بغداد وولي قضاء الجانب الشرقي فيها وهو ممن طبق شرق الأرض وغربها ذكره ، ولم يخف على أحد عرف أخبار الناس أمره وسارت الركبان بكتبه في فنون العلم من المغازي والسير والطبقات وغيرها. وقال فيه الذهبي:«جمع فأوعى وخلط الغث بالسمين، والخرز بالدرِّ الثمين فاطّرحوه لذلك، ومع هذا فلا يستغنى عنه في المغازي وأيام الصحابة وأخبارهم» ، ويذكر للواقدي ميزة في كتابه المغازي وهي تتبعه للآثار ومعاينته لمواضع السيرة، وقد ذهب للمريسيع وغيرها، ويسترشد بأبناء الصحابة وأبناء الشهداء في تعريف المواقع، ولهذا قال عنه ابن كثير: وعنده زيادة حسنة وتاريخ محرر، توفي سنة ٢٠٧هـ(تاريخ بغداد ٣/٣ ، سير أعلام النبلاء ٤٥٤/٩).

ومن المصادر كتب التاريخ العامة ، ذلك لأن معظمها تبدأ التاريخ الإسلامي بذكر سيرة الرسول ﷺ ، ومن أهم مصادر هذا النوع : تاريخ خليفة بن خياط ، وهو وإن ابتدأ كتابه بالسيرة فلم يكن للفترة المكية من ذلك نصيب، عدا حديثه عن ولادة النبي ﷺ ، ومدة إقامته بمكة والمدينة، وذلك لأنه ابتدأ يؤرخ من السنة الأولى للهجرة .

وتاريخ الطبري،وميزته أنه يعتبر مدونة تاريخية جمع فأوعى وحفظ لنا

نصوصاً من كتب لاتزال في عدادالمفقودات من أمثال روايته عن ابن إسحق ـ في السيرة ـ من رواية سلمة بن الفضيل من طريق شيخه محمدبن حميد الرازي[١] وروايته عن مغازي ابن شهاب الزهري كثيراً[٢]،ونقله عن مغازي أبي معشر السندي في أكثر من مائة موضع[٣]،كما نقل عن مغازي سعيد بن يحيى الأموي[٤]إلى غير ذلك .

ومن مصادر هذا النوع ـ أيضا ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير ، والبداية والنهاية لابن كثير . وقد سبق الكلام عن سيرته ـ وهي مجتزأة من البداية والنهاية ـ.

وبقي نوع من المصادر أفدت منه في الكتابة ، وقد لا يحسب له بعض الباحثين حسابه ، وهو كتب الرجال ، أو مايسمى (بالجرح والتعديل) فهذه تأتي أحيانا على أحداث السيرة من خلال تراجمها لبعض الرجال ، وميزتها النقدية للإسناد ، وبيانها لدرجة صحة الواقعة أو ضعفها تعطيها أهمية وتجعلها مصدرا لايستغني عنه من يريد دراسة السيرة بهذا المنهج ،ومن نماذج هذا النوع : الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي، وميزان الاعتدال للذهبي ، وتهذيب التهذيب لابن حجر ، ونحوها .

* * *

---

(١) محمد بن حميد ـ هذا ـ من شيوخ الطبري ، وقد أكثر من الرواية عنه في تاريخه لكن ضعفه كثير من العلماء ، قال يعقوب بن شيبة :كثير المناكير ، وقال البخاري : فيه نظر، وكذبه أبو زرعة ، وقال النسائي : ليس بثقة ، قيل لابن خزيمة : لو أخذت الإسناد عن ابن حميد فإن أحمد بن حنبل قد أحسن الثناء عليه ، قال : إنه لم يعرفه ولو عرفه كما عرفناه ماأثنى عليه أصلا ، مات سنة (٣٤٨هـ) (ميزان الاعتدال ٥٣٠/٣).

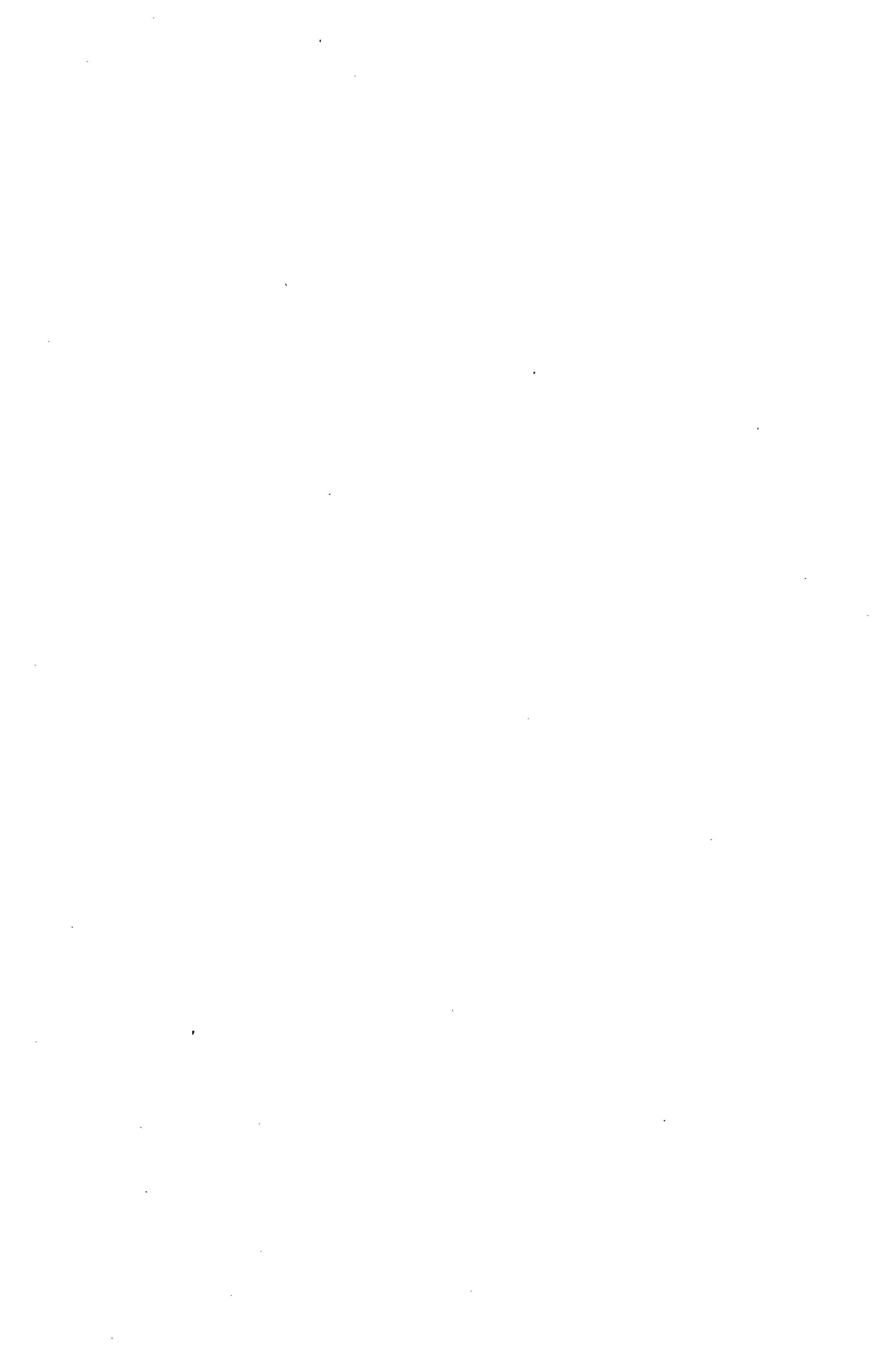
(٢) روى عنه الطبري في أكثر من مائة موضع جلها في السيرة انظر : (منهج كتابة التاريخ الإسلامي ص ٣٠٢ لمحمد بن صامل السلمي).

(٣)وجلها في السيرة ، ومنها ماهو خارج إطار السيرة (المرجع السابق ص٣١٢).

(٤) انظر : تاريخ الطبري ٢٤٦/١ ، ٣٦٤/٢ ، ٢٧/٣ ، ٦٨، ١٦٢، ١٩٤=وسعيد هذا قال عنه ابن المديني: هو أثبت من أبيه ،وقال يعقوب بن سفيان: هو وأبوه ثبتان ، ووثقه النسائي، وقال أبو حاتم: صدوق ، وقال صالح بن حميد : صدوق إلا أنه يغلط ، وذكره ابن حبان في الثقات ، مات سنة ٢٤٩ هـ.(تهذيب التهذيب ٩٧/٤، ٩٨).



التمهيد



تدوين السيرة قبل ابن إسحق

بدأ الاهتمام بالمغازي والسير مبكراً ، نظراً لكونها تمثل جانباً من حياة النبي ـ ﷺ ـ عزّ على المسلمين أن يدرس وينسى وهو الأسوة والقدوة .

وقد تجاوز اهتمام الرعيل الأول بالسيرة مجال العمل بها ، والتأسي إلى مجال العلم بها ، وتدوينها للأجيال اللاحقة ، فكانت تعقد لها الحلقات والدروس، ومامجلس «ابن عباس» ـ رضي الله عنهما ـ والذي كان يحدث الناس فيه في إحدى عشياته عن المغازي[١] إلا نموذج لهذا الاهتمام .

وبلغ الاهتمام بالسير والمغازي أنهم كانوا يتعلمونها كما يتعلمون السورة من القرآن[٢] .

ويجزم«الأعظمي» بأن جزءاً غير قليل من وقائع السيرة كان قد كتب في عصر الصحابة ، وفي حياة النبي ـ ﷺ ـ ،لكن ذلك لم يكن بشكل متميز، وإنما كان ضمنياً مع جملة أحاديث الرسول ﷺ[٣] .

وعلى كل حال فقد كان لهذا الاهتمام بالسيرة من قبل الصحابة أثره في جيل التابعين من أبناء الصحابة وغيرهم ،لاسيما إذا وضع في الاعتبار أن السيرة في بدء تدوينها لم تنفصل عن تدوين الحديث بشكل عام ، ولهذا كان رواد دراسة المغازي من المحدّثين.[٤]

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٣٦٨/٢ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء٣٥٠/٣ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ٢٦٥/٣.

(٣)الأعظمي : مغازي رسول الله ﷺ لعروة بن الزبير ص٢١ .

(٤) الدوري : نشأة علم التاريخ عند العرب ص٢٠ .

فأبّان بن عثمان (٩٥ـ١٠٥هـ) وهو محدّث كان له ميل إلى دراسة المغازي ، وقد ذكر «ابن سعد » أن المغيرة بن عبد الرحمن كان لديه مغازي أبان بن عثمان ، وكانت كثيراً ماتقرأ عليه ، ويأمر بتعلمها[١] .

وحيث لا يوجد ذكر لمغازي «أبان» بل ولا نقول عنه، فلعل مرد ذلك إلى عدم وجود تلاميذ له يقومون بنشر علمه بعد مماته، ولم تنتشر في حياته فعفى عليها وحي النسيان[٢] .

أما عروة بن الزبير (ت٩٤هـ) فيعده «الواقدي» أول من صنف المغازي[٣] وكان مرجعًا للخلفاء والأمراء والعلماء يكتبون إليه ويسألونه في أمر المغازي والسير، وينقل لنا «الطبري»نصوصًا طويلة من كتابات عروة إلى عبد الملك بن مروان[٤]، كما نقل ابن حجر نص كتاب عروة إلى الوليد :«أما بعد فإنك كتبت إليّ تسألني عن قصة الفتح ...»[٥].

ومن المعاصرين لعروة «شرحبيل بن سعد» (ت ١٢٣هـ)وقد قال عنه سفيان بن عيينة : لم يكن أحد أعلم بالمغازي والبدريين منه[٦]، ولكنه سقط من أعين الناس بعد أن احتاج ، أو لخلطه في الأحداث بعد كبر سنه[٧]، ولم يرو عنه «ابن إسحق» أو «الواقدي» شيئا ، وروى عنه «ابن سعد» خبراً عن هجرة النبي ـﷺ ـ من قباء إلى المدينة[٨].

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٢١٠/٥ .
(٢) الأعظمي : مغازي عروة ص ٢٧.
(٣) انظر : ابن كثير : البداية والنهاية ٩/ ١١٣.
(٤) تاريخ الطبري ٣٢٨/٢، ٤٢١,٤٢٢ .
(٥) فتح الباري ٢٧/٨.
(٦)ابن حجر : تهذيب التهذيب ٣٢١/٤ .
(٧) المصدر نفسه ٣٢١/٤ .
(٨)انظر: طبقات ابن سعد ٢٣٧/١ .

وفي الطبقة التالية لهؤلاء برز ثلاثة من علماء الحديث وجهوا عنايتهم إلى المغازي، وهم: عبد الله بن أبي بكر بن حزم ، وعاصم بن عمر بن قتادة، والزهري ـ وهؤلاء من شيوخ ابن إسحق ـ والزهري هو أشهرهم وأكثرهم رواية ، ويصف «السهيلي» سيرة الزهري بأنها أول سيرة ألفت في الإسلام[1].

وخلف الزهري ـ بعده ـ تلاميذ كان أشهرهم في المغازي : موسى بن عقبة ، ومعمر بن راشد، ومحمد بن إسحق ، أما موسى بن عقبة فقد كان من موالي آل الزبير ، ويثني الإمام «مالك» على مغازيه بقوله : «عليكم بمغازي الرجل الصالح موسى بن عقبة فإنها أصح المغازي ، فإنه رجل ثقة طلبها على كبر السن ولم يكثر كما أكثر غيره»[2]، وإذا كانت مغازيه لم تصل إلينا فقد حفظ «ابن سعد »في طبقاته[3]و«الطبري» في تاريخه[4]قبسات منها ، أما معمر فكان من أوثق الناس في الزهري ، وأثنى عليه الإمام أحمد وغيره[5].

وأخيراً وبعد هؤلاء جاء ابن إسحق المطلبي فغطت شهرته من سبقه وبدأت منه الخطوط الجديدة في تطور الكتابة التاريخية ... وهذا ما سنعرفه بالتفصيل في الصفحات القادمة بإذن الله تعالى .

---

(١) الروض الأنف ٢٣٩/٢ .

(٢) ابن حجر : تهذيب التهذيب ٣٦١/١٠ .

(٣) انظرعلى سبيل المثال في طبقات ابن سعد ٨٥/٣، ١٢٣ ,١٦١ ,١٦٨ ,٢٤٥ ,٣٨٨ ,٣٩١، ٣٩٢ ,٤٠٢ ,٤٥٩ ,٩٧/٤ ,١٢٠ ,١٢٢ ,١٤٢ ,٢١٣.

(٤) انظر: على سبيل المثال في تاريخ الطبري ٢٣١/١ ,٢٢٧/٣ ,٢١٣/٤ وللمزيد انظر هورفتس : المغازي الأولى ص ٧١ ,٧٢ .

(٥)ابن حجر : تهذيب التهذيب ٢٤٤/١٠ ,٢٤٥.

ابن إسحق والشيخان ومنهجهم في تدوين أحداث السيرة

١ـ التعريف بمحمد بن إسحاق ومنهجه في تدوين أحداث السيرة

اسمه ونسبه :

هو محمد بن إسحق بن يسار بن خيار ، وقيل: ابن يسار بن كوثان المديني مولى قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف[١] .

قال ابن سعد : كان جده «يسار» من سبي عين التمر[٢] ، وزاد ابن قتيبة : «الذين بعث بهم خالد بن الوليد إلى أبي بكر بالمدينة»[٣] . وذكر أنه أول سبي دخل المدينة من العراق[٤] .

وهناك خلاف بين كون جده «يسار» أو «خيار» هو الذي كان مولى لابن مخرمة ذكره«البغدادي»في تاريخه[٥] ، ويميل بعض الباحثين إلى ترجيح كون «خيار» هو المولى لقيس بن مخرمة[٦] ، وعلى كل حال فهو مطلبي بالولاء[٧] .

وعن أصل« ابن إسحق» روى «الخطيب البغدادي»عن محمد بن الحسين ابن فضل القطان،عن عبد اللهبن جعفر بن درستويه النحوي،عن يعقوب بن سفيان قال : محمد بن إسحق بن يسار صاحب السيرة مولى فارسي[٨] ،ويرد

---

(١) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٢١٤/١ ، والذهبي : سير أعلام النبلاء ٣٣/٧ .
(٢) محمد بن سعد : الطبقات الكبرى ٣٢١/٧ .
(٣) ابن قتيبة : المعارف (ص ٢١٥).
(٤) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٢١٦/١ .
(٥) المصدر السابق٢١٦/١ .
(٦) محمد حميد الله : سيرة ابن إسحق (المقدمة)ص(يز) من المقدمة .
(٧) انظر : السهيلي : الروض الأنف (تحقيق عبد الرحمن الوكيل)٣٧/١ .
(٨) تاريخ بغداد ٢١٥/١ .

ذلك «البكري» في معجمه فيقول ـ في مادة عين التمر ـ :«وبكنيسة عين التمر وجد خالد بن الوليد الغلمة من العرب الذين كانوا رهنا في يد كسرى وهم متفرقون بالشام والعراق ، منهم جدُّ الكلبي العالم النسابة ... وجدّ محمد بن إسحق صاحب المغازي »[١].

وحيث أورد «الطبري» في وقعة «عين التمر» رواية تفيد أن من بين من أسرهم «خالد » أربعين غلاما وجدهم في «بيعة» يتعلمون «الإنجيل» ، وحين سألهم من أنتم ؟ قالوا : رهن[٢]، فقد تمسك به من قال بأصول «كتابية» لابن إسحق[٣]!! الأمر الذي يعده «حميد الله» ظنا لبعض المستشرقين ويدفعه بأن معرفة «ابن إسحق» بالإنجيل تعلمه من علماء عصره، لامن أجداده[٤].

ويدور خلاف حول «كنية» ابن إسحق ، بين أبي عبد الله ، وبها قال خليفة ابن خياط[٥]وابن سعد[٦]ويعقوب بن شيبة[٧] وابن قتيبة[٨]، وبين «أبي بكر» وبها قال ابن المديني[٩]والبخاري[١٠]ومسلم[١١]، ثم بقي هذا الاختلاف عند من تلاهم من العلماء والباحثين .

---

(١)معجم مااستعجم (تحقيق مصطفى السقا) ٣١٩/١ .

(٢) تاريخ الطبري (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)٣٧٧/٣ .

(٣) أمثال المستشرق «يوسف هوروفتس» في كتابه : المغازي الأولى ومؤلفوها (ترجمة حسين نصار)ص ٧٦. والدكتور: سهيل زكار في مقدمته للسير والمغازي لابن إسحق ص ١١ .

(٤) مقدمته على السير والمغازي لابن إسحق (رواية يونس بن بكير)ص : يح.

(٥) انظر : تاريخ بغداد ٢١٧/١ .

(٦)الطبقات الكبرى ٣٢١/٧ .

(٧) تاريخ بغداد ٢١٧/١ .

(٨) المعارف ص(٢١٥).

(٩) الخطيب : تاريخ بغداد ٢١٧/١ .

(١٠) التاريخ الكبير ٤٠/١ (القسم الأول ج ١)ط . حيدر آباد الدكن .

(١١) الخطيب : تاريخ بغداد ٢١٧/١ .

ويذكر أن «يسارا» كان له ثلاثة من الولد،تزوج أحدهم ـ وهو المسمى إسحق ـ ابنة مولى يسمى «صبيح»فأنجبت له محمد بن إسحق هذا[1].

كما ذكر أن لابن إسحق أخوين : أبا بكر ، وعمر بن إسحق[2]، وأن ابن إسحق أعلاهم ، ومات أخوه «عمر» بعده بسنة أو سنتين[3].

مولده ووفاته :

لاتكاد معظم المصادر القديمة التي عنيت بالترجمة لابن إسحق تذكر السنة التي ولد فيها، ولهذا جنح كثير من الباحثين المحدثين إلى اعتبار مولده في حدود سنة ٨٥ للهجرة[4]، لكنا نجد عند الذهبي مولده قبل ذلك حيث قال : ولد ابن إسحق سنة ثمانين[5].

والخلاف وارد أيضا في السنة التي توفي فيها ابن إسحق ، وبسببه وضع « الخطيب» في تاريخه فصلاً في « الاختلاف في تاريخ وفاة محمد بن إسحق» ساق فيه عدة روايات في سنة وفاته[6]. وإذا كان المشهور أن وفاته سنة

---

(١) القسطلاني : إرشاد الساري إلى شرح البخاري ٣٢٨/٤ .

(٢) الخطيب : تاريخ بغداد ٢١٤/١ .

(٣) عبد الغني المقدسي : الكمال في أسماء الرجال (مخطوط في برلين)انظر حميد الله في مقدمته للسيرة ص :(يط).

(٤) منهم : كارل بروكلمان في «تاريخ الأدب العربي» (ط.الرابعة دار المعارف)١٠/٣ ، ومارسدن جونس في مقدمته على مغازي الواقدي (نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / بيروت)ص٢٥ ، وهوروفتس في كتابه:المغازي الأولى ومؤلفوها ص(٧٦)، وفؤاد سزكين في كتابه. تاريخ التراث العربي (نشر جامعة الإمام) المجلد الأول الجزء الثاني (التدوين التاريخي)ص (٨٧)، وسهيل زكار في مقدمته للسير والمغازي لابن إسحق ص (١٠)، ورجحه محمد محيي الدين عبد الحميد في مقدمته لسيرة ابن هشام ٢٥/١.

(٥) سير أعلام النبلاء ٣٤/٧ .

(٦) انظر : تاريخ بغداد ٢٣٢/١ .

إحدى وخمسين ومائة [1] ، فقد صوّب «الخطيب» الرأي القائل بوفاته سنة اثنتين وخمسين ومائة[2] ، وهو الذى جزم به خليفة بن خياط في تاريخه[3] ، أما في طبقاته فقال : توفي سنة ثلاث أو اثنتين وخمسين ومائة[4] ، ثم جزم في موضع آخر منه بوفاته سنة ثلاث وخمسين ومائة[5] ، وكانت وفاته في «بغداد» ، ودفن في مقبرة «الخيزران» بالجانب الشرقي وهي منسوبة إلى «الخيزران» أم «هارون الرشيد» وأخيه «الهادي» ، وإنما نسبت لها لأنها مدفونة بها ، وهي أقدم المقابر التي بالجانب الشرقي[6] ـ رحمه الله ـ.

نشأته ورحلاته العلمية :

ولد ابن إسحق ، ونشأ نشأته الأولى بالمدينة ، فقد عاش فيها قرابة ثلاثين عاما ، كانت المدينة خلال تلك الفترة تزخر بالعلماء الأفذاذ أمثال: مالك، والزهري، ونافع ـ مولى ابن عمر ـ وأبان بن عثمان بن عفان، وغيرهم .

رأى ابن إسحق أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ،وسعيد بن المسيب[7] ، وسمع القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق،وأبان بن عثمان بن عفان، ومحمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وأبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، ونافعا مولى عبد الله ابن عمر، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري،كما حدث عن أبيه، وعمه

---

(١) ذكره ابن سعد في الطبقات ٣٢٢/٧ ، والبخاري في التاريخ الكبير ٤٠/١ ، وصححه ابن خلكان في وفيات الأعيان ٢٧٧/٤ .

(٢) تاريخ بغداد ٢٣٣/١ .

(٣) تاريخ خليفة ص(٤٢٦) .

(٤) الطبقات ـ رواية أبي عمران موسى بن زكريا التستري ـ (تحقيق د. أكرم العمري، نشر دار طيبة / الرياض)ص (٢٧١) .

(٥)المصدر السابق ص(٣٢٧) .

(٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢٧٧/٤ .

(٧) الخطيب : تاريخ بغداد ٢١٤/١ .

موسى بن يسار ... وخلق كثير[١] .وذكر أنه تعلم ـ أيضا ـ من عاصم بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكر، ويزيد بن رومان ـ تلميذ عروة بن الزبير ـ وأنه درس التفسير عند محمد بن أبي محمد ، وعند المغيرة بن أبي لبيد: كتب «وهب بن منبه» عن الإسرائيليات[٢] ؟وعدّ له بعضهم مائة شيخ من المدنيين في سيرة ابن هشام عدا الرواة المجهولين.[٣]

ومما يلفت النظر في مشايخ «ابن إسحق» أن بعضهم رووا عنه ـ لاسيما في أحداث السيرة ـ ولعل مرد هذا إلى الثقة به وشدة حفظه أو عنايته في السير خاصة (وهذا مايعرف في «مصطلح الحديث» برواية الأكابر عن الأصاغر، ومنه رواية النبي ﷺ عن تميم الداري خبر الجساسة) ، فقد روى عنه: يحيى بن سعيد الأنصاري ،ويزيد بن أبي حبيب ـ وهما من شيوخه[٤] ـ:قال الخليلي: روى عن ابن إسحق من أستاذيه : الزهري،وصالح ابن كيسان، وعقيل،ويونس[٥] والزهري ـ وهو من أكبر مشايخ ابن إسحق ـ ربما رئي وهو يسأل ابن إسحق عن شيء من أمر المغازي[٦] ، بل ذكر أنه

---

(١) الخطيب : تاريخ بغداد ٢١٤/١ ، وسير أعلام النبلاء ٣٤/٧ وقد أطال في ذكر الذين حدّث عنهم ابن إسحق ولم يستقصهم كلهم .

(٢) انظر : المغازي الأولى ص ٨٨,٨٩ وحميد الله في مقدمته للسيرة ص«كا»= ومسألة تعلم ابن إسحق الإسرائليات ودراسته التفسير على هذين الراويين المذكورين محل نظر ، ذلك لأن الأول منهما (محمدبن أبي محمد)في عداد المجهولين ، ولهذا قال عنه الذهبي : لايعرف (الميزان ٢٦/٤ والتهذيب ٩/ ٤٣٣)، أما الآخر (مغيرة بن أبى لبيد) فقد ذكره البخاري في التاريخ الكبير ق ١ ج ٤ المجلد ٣٢٥/٧ ولم يذكر رواية ابن إسحق عنه ، لكن ذكره أبو حاتم في الثقات ٤٦٦/٧ وذكر رواية ابن إسحق عنه دون الإشارة إلى نقل الإسرائيليات .

(٣) حميد الله في مقدمة السير والمغازي ص«كا» .

(٤) الذهبي : سير أعلام النبلاء ٣٥/٧ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٣٩/٩.

(٥) الذهبي : سير أعلام النبلاء ٣٧/٧ .

(٦) المقدسي : الكمال في أسماء الرجال (عن حميد الله ... ص كا).

تلقف المغازي من ابن إسحق فيما يحدثه عن عاصم بن عمر[1].

أما استشارة «ابن إسحق» لشيخه «الزهري» في الحدث من أحداث السيرة يريد تدوينه والتوثق منه فليس بمستغرب[2].

لم يكن اهتمام «ابن إسحق» قاصرا على السيرة، فقد اهتم قبل ذلك بتدوين أحاديث الأحكام، ويعده «الذهبي» أول من دون العلم بالمدينة، قبل مالك وذويه[3]. وقال علي بن المديني : مدار حديث رسول الله ﷺ على ستة ـ فذكرهم ـ ثم قال: فصار علم الستة عند اثني عشر أحدهم ابن إسحق[4]. وقال البخاري: ينبغي أن يكون لابن إسحق ألف حديث ينفرد بها.[5].

قدم «ابن إسحق» الإسكندرية سنة خمس عشرة ومائة[6]، وقيل: تسع عشرة ومائة[7]، وروى عن جماعة من أهل مصر منهم : عبيد الله بن المغيرة ، ويزيد بن أبي حبيب ، وثمامة بن شفي ، وعبيد الله بن أبي جعفر ، والقاسم ابن قرمان ، والسكن ابن أبي كريمة . روى عنهم أحاديث لم يروها عنهم غيره ـ كما يقول الذهبي[8] ـ، وقد روى عنه من أهل مصر الأكابر منهم : يزيد بن أبي حبيب ، وقيس بن أبي يزيد[9].

---

(١) انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٩/٧ .

(٢) انظر: السيرة لابن هشام ٤١١/٣ (في كيفية إعطاء يهود خيبر نخلهم) والطبري ٦٤٥/٢ (في تسمية من بعثهم النبي إلى الملوك وماقال لهم).

(٣) سير أعلام النبلاء ٣٥/٧ .

(٤) الخطيب : تاريخ بغداد ٢١٩/١ .

(٥) ابن حجر : تهذيب التهذيب ٤٢/٩ .

(٦) الذهبي : سير أعلام النبلاء ٤٧/٧ .

(٧) ذكر ذلك ابن حجر في التهذيب ٤٤/٩ ـ ولعله خطأ في النسخ ، تصحفت معه الخمسة إلى تسعة ـ ويقوي ذلك أنه لم يذكرها كتابة ، بعكس الذهبي فقد نصّ عليها (خمس عشرة) والذهبي أقدم ، بل ومن موارد ابن حجر ولو كان يغاير ماعنده لذكره ، وأخيرا وجدت في مخطوط (تهذيب الكمال للمزي ١١٦٨/٣) كما ذكر الذهبي مما يؤكد التصحيف المشار إليه .

(٨) سير أعلام النبلاء ٤٧/٧ ، ٤٨ .

(٩) المصدر السابق ٤٨/٧ .

ويرى «بروكلمان» أن ابن إسحق اختتم دراسته للحديث وروايته في مصر سنة ١١٥هـ ، ثم عاد إلى المدينة ـ موطنه ـ فتمم بها كتابه في السيرة ، حيث كان كتابه هذا مسنداً كله إلى حديث أهل المدينة[١] ، ويخطّئ «هوروفتس» متابعاً «فيك» من يظن أن ابن إسحق رحل من مصر إلى العراق مباشرة دون أن يمر بالمدينة ـ بلدته ـ[٢] ويخالفه في ذلك محمد حميد الله.[٣] على أن «يونس بن بكير» يروي لنا عن شيخه «ابن إسحق» قوله: «حفظت المغازي بمكة مرة ، ثم تفلت مني ، ثم عدت فيها فحفظتها»[٤] ، وهذا ـ إن ثبت ـ يؤكد مقام ابن إسحق بمكة فترة .

واكتفى «ابن سعد» في ترجمته « لابن إسحق » بقوله :«وكان خرج من المدينة قديما فأتي الكوفة والجزيرة ، والري ، وبغداد ، فأقام بها حتى مات»[٥] ورواته من أهل هذه البلدان أكثر من رواته من أهل المدينة.[٦]

وهناك من يرى أن سبب خروج ابن إسحق من المدينة ـ للمرة الثانية ـ ورحيله إلى العراق معارضة «مالك بن أنس» له حين ألف كتابه السيرة، وماتبع ذلك من رميه بالقدر والتشيع ، وكان ذلك سنة١٣٢هـ.[٧] وصاحب هذا الرأى يرى أن رواية الخطيب التي ساقها في تاريخه وتفيد طلب الخليفة «المنصور» إلى ابن إسحق أن يكتب لابنه «المهدي» سيرة منذ بدء الخليقة إلى زمانه[٨] لاتعدو أن تكون أسطورة!![٩]

---

(١) تاريخ الأدب العربي ١٠/٣ .

(٢) المغازي الأولى ص(٧٧).

(٣) حيث قال : فمن المحتمل أنه لم يرجع أبداً إلى المدينة ، بل سافر من مصر إلى العراق وإيران ، ولكن يصعب أن نعرف إلى أين سافر أولا .(مقدمته على سيرة ابن إسحق (كب) وذكر في حاشيته رأي هورفتس السابق).

(٤) ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ١٩٢/٧ .

(٥) الطبقات ٣٢٢/٧ .

(٦) ابن حجر: التهذيب ٤٤/٩ .

(٧) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ١١/٣.

(٨) تاريخ بغداد ٢٢١/١ .

(٩) بروكلمان : تاريخ الأدب ١١/٣ أشار إليها في الحاشية.

ويرى «هورفتس» أن ابن إسحق لم يكن أصل كتابته للمغازي بعهد من الخليفة العباسي«المنصور» ، مستدلا على ذلك بعدة أدلة[1] .

أما عن صلات «ابن إسحق» بالخلفاء ، وأثرها في رحلاته ، فيرى «سزكين» أنه لم يكن على صلة بالأمويين ـ كما كان الأمر مع شيخه الزهري ـ ولذا فلم يكن تحول الحكم إلى العباسيين السبب الأساسي لانتقاله إلى بغداد[2] .على حين يرى «زكار» أن توجه «ابن إسحق» إلى المنصور لم يكن مصادفة، فقد كان يعرفه في الغالب قبل وصول العباسيين إلى السلطة، حيث كانت لهم صلات طيبة بالقدرية في أول الأمر (على اعتبار ابن إسحق منهم) وكانت القدرية قد دخلوا فى صفوف المعارضين للأمويين منذ ثورة ابن الأشعث(٨٢ـ٨٤هـ) حتى سقطت دولتهم عام ١٣٢هـ إلى أن يقول : «ولاشيء يمنع من تصور كون العباسيين قد حاولوا استغلال حركة القدرية المعارضة للأمويين لصالحهم»[3] .

وهذا الذي يشير إليه الدكتور «زكار» ليس على إطلاقه ـ في نظري ـ فعلى فرض تسليمنا بقدرية ابن إسحق ـ وهو ماسنشير إليه فيما بعد ـ كان من بين خلفاء بني أمية من كان قدريا(كيزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الذي توفي سنة ١٢٦هـ) بل ونصر القدرية والمعتزلة بعد أن نصروه[4] ، وهو الذي قال عنه الشافعي : ولي يزيد بن الوليد ـ وكان قدريا ـ فدعا الناس إلى القدر وحملهم عليه ، وبايع لأخيه إبراهيم بن الوليد بالعهد ، ومن بعده لعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، حمله على ذلك أصحابه القدرية لمرض أصابه.[5] هذا فوق أن في خلفاء بني العباس من لم يرض عنه المعتزلة كأبي جعفر المنصور ، أما هارون الرشيد فقد منع الجدال في الدين ، وحبس أهل الكلام ، وكان يكره الاعتزال والمعتزلة[6] .

---

(١) المغازى الأولى ص(٨٠) .

(٢) تاريخ التراث العربي (التدوين التاريخي) ص(٨٨) .

(٣) مقدمته للسير والمغازي لابن إسحق ص ١٢, ١٣ .

(٤) انظر : رسالة(القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه)أطروحة ماجستير مقدمة من الباحث /عبد الرحمن بن صالح المحمود لقسم العقيدة بكلية أصول الدين بجامعة الإمام للعام١٤٠١/١٤٠٢هـ ص ١٤٨ .

(٥) انظر : سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ـ لعبدالملك بن حسين العصامي المالكي ت ١١١١هـ(٢٢٢/٣) .

(٦) انظر : رسالة القضاء والقدر (السابقة)ص١٤٩ .

ابن إسحق بين الجرح والتعديل

اختلفت أقوال علماء الجرح والتعديل في رواية ابن إسحق لأحاديث الأحكام بين الجرح والتعديل ، حتى قال البغدادي :«احتج بروايته في الأحكام قوم من أهل العلم وصدف عنها آخرون»[1] ، وسأبسط القول في نقولات من تكلموا فيه ، ومن تتبعهم من العلماء ، وكذا من رأوا عدالته ووثقوه .

أولا : من تكلموا فيه :

وإذا كان أشد من تكلم في ابن إسحق إمام دار الهجرة مالك بن أنس، وهشام بن عروة بن الزبير ـ فلعل من المناسب أن أفردهما بالحديث في نهاية هذه الفقرة ـ ولنبدأ بمن سواهما :

قال حماد بن سلمة : لولا الاضطرار مارويت عن محمد بن إسحق[2] ، وقال يحيى بن معين: لا تشبث بشيء مما يحدثك به ابن إسحق ، فابن إسحق ليس هو بقوي في الحديث، فقال رجل ليحيى: أيصح أن ابن إسحق كان يرى القدر؟ قال : نعم كان يرى القدر[3] .

وقال الإمام أحمد:كان ابن إسحق رجلا يشتهي الحديث،فيأخذ كتب الناس فيضعها في كتبه[4] ،وسئل:إذا تفرد ابن إسحق بالحديث تقبله؟ قال: لاوالله، إني رأيته يحدث عن جماعة بالحديث الواحد ولايفصل كلام ذا من كلام ذا[5]، وكان يدلس كثيراً، قيل له: فإذا قال: حدثني وأخبرني فهو ثقة؟

---

(١) تاريخ بغداد ٢١٥/١ .

(٢) انظر : العقيلي : الضعفاء الكبير (تحقيق د. عبد المعطي أمين قلعجي)٢٥/٤ ، ابن عدي : الكامل في ضعفاء الرجال ٢١١٦/٦ .

(٣) التاريخ ليحيى بن معين (تحقيق د. أحمد محمد نور سيف ٥٠٤/٢).

(٤) العقيلي : الضعفاء الكبير ٢٨/٤ .

(٥) ابن حجر : تهذيب التهذيب ٤٣/٩ .

قال:وهو يقول أخبرني فيخالف[1] وكان يحيى القطان يقول : تركت حديث ابن إسحق بالكوفة متعمداً[2] ماتركت حديثه إلا لله[3]، وكان سيئ الرأي فيه يضعفه[4]، اتهمه بالكذب : سليمان التيمي، ويحيي القطان، ووهيب ابن خالد إضافة إلى هشام بن عروة، ومالك[5]، والأعمش[6].وعن المعتمر قال لي أبي: لا ترو عن ابن إسحق فإنه كذاب[7]، وقال الحربي:كانوا يطعنون عليه بشيء من غير جنس الحديث[8]، وقال الجوزجاني: الناس يشتهون حديثه، وكان يرمى بغير نوع من البدع[9]، وقال أبو داود: قدري معتزلي[10].

وسئل الفريابي عن حديث لمحمد بن إسحق وكان يأبى عليهم في مجلسه، فلما كرروا عليه قال: محمد بن إسحق! فذكر كلمة شنيعة فقال : زنديق[11]، وقال عنه النسائي : ليس بالقوي[12]، وقال الدارقطني : لا يحتج به [13]، وقال محمد بن نمير:وإنما أُتِي ابن إسحق من أنه يحدّث عن المجهولين أحاديث باطلة[14].

---

(١) ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ١٩٤/٧ ، العقيلي : الضعفاء الكبير ٢٨/٤ .

(٢) ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ١٩٣/٧ .

(٣) ابن عدي : الكامل في الضعفاء ٢١١٦/٦ .

(٤) العقيلي : الضعفاءالكبير ٢٦/٤ .

(٥) المصدر السابق ٢٤/٤ ، وتهذيب التهذيب ٩/ ٤٥ .

(٦) ابن عدي : الكامل في الضعفاء ٢١١٧/٦ .

(٧) المصدر السابق ٢١١٦/٦ .

(٨) ابن حجر : تهذيب التهذيب ٤٢/٩ .

(٩) المصدر نفسه ٤٢/٩ .

(١٠) الذهبي: ميزان الاعتدال ٤٦٩/٣ .

(١١) ابن عدي : الكامل في الضعفاء ٢١١٧/٦.

(١٢) الضعفاء والمتروكين / للنسائي (نشر دار الوعي / حلب ، تحقيق محمود إبراهيم زايد).

(١٣) الذهبي : ميزان الاعتدال ٤٦٩/٣ .

(١٤)ابن عدي : الكامل في الضعفاء ٢١٢٠/٦ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء٤٣/٧ .

رمي ابن إسحق بالقدر ذكره سفيان بن عيينة[١]، وحين سُئل ابن معين أكان يرى القدر؟ قال : نعم[٢]، وعن يزيد بن زريع قال : كاَن ابن إسحق قدريًا، وكان رجلا عاملا[٣]،ورأى حميد بن حبيب ابن إسحق مجلوداً في القدر ، جلده إبراهيم بن هشام خال هشام بن عبد الملك[٤]، كما ذكره «ابن قتيبة»في حديثه عن الفرق مع «القدرية»[٥]، كما رمي ابن إسحق بالتشيع[٦]، وأخذ عليه حديثه عن أهل الكتاب.[٧]

هذه جملة ما اتهم به ابن إسحق ، وما تكلم عليه به ، وحينما نعود مرة أخرى إلى من تكلموا فيه نجد بعضهم عدّله ووثقه ، وبعضهم الآخر حسّن حديثه ، كما نجد طائفة من هذه الاتهامات قد أجيب عنها ، وبعضها الآخر بيّن العلماء بطلانها ، وإليك البيان :

فيحيى بن معين ـ مثلا ـ وهو ممن تكلم فيه ـ قال عنه : ثقة ولكنه ليس بحجة[٨]. وقال مرّة: صدوق، ولكنه ليس بحجة[٩]، وقال أخرى: كان ثبتا في الحديث[١٠].

---

(١) وقال : رأيت ابن إسحق في مسجد الخيف فاستحييت أن يراني معه أحد اتهموه بالقدر (الضعفاء للعقيلي ٢٥/٤ ، والميزان للذهبي ٤٦٩/٣).

(٢) التاريخ ليحيى بن معين ٥٠٤/٢ .

(٣) الكامل لابن عدي ٢١٢٠/٦ .

(٤) اللالكائي : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٧٢٤/٤ (الطبعة الأولى ، نشر دار طيبة / الرياض).

(٥) المعارف ص (٢٦٨) .

(٦) انظر: الخطيب : تاريخ بغداد ٢٢٤/١ ، والذهبي : سير أعلام النبلاء ٣٩/٧ ، وابن حجر : تقريب التهذيب ١٤٤/٢ .

(٧) ابن عدي : الكامل ٢١١٨/٦ ، وابن تيمية : الفتاوى (طبعة مصورة عن الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ)٣٤٥/١٣ ، الذهبي : الميزان ٤٧٠/٣.

(٨) التاريخ : ليحيى بن معين ٥٠٤/٢ .

(٩) ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ١٩٢/٧ .

(١٠) ابن حبان : الثقات ٣٨٣/٧ .

والإمام أحمد ـ مع حديثه فيه ـ قال عنه : حسن الحديث[1]، أما قوله فيه : إنه يحدث عن الجماعة بالحديث الواحد ولا يفصل كلام ذا من كلام ذا ، فقد أجاب عنها «ابن سيد الناس» بقوله : وقد تتحد ألفاظ الجماعة وإن تعددت أشخاصهم ، وعلى تقدير أن لا يتحد اللفظ فقد يتحد المعنى ، واستدل بقول واثلة بن الأسقع : إذا حدثتكم عن المعنى فحسبكم. وقول ابن سيرين : كنت أسمع الحديث من عشرة ، اللفظ مختلف والمعنى واحد.[2] كما أجاب عن قول أحمد : كان ابن إسحق يشتهي الحديث فيأخذ كتب الناس فيضعها في كتبه ، بقوله: لايتم الجرح بذلك حتى ينفي أن تكون مسموعة له، ويثبت أن يكون حدّث بها ، ثم ينظر في كيفية الإخبارفإن كان بألفاظ لا تقتضي السماع تصريحا فحكمه حكم المدلسين، ولا يحسن الكلام معه إلا بعد النظر في مدلول تلك الألفاظ ، وإن كان يروي ذلك عنهم مصرحا بالسماع ولم يسمع فهذا كذب صراح، واختلاق محض ، لا يحسن الحمل عليه إلا إذا لم يجد للكلام مخرجا غيره[3].وقال الذهبي : «هذا الفعل سائغ ، فهذا «الصحيح» للبخاري فيه تعليق كثير»[4].
أما سفيان بن عيينة فهو وإن كان نقل اتهام الناس لابن إسحق بالقدر ـ كما سبق ـ فإننا نستشف من رأيه هو أنه ليس كذلك حيث قال : «جالست ابن إسحق منذ بضع وسبعين سنة وما يتهمه أحد من أهل المدينة ولا يقول فيه شيئاً»[5].

كما نقل «ابن نمير» اتهام ابن إسحق بالقدر ، ثم أعقبه بالقول «وكان أبعد الناس منه»[6].وأما قول (ابن نمير) : إن ابن إسحق أتى من حديثه عن

---

(١) الذهبي : تذكرة الحفاظ ١٧٣/١ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٤١/٩ .
(٢) عيون الأثر (نشر دار المعرفة)١٤/١ .
(٣) المصدر نفسه ١٥/١ .
(٤) سير أعلام النبلاء ٤٦/٧ .
(٥) ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ١٩٢/٧ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٤٠/٩ .
(٦) الذهبي : سير أعلام النبلاء ٤٣/٧ .

المجهولين أحاديث باطلة، فقد أجاب عنها «ابن سيد الناس» بقوله: «لو لم ينقل توثيقه وتعديله لتردد الأمر في التهمة بها بينه وبين من نقلها عنه، وأما مع التوثيق والتعديل فالحمل فيها على المجهولين المشار إليهم لا عليه ، وأما الطعن على العالم بروايته عن المجهولين فغريب. قد حكي ذلك عن سفيان الثوري وغيره ، وأكثر مافيه التفرقة بين بعض حديثه وبعض ، فيرد مارواه عن المجهولين ، ويقبل ماحمله على المعروفين..»[1] .

أما اتهام سليمان التيمي ، ويحيى القطان ، ووهيب بن خالد ، وهشام ومالك لابن إسحق بالكذب، فقد أورده «العقيلي» هكذا: حدثني الفضل بن جعفر، حدثنا عبد الملك بن محمد، حدثني سليمان بن داود قال لي يحيى ابن سعيد القطان: أشهد أن محمد بن إسحق كذاب،قال : قلت:ومايدريك؟ قال : قال لي وهيب بن خالد ، فقلت لوهيب : وما يدريك ؟قال : قال لي مالك بن أنس ، فقلت لمالك بن أنس : مايدريك؟قال : قال لي هشام بن عروة ، قال : قلت لهشام بن عروة : ومايدريك؟قال:حدّث عن امرأتي فاطمة بنة المنذر ، أدخلت عليّ وهي بنت تسع سنين ومارآها رجل حتى لقيت اللهعز وجل[2] .

وأجاب عنها «ابن القيم» : هذه الحكاية وأمثالها هي التي غرّت من اتهمه بالكذب وجوابها من وجوه :

أحدها: أن سليمان بن داود ـ راويها عن يحيى ـ هو الشاذكوني ، وقد اتهم بالكذب ، فلا يجوز القدح في الرجل بمثل رواية الشاذكوني .

الثاني: أن في الحكاية مايدل على أنها كذب ، فإنه قال : أدخلت فاطمة عليّ وهي بنت تسع وفاطمة أكبر من هشام بثلاث عشرة سنة ، ولعلها لم تزف إليه إلا وقد زادت على العشرين، ولما أخذ عنها ابن إسحق كان لها نحو بضع وخمسين سنة .

---

(١) عيون الأثر ١٤/١ = قلت : وقع لابن إسحق ـ غفر الله له ـ شيء من هذا ، وقد ذكرت نموذجاً له في إحدى رواياته عن الجهر بالدعوة ، وفي موت أبي طالب ، كما سيتضح بعد .

(٢) الضعفاء الكبير ٢٤/٤ .

الثالث: أن هشاما إنما نفى رؤيته لها ولم ينف سماعه منها ، ومعلوم أنه لا يلزم من انتفاء الرؤية انتفاء السماع ... إلخ كلامه[1].

وقريب من هذا أجاب تلميذه «الذهبي»[2].

وقال ابن حجر : «فأما وهيب ، والقطان فقلدا فيه هشام بن عروة ومالكا، وأما سليمان التيمي فلم يتبين لي لأي شيء تكلم فيه ، والظاهر أنه لأمر غير الحديث؛ لأن سليمان ليس من أهل الجرح والتعديل»[3].

هذا كله فضلا عن تزكية أهل الحديث لابن إسحق في الصدق ، حتى قال علي بن المديني: إن حديث ابن إسحق ليتبين فيه الصدق ، يروي مرة: حدثني أبو الزناد ، ومرة : ذكر أبو الزناد ، وروي عن رجل عمن سمع منه يقول: حدثني سفيان بن سعيد عن سالم أبي النضر عن عمر «صوم يوم عرفة» وهو من أروى الناس عن أبي النضر ، ويقول : حدثني الحسن بن دينار عن أيوب عن عمرو بن شعيب[4]«في سلف وبيع»وهو من أروى الناس عن عمرو بن شعيب، وهل بعد أن يختبره«أهل الحديث»فيروا صدقا وخيرا ـ كما حكى ذلك البغدادي [5]ـ يبقى مجال لاتهامه بالكذب ؟!.

قال أبو حاتم : كان ابن إسحق يكتب عمن فوقه ، ومثله ، ودونه ، لرغبته في العلم وحرصه عليه ، وربما يروي عن رجل عن رجل قد رآه ، ويروي عن آخر عنه في موضع آخر ، ويروي عن رجل عن رجل عنه فلو كان ممن يستحل الكذب لم يحتج إلى الإنزال ، بل كان يحدث عمن رآه ويقتصر عليه ، فهذا ممايدل على صدقه وشهرة عدالته في الروايات[6].

---

(١) (انظر : تهذيب سنن أبي داود لابن القيم ـ المطبوع في حاشية عون المعبود ـ تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ـ نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ، الطبعة الثانية ـ١٣/١٣).

(٢) انظر:(سير أعلام النبلاء ٤٩/٧ ، والميزان ٤٧١/٣).

(٣)تهذيب التهذيب ٤٥/٩ .

(٤)الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٢٢٩/١ .

(٥) المصدر نفسه ٢٢٤/١.

(٦) الثقات ٣٨٤/٧ .

وعن حديث ابن إسحق عن أهل الكتاب،فقد أجيب عنه بقول النبي - ﷺ : «حدثوا عن بني إسرائيل ولاحرج ...»[1] وقوله:«إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم»[2]، قال الذهبي : ما المانع من رواية الإسرائيليات عن أهل الكتاب مع قوله ﷺ ثم ذكر الحديثين الماضيين - وأتبعهما بالقول : هذا إذن نبوي في جواز سماع ما يأثرونه في الجملة ، كما سمع منهم ما ينقلونه من الطب ، ولاحجة في شيء من ذلك ، إنما الحجة في الكتاب والسنة.[3] وقال في موضع آخر : «هذا يشنّع به على ابن إسحق،ولا ريب أنه حمل ألوانا عن أهل الذمة مترخصا بقوله ﷺ : «حدثوا عن بني إسرائيل ولاحرج»[4].

قلت: ومع هذا يؤخذ عليه توثيقه لبعضهم كما قال: حدثني الثقة، فقيل له : من ؟قال : يعقوب اليهودي![5]، وتركه لمن هو أولى منهم ، وقد قال رجل لابن إسحق : كيف حديث شرحبيل بن سعد؟ فقال : وأحد يحدث عنه؟! ولهذا تعقبه يحيى فقال : العجب من ابن إسحق يحدث عن أهل الكتاب ويرغب عن شرحبيل!![6].

أما اتهام ابن إسحق «بالزندقة» فليست على ظاهرها ، ولم يكن قصد قائلها - فيما يبدو - دلالة الكلمة فيما بعد ، بدليل أن هذه التهمة كان يوجهها محافظو الرواة إلى القائلين بالقدر من علماء البصرةوغيرها[7] وقد سبق حديثنا عن ذلك.

---

(١) صحيح البخاري ١٤٥/٤ كتاب الأنبياء ، باب ماذكر عن بني إسرائيل .

(٢) ذكره الذهبي في الميزان ٤٧٠/٣= ولم أجده بهذا اللفظ في عدد من كتب الحديث كجامع الأصول لابن الأثير ، ومجمع الزوائد للهيثمي ، والمقاصد الحسنة للسخاوي ، وكشف الخفاء للعجلوني ، وصحيح الجامع الصغير للألباني. ووجدت في ضعيف الجامع قريبًا منه وبلفظ آخر ولفظه :«إذا حدثكم أهل الكتاب حديثًا فقولوا : آمنا بالله وملائكته وكتبه ورسله » (ضعيف الجامع الصغير للألباني ١٧٢/١).

(٣) المصدر السابق ٤٧٠/٣ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٥٣/٧ .

(٥) الذهبي : الميزان ٤٧١/٣ .

(٦) المصدر السابق ٤٦٩/٣, ٤٧٠ .

(٧) انظر: تاريخ الإسلام٣٧٧/٦ ،ومعجم الأدباء ٧/١٨ (عن مقدمة سهيل زكار للسيرة ص ١٢).

وأما «التشيع» المنسوب لابن إسحق،فالحق أن ابن إسحق روى عن الشيعة أمثال : أبي مريم(عبد الغفار بن القاسم) وهذا قيل: إنه كان غاليا في التشيع[1]، وكان من رؤوس الشيعة [2]كما روى عن غيره،ولهذا انتقد «صادق عرجون» حديث ابن إسحق عن المؤاخاة بين المهاجرين حيث ذكر فيها مؤاخاة النبيﷺلعلي بن أبي طالب ، بنفس تفوح منه رائحة التشيع[3]وقبله أنكر «ابن تيمية» المؤاخاة بين المهاجرين ، وخصوصا مؤاخاة النبيﷺلعلي ـ رضي الله عنه[4] ـ وإن كان «ابن حجر »تعقبه في هذا.[5]

لكن يبقى السؤال : هل يعني ذلك تشيع ابن إسحق؟وهل كل من نقل عن الشيعة فهو شيعي؟! وإذا كان ذلك كذلك فما هو نوع التشيع المنسوب له ؟

لو كان الأمر كذلك لأصبح التشيع تهمة تلحق كل من نقل عن الشيعة أمثال الطبري وغيره ، وربما قال قائل : إن لدينا مستمسكا بإجازة العلمـاء للرواية عن أهل البـدع ، بشـرط أن لا يكونوا من الدعـاة إلى مذهبهم[6] أو ردوا مايؤيد مذهبهم فيقال : هذا صحيح ، لكن الرافضة «الشيعة» يستثنون من أهل البدع ، حيث لا تقبل الرواية عنهم ، فقد نقل «ابن تيمية» اتفاق أهل العلم بالنقل والرواية والإسناد على أنهم أكذب الطوائف.[7] ، ولهذا قال «يزيد بن هارون» :نكتب عن كل صاحب بدعة إذا لم يكن داعية ، إلا الرافضة ، فإنهم يكذبون.[8]

---

(١) ابن عدي : الكامل في ضعفاء الرجال ١٩٦٥/٥ .

(٢)الذهبي : الميزان ٦٤٠/٢ .

(٣) محمد رسول الله ٦٦،٦٥/٣ = ويلاحظ أن ابن هشام نقد بعض ما جاء في هذه الرواية ، وخاصة مايتعلق بجعفر حيث ذكر في المؤاخاة وهو بعد في الحبشة! (انظر : السيرة النبوية لابن هشام ١٢٤/٢).

(٤) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية (نشر مكتبة الرياض الحديثة)٩٧،٩٦/٤ .

(٥) فتح الباري ٢٧١/٧ .

(٦) مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث (دار الكتب العلمية / بيروت)ص٥٥،٥٤ .

(٧) منهاج السنة ١٦/١ .

(٨) المصدر السابق ١٦/١ .

وربما حسم الأمر «يحيى بن سعيد القطان» حينما قال: «كان محمد ابن إسحق ، والحسن بن ضمرة ، وإبراهيم بن محمد كل، هؤلاء يتشيعون ويقدمون عليا على عثمان[1]» .

وعلي هذا فربما كان التشيع المنسوب لابن إسحق ـ إن ثبت ـ تفضيله عليا على عثمان ، وهذه مسألة قال بها بعض أهل السنة، فقدموا عليا على عثمان[2] ،وهذه المسألة ـ كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة ، وإن كان قد استقر أمرهم على تقديم عثمان على علي[3] .

قول هشام بن عروة ومالك بن أنس في ابن إسحق :

قال أبو حاتم ابن حبان في الثقات : « وقد تكلم في ابن إسحق رجلان: هشام بن عروة ، ومالك بن أنس ، فأما هشام بن عروة فحدثني محمد بن زياد الزيادي ، قال : ثنا ابن أبي شيبة قال : ثنا علي بن المديني قال : سمعت يحيى بن سعيد القطان يقول : قلت لهشام بن عروة : إن ابن إسحق يحدث عن فاطمة بنت المنذر، قال : وهل كان يصل إليها ؟.

---

(١) معجم الأدباء ١٨/٧ـ٨، ومقدمة محمد حميد الله في سيرة ابن إسحق ص:ك .

(٢) انظر : الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٥٣/٣ ، وانظر : منهاج السنة١٧٨/٢ . ٢٠٢/٤ وهو يطلق عليهم «الشيعة الأولى» في المنهاج .

(٣) الفتاوى ١٥٣/٣ ، منهاج السنة ٢٠٢/٤= ولمزيد من الإيضاح راجع «مارسدن جونس» الذي يرى أن سبب اتهام ابن إسحق بالتشيع لا يرجع إلى عقيدته الشخصية، وإنما يرجع إلى مافي كتابه من الأقوال والآراء الشيعية التي تقتضيه طبيعة التأليف في مثل هذه الموضوعات(مقدمة مغازي الواقدي١٨/١) . وسهيل زكار الذي يقرر أن تهمة التشيع كانت تسري لتنال أكثر الذين يعملون في مجال سيرة النبي ﷺ (مقدمة السيرة لابن إسحق ص ١٢).

قال أبو حاتم ـ رضي الله عنه ـ وهذا الذي قاله هشام بن عروة ليس مما يجرح به الإنسان في الحديث ، وذلك أن التابعين مثل: الأسود ، وعلقمة من أهل العراق ، وأبي سلمة وعطاء ودونهما من أهل الحجاز قد سمعوا من عائشة من غير أن ينظروا إليها، سمعوا صوتها ، وقبل الناس أخبارهم من غير أن يصل أحدهم إليها حتى ينظر إليها عيانا ، وكذلك ابن إسحق كان يسمع من فاطمة والستر بينهما مسبل ، أو بينهما حائل من حيث يسمع كلامها ، فهذا سماع صحيح والقادح فيه غير منصف ...» .[1]

وعلى هذا اعتمد هشام ـ رحمه الله ـ في تكذيب ابن إسحق ، فروي عنه مرة وقد قيل له : إن ابن إسحق يحدث بكذا وكذا عن فاطمة ، فقال : كذب الخبيث[2] ، وقال أخرى : العدو لله الكذاب يروي عن امرأتي من أين رآها ؟ ![3] وإذا كان أبو حاتم أجاب عن هذا الاتهام بما يرفع الإشكال ، فقبله أجاب «ابن المديني» حينما سأل عن كلام هشام بن عروة في ابن إسحق بقوله :

«الذي قال هشام ليس بحجة ، لعله دخل على امرأته وهو غلام فسمع منها»[4] .

وقال الإمام «أحمد» : « وقد تمكن أن يسمع منها تخرج إلى المسجد، أو خارجة فسمع ، والله أعلم» .[5] وأنكر على هشام بقوله : وما ينكر هشام! لعله جاء فاستأذن عليها فأذنت له ـ قال ابنه عبد الله ـ أحسبه قال : ولم يعلم[6] .وقبلهما قال سفيان بن عيينة : أخبرني ابن إسحق أن فاطمة حدثته، وأنه دخل عليها[7] .

---

(١) الثقات ٣٨٠/٧ ، ٣٨١ .

(٢) الخطيب : تاريخ بغداد ٢٢٢/١ .

(٣) المصدر السابق ٢٢٢/١ .

(٤) ابن حجر : تهذيب التهذيب ٤٣/٩ .

(٥) ابن عدي : الكامل في الضعفاء ٢١٢٠/٦ .

(٦) الخطيب : تاريخ بغداد ٢٢٣/١ .

(٧) ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ١٩٢/٧ ، الخطيب : تاريخ بغداد ٢٢١/١ .

قال الذهبي ـ معلقا ـ:«هو صادق في ذلك بلاريب»[1]. كما أجاب عن قول هشام أنه مارأى أحد زوجته«فاطمة» حتى لقيت الله تعالى، بقوله: «.. والرجل فما قال إنه رآها ، أفبمثل هذا يعتمد على تكذيب رجل من أهل العلم ، هذا مردود»[2]. كما ذكر «الذهبي» عدة احتمالات تقوي رواية ابن إسحق من «فاطمة بنت المنذر» فقد يكون رآها وهو صبي فحفظ عنها ، أو يكون أخذ عنها حين كبرت وعجزت ، وكذا ينبغي فإنها أكبر من زوجها هشام بأزيد من عشر سنين ، فقد سمعت من جدتها أسماء ، ولما روت لابن إسحق كان لها قريب ستين سنة[3]، قال الذهبي: ويحتمل أن تكون إحدى خالات ابن إسحق من الرضاعة ، فدخل عليها وما علم هشام بأنها خالة له أو عمة[4].

وفوق هذا كله فجائز أن تكون فاطمة كتبت لابن إسحق ، لاسيما وأهل المدينة يرون الكتاب جائزا ، ذكره بعض الأئمة[5]، وجائز ـ أيضا ـ أن تكون الغيرة أدركت «هشاما» فحملته على تكذيب ابن إسحق ، وقبله حملت «الغيرة» «سعد بن عبادة» ـ رضي الله عنه ـ على أن يقول : يارسول الله، أرأيت الرجل يجد مع امرأته رجلا أيقتله؟ قال رسول اللهﷺ: «لا»، قال سعد: بلى والذي أكرمك بالحق ...إلخ الحديث[6].

(١) سير أعلام النبلاء ٣٧/٧ .

(٢) ميزان الاعتدال ٤٧١/٣، وسير أعلام النبلاء ٣٨/٧ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٤٢/٧ .

(٤) المصدر السابق٥٠/٧ .

(٥) المصدر نفسه ٤١/٧ ، وابن حجر : تهذيب التهذيب ٤٢/٩ .

(٦) مسلم ١١٣٥/٢ : كتاب اللعان ، باب في الذي يجد مع امرأته رجلا، والبخاري٣١/٨ : كتاب المحاربين ، باب من رأى مع امرأته رجلا فقتله .

هذا عن هشام ، أما مالك بن أنس ، فقد قال «ابن حبان» في تتمة كلامه السابق عمن تكلم في ابن إسحق: «أما مالك فإنه كان ذلك منه مرة واحدة، ثم عاد له إلى ما يجب ، وذلك ، أنه لم يكن بالحجاز أحد أعلم بأنساب الناس وأيامهم من محمد بن إسحق ، وكان يزعم أن مالكا من موالي ذي أصبح ، وكان مالك يزعم أنه من أنفسهم ، فوقع بينهما لهذا مفاوضة ، فلما صنّف مالك الموطأ قال ابن إسحق : ائتوني به فإني بيطاره، فنقل ذلك إلى مالك ، فقال: هذا دجال من الدجاجلة يروي عن اليهود، وكان بينهم مايكون بين الناس، حتى عزم محمد بن إسحق على الخروج إلى العراق ، فتصالحا حينئذ فأعطاه مالك عند الوداع خمسين دينارا نصف ثمرته تلك السنة ، ولم يكن يقدح فيه مالك من أجل الحديث ، إنما كان ينكر عليه تتبعه غزوات النبيﷺعن أولاد اليهود الذين أسلموا وحفظوا قصة خيبر ، وقريظة ، والنضير ، وما أشبهها من الغزوات عن أسلافهم ، وكان ابن إسحق يتتبع هذا عنهم ليعلم من غير أن يحتج بهم ، وكان مالك لايرى الرواية إلاعن متقن صدوق فاضل يحسن مايروي،ويدري مايحدث».[1]

ومع هذا الوضوح في كلام «ابن حبان» في أسباب ماحدث بين الرجلين، ثم وقوع الصلح بينهما حين عزم«ابن إسحق» على الخروج إلى العراق ـ وهو ـ كاف للوقوف عنده ، والانتهاء إليه ـ فإنني أنقل مأثر عن قول «مالك» في «ابن إسحق»وماأجاب به«العلماء»غير ابن حبان، استكمالاً للفائدة ولمزيد الإيضاح، فقد كان «مالك» يتهم ابن إسحق بالكذب[2] بل قال عنه: دجال من الدجاجلة[3]،وقال: نحن نفيناه عن المدينة[4]، وكان يقول

---

(١) الثقات ٧/ ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣.

(٢) العقيلي : الضعفاء الكبير ٤/ ٢٤ .

(٣) ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ١٩٣/٧ ، والضعفاء للعقيلي ٤/ ٢٤ .

(٤) ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ١٩٣/٧ .

يا أهل العراق، لا يغت[1] عليكم بعد محمد بن إسحق أحد[2]، وفي رواية: يا أهل العراق، من بعث عليكم بعد محمد بن إسحق!![3].

قلت : وهذه الأقوال المأثورة عن مالك نحو قوله : «نحن نفيناه من المدينة» وقوله لأهل العراق محذراً: «لا يغت عليكم بعده أحد» ونحوها ربما قللت من أهمية قول «ابن حبان» السابق ، إنه وقع الصلح بينهما حين عزم على الخروج للعراق ، وأن مالكا أعطاه نصف ثمرته تلك السنة ...

وعلى كل حال وسواء وقع هذا أو ذاك ، فالذي يعنينا رأي العلماء في جرح «مالك» «لابن إسحق» فقد سئل «ابن المديني» عن كلام مالك في ابن إسحق فأجاب : مالك لم يجالسه ولم يعرفه ، ثم قال : ابن إسحق أي شيء حدّث بالمدينة ؟[4].

وقال أبو زرعة (عبد الرحمن بن عمرو النصري) ذاكرت «دحيما»[5] قول مالك ـ في ابن إسحق ـ فرأى أن ذلك ليس للحديث ، إنما هو لأنه اتهمه بالقدر[6]. وقال إبراهيم بن المنذر: حدثنا عمر بن عثمان أن الزهري كان تلقف المغازي من ابن إسحق فيما يحدثه عن عاصم بن عمر ، والذي يذكر عن مالك في ابن إسحق لا يكاد يتبين[7]، وقال البخاري : لو صحّ عن مالك تناوله من ابن إسحق فلربما تكلم الإنسان فيرمي صاحبه بشيء واحد ، ولا يتهمه في الأمور كلها[8].

---

(١) غت الضحك يغته غتا : وضع يده على فيه ليخفيه ، وفي الحديث: «يامن لايغتّه دعاء الداعين» أي : يغلبه ويقهره . (لسان العرب ـ نشر دار صادر / بيروت ـ ٦٣/٢ «مادة غتت» ، والنهاية في غريب الحديث والأثر ٣٤٢/٣).

(٢) ابن عدي : الكامل في الضعفاء ٢١١٧/٦ .

(٣) العقيلي : الضعفاء ٢٧/٤ .

(٤) الخطيب : تاريخ بغداد ٢٢٩/١ .

(٥) واسمه : عبد الرحمن بن إبراهيم بن عمرو الأموي ـ مولاهم ـ الدمشقي ، محدث الشام في عصره ، وكان من الثقات الحفاظ ، روى عنه جماعة من الأئمة كالبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وغيرهم ، مات سنة (٢٤٥هـ). (انظر : تهذيب التهذيب ١٣١/٦ ، والأعلام للزركلي ٦٤/٤).

(٦) الخطيب : تاريخ بغداد ٢٢٤/١ .

(٧) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣٩/٧ .

(٨) المصدر السابق ٤٠/٧ .

قال الذهبي معلقا :

لسنا ندّعي في أئمة الجرح والتعديل العصمة من الغلط النادر،ولا من الكلام بنفس حاد فيمن بينهم وبينه شحناء وإحنة،وقدعلم أن كثيراً من كلام الأقران بعضهم في بعض مهدر لا عبرة به،ولاسيما إذا وثّق الرجل جماعة يلوح على قولهم الإنصاف،وهذان الرجلان كل منهما قد نال من صاحبه، لكن أثر كلام «مالك» في محمد بعض اللين،ولم يؤثر كلام محمد فيه ولا ذرّة ... إلخ[1].

وقال الخطيب البغدادي :« ذكر بعض العلماء أن مالكا عابه جماعة من أهل العلم في زمانه بإطلاق لسانه في قوم معروفين بالصلاح والديانة والثقة والأمانة»[2]. لكن تعقبه الذهبي بقوله : «كلا، ما عابهم إلا وهم عنده بخلاف ذلك ، وهو مثاب علي ذلك وإن أخطأ اجتهاده ـ رحمةالله عليه[3]ـ وإن كان«الذهبي » قد قرر أن «مالكا» نال من «ابن إسحق» بانزعاج ، وذلك لأنه بلغه أنه يقول : اعرضوا عليّ علم «مالك» فأنا بيطاره، فغضب «مالك» ، فقال : انظروا إلى دجال من الدجاجلة[4].

ثانيا: الذين وثقوا ابن إسحق:

وفي مقابل من تكلموا في ابن إسحق وجرحوه،اتجهت طائفة من العلماء إلي توثيقه والثناء عليه، وفوق من سبقت الإشارة إليهم ـ ممن عدلوا ابن إسحق ـ قال شعبة : لو سوّد أحد في الحديث لسوّد محمد بن إسحق ، وسمع «سفيان بن عيينة» يقول : محمد بن إسحق[5]أمير المحدثين ، فقيل له: لم؟ فقال : لحفظه[6] .

---

(١) المصدر السابق نفسه ٤٠/٧، ٤١ .

(٢) تاريخ بغداد ٢٢٣/١.

(٣) سير أعلام النبلاء ٣٨/٧ .

(٤) تذكرة الحفاظ ١٧٣/١ .

(٥) ابن عدى : الكامل في الضعفاء ٢١٢٠/٦ ، الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٢٢٧/١ .

(٦) البخاري : التاريخ الكبير ٤٠/١ ، ابن أبي حاتم الجرح والتعديل ١٩٢/٧ ، الخطيب : تاريخ بغداد ٢٢٨/١ .

وقال عاصم بن عمر بن قتادة:لايزل في الناس علم ماعاش محمد بن إسحق[1] ، وكان أبو معاوية يقول: كان ابن إسحق من أحفظ الناس ، فكان إذا كان عند الرجل خمسة أحاديث أو أكثر فاستودعها عند ابن إسحق قال : احفظها عليّ ، فإن نسيتها كنت قد حفظتها عليّ[2].

أما«الزهري» فكان يثني على ابن إسحق فيقول: لايزال بالمدينة علم جمّ مادام فيهم ابن إسحق[3] ،وكان الشافعي معجبا به، كثير الذكر له، ينسبه إلى العلم والمعرفة والحفظ[4] ، وسئل«ابن المبارك»ماتقول في محمد بن إسحق؟ فقال: أما إنا وجدناه صدوقا ـ ثلاث مرات[5]ـ وقال ابن سعد:كان محمد ثقة وقد روى الناس عنه،ومن الناس من تكلم فيه[6] ، وأثنى عليه الإمام «البخاري» فقال: ينبغي أن يكون له ألف حديث ينفرد بها[7] ، وحين ترجم له في« التاريخ الكبير » لم يذكرفيه جرح، بل نقل ثناء العلماء عليه أمثال :سفيان والزهري وشعبة[8] ،وحيث لم يذكره في كتابه « الضعفاء »[9] ، فلابد أن يكون لهذا دلالة معينة عند البخاري.وسئل عنه « أبو زرعة الرازي»[10] ، فقال:صدوق من تكلم في محمد بن إسحق؟! محمد بن إسحق صدوق[11] .

---

(١) الخطيب : تاريخ بغداد ٢٢٠/١ .
(٢) المصدر السابق ٢٢٠/١ .
(٣) المصدر نفسه ٢١٩/١ .
(٤) المصدر نفسه ٢٢٧/١ .
(٥) أبو حاتم : الثقات ٣٨٣/٧ .
(٦) الطبقات الكبرى : ٣٢١/٧ ، ٣٢٢ .
(٧) ابن حجر : تهذيب التهذيب ٤٣/٩ .
(٨) التاريخ الكبير ٤٠/١ .
(٩) انظر : ميزان الاعتدال ٤٧١/٣ .
(١٠) هو : عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ المخزومي بالولاء ، الرازي محدث حافظ من الري . زار بغداد ، وحدث بها ، وجالس أحمد بن حنبل ،.وتوفي بالري سنة (٢٦٤هـ) وله مسند. (معجم المؤلفين ٢٣٩/٦).
(١١) أبو زرعة الرازي وجهوده في السنة النبوية(دراسة وتحقيق د. سعدي الهاشمي٩٢٦/٣).

أما أبو زرعة الدمشقي[١]، فقال : وابن إسحق رجل قد أجمع الكبراء من أهل العلم على الأخذ عنه ، منهم سفيان ، وشعبة ، وابن عيينة ، وحماد بن زيد ، وحماد بن سلمة ، وابن المبارك ، وإبراهيم بن سعد ، وروى عنه الأكابر : يزيد بن أبي حبيب[٢]، وقال العجلي : مدني ثقة[٣] ، وقال أبو حاتم الرازي: يكتب حديثه[٤]،أما أبو حاتم ابن حبان ، فقال عنه : لم يكن أحد بالمدينة يقارب ابن إسحق في عمله ، ولا يوازيه في جمعه[٥]، قال الحاكم : وذكر عن «البوشنجي»[٦]أنه قال : هو عندنا ثقة ثقة[٧]، أما «ابن عدي» فبعد ثنائه على سيرته ـ كما سيأتي ـ قال : وقد فتشت أحاديثه الكثيرة فلم أجد فيها مايتهيأ أن يقطع عليه بالضعف ، وربما أخطأ ، أو وهم في الشيء بعد الشيء كما يخطئ غيره ، ولم يتخلف في الرواية عنه الثقات والأئمة وهو لابأس به[٨] ،وقال السهيلي :ابن إسحق ثبت في الحديث عند أكثر العلماء.[٩]

---

(١) هو : عبد الرحمن بن عمرو النصري الدمشقي ، محدث حافظ ، مؤرخ ، توفي بدمشق سنة ٢٨٠هـ، له كتاب العلل في الحديث ، وكتاب التاريخ. (معجم المؤلفين ٥/١٦٣).

(٢) الخطيب : تاريخ بغداد ١/٢٢٤ .

(٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء ٧/٤٧ .

(٤) ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ٧/١٩٢ ، ١٩٤ ، وانظر : تهذيب التهذيب لابن حجر ٩/٤٦.

(٥) الثقات ٧/٣٨٣ .

(٦) محمد بن إبراهيم بن سعد العبدي، المالكي، فقيه ، محدث ، ارتحل شرقا وغربا ، وجمع وصنف ، ولقي الكبار ، توفي بنيسابور سنة (٢٩١هـ) .(معجم المؤلفين ٨/٢٠٢).

(٧) ابن حجر : تهذيب التهذيب ٩/ ٤٦ .

(٨) الكامل في الضعفاء ٦/٢١٢٥ .

(٩) الروض الأنف ١/٣٧.

ونقل «السهيلي» توثيق يحيى بن معين ، وأحمد بن حنبل ، ويحيى بن سعيد القطان ، لابن إسحق ، وأنهم احتجوا بحديثه[١] ، وأن الدارقطني ذكر في «السنن» حديث «القلتين» من جميع طرقه ، وما فيه من الاضطراب ، ثم قال في حديث جرى : وهذا يدل على حفظ محمد بن إسحق وشدة إتقانه[٢] ، كمل نقل توثيق «البخاري» و«مسلم» لابن إسحق ،قال :وبسبب طعن مالك فيه لم يخرج البخاري عنه،وأخرج عنه مسلم حديثا واحدا في الرجم[٣] .قلت: ذكر الذهبي أن «مسلما» روى له في«المتابعات» خمسة أحاديث ،وأن «البخاري» استشهد به ، وأخرج أرباب السنن له[٤] .

أما رأي«الذهبي» في ابن إسحق في أحاديث الأحكام[٥] ، فقد لخصه في الميزان بقوله: «فالذي يظهر لي أن ابن إسحق حسن الحديث ، صالح الحال صدوق ،وما انفرد به ففيه نكارة ،فإن في حفظه شيئا، وقد احتج به أئمة، فالله أعلم»[٦] ،وفي التذكرة بقوله:«ليس بحجة في الحلال والحرام ، نعم ولا بالواهي،بل يستشهد به»[٧] ، وفي السير بقوله:«وأما في أحاديث الأحكام فينحط حديثه فيها عن رتبة الصحة إلى رتبة الحسن، ولا فيما شذّ فيه ، فإنه يعد منكرا ، هذا الذي عندي في حاله ، والله أعلم»[٨] .

أما «ابن حجر»فانتهى «في تهذيبه» بعد سياقه لأقوال العلماء فيه جرحا وتعديلا إلى قوله :«وهو عالم واسع الرواية والعلم ثقة»[٩] ،أمافي«التقريب» فقال:«صدوق يدلس،ورمي بالتشيع والقدر»[١٠] ، وفي«شرح التقريب للعراقي» :« المشهور قول حديث ابن إسحق ، إلا أنه مدلس ، فإذا صرح بالتحديث كان حديثه مقبولا»[١١] .

---

(١) المصدر السابق ٣٨/١ .
(٢) المصدر نفسه ٣٨/١ .
(٣) المصدر نفسه ٣٨/١ ، ٣٩.
(٤) ميزان الاعتدال ٣٧٥/٣ ، وسير أعلام النبلاء٥٥/٧ .
(٥) أؤكد على ذكر الأحكام؛ لأن رأي الذهبي فيه في المغازي يختلف عنه في الأحكام وكذا غيره ـ كما سيتضح ـ .
(٦) ميزان الاعتدال ٤٧٥/٣ .
(٧) تذكرة الحفاظ ١٧٣/١ .
(٨) سير أعلام النبلاء ٤١/٧ .
(٩) تهذيب التهذيب ٤٦/٩ .
(١٠) تقريب التهذيب ١٤٤/٢ .
(١١) أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي(ت٨٠٦هـ): طرح التثريب شرح التقريب(نشر دار إحياء التراث/ بيروت ٧٢/٨) .

وهكذا نجد «ابن إسحق» بين ثلاث طوائف من العلماء :إحداها : جرّحوه ولم يذكروا تعديله ، والثانية : وثّقوه ولم يذكروا فيه جرحا، والطائفة الثالثة : ذكروا مافيه من جرح وتعديل ، وهذه ـ في نظري ـ أقرب الطوائف إلى الصواب ، وأميل إلى ماانتهى إليه الذهبي بشأنه ، وأن حديثه في الأحكام ينحط عن مرتبة الصحة إلى مرتبة الحسن ، إلا ماشذ فيه فإنه يعد منكرا ـ هذا كله في أحاديث الأحكام ـ أما في المغازي والسير فهو ما سنبينه في الفقرة التالية بإذن الله تعالى .

إمامة ابن إسحق في المغازي والسير:

لابد لنا قبل الحديث عن منهج ابن إسحق في السيرة أن نؤكد ثناء العلماء علي سيرته، وشهودهم له بالإمامة في فن المغازي والسير ، فما سبقت الإشارة إليه إنما كان رأي العلماء في «ابن إسحق» في أحاديث الأحكام .

أما في المغازي والسير فقد سئل عنه «الزهري» فقال : هذا أعلم الناس بها[1] ،وقال الشافعي:من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال علي محمد بن إسحق[2] .

أما الإمام «أحمد» فمع احتياطه في الرواية عن «ابن إسحق» في أحاديث الحلال والحرام ، كان يرى كتابة المغازي وأشباهها عنه[3]، وقال الجمحي : «وكان من أعلم الناس بالسير»[4] .

وقال «ابن عدي» :« ولو لم يكن لابن إسحق من الفضل إلا أنه صرف الملوك عن كتب لا يحصل منها شيء ،فصرف اشتغالهم حتى اشتغلوا بمغازي رسول الله ﷺ ، ومبتدأ الخلق ، ومبعث النبي ﷺ، فهذه فضيلة لابن إسحق سبق بها ، ثم بعده صنفه قوم آخرون ، ولم يبلغوا مبلغ ابن إسحق فيه..» إلخ كلامه[5] .

---

(١) ابن عدي : الكامل في الضعفاء ٢١١٩/٦ ، الخطيب : تاريخ بغداد ٢١٩/١ .

(٢) الخطيب : تاريخ بغداد ٢١٩/١.

(٣) ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ١٩٣/٧ .

(٤) طبقات الشعراء ص ٤.

(٥) الكامل في الضعفاء ١١٢٥/٦ .

وقال السهيلي : وأما في المغازي والسير فلاتجهل إمامته فيها[1] ،وتبعه في ذلك ابن خلكان[2] .

وأثنى «الذهبي» على ابن إسحق في السيرة ، ووصفه بعدة أوصاف تشير إلى حفظه وإتقانه لها ، فقال : كان في المغازى علاّمة[3] ،وقال : كان حبرا في معرفة المغازى والسير[4] ، وقال ـ في معرض حديثه عمّا وقع بينه وبين مالك ـ : وأما الآخر ـ يعني ابن إسحق ـ فله ارتفاع بحسبه ، ولا سيما في السير[5] .

وقال ابن كثير : محمد بن إسحق صاحب السيرة النبوية التي جمعها وجعلها علما يهتدى به ، وفخرا يستجلى به ، والناس كلهم عيال عليه في ذلك ، كما في الشافعي وغيره من الأئمة[6] .

وهكذا تتضافر أقوال العلماء في الثناء علي ابن إسحق ، والإشادة بجهوده في السيرة النبوية ، لكنّا مع هذا الثناء والإشادة نحتاج إلي وقفة موضوعية متأملة ، نرصد مافيها من جوانب نقص ، ربما كان إيضاحها سببا لمزيد الثقة بها ، وهذا ما سنتبينه في ثنايا الحديث عن منهج ابن إسحق في السيرة.

منهج ابن إسحق في السيرة:

نهج «ابن إسحق» في أصل كتابه «المغازي» إلى تقسيمه إلى أجزاء ثلاثة:

١ـ المبتدأ،وبه عالج تاريخ الرسالات قبل الإسلام .

٢ـ والمبعث، وبه درس حياة النبيﷺ ونشاطه في مكة .

٣ـ والمغازي، وضمنه الحديث عن غزوات النبي ﷺ وحياته في المدينة[7] .

---

(١) الروض الأنف ٣٧/١ .

(٢) وفيات الأعيان ٢٧٦/٤ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٣٧/٧ .

(٤) تذكرة الحفاظ ١٧٣/١ .

(٥) سير أعلام النبلاء ٤١/٧ .

(٦) البداية والنهاية ١٢٦/١٠ .

(٧) انظر : هورفتس : المغازي الأولى ص٨٢، بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ١١/٣ ، والدوري : نشأة علم التاريخ ص ٢٧ .

وهذا التقسيم ليس محل اتفاق بين الباحثين : «فالطرابيشي» يرى أن حدود المغازي والسير لابن إسحق تشمل : المبتدأ ، والمغازي ، والخلفاء ، وأن القدماء حينما يقولون :« مغازي ابن إسحق» يغلّبون المغازي ـ وهي بيت القصيد في عمله ـ على المبتدأ قبلها ، والخلفاء بعدها ، ويرى أن إدخال المبعث بدلاً عن الخلفاء أمر فيه نظر[1] ، بل عده من الأوهام التي وقعت للمتقدمين أمثال: ابن النديم[2] ، ومنه إلى ياقوت[3] ، ثم سحبت ظلالها على فريق من الباحثين المحدثين[4] .

ويقول الدوري ـ بعد إشارته للتقسيم السابق ـ : ولكني أرى أن الكتاب نفسه يتألف من قسمين متميزين : المبتدأ ، والمغازي[5] .

وعلى أي حال فنحن نجد عند المتقدمين مايفيد حديث «ابن إسحق» عن قصص الأنبياء[6] ، بل حدد« السخاوي» حديث ابن إسحق عن قصص الأنبياء في كتابه المبتدأ[7] .

أما «تاريخ الخلفاء لابن إسحق» فالذي يظهر أنه لاعلاقة له مباشرة بالسير، وإنما يتحدث فيه عن الخلفاء ، وقد نشر جزء منه يتضمن الحديث عن مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، واجتماع أهل الشورى لاختيار خليفة المسلمين[8] ، كما حفظ لنا «الطبري» أجزاء منه في الفتنة أيام عثمان ابن عفان رضي الله عنه[9] ، وأيام علي بن أبي طالب ومعاوية رضي الله عنهما[10] .

---

(١) مقالة بعنوان« رواة المغازي والسير عن ابن إسحق» لمطاع الطرابيشي في مجلة مجمع اللغة بدمشق ص٥٣٤ من المجلد ٥٦ ج ٣.

(٢) (الفهرست ص ١٤٢)(نشر المكتبة التجارية / القاهرة) .

(٣) (معجم الأدباء ١٨/ ٨) .

(٤) انظر : مقال الطرابيشي السابق ص ٥٩٣ ، وذكر من سبقت الإشارة إليهم، وأضاف سزكين .

(٥) نشأة التاريخ عند العرب ص ٢٧ .

(٦) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٢١٥/١ .

(٧) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (نشر دار الكتاب العربي)ص٩٢ .

(٨) سزكين : تاريخ التراث العربي (التدوين التاريخي)ص٩٠ ، وانظر: ترجيح« ليفي دلافيد» لاختلاف مادة هذه المؤلفات (دائرة المعارف الإسلامية١٢/ ٤٥١) .

(٩) تاريخ الطبري ٣٦٩/٤، ٣٨١ .

(١٠) المصدر نفسه ٥٥٧/٤، ٤٦/٥، ٦٩، ٢٦٦، ٢٨٨، ٢٩٦ .

وإذا كنا ألمحنا إلى شهود العلماء لابن إسحق في الإمامة بالمغازي والسير ، فإننا نجد مصداق ذلك في عرضه وترتيبه لأحداث السير ـ بأقسامها ـ ففي الجزء الأول والثاني يظهر ابن إسحق براعة في حسن الصياغة ، فيربط تاريخ النبوات ببعضها ، وينتهي إلى إبراز نبوة محمد ﷺ خاتمة لها بعد إشارته إلى أصولها القديمة ، وبعد أن ساق المبشرات لها(١) .

تجميعه للحدث الواحد:

ومما يذكر لابن إسحق ـ أيضا ـ أنه كان يبذل جهدا خاصا في ربط الروايات الفردية إحداها بالأخرى بعبارات موجزة،تلخص محتوياتها ، وأنه كان يكوّن في كثير من الأحيان خبرا عاما موحدا من عدة أخبار من رواته المختلفين يصدره بأسمائهم وخاصة في المغازي(٢) ، وهذا يعرف بالإسناد الجمعي(٣) ، وقد كان سائدا عند أهل المدينة ، وقد استعمله قبل ابن إسحق عروة ابن الزبير ، والزهري(٤) ،كما استعمله الواقدي بعدهم(٥) .

وفوق ذلك امتاز «ابن إسحق» في عرضه للسيرة بذكر عرض مجمل للحادثة ، ربما كانت تلك تجمع مختلف الروايات التي وقعت له من عدة رواة، ثم يعقبه بتفصيل الحادثة وتسمية رواتها(٦) ، ويلاحظ في ترتيبه البدء بروايات مشايخه وأساتذته ، ثم يدون ماجمعه بنفسه عن سواهم(٧) .

---

(١) سهيل زكار : مقدمة السير والمغازي لابن إسحق ص١٧ .

(٢) هورفتس : المغازي الأولى ص٩٥.

(٣) انظر مثاله في سيرة ابن هشام ٢٤٤/٢ .

(٤) مغازي عروة بن الزبير (تحقيق الأعظمي)ص٦٨ ، وانظر نموذج للإسناد الجمعي عند عروة في البخاري في قصة الحديبية (البخاري مع الفتح ٤٥٣/٧)وانظر أنموذجا لجمع الزهري في الإسناد واتحاد المتن في حديث الإفك (المصدر السابق٤٣١/٧)=وهنا يجدر ملاحظة الفرق بين الإسناد الجمعي عند عروة والزهري وغيرهم من ثقات المحدثين؛ لأن هؤلاء يجمعون الأسانيد إذا كان الرواة كلهم ثقات ، أما ابن إسحق فإنه يجمع بين رواية الثقة وغير الثقة ويسوقها مساقا واحدا(انظر : منهج كتابة التاريخ الإسلامي. نشر دار طيبة، في طبعته الأولى ١٤٠٦ هـ لمحمد بن صامل العلياني ص٣٥٢).

(٥) الدوري : نشأة علم التاريخ عند العرب ص٣١.

(٦) منها على سبيل المثال حديثه عن أخبار الكهان من العرب والأحبار من اليهود والرهبان من النصارى بأمر رسول الله ﷺ٢٢١/١ ، ٢٢٤ وما بعدها من سيرة ابن هشام ، وانظر كذلك حديثه عن عدوان المشركين على المستضعفين ممن أسلم بالأذى والفتنة ٣٣٩/١ ، ٣٤٠ ، ومثل ذلك حديثه عن البعثة وهجرة الحبشة وغيرها .

(٧) ابن هشام : السيرة ١٥٦/١ ، هورفتس في المغازي الأولى ص٩٤ ،٩٥.

كما يلاحظ في أسلوبه في السيرة جمعه بين أساليب المحدّثين والقصاص، ولهذا يظهر أثر القصص في سيرته[1]،كما يظهر إكثاره من الشعر، وإن لم يكن متينا فيه، حتى روي أنه كان يدفع إلى شعراء وقته أخبار المغازي ويسألهم أن يقولوا فيها الأشعار ليلحقها بها[2]، ولهذا يعدّه ابن سلاّم الجمحي[3]، ممن هجن الشعر وأفسده، إذ يقول: «وكان ممن هجن الشعر وأفسده، وحمل كل غثاء محمد بن إسحق مولى آل مخرمة ، وكان من أعلم الناس بالسير ، فنقل الناس عنه الأشعار ، وكان يعتذر فيها ويقول : لا علم لي بالشعر، إنما أوتى به فأحمله، ولم يكن له ذلك عذر ، فكتب في السير من أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعرا قط، وأشعار النساء فضلا عن أشعار الرجال، ثم جاوز ذلك إلى عاد وثمود أفلا يرجع إلى نفسه، فيقول : من حمل هذا الشعر ومن أداه منذ ألوف من السنين؟! والله يقول: ﴿وأنه أهلك عادا الأولى وثمود فما أبقى﴾[4]، وقال في عاد: ﴿فهل ترى لهم من باقية﴾[5]، وقال: ﴿وعادا وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله﴾[6][7].

---

(١) الدوري : نشأة علم التاريخ عند العرب ص٢٨.

(٢) الذهبي : ميزان الاعتدال ٤٧١/٣.

(٣) محمد بن سلاّم الجمحي البصري(أبو عبد الله) أديب ، لغوي ، إخباري ، راوية، حافظ، قدم بغداد وتوفي وهو من أبناء التسعين ، وكان يقول : أفنيت ثلاثة أهلين ، تزوجت وأطفلت فماتوا (ثلاث مرات). كان ابن معين يختلف إليه ، وقال أحمد : كتبت ليحيى بن معين النسب عنه بخطي ، وكان بعضهم لا يرى كتابة الحديث عنه . كانت وفاته سنة (٢٣١هـ). تاريخ بغداد ٣٢٧/٥ ،وسير أعلام النبلاء للذهبي ٦٥١/١٠ ، ومعجم المؤلفين ٤١/١٠).

(٤) الآية (٥١) من سورة النجم .

(٥)الآية (٨) من سورة الحاقة .

(٦) الآية (٩) من سورة إبراهيم .

(٧) طبقات الشعراء (إعداد اللجنة الجامعية لنشر التراث العربي ، دار النهضة بيروت ص٤) .

عدم اشتراطه الصحة فيما جمع:

ولهذا فالذهبي ـ مع ثنائه على ابن إسحق في السير ـ قد انتقده على ماحشا في سيرته من الأشعار المكذوبة ، والأشياء المنكرة المنقطعة[1] ، وكان يقول : فلو حذف منها ذلك لحسنت[2] ، وقال في موضع ثالث: «ولا ريب أن ابن إسحق كثّر وطوّل بأنساب مستوفاة اختصارها أملح ، وبأشعارغير طائلة حذفها أرجح ، وبآثار لم تصحح ، مع أنه فاته شيء كثير من الصحيح لم يكن عنده، فكتابه محتاج إلى«تنقيح وتصحيح ورواية مافاته»[3] .

ومن هذا الوصف للذهبي ، والاستقراء لسيرة ابن إسحق نخرج بتحديد منهج«ابن إسحق» ،في تدوين الأحداث فلم تكن «الصحة»شرطا فيما جمع، ولم يكن من منهجه تمييز الروايات الصحيحة من الضعيفة، ولهذا حوت سيرته ـ إلى جانب الروايات الصحيحة ـ الأخبار الواهية، والروايات المنكرة[4] ، ولعل وجود مثل هذه الروايات جعل «يحيى بن سعيد القطان» يقول ـ وقد مرّ به جماعة ـ فقال : أين كنتم؟ قالوا : كنا عند وهب بن جرير ، يعني يقرأ علينا كتاب المغازي عن أبيه عن ابن إسحق ، فقال يحيى : تنصرفون من عنده بكذب كثير[5] .

ومما يذكر «لابن هشام» أنه تلافى كثيرا من هذه السقطات في سيرة ابن إسحق ، وخفف من وطأة هذه الملاحظات بما اختصره وهذبه وعلّق عليه، وقد نوّه إلى هذا في مقدمته للسيرة، فقال: «وأنا إن شاء الله مبتدئ هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم ومن ولد رسول الله ﷺ من ولده،

---

(١) ميزان الاعتدال ٤٦٩/٣ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٥٢/٧ .

(٣) المصدر السابق ١١٥/٦ ، ١١٦ .

(٤) سنأتي على روايته في موت أبي طالب على الإسلام ، وروايته عن أبي مريم في الجهر بالدعوة، وهي نماذج لهذه الروايات .

(٥) ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ١٩٣/٧ .

وأولادهم لأصلابهم الأول فالأول، من إسماعيل إلى رسول الله ﷺ ومايعرض من حديثهم، وتارك ذكر غيرهم من ولد إسماعيل على هذه الجهة للاختصار إلى حديث سيرة رسول الله ﷺ، وتارك بعض ماذكره «ابن إسحق» في هذا الكتاب مماليس لرسول الله ﷺ فيه ذكر ، ولانزل فيه من القرآن شيء، وليس سببا لشيء من هذا الكتاب ، ولا تفسيرا له ، ولا شاهدا عليه ، لما ذكرت من الاختصار، وأشعارا ذكرها لم أر أحدا من أهل العلم بالشعر يعرفها ، وأشياء بعضها يشنع الحديث به ، وبعض يسوء بعض الناس ذكره،وبعض لم يقرّ لنا «البكائي» بروايته ، ومستقص ـ إن شاء الله تعالى ـ ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له والعلم به»[1].

ويظهر للمتأمل في كلام ابن هشام أن اختصاره في الأمور السابقة على سيرة النبي ﷺ وأكثر منها في السيرة ذاتها ، كما يبدو أن البكائي ـ قبل ابن هشام ـ هو الآخر حذف من أصل السيرة لابن إسحق أمورا من المحتمل أنها لم تبلغه ، ومن المحتمل أنها بلغته ، ولكن تركها للاختصار ، أو لأنه لم يرض عنها، وقول ابن هشام: «وبعض لم يقرّ لنا البكائي بروايته» يقوّي هذا الاحتمال .

ترتيب الأحداث زمنياً:

ولا يفوتنا ـ ونحن بصدد الحديث عن منهج ابن إسحق في السيرة ـ أن نؤكد نهجه في ترتيب الأحداث واتخاذه الترتيب الزمني أساسا لعرض الموضوعات فتري تسلسل الأحداث المكية،ثم تليها الأحداث في المدينة، ومن خلال هذا وذاك يبرز النسق(الحولي)فيصلا في تقديم هذا الحدث أو تأخير ذاك.

وهذا النسق من الترتيب الزمني لم يكن له أثر سلبي واضح[2]على تجزئة الأحداث بشكل تحتاج الحادثة الواحدة معه إلى تجميع ، وهو أمر يميز عرض «ابن إسحق»(ومن بعده أصحاب السير)لأحداث السيرة عن أصحاب المدونات في الحديث التي يظهر فيها تجزئة الخبر الواحد حيث تذكر طرفه في موضع ثم تتمه في موضع أو مواضع أخر.[3]

---

(١) مقدمة سيرة ابن هشام ١/٢ ، ٣ .

(٢) احترز هنا لأن الترتيب الزمني له تأثيره على تقطيع الحوادث وعدم ارتباطها،ولكني أردت أن ذلك ـ عند ابن إسحق ـ لا يصل إلى ماهو موجود من تقطيع الحادثة الواحدة وتفريقها في أكثر من موضع (حسب الكتب والأبواب وما يناسبها من الأحكام)وهو ما تنهجه كتب الحديث دون كتب المغازي والسير .

(٣) سنأتي على نماذج لهذا في أثناء الحديث عن منهج البخاري ومسلم في صحيحيهما .

وإزاء منهج ابن إسحق في أحداث السيرة ربما بالغ بعض الباحثين في قوله : إن سيرة ابن إسحق تجربة ثورية في الكتابة التاريخية[1]، وقد تعقبه آخر فقال : إن موضوع السيرة ومنهج التأليف فيه ثابت ومقدر قبل أن يكتب ابن إسحق سيرته المعروفة[2].

وأقول: لقد سبق لنا بيان طرف من سمات هذا المنهج الذي سبق ابن إسحق فيه غيره كعروة والزهري ، ولكن مما ينبغي أن يذكر لابن إسحق أنه وسّع دائرة السيرة بما جمعه من أحداث ربما لم تتوفر لمن قبله ، وربما كان لمنهجه (الجمعي)دور في تدوين أحداث ضاقت عنها مناهج الآخرين (النقدية) من أمثال «عروة»، و«الزهري»، و«موسي بن عقبة» ، ولهذا صقل ابن إسحق هذه المادة بحاسته ، وبما هو مشهور عنه من النبوغ في هذا الميدان ، فخرجت سيرته لتغطي بشهرتها ، وغزارة مادتها ماألف في السيرة قبله ، ومن ثم أصبحت موردا لمن جاء بعده من أرباب السير، حتى قيل: إن الناس عيال على ابن إسحق في المغازي والسير .

مصادر ابن إسحق في السيرة ورواتها عنه :

يمكن تقسيم مصادر ابن إسحق في السيرة إلى نوعين من المصادر :

أ ـ مصادر مكتوبة .

ب ـ وأخرى مروية بالمشافهة .

وقد اعتمد المصادر المكتوبة في الأجزاء المتقدمة على السيرة ، حيث اعتمد على الإسرائيليات التي اجتمعت عند العرب قبله في أخبار الخليقة من آدم وحتى إسماعيل ـ عليهما السلام ـ، وقد أكملها في أثناء وجوده

---

(١) ليفي دلافيدا(انظر : مقدمة مارسدن جونس على مغازي الواقدي ص١٩).

(٢) مارسدن جونس (المرجع السابق ص١٩).

بمصر[١]، وقد نقل عن وهب بن منبه ـ في هذه الفترة ـ كثيرا[٢]، كما نقل عن كعب الأحبار[٣]، ومحمد بن كعب القرظي[٤]، وأحيانا عن أهل التوراة[٥] ، أو أهل العلم بالكتاب الأول[٦]، دون أن يسمي أحدا . أما الروايات التي ساقها ابن إسحق ـ في هذه الفترة ـ دون إسناد فكثيرة جدا.[٧]

واعتمد «ابن إسحق» الرواية بالمشافهة في أحداث السيرة ، ويظهر اعتماده على مشايخه المدنيين بشكل واضح ، ويحظى الزبيريون ومواليهم بنصيب وافر من مروياته ، وإذا كان عروة بن الزبير[٨]وهشام بن عروة[٩]، ويحيى بن عروة[١٠]، وعمر بن عبد الله ابن أخي عروة[١١]، ومحمد بن جعفر ابن أخي عروة[١٢]، ويحيى بن عباد بن عبد اللهابن أخي عروة الكبير[١٣]، إذا كان هؤلاء من مصادر ابن إسحق فلم تقتصر روايته عليهم ، بل روى عن موالي آل الزبير أمثال : يزيد بن رومان[١٤]، ووهب بن كيسان[١٥]، وصالح بن كيسان[١٦]، وإسماعيل بن أبي حكيم[١٧].

ويعد « الزهري» من أكبر مشايخ ابن إسحق ، ومن أهم مصادره في

---

(١) سهيل زكار : مقدمة كتاب السير والمغازي لابن إسحق ص١٧.
(٢) الطبري ٣٢٢/١ ، ٤٠١، ٤٠٧، ٤٣٢، ٤٦٤، ٤٧٦، ٤٧٨ .
(٣) المصدر السابق ٢٦٥/١ ، ٤٠١ .
(٤) المصدر نفسه ٤١٨/١ ، ٤٢٠ .
(٥) المصدر نفسه ٤٤/١ ، ١٨٣ .
(٦) المصدر نفسه ١٤٠/١ .
(٧) المصدر نفسه ٣٤/١ ، ١٥٩، ١٤٥ ، ١٦٥، ٢٣٤، ٤٦١، ٤٦٢ .
(٨) سيرة ابن هشام ٣٥٦/٣ ، ٣٧٦ .
(٩) المصدر نفسه ٢٥٩/١ ، ٣٤٠ .
(١٠) المصدر نفسه ٣١٠/١ ، ٣٣٦ .
(١١) المصدر نفسه ٢٢٠/٢.
(١٢) المصدر نفسه ١٠٩/٢ ، ٢٠٦ ، ٣٠٦ .
(١٣) المصدر نفسه ١٠٢/٢ .
(١٤) المصدر نفسه ٣٦٣/١، ٢٤٢/٢، ٢٤٤ ، ٢٤٥ .
(١٥) المصدر نفسه ٢٥٣/١ ، ٢٥٤ .
(١٦) المصدر نفسه٢٦٢/١ ، ١٩٥/٢ .
(١٧) المصدر نفسه ٢٥٧/١ .

أحداث السيرة[1]، وكذا عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري[2]، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم[3].

ومن مصادر ابن إسحق أقارب الرجال والنساء الذين اشتركوا في الحوادث[4]. كما نجد من بين مصادر ابن إسحق والده «إسحق بن يسار»[5]، ويزيد بن أبي حبيب المصري[6].

وروى ابن إسحق عن أهل الكتاب وانتقد عليه[7]، وإنما كان يتتبع غزوات النبي ﷺ من أولاد اليهود الذين أسلموا وحفظوا قصة خيبر وبني قريظة وبني النضير وما أشبه ذلك من الغرائب عن أسلافهم، لكنه ـ كما قيل ـ يتتبع ذلك ليعلمه من غير أن يحتج به[8].

كما روى عن المجهولين أحاديث باطلة[9].

وهناك طائفة من مرويات ابن إسحق رواها بلاغا[10]، وأخرى بلفظ: «من لاأتهم»[11]، أو عن «بعض أهل العلم»[12]، وأحيانا بصيغ توحي بالشك كقوله: «فيما يزعمون»، و«الله أعلم»، ولهذا قيل: إن اضطرابه في استخدام الإسناد صدم فقهاء المدينة صدمة عنيفة حتى أنكروا عليه صفة المحدث الثبت، وأن عذره في ذلك أنه جمع مادة وافرة ومتنوعة أحوجته إلى قبول عدد من الروايات لا تدعمها الأسانيد دعما كافيا[13].

---

(١) المصدر نفسه ١٠٢/٢، ٢١٨، ٢٤٤، ٣٥٦/٣، ٣٦٢، ٣٧٧.
(٢) المصدر نفسه ٤٧/٢، ١٢٧، ١٤٦.
(٣) المصدر نفسه ١٢٧/٢، ١٤٠، ٢٤٤، ٢٦٠، ٣٥٧/٣.
(٤) المصدر نفسه ٢٣١/١، ٣١١، ٣٧١، ٤٧/٢، ١٣٨، ٤٤١.
(٥) المصدر نفسه ١٦٩/١، ٤١٨، ٧٧/٢، ٥٤٢٨.
(٦) المصدر نفسه ١٥٤/١، ١١٦/٢، ٣٠٢، ٣٨٢/٣.
(٧) الذهبي: الميزان ٤٧٠/٣ وقد سبقت إجابة الذهبي على ذلك في أول هذا التمهيد، وانظر نماذج لرواية ابن إسحق عنهم في سيرة ابن هشام ١٩٤/٣، ٢٦١، ٢٦٣.
(٨) ابن سيد الناس: عيون الأثر ١٧/١.
(٩) الخطيب: تاريخ بغداد ٢٢٧/١، ومن نماذج روايته عن المجهولين روايته عن «جهم مولى الحارث بن حاطب الجمحي»، كما في السيرة لابن هشام ١٧٣/١، وسنأتي على مزيد تفصيل لهذه الرواية في الفصل الأول بمشيئة الله.
(١٠) ابن هشام: السيرة ٢٥١/١، ٢٧٥، ٢٧٦، ٣٦٥.
(١١) المصدر السابق ٤٨/٣، ٧٣، ٤٢٤.
(١٢) المصدر نفسه ٢٢٥/١، ٢٦٣، ٢٦٥، ٥٢/٣.
(١٣) ليفي دلافيدا: مقال في دائرة المعارف الإسلامية (مادة سيرة) ٤٥١/١٢، ٤٥٢.

قلت: ومع عدم التسليم ـ مطلقا ـ بهذا العذر، فالذي لاشك فيه أن في سيرة ابن إسحق روايات متصلة الإسناد ، ورواتها ثقات ، بل من رجال الصحيحين ـ كما سيتضح ـ.

على أنه مما ينبغي التنبه له ـ في مصادر ابن إسحق ـ أنه وإن اعتمد الرواية بالمشافهة في أغلب روايات السيرة،فلا يعني ذلك عدم استفادته من الوثائق المكتوبة في هذه الفترة ، والوثيقة التي رواها له يزيد بن أبي حبيب[1]بل ومجموعة الوثائق التي رواها ابن إسحق عن عبدالله بن أبي بكر[2]تعد نماذج لهذا النوع من المصادر عند ابن إسحق.

فإذا ما أتينا إلى رواة المغازي والسير عن ابن إسحق تبين لنا أن عددهم غير قليل : فهذا الذهبي أحصى منهم أربعين راويا ،ثم أعقبه بالقول: وأمم سواهم يشق استقصاؤهم ويبعد إحصاؤهم[3] ، وعدّ ابن حجر منهم أسماء تسعة وعشرين راويا ثم قال : وجماعة[4] .

ولاشك أن قول الذهبي: «وأمم سواهم»وقول ابن حجر : «وجماعة»يخفيان وراءهما جمعا من الرواة ، ومما يؤكد ذلك أن أحد الباحثين أحصى ستين راويا عن ابن إسحق في المغازي والسير[5]، وهذا العدد أيضا لن يكون نهائيا ، فهناك روايات مبثوثة في طبقات ابن سعد ، وتاريخ خليفة بن خياط، وأنساب الأشراف للبلاذري ، وكلها تروى عن ابن إسحق دون إسناد بلفظ قال ابن إسحق ، أو: وفي رواية ابن إسحق ، وهذه وتلك ـ لا شك ـ تخفي أسماء عدد غير معروف من الرواة عنه[6] .

---

(١) الطبري ٦٤٥/٢ .

(٢) الطبري ١٢٦/٣ ، ١٢٨ ، ١٤٦ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٣٥/٧ .

(٤) تهذيب التهذيب٣٩/٩ .

(٥) مطاع الطرابيشي في مقاله (السابق) رواة المغازي والسير عن ابن إسحق / مجلة مجمع اللغة ص(٥٤٣).

(٦) الطرابيشي ،رواة المغازي والسير/ مجلة اللغة ص٥٣٦، وانظر: نماذج من ذلك في تاريخ خليفة ص٦٢ ، ٦٣ ،٨٤، ١١٢، وفي طبقات ابن سعد ٤٧/٣ ، ٥٢, ٥٣, ٩٥, ١٢٣, ١٦١, ١٦٨, ١٩٥، وغيرها كثير .

وأشهر الرواة المكثرين عن ابن إسحق -في المغازي والسير- البكائي[1]، وسلمة بن الفضل[2]، ويونس بن بكير[3]، أما البكائي فقد وصلتنا روايته عن

---

(١) هو: زياد بن عبد الله بن الطفيل البكائي العامري، روى عنه جماعة منهم الإمام أحمد، قال وكيع: هو أشرف من أن يكذب، وقال أحمد: ليس به بأس، حديثه حديث أهل الصدق، وقال الدوري عن ابن معين: ليس بشيء، وكان عندي في المغازي لا بأس به، وقال زياد في ابن إسحق: ثقة، قال ابن إدريس: ماأحد أثبت في ابن إسحق منه، لأنه أملى عليه إملاء مرتين، وقال صالح بن محمد: ليس كتاب في المغازي عند أحد أصح منه عند زياد، وزياد في نفسه ضعيف، ولكن هو من أثبت الناس في هذا الكتاب، وذلك أنه باع داره وخرج يدور مع ابن إسحق حتى سمع منه الكتاب، وقال الدارمي: سألت يحيى بن معين عمن أكتب المغازي ممن يروي عن يونس أو غيره؟ قال: اكتبه عن أصحاب البكائي. وقال السخاوي: إنه أوثق من يونس بن بكير في ابن إسحق، ضعفه ابن المديني، وابن سعد، والنسائي وابن حبان، وروى عنه البخاري في كتاب الجهاد مقرونا بغيره، وخرج عنه مسلم في مواضع من كتابه، مات سنة(١٨٣هـ).
(انظر: تاريخ عثمان بن سعيد الدارمي - من منشورات مركز البحث العلمي بجامعة الملك عبد العزيز- ص ١١٤، والروض الأنف ١/٤٠، وتهذيب التهذيب ٩/٣٧٥، والإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص٨٨).
(٢) هو: سلمة بن الفضل الأبرشي الأنصاري مولاهم قاضي الري، روى عنه ابن معين، وابن حميد الرازي، وعثمان بن أبي شيبة وغيرهم، ضعفه ابن راهويه، وقال البخاري: في حديثه بعض المناكير. وقال ابن معين: كتبنا عنه وليس في المغازي أتم من كتابه، وقال النسائي:ضعيف، وقال زنيخ (محمد بن عمر الرازي): سمعت سلمة يقول: سمعت المغازي من ابن إسحق مرتين وكتبت عنه من الحديث مثل المغازي، وثقه ابن سعد، وذكره ابن حبان في الثقات وقال: يخطئ ويخالف، وقال أبو حاتم: محله الصدق في حديثه إنكار يكتب حديثه ولا يحتج به، وقال ابن معين: سلمة ابن الأبرش رازي يتشيع قد كتبت عنه وليس به بأس، وقال ابن عدي: لم أجد لسلمة ماجاوز الحد في الإنكار، وقال ابن المديني ماخرجنا من الري حتى رمينا بحديث سلمة، وقال أبو رزعة: كان أهل الري لايرغبون فيه لسوء رأيه، وظلم فيه. وروى الخطيب - بسنده - أن ابن إسحق صنف كتاب السيرة في القراطيس ثم صير القراطيس لسلمة، فكانت تفضل رواية سلمة على رواية غيره لحال تلك القراطيس، قال عنه ابن حجر: صدوق كثير الخطأ، مات سلمة سنة إحدى وتسعين ومائة.
(تاريخ بغداد ١/٢٢١، ميزان الاعتدال ٢/١٩٢، تهذيب التهذيب ٤/١٥٣، التقريب١/٣١٨).
(٣) يونس بن بكير واصل الشيباني الكوفي، وثقه ابن معين، وابن نمير، وابن حبان، وكتب عنه أحمد، فقال: ماكان أزهد الناس فيه وأنفرهم عنه، وقال الجوزجاني: ينبغي أن يثبت في أمره، وقال الساجي: كان ابن المديني لا يحدث عنه وهو عندهم من أهل الصدق، وعن أبي داود ليس هوعندي بحجة كان يأخذ كلام ابن إسحق فيوصله بالحديث، ضعفه العجلي، وقال: كان على المظالم لجعفر بن برمك، أخرج له مسلم في الشواهد، وكذا ذكره البخاري مستشهدا به، وقال الذهبي: هو حسن الحديث، قال يونس في كتابه المغازي: كل شيء من حديث ابن إسحق مسند فهو أملاه عليّ، أو قرأه عليّ، أو حدثني به، وما لم يكن مسندا فهو قراءة قرئ على ابن إسحق، مات سنة تسع وتسعين ومائة. =

ابن إسحق في تهذيب ابن هشام ،كما سبق ،وأما سلمة ابن الفضل فقد حفظ لنا الطبري ـ في تاريخه ـ جزءاً كبيراً منها ، وأما يونس ابن بكير فقد وصلنا نتف من روايته عن ابن إسحق ـ وإلى جانبها روايات أخري لا تنتهي إلى ابن إسحق ـ في الجزء الذي حققه محمد حميد الله، وسهيل زكار ، ويبدو أن أجزاء من رواية يونس عن ابن إسحق مبثوثة في المدونات ولعل من أشهرها مستدرك الحاكم ، والسنن ، ودلائل النبوة للبيهقي، وابن عساكر في تاريخه ، وابن الأثير في الكامل وأسد الغابة[1].

ويبقى بعد ذلك عدد من الرواة الذين لم تصلنا مروياتهم عن ابن إسحق بشكل منفرد وكامل ، وإن كانت المدونات التاريخية وغيرها حفظت لنا نماذج منها[2].

ومما يلفت النظر ـ في سيرة ابن إسحق ـ اختلاف دلالتها أحيانا باختلاف الرواة عنه حتى في الحادثة الواحدة ، وهو أمر قد فطن له الأقدمون[3] ، وأمامنا لتفسير هذه الظاهرة تأويلان : أحدهما أن كتابة ابن إسحق للسيرة مرت بمراحل ثلاث ، وتكون منها ثلاث نسخ : الأولى من

= (المغازي والسير برواية يونس ص٢/تحقيق حميد الله،الميزان ٤٧٨/٤ ، تهذيب التهذيب ٤٣٥/١١) .

(١) مقال الطرابيشي السابق ص ٥٥٥ .

(٢) فقد حفظ لنا الطبري في تاريخه وتفسيره جزءاً كبيراً من الفصل الخاص بأنبياء أهل الكتاب كما حفظ لنا في تاريخه مقتطفات من السيرة ـ معظمها برواية سلمة بن الفضل ـ وحفظ الأزرقي أخبارا كثيرة تتناول تاريخ مكة القديم ـ وهي من الأمور التي حذفها ابن هشام ـ كما حفظ يحيى ابن آدم في كتابه الخراج ، وابن سعد في طبقاته ، وخليفة في تاريخه وطبقاته ، والفسوي في تاريخه ، والبلاذري في أنسابه ، والبيهقي في دلائله وكذا أبو نعيم ـ وغيرهم ـ . مقتطفات من سيرة ابن إسحق بمختلف الرواة عنه .(انظر : مقال الطرابيشي السابق ص٥٤٣،المغازي الأولى ص٨٣) .

(٣) انظر على سبيل المثال كلام« السهيلي» حول الفرق بين رواية البكائي، ويونس بن بكير عن ابن إسحق في إسلام عامر بن فهيرة .(الروض الأنف٣٨/٣) .وانظر جملة النقولات التي ساقها «ابن الأثير» في الاختلاف في شهود «عامر بن الحارث الفهري» بدرا بين الرواة عن ابن إسحق أمثال إبراهيم بن سعد ، والبكائي ، وسلمة بن الفضل ، ويونس بن بكير حتى قال ابن الأثير : «ولم يزل أصحاب ابن إسحق وغيره يختلفون ، فكان هذا مما اختلفوا فيه» . (أسد الغابة٣/١٢٠) . وانظر ـ أيضا ـ وقفة «ابن حجر» في ترجمة «أنس بن رافع ـ أبو الحيسر ـ والخلاف في إسلامه ومن معه حين قدم مكة قبل الهجرة بين رواية سلمة عن ابن إسحق وتفيد إسلامه ومن معه ، ورواية البكائي التي تفيد عدم إسلامهم ماعدا إياس بن معاذ (الإصابة٢١٦/١ ، ١٤٦ ، والسيرة لابن هشام ٣٦/٢ ، ٣٧) .

العهد المدني، والثانية من العهد الكوفي ، والثالثة من العهد البغدادي ، وكل واحدة من هذه النسخ تمثل شكلاً معينا[1].

أما التأويل الآخر فيقضي بكون المغازي ـ أصلا ـ لم تصدر عن ابن إسحق مجموعة بين دفتي كتاب، وإنما كانت قراطيس تملى على الرواة أو تقرأ عليهم، وهذه النسخ المعروفة من المغازي إنما ترجع إلى أصحاب ابن إسحق لا إليه[2].

وأخيرا بقي أن نعلم حجم الروايات الصحيحة ، والضعيفة في سيرة ابن إسحق ، والحق أنها تنتظم هذا وذاك ، ويوجد فيها ـ إلى جانب الروايات الصحيحة ـ الأخبار الواهية لكنها بشكل عام تقترب إلى حد كبير مما أوردته كتب الحديث الصحيحة، بل تتطابق معلوماتها مع معلومات كتب الحديث في كثير من الأحيان ـ كما انتهى إلى ذلك الدكتور أكرم العمري[3].

ولعل المقارنة بروايات الصحيحين تعين على تمييز الروايات الضعيفة الباطلة ، وتقوي بعض الروايات التي يظن أنها ضعيفة ، وستكشف الدراسة في الفصول القادمة ـ بإذن الله ـ نماذج لهذا أو ذاك.

---

(١) سهيل زكار : مقدمته للسير والمغازي لابن إسحق ص (١٣).

(٢) مطاع الطرابيشي(مقالة في مجلة مجمع اللغة بدمشق)ص٥٣٥ ، ٥٣٧ .
دعم «الطرابيشي» رأيه هذا ـ بالرواية التي سبق ذكرها في ترجمة سلمة بن الفضل من كون ابن إسحق أودعه قراطيس السيرة ، وبالرواية عن يونس بن بكير وأن ابن إسحق أملى عليه السيرة أو قرأها عليه (سبقت في ترجمة يونس) وكذا مايفيد أن ابن إسحق أملى على البكائي السيرة (سبقت في ترجمته)ص ٥٣٥ من المقالة السابقة .

(٣)المجتمع المدني في عهد النبوة ـ خصائصه وتنظيماته الأولى ـ من مطبوعات الجامعة الإسلامية ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ٢٧ ، ٤٧ .

٢- الإمام البخاري، ومنهجه في تدوين أحداث السيرة

هو أبوعبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَه الجعفي، البخاري[١] ،فالبخاري نسبة إلي بخارى،وهي من أعظم مدن ماوراء النهر ، وبينها وبين «سمرقند» مسافة ثمانية أيام[٢]، والجعفي نسبة إلي«اليمان الجعفي»الذي أسلم علي يديه جد البخاري «المغيرة» ، فنسب إليه نسبة ولاء على من يرى أن من أسلم على يده شخص كان ولاؤه له[٣]، و«بردزبه» ـ بفتح الباء الموحدة ، وسكون الراء المهملة، وكسر الدال المهملة، وسكون الزاي المعجمة ، وفتح الباء الموحدة بعدها هاء ـ لفظة بخارية ، ومعناها الزراع[٤]، وهو مجوسي مات عليها[٥].

أما ابنه المغيرة فقد أسلم على يد اليمان الجعفي ـ كما سلف ـ وأما ولده «إبراهيم » فقد قال عنه الحافظ ابن حجر : لم نقف على شيء من أخباره[٦].

أما والد البخاري «إسماعيل»فقد ترجم له «ابن حبان» في الثقات ، وعدّه في الطبقة الرابعة ، وقال عنه : روى عن حماد بن زيد ، ومالك، وروى عنه العراقيون[٧]، كما ترجم له ابنه(البخاري)في التاريخ الكبير ، فذكر أن كنيته « أبو الحسن » ، وقال عنه : رأى حماد بن زيد ، صافح ابن المبارك

---

(١) انظر : تاريخ بغداد ٤/٢ ، هدي الساري في مقدمة فتح الباري ٤٧٧/١ .
(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٩١/٤ .
(٣) الخطيب : تاريخ بغداد ٦/٢، ابن حجر : هدي الساري ٤٧٧/١ .
(٤) الذهبي : سير أعلام النبلاء ٣٩١/١٢، ابن حجر : هدي الساري ص ٤٧٧ .
(٥) الخطيب : تاريخ بغداد ٦/٢ .
(٦) هدي الساري ص ٤٧٧.
(٧) الثقات ٩٨/٨ .

بكلتا يديه، وسمع مالكا[1] كما ذكر عنه ولده أنه كان من الصالحين[2]. ومما يؤكد هذا قول أحيد بن حفص : دخلت على إسماعيل والد أبي عبد الله عند موته ، فقال : لا أعلم من مالي درهما من حرام ولا درهما من شبهة[3]، وحكى ورّاق البخاري: أنه ورث من أبيه(إسماعيل) مالا جليلا[4].

مولده ونشأته :

ولد البخاري سنة أربع وتسعين ومائة ببخارى ، بعد صلاة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال[5]، وتوفي والده والبخاري صغير ، فنشأ في حجر أمه ، وكان له أخ أكبر منه ، وهو «أحمد» وقد حجّا مع أمهما ، فبقي البخاري بمكة مجاورا يطلب العلم ، أما أخوه فرجع إلى «بخارى» فمات بها ، وقد ذكر أن البخاري ذهبت عيناه في صغره ، فرأت والدته في المنام إبراهيم الخليل عليه السلام ، فقال لها : ياهذه قد ردّ الله على ابنك بصره بكثرة دعائك أو لكثرة بكائك ، فأصبحوا وقد ردّ الله عليه بصره[6].

نشأ البخاري نشأة علمية متميزة ، فقد وهبه الله ذهنا وقادا ، وحافظة عجيبة ، وكان يقول عن نفسه : ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب ، فقيل له : كم أتى عليك إذ ذلك؟ فقال : عشر سنين أو أقل ، ثم خرجت من الكتاب فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره ، فقال يوما فيما كان يقرأ للناس: سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم ، فقلت : إن أبا الزبير لم يرو عن

---

(1) التاريخ الكبير ٣٤٢/١، ٣٤٣ .

(2) ابن حجر : تهذيب التهذيب ٢٧٤/١ .

(3) ابن حجر : هدي الساري ص ٤٧٩.

(4)المصدر السابق ص ٤٧٩.

(5) المصدر السابق ص ٤٧٧ .

(6) ابن أبي يعلى : طبقات الحنابلة ٢٧٤/١ ، (نشر دار المعرفة / بيروت).
تهذيب الكمال ص ١١٧٠ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ٣٩٣/١٢ .

إبراهيم . فانتهرني ، فقلت له : ارجع إلى الأصل إن كان عندك ، فدخل ، فنظر فيه ، ثم رجع، فقال: كيف هو ياغلام ؟فقلت : هو الزبير، وهو ابن عدي عن إبراهيم ، فأخذ القلم وأصلح كتابه ، وقال لي: صدقت، فقيل له: ابن كم حين رددت عليه ؟ فقال : ابن إحدى عشرة سنة[١] .

وقال محمد بن أبي حاتم الوراق : سمعت حاشد بن إسماعيل وآخر يقولان : كان أبو عبد الله البخاري يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهوغلام، فلا يكتب، حتى أتى على ذلك أيام ، فكنا نقول له :إنك تختلف معنا ولا تكتب ، فما تصنع ؟ فقال لنا يوما بعد ستة عشر يوما : إنكما قد أكثرتما عليّ وألححتما ، فاعرضا عليّ ما كتبتما، فأخرجنا إليه ماكان عندنا فزاد على خمسة عشر ألف حديث . فقرأها كلهاعن ظهر القلب، حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه ، ثم قال : أترون أني أختلف هدرا وأضيع أيامي . فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد!![٢] .

وفي سمرقند كان بها ـ كما يقول أبو الأزهر ـ أربعمائة ممن يطلبون الحديث،فاجتمعوا سبعة أيام ، وأحبوا مغالطة البخاري ، فأدخلوا إسناد الشام في إسناد العراق ، وإسناد اليمن في إسناد الحرمين، فما تعلقوا منه بسقطة لا في الإسناد ولا في المتن[٣] .

والحديث في مثل هذه الأشياء يطول، وإنما أردت الإشارة إلى نبوغه، وحفظه منذ الصغر، ويكفي أنه معدود في الأربعة الذين انتهى إليهم الحفظ في خراسان[٤]وكان يكفيه من الكتاب اطلاعه..، فيحفظ عامة أطراف الحديث من مرة واحدة[٥] .

---

(١) ابن حجر : هدي الساري ص ٤٧٨ .

(٢) تاريخ بغداد ١٤/٢ ، سير أعلام النبلاء ٤٠٨/١٢ .

(٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء ٤١١/١٢ .

(٤) المصدر السابق ٤٢٣/١٢= والأربعة هم : ١ـ أبو زرعة الرازي. ٢ـ والبخاري ٣ـ وعبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي ٤ـ والحسن بن شجاع البلخي .

(٥) ابن حجر : هدي الساري ص٤٨٦ .

رحلاته :

وفي سبيل العلم وطلبه طوّف البخاري بكثير من الأقطار الإسلامية، فدخل الشام ومصر ، والجزيرة مرتين ، والبصرة أربع مرات ، وأقام بالحجاز ستة أعوام ، ولا يحصى كم دخل الكوفة وبغداد مع المحدثين[1] .

وقال أبوعبد الله الحاكم : أول ماورد البخاري «نيسابور» سنة تسع ومائتين[2]، ووردها في الأخير سنة خمسين ومائتين ، فأقام بها خمس سنين يحدث على الدوام[3] .

وقد تلقي الحديث في كل بلد رحل إليه ، وكتب عن مشايخ جمة ، وطبقات مختلفة ، وقد قال عن نفسه : كتبت عن ألف وثمانين نفسا ليس فيهم إلا صاحب حديث.[4] وفي تاريخ بغداد : كتبت عن ألف شيخ وأكثر ماعندي حديث لا أذكر إسناده[5] .

وحصر الذهبي وابن حجر شيوخه الذين كتب عنهم وحدث عنهم في خمس طبقات :

الطبقة الأولى : من حدثه عن التابعين مثل محمد بن عبد الله الأنصاري حدثه عن حميد ... ونحوهم .

الطبقة الثانية : من كان في عصر هؤلاء لكن لم يسمع من ثقات التابعين كآدم بن أبي إياس وأمثالهم .

الطبقة الثالثة: هي الوسطى من مشايخه، وهم من لم يلق التابعين بل أخذ

---

(١) ابن حجر : هدي الساري٤٧٨ ، وانظر : الفصل الذي كتبه الذهبي في رحلته وطلبه .. سير أعلام النبلاء ١٢/٤٠٠ .

(٢) يبدو أن هذا يخالف ماجزم به الحافظ في هدي الساري ص ٤٧٨ في كون أول رحلته سنة عشر ومائتين ، وذكر الذهبي أن أول سماعه للحديث سنة ٢٠٥هـ. (تذكرة الحفاظ ٢/٥٥٥).

(٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٢/٤٠٤ .

(٤) ابن حجر : هدي الساري ٤٧٩ .

(٥) تاريخ بغداد ٢/١٠ .

عن كبار تبع الأتباع، كسليمان بن حرب ، وقتيبة بن سعيد ، وعلي بن المديني ، ويحيى بن معين ، وأحمد بن حنبل ونحوهم ، وهذه الطبقة شاركه «مسلم» في الأخذ عنهم .

الطبقة الرابعة : معاصروه في الطلب ومن سمع قبله قليلا كمحمد بن يحيى الذهلي ، وأبي حاتم الرازي ، وعبد بن حميد ، وجماعة من نظرائهم، وإنما يخرج عن هؤلاء مافاته عن مشايخه ، أو مالم يجده عند غيرهم .

الطبقة الخامسة : قوم في عداد طلبته في السن والإسناد ، سمع منهم للفائدة : كعبد الله بن حماد الآملي ، وعبد الله بن أبي العاص الخوارزمي... وغيرهم ، وقد روى عنهم أشياء يسيرة ، وعمل في الرواية عنهم مما روى عثمان ابن أبي شيبة عن وكيع قال : لايكون الرجل عالما حتى يحدث عمن هو فوقه ، وعمن هو مثله ، وعمن هو دونه[1] .

أما الذين رووا عنه ـ فكما قال الذهبي ـ خلق كثير منهم : أبو عيسى الترمذي ، وأبو حاتم ، وإبراهيم بن إسحق الحربي ، وأبو بكر بن أبي الدنيا ، وأبو بكر محمد بن إسحق بن خزيمة ، وروى عنه مسلم في غير صحيحه ـ وبعد أن ذكر الذهبي مجموعة منهم ـ قال : وأمم لا يحصون[2] .

ثناء العلماء عليه :

لقد أثنى العلماء ـ سواء منهم مشايخ البخاري أو أقرانه أو تلاميذه ـ عليه ووصفوه بالعلم والفقه : فهذا أبو عمر سليم بن مجاهد يقول : كنت عند محمد بن سلام البيكندي[3] ،فقال: لو جئت قبل قليل لرأيت صبيا يحفظ

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، هدي الساري ص٤٧٩ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٣٩٧/١٢ .

(٣)هو: أبو عبدالله محمد بن سلام بن فرج السلمي بالولاء البخاري ، من حفاظ الحديث ، رحال جوال ، كان محدث ماوراء النهر ، وكان يقول : أنفقت في طلب العلم أربعين ألفا ، ومثلها في نشره ، كان يحفظ خمسة آلاف حديث وهو من شيوخ البخاري ، ولادته سنة ١٦٢هـ ، ووفاته سنة ٢٢٧هـ ، وهو من الثقات .

(تهذيب التهذيب ٢١٢/٩ ، الأعلام ١٦/٧).

سبعين ألف حديث، قال: فخرجت في طلبه حتى لحقته ، قال: أنت الذي يقول إني أحفظ سبعين ألف حديث؟قال : نعم ، وأكثر ، ولا أجيئك بحديث من الصحابة والتابعين إلاعرفتك مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم،ولست أروي حديثا من حديث الصحابة أو التابعين إلا ولي من ذلك أصل أحفظه حفظا عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ[1] .

وكان يحيى بن جعفر يقول: لو قدرت أن أزيد في عمر محمد بن إسماعيل من عمري لفعلت ، فإن موتي يكون موت رجل واحد ، وموته ذهاب العلم[2] ، ويقول البخاري: حين دخلت البصرة صرت إلى مجلس بندار، فلما وقع بصره عليّ قال: من أين الفتى ؟قلت: من أهل بخارى ، فقال لي: كيف تركت أبا عبد الله؟ فأمسكت ، فقالوا له : يرحمك الله هو أبو عبد الله ، فقام ، وأخذ بيدي ، وعانقني، وقال: مرحبا بمن أفتخر به منذ سنين[3] .

وجاء مسلم بن الحجاج إلى البخاري فقال: دعني أقبّل رجليك ياأستاذ الأستاذين وسيد المحدثين ، وطبيب الحديث في علله .

وبالغ أهل بغداد في ثنائهم على البخاري حينما كتبوا إليه:

المسلمون بخير مابقيت لهم ∴ وليس بعدك خير حين تفتقد[4]

والحديث في الثناء عليه يطول[5] .

وفاة البخاري :

قال محمد بن أبي حاتم الوراق:سمعت أبا منصور غالب بن جبريل – وهو الذي نزل عليه البخاري بـ«خرتنك»[6] يقول:إنه أقام عندنا أياما، فمرض

---

(١) الذهبي : سير أعلام النبلاء ٤١٧/١٢ .

(٢) الخطيب : تاريخ بغداد ٢٤/٢ .

(٣) المصدر السابق ١٧/٢ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء٤٢٣/١٢ .

(٤) الخطيب : تاريخ بغداد ٢٢/٢ ، سير أعلام النبلاء٣٤٣/١٢ .

(٥) وللمزيد انظر : تاريخ بغداد ٢١/٢ــ٣٠ ، سير أعلام النبلاء ٤١٦/١٢ـ٤٣٨ .

(٦) قرية من قرى سمرقند ، وبينهما نحو ثلاثة أميال . (وفيات الأعيان١٩١/٤ ، سير أعلام النبلاء ٤٦٩/١٢).

واشتد به المرض، حتى وجه إليه رسول من أهل «سمرقند» يلتمسون منه الخروج إليهم، فأجاب وتهيأ للركوب ، ولبس خفيه وتعمم ، فلما مشى قدر عشرين خطوة أو نحوها إلى الدابة ليركبها ، وأنا آخذ بعضده، قال : أرسلوني فقد ضعفت، فأرسلناه ، فدعا بدعوات، ثم اضطجع فقضى ـ رحمه الله ـ فسال منه عرق كثير ،وكان قد قال لنا:كفنوني في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا عمامة ، قال ففعلنا ، فلما أدرجناه في أكفانه وصلينا عليه ووضعناه في حفرته ، فاح من تراب قبره رائحة طيبة كالمسك ، ودامت أياما، وجعل الناس يختلفون إلى القبر أياما يأخذون من ترابه ، إلى أن جعلنا عليه خشبا مشبكا[1].

وذكر الخطيب البغدادي رواية عن عبد الواحد بن آدم الطواويسي قال: رأيت النبي ـ ﷺ ـ في النوم ، ومعه جماعة من أصحابه ، وهو واقف في موضع ـ ذكره ـ فسلمت عليه فردّ السلام ،فقلت: ماوقوفك يارسول الله ؟فقال: أنتظر محمد بن إسماعيل البخاري، فلما كان بعد أيام بلغني موته، فنظرنا فإذا هو قد مات في الساعة التي رأيت النبي ـ ﷺ ـ فيها[2] .

على أن هناك رواية تفيد خروج البخاري من بخارى إلى «بيكند»[3] وأن الناس كانوا معه حزبين: حزب معه ، وحزب عليه ، إلى أن كتب له أهل سمرقند بالخروج إليهم ، فقدم إلى أن وصل إلى بعض قرى سمرقند، فوقع بين أهل سمرقند فتنة بسببه ، قوم يريدون إدخاله البلد ، وقوم لا يريدون ذلك، إلى أن اتفقا على أن يدخل ، فخرج يريد أن يركب ، فلما استوى على دابته قال:اللهم خر لي ـ ثلاثا ـ فسقط ميتا ، فأعلم أهل سمرقند ، فحضروه بأجمعهم[4] .

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٢/٤٦٦، ٤٦٧، هدي الساري ص٤٩٣.

(٢) تاريخ بغداد ٢/٣٤ .

(٣) بيكند: بالكسر وفتح الكاف ، وسكون النون ـ كما في معجم البلدان ـ بلدة بين بخارى وجيحون ، على مرحلة من بخارى ، وكانت بلدة كبيرة حسنة كثيرةالعلماء وينسب إليها جماعة من الأعيان منهم: أبو أحمد محمد بن يوسف البيكندي .. وغيره . مشهورة بكثرة الرباطات ، حتى قيل: إن عددها نحو ألف رباط . (مجمع البلدان ١/٥٣٣).

(٤) سير أعلام النبلاء ١٢/٤٦٣ .

لكن هذه الرواية انتقدها الذهبي وأعلها بالشذوذ والانقطاع، وقال: والصحيح مايأتي خلافها[1].

كانت وفاة البخاري ليلة السبت ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين، وكان عمره اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوما، وقبره بـ«خرتنك»[2] ـ رحمه الله ـ وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيرا.

تصانيفه :

بدأ تصنيف البخاري للكتب مبكرا مذ أن طعن في الثامنة عشرة من عمره حيث صنف فيها«قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم»، كما صنف ـ إذ ذاك كتب التاريخ عند قبر النبي ﷺ في الليالي المقمرة ، وهو الذي قال فيه: وكل اسم في التاريخ إلا وله عندي قصة إلا أني كرهت تطويل الكتاب[3].

وقد أحصى«ابن حجر» للبخاري قرابة عشرين مصنفا ـ غير الجامع الصحيح ـ وهي بالإضافة إلى ماسبق ـ: الأدب المفرد، ورفع اليدين في الصلاة ، والقراءة خلف الإمام، وبر الوالدين ، والتاريخ الأوسط ، والصغير ، وخلق أفعال العباد، والضعفاء ، والجامع الكبير، والمسند الكبير، والتفسير الكبير ، وكتاب الأشربة، والهبة ، وأسامي الصحابة ، والوجدان ، والمبسوط ، والعلل، والكنى والفوائد[4].

ويضيف إليها «فؤاد سزكين»: التواريخ والأنساب والعقيدة أو التوحيد ، وأخبار الصفات ، والتاريخ في معرفة رواة الحديث ، ونقلة الآثار والسنن وتمييز ثقاتهم من ضعفائهم وتاريخ وفاتهم[5].

---

(١) المصدر السابق١٢/٤٦٤ .

(٢) تاريخ بغداد ٢/٣٤، سير أعلام النبلاء ١٢/٤٦٦، وهدي الساري ص ٤٩٣ .

(٣) تاريخ بغداد ٢/٧ ، سير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٠٠ .

(٤) هدي الساري ص ٤٩١، ٤٩٢ .

(٥) تاريخ التراث العربي/ المجلد الأول في علوم القرآن والحديث ، الجزء الأول ص ٢٥٧ـ٢٥٩.

الجامع الصحيح ومنهج البخاري في تدوين أحداث السيرة فيه:

لا غرو أن تقوم شهرة البخاري على صحيحه ، فقد اتفق العلماء ـ كما نقل النووي ـ على أن كتابه «الصحيح» أصح كتاب بعد كتاب الله.[1]

وإذا كان «صحيح مسلم» يشاركه في هذه الأولوية بين كتب الحديث المدّونة، فإن«مسلما» نفسه يعترف للبخاري بالسبق، وبأنه ليس له نظير في علم الحديث[2] .

و«البخاري»أول من صنف الصحيح ، ثم تلاه «مسلم»[3] .

وقد عني البخاري بكتابه«الصحيح»فمكث في تصنيفه ست عشرة سنة[4] ، وكان جهد الليل منه موصولا بجهد النهار ، وقد أحصى ورّاق البخاري«محمد بن أبي حاتم»للبخاري خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة في ليلة واحدة ، كل ذلك يقوم ، ثم يسرج ، فيخرج أحاديث ، فيعلم عليها[5] .

ومع هذا فقد نقل عنه أنه لم يضع فيه حديثا إلا بعد أن يغتسل ويصلي ركعتين[6] ، وقدأخرج صحيحه من ألوف مؤلفة من الأحاديث الصحيحة[7] ، وحددها بعضهم بستمائة ألف حديث[8] .

---

(١) انظر : مقدمة النووي لشرحه لصحيح مسلم ١٤/١ ، ومقدمة ابن الصلاح ص(٩).

(٢) شرح النووي لمسلم ١٤/١ .

(٣) مقدمة ابن الصلاح ص(٩) ، تهذيب التهذيب ٥٤/٩ ، ٥٥ .

(٤) الخطيب : تاريخ بغداد ١٤/٢ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ٤٠٥/١٢ .

(٥) المصدران السابقان ١٣/٢ ، ٤٠٤/١٢ .

(٦) الخطيب: تاريخ بغداد ٩/٢ .

(٧) النووي : شرح النووي لمسلم ١٤/١ .

(٨) ابن حجر : هدي الساري ص (٧) .

وهذا لا يعني أن البخاري استوعب الأحاديث الصحيحة في صحيحه، وهو الذي قال: «ماأدخلت في كتابي الجامع إلا ماصح، وتركت من الصحاح لحال الطول»[1]، نقل عنه «الترمذي» تصحيحه لأحاديث في السنن وغيرها، وليست في صحيحه[2].

ومن الأسباب الباعثة للبخاري على تأليف «صحيحه» كون المصنفات المدونة قبله تجمع بين الصحيح، والحسن، والكثير منها يشمله التضعيف، فحرّك همته لجمع الحديث الصحيح، وقوى شيخه «إسحق بن راهويه» عزمه حين قال: «لو جمعتم كتابا مختصرا لصحيح سنة رسول الله ﷺ» فوقعت هذه الكلمة موقعها في قلب البخاري، وجمع الصحيح[3].

يضاف إلى ذلك باعث آخر - روي بالإسناد الثابت إلى البخاري - أنه قال: «رأيت النبي ﷺ (في المنام) وكأنني واقف بين يديه، وبين يدي مروحة أذبّ بها عنه، فسألت بعض المعبّرين، فقال لي: أنت تذبّ عنه الكذب، فهو الذي حملني على «إخراج الجامع الصحيح»[4].

وقد سمّى البخاري صحيحه: «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه»[5].

---

(١) الخطيب: تاريخ بغداد ٩/٢.

(٢) ابن كثير: اختصار علوم الحديث ص(٢٥).

(٣) ابن حجر: هدي الساري ص (٦، ٧).

(٤) المصدر نفسه ص(٧).

(٥) ابن الصلاح: مقدمة ابن الصلاح ص١٣، وذكر ابن حجر أن اسم صحيحه: «الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ـ ﷺ ـ وسننه وأيامه» هدي الساري ص(٨)، قال الدكتور: نور الدين عتر: والأول أصح لإطباق المتقدمين عليه. (انظر الإمام الترمذي والموازنة بين جامعه وبين الصحيحين، ط. الأولى. ١١٩هـ ص٣٤).

وبعد فراغ البخاري من تأليفه عرضه على أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين وعلي بن المديني وغيرهم ، فاستحسنوه ، وشهدوا له بالصحة إلا في أربعة أحاديث ، قال العقيلي: والقول فيها قول البخاري وهي صحيحة[1] .

لكن ذلك لم يعف البخاري من انتقاد العلماء ، وتتبعهم لطائفة من أحاديث الصحيح ،ومن هؤلاء : أبو مسعود الدمشقي ، وأبو على الجياني الغساني ، وأبو الحسن الدارقطني[2]وهو أشهرهم ، وقد ألف في ذلك كتاب :«الإلزامات والتتبع»[3] .

ولاريب أن الإمام البخاري مقدم على أهل عصره ومن جاء بعده ، كالدارقطني في معرفة الصحيح والمعلول ، وقد شهد له أهل عصره بذلك ، ومنهم الإمام مسلم ـ كما سبق إيضاح ذلك ـ هذا بشكل مجمل، وعلى وجه التفصيل فقد تتبع العلماء أقوال الدارقطني وأجابوا عنها[4] .

وحين نأتي إلى الحديث عن منهج البخاري في صحيحه ـ بشكل مجمل نستطيع أن نميز أمورا عدة بعضها من تسمية البخاري لصحيحه،وبعضها الآخر بالاستقراء والتتبع لأحاديثه وآثاره،فتسميته «بالجامع» بيان منه أنه لم يختص بصنف دون آخر،ولهذا أورد فيه الأحكام،والفضائل،والأخبار المحضة عن الأمور الماضية والآتية،إلى غير ذلك من الآداب والرقاق، وقوله:«الصحيح» يحدد نوعية الأحاديث فيه، وأنه قصره على ماصحّ عنده، دون الحسن والضعيف ، وأما قوله: «المسند» فلبيان أن الأصل عنده إخراج

---

(١) تهذيب التهذيب ٥٤/٩ ، هدي الساري ص(٧).

(٢) انظر : مقدمة النووي لشرح مسلم٢٧/١ ،ومقدمة مقبل بن هادي على كتاب الإلزامات والتتبع للدارقطني ص(٤).

(٣) وقد حقق الكتاب : مقبل بن هادي بن مقبل ، ونشرته المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

(٤)أمثال «النووي»الذي قال في كتابه «ماتمس إليه حاجة القارئ لصحيح الإمام البخاري»ص(٦٧) :إن ذلك الطعن فاسد ، مبني على قواعد لبعض المحدثين ضعيفة جدا .. إلخ كلامه، وقال في شرحه لمسلم: وقد أجيب عن كل ذلك أو أكثره ٢٧/١ .

«وابن حجر» حيث عقد فصلا في «هدي الساري»ص(٤٣٦) عن الأحاديث التي انتقدها الدارقطني وأجاب عن معظمها .

الأحاديث المتصلة الإسناد، وأما ماوقع ـ وهو يخالف ذلك ـ فليس على شرطه ، وليس أصلا ، وإنما وقع تبعا[1] .

وأما قوله«المختصر»فإشعار منه أنه اختصره مما اجتمع لديه ـ كما سبق بيانه ـ . وقوله«من أمور رسول اللهﷺوسننه وأيامه» يفيد عدم قصره على الأحاديث القولية، وإنما ضم إليه ماثبت عنده من سيرة النبيﷺ الفعلية ـ وهو ما سنبينه بعد .

وأما ماعرف بالاستقراء فلنذكر له نموذجا في تصرف البخاري في اختيار رواة صحيحه ، حيث عمد إلى انتقاء أكثرهم صحبة لشيخه ، وأعرفهم بحديثه ، وإن خرّج من حديث من لا يكون بهذه الصفة فإنما يخرج فى المتابعات ، وحيث يقوم له قرينة بأن ذلك مما ضبطه هذا الراوي[2] .

وهناك أسرار وحكم ـ في منهج البخاري ـ قصد بها ترتيب كتبه ، وتراجم أبوابه ولها قطع أحاديثه ، فذكر طرفا من الحديث في موضع ، وطرفه في موضع آخر ، وأحيانا يكرر الحديث نفسه ـ ولفائدة معينة ـ في أكثر من موضع في صحيحه، وأحيانا يستعمل حديثا ، أو معنى حديث ليس على شرطه ترجمة لباب من أبوابه، ثم يتبعه بآية من كتاب الله تشهد له ، أو حديثا يؤيد عموم مادل عليه ذلك الخبر ، وكذلك حوى صحيحه المعلقات والمتابعات والشواهد والآثار ... وكلها تخدم أغراضه ، ولا تخرج عن حدود منهجه ، وإليك البيان:

ففي كتبه استهل البخاري صحيحه بـ«كيف بدأ الوحي»ولم يقل كتاب بدء الوحي من بعض ما يشتمل عليه الوحي ـ كذا قال البلقيني[3] ، وقال ابن حجر : ويظهر لي أنه إنما عراه من باب؛ لأن كل باب يأتي بعده ينقسم منه فهو أم الأبواب فلا يكون قسيما لها[4] .

---

(١) ابن حجر : النكت (مختصر فتح الباري، مخطوط بمكتبة الأزهر)مقدمة الكتاب (نقلا عن الحسيني عبد المجيد هاشم في كتابه : الإمام البخاري محدثا ، وفقيها ص ٨٩).

(٢) المرجع السابق ص ٩١ .

(٣) عمر بن رسلان أبو حفص ، محدث حافظ ، فقيه أصولي مفسر، نحوي .(وهو شيخ ابن حجر، وعنه نقل في مقدمته هدي الساري) .وله تصانيف كثيرة ، توفي سنة ٨٠٥هـ بالقاهرة .(معجم المؤلفين ٢٨٤/٧).

(٤) هدي الساري ص(٤٧٠).

قال البلقيني، وقدمه ، لأنه منبع الخيرات ، وبه قامت الشرائع ، وجاءت الرسالات ،ومنه عرف الإيمان والعلوم ، ثم أعقبه بـ«كتاب الإيمان» وهو أشرف العلوم ، ثم العلم وبعد العلم يكون العمل ، وأفضل الأعمال البدنية الصلاة ولا يتوصل بها إلا بالطهارة ، فذكرها بعد العلم ، ثم كتاب الصلاة، ثم الزكاة، واختلفت النسخ في ترتيب الصوم والحج أيهما قبل الآخر[1] . إلى آخر مارتبه من كتب وكلها تتعلق بمعاملة العبد مع الخالق ، وبعدها رتب الكتب التي تتعلق بمعاملة العبد مع الخلق فذكر كتاب البيوع، والسلم ، والشفعة، والحوالة ، والكفالة ، والحرب والمزارعة ونحوها .

فلما انتهى ما يتعلق بالمعاملات مع الخالق ومع الخلق أردفها بمعاملة جامعة بيّن معاملة الخالق وفيها نوع اكتساب فترجم كتاب الجهاد وفرض الخمس والجزية ، وأحوال أهل الذمة والموادعة ونحوها ، ثم ذكر بعد هذه المعاملات الثلاث«بدء الخلق»و«الأنبياء»وبعضا من فضائلهم ، ثم أعقبه «بالفضائل» و « المناقب» المتعلقة بهذه الأمة ، ثم شرع في سياق المغازي

---

(١) قال ابن حجر : ظهر لي أن يقال في تعقيبه الزكاة بالحج أن الأعمال لما كانت بدنية محضة ، ومالية محضة، وبدنيةمالية معا، رتبها كذلك فذكر الصلاة ثم الزكاة ثم الحج ... إلخ كلامه في هدي الساري ص(٤٧٠).

وهناك أمر آخر وهو أن رواية الإمام البخاري لحديث «ابن عمر» بني الإسلام على خمس تذكر الحج قبل الصيام ، ونص الرواية : «بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان» (١/٨ كتاب الإيمان ، باب بني الإسلام على خمس). قال ابن حجر : وعلى هذا بنى البخاري ترتيبه ، لكن ابن حجر يرى أن روايةالبخاري ـ تلك ـ مروية بالمعنى ، ويستدل على ذلك بعدة أمور:

منها: ماوقع في مسلم من رواية سعد بن عبيدة عن ابن عمربتقديم الصوم على الحج، وفيها قال رجل:والحج وصيام رمضان ، فقال ابن عمر : لا، صيام رمضان والحج ، هكذا سمعت من رسول الله ﷺ(صحيح مسلم ٤٥/١ كتاب الإيمان ، باب بيان أركان الإسلام).

قال ابن حجر : يحتمل أن حنظلة ـ وهو راوي حديث البخاري عن ابن عمر ـ لم يسمع رد ابن عمر على الرجل لتعدد المجلس أو حضر ذلك ثم نسيه ،**منها** : أنه وقع في مسلم برواية حنظلة ـ أيضا ـ عن ابن عمر بتقديم الصوم على الحج (٤٥/١ كتاب الإيمان ، الباب السابق). كما وقع عند «أبي عوانة» من وجه آخر عن حنظلة أنه جعل صوم رمضان قبل ، فتنويعه دال على أنه روي بالمعنى.

قال ابن حجر: ويؤيد ذلك ماوقع عند البخاري في التفسير(١٥٧/٥) بتقديم الصيام على الزكاة، أفيقال إن الصحابي سمعه على ثلاثة أوجه؟ هذا مستبعد والله أعلم (فتح الباري١/٥٠).

وبدأ بإسلام«ابن سلام»[1] تفاؤلا بالسلامة في المغازي ، وبعدها ذكر الوفود، ثم حجة الوداع ، ثم مرض النبي ـ ﷺ ـ ووفاته ...ونحوها ، ولما تمت أحوال الناس في الحياة الدنيا ذكر أحوالهم بعد الموت، فقال كتاب «الفرائض» وأردفه«بالحدود» و«الديات» وغيرها ، ولما كان أصل العصمة أولا وآخرا هو توحيد الله ختم صحيحه بكتاب «التوحيد»[2].

وفي تراجم البخاري لأبوابه يظهر براعة نادرة ، وتتجلى قدراته ويفيض فيها علمه، ولهذا قيل:«فقه البخاري في تراجمه»[3]،وقد نهج فيها نهجا لم يسبق إليه ، حيث كان من قبله يفرزون الأحكام عن أصولها ، أما هو فترجم بها للحديث،وقد يعلق عليها أحيانا بالرأي ، ويدعم الحكم بمعلقات الصحابة والتابعين وأقوالهم الفقهية ، وقد يكتفي بها تعبيرا عن رأيه.[4] وكان قصده بذلك ألا يخلي صحيحه من الفوائد الفقهية، والنكت الحكيمة ، فاستخرج بفهمه من المتون معاني كثيرة فرقها في أبواب الكتاب بحسب تناسبها ، واعتنى فيه بآيات الأحكام فانتزع منها الدلالات البديعة، وسلك في الإشارة إلى تفسيرها السبل الواسعة[5].

والتراجم في صحيح البخارى نوعان : ظاهرة ، وخفية ،ومعنى الظاهرة: أن تكون الترجمة دالة بالمطابقة لما يورد في مضمنها، وفائدتها الإعلام بما ورد في ذلك الباب من غير اعتبار لمقدار تلك الفائدة ، ومثال ذلك ـ في مناقب الأنصار ـ باب ذكر هند بنت عتبة ـ رضي الله عنها ـ ، ثم ذكر حديث «هند» عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: جاءت هند بنت عتبة ، فقالت:يارسول الله ماكان على ظهر الأرض من أهل خباء أحبّ إليّ أن يذلّوا من أهل خبائك ... إلخ الحديث[6].

---

(١) إسلام ابن سلام ليس في أول المغازي ـ في النسخة التى بين يدي ـ وإنما في أواخر أبواب«مناقب الأنصار» التي تسبق المغازي فلعل ابن حجر أراد بالبداية كونه«قبيلة».

(٢) ابن حجر : هدي الساري ـ الفصل الخاص بذلك ص ٤٧٠ ـ٤٧٣ بتصرف واختصار .

(٣) المصدر السابق ص ١٣ .

(٤) الحسيني عبد المجيد هاشم : الإمام البخاري محدثا وفقيها ـ منشورات المكتبة العصرية ـ ص(١٦٥).

(٥) ابن حجر : هدي الساري ص ٨ .

(٦) ٢٣٢/٤ .

أما الخفية فقد ذكر «ابن حجر» أن لها عند البخاري أكثر من عرض[1]، وسأكتفي بالإشارة إلى نماذج من هذه التراجم:

فقد يأتي بالترجمة تفسيرا للمعنى المراد من كلمة في الحديث بها يتضح المعنى ، ومثاله : باب الاغتباط في العلم والحكمة. وأورد الحديث المسند عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها»[2]. فهو بهذه الترجمة بين أن المراد بالحسد إنما هو الغبطة ـ وهي تمني مثل ما للمغبوط من غير زواله بخلاف أصل الحسد ، الذي هو تمني زوال نعمة غيره ، فالترجمة هنا بيان بتأويل ذلك الحديث ، معينة لمعناه[3].

وقد يجمع«البخاري» في الترجمة الواحدة أكثر من نكتة،مما يفتح آفاقا للعلماء للبحث عن المعنى المقصود،وفي هذه الترجمة ـ التي نحن بصددهاـ مايشهد لذلك ، فهو بعد قوله « باب الاغتباط في العلم والحكمة»أردفه بقول«عمر» ـ رضي الله عنه ـ :«تفقهوا قبل أن تسودوا». قال أبو عبد الله ـ يقصد نفسه ـ«وبعد أن تسودوا» ، وقد تعلم أصحاب النبي ـﷺـ في كبر سنهم ، قال ابن المنير:مطابقة قول عمر للترجمة أنه جعل السيادة من ثمرات العلم ، وأوصى الطالب باغتنام الزيادة قبل بلوغ درجة السيادة ، وقال ابن حجر : الذي يظهر لي أن مراد البخاري أن الرياسة وإن كانت مما يغبط بها صاحبها في العادة، لكن الحديث دلّ على أن الغبطة لا تكون إلا بأحد أمرين : العلم ، أو الجود ، ولا يكون الجود محمودا إلا إذا كان بعلم ، فكأنه يقول : تعلموا العلم قبل حصول الرياسة ، لتغبطوا إذا غبطتم بحق ، ويقول أيضا : إن تعجلتم الرياسة التي من عادتها أن تمنع صاحبها من طلب العلم فاتركوا تلك العادة ، وتعلموا العلم لتحصل لكم الغبطة الحقيقية[4].

---

(١) هدي الساري ص ١٣ ، ١٤

(٢) صحيح البخاري ٢٦/١ كتاب العلم.

(٣) الحسيني : الإمام البخاري محدثا وفقيها ص (١٧٩).

(٤) الفتح ١٦٦/١ .

وقد يترجم بحديث مرفوع لم يصح عنده أو ليس على شرطه ، ومثاله في كتاب «الغسل» باب«إذاالتقى الختانان»[1]ثم ساق حديث أبي هريرة «إذا جلس بين شعبها الأربع ثم جهدها فقد وجب الغسل»[2].

وأحيانا يكتفي بالترجمة بآية من كتاب الله مشعرا أنه لم يصح في الباب حديث على شرطه[3]،ومثاله في كتاب الوصايا : «باب قوله تعالى : ﴿وابتلوا اليتامى حتي إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم﴾... الآية[4].

وكثيرا مايترجم بأمر مختص ببعض الوقائع لا يظهر في بادئ الرأي كقوله «باب استياك الإمام بحضرة رعيته»فإنه لما كان الاستياك قد يظن أنه من أفعال المهنة فلعل بعض الناس يتوهم أن إخفاءه أولى مراعاة للمروءة ، فلما وقع في الحديث أن النبيﷺاستاك بحضرة الناس دلّ على أنه من باب التطيب لا من الباب الآخر ـ نبه على ذلك ابن دقيق العيد ـ فيما نقله ابن حجر ـ[5].

ويستوقفنا في منهج البخاري تقطيعه للحديث ،واختصاره ، وفائدة إعادته له في الأبواب وتكراره ، وفي هذا يقول الحافظ محمد بن طاهرالمقدسي[6]: « اعلم أن البخاري، رحمه الله،كان يذكر الحديث في كتابه في مواضع ، ويستدل به في كل باب بإسناد آخر ، ويستخرج منه بحسن استنباطه وغزارة فقهه معنى يقتضيه الباب الذي أخرجه فيه، وقلما يورد حديثا في موضعين

---

(١) هذا طرف من حديث عائشة«إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل».
أخرجه الشافعي في الأم ، والنسائي ، وصححه ابن حبان ، وابن القطان أما البخاري فقد أعله بأن الأوزاعي أخطأ فيه (انظر : نيل الأوطار للشوكاني ـ نشر مكتبة الكليات الأزهريةـ١/٣٣٣).

(٢) البخاري ٧٦/١ .

(٣) ابن حجر : هدي الساري ص (١٤).

(٤) البخاري ١٩٤/٣ .

(٥) هدي الساري ص(١٤).

(٦) هو «ابن القيسراني»الحافظ ، الرحالة ، المؤرخ ، مولده ببيت المقدس، ووفاته ببغداد سنة٥٠٧هـ، له كتب كثيرة منها «تاريخ أهل الشام ومعرفة الأئمة منهم والأعلام»،ومعجم البلدان، وتذكرة الموضوعات، والجمع بين كتابي الكلاباذي والأصبهاني في رجال الصحيحين ، وصفوة التصوف وغيرها ، قال الذهبي :ليس بالقوي فإن له أوهاما كثيرة في تواليفه . وله انحراف عن السنة إلى تصوف غير مرضي ، وهو في نفسه صدوق لم يتهم ، وقال ابن ناصر : كان لحنة ، وكان يصحف (ميزان الاعتدال ٥٨٧/٣، والأعلام٤١/٧).

بإسناد واحد ولفظ واحد، وإنما يورده من طريق آخر لمعان نذكرها والله أعلم بمراده، ثم ذكر جملة من هذه المعانى[1]» ـ وسأذكر نموذجا لهذا حين الحديث عن منهجه في السير ـ .

ويقول ابن حجر: لم يتعمد البخاري أن يخرج في كتابه حديثا معادا بجميع إسناده ومتنه، وإن كان قد وقع له من ذلك شيء فعن غير قصد،وهو قليل جدا[2] ،إلى أن يقول:حتى لولم تظهر لإعادته فائدة من جهة الإسناد ولامن جهة المتن لكان ذلك لأجل مغايرة الحكم الذي تشتمل عليه الترجمة الثانية موجبا لئلا يعد مكررا بلا فائدة[3] .

كما يستوقفنا ـ في منهجه ـ إيراده للأحاديث المعلقة[4]مرفوعة وموقوفة،كذا المتابعات والشواهد جاء في التقريب وشرحه في معرفة الاعتبار والمتابعات والشواهد هذه أمور يتداولها أهل الحديث يتعرفون بها حال الحديث، ينظرون هل تفرّد رواية أولا ؟وهل هو معروف أولا ؟فالاعتبار أن يأتي إلى حديث لبعض الرواة فيعتبره بروايات غيره من الرواة بسبر طرق الحديث ليعرف هل شاركه في ذلك الحديث راوٍ غيره فرواه عن شيخه أو لا ؟فإن لم يكن فينظر هل تابع أحد شيخ شيخه فرواه عمن روى عنه؟ وهكذا إلى آخر الإسناد وذلك المتابعة فإن لم يكن فينظر هل أتى بمعناه حديث آخر وهو الشاهد انظر [تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ١٥٣ ، ١٥٤ وقواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ـ القاسمي ص ١٢٩]فأما المعلقات المرفوعة فهي ـ في الصحيح ـ على قسمين أحدهما : مايوجد في موضع آخر من صحيحه موصولا ـ وهذه تدخل ضمن إعادة البخاري وتكراره الحديث لفائدة ـ وقد سبق بيانها ـ. وثانيهما : مالا يوجد فيه إلا

(١) ابن حجر : هدي الساري ص(١٥) ، وقد عقد ابن حجر فصلا خاصا بهذا الشأن .

(٢) المصدر السابق ص(١٦).

(٣) المصدر نفسه ص(١٦).

(٤)الحديث المعلق : هو ماحذف أول سنده ، سواء أكان المحذوف واحدا أم أكثر على التوالي ، ولو إلى آخر السند (ابن حجر : شرح نخبة الفكر ـ نشر مؤسسة ومكتبة الخافقين/ دمشق)ص ٤٠ .

والمرفوع : ما أضيف إلى النبي ﷺ خاصة، ومنه متصل الإسناد ،ومنقطعه والموقوف : مايروى عن الصحابة رضى الله عنهم من أقوالهم أو أفعالهم وهو كالمرفوع منه متصل الإسناد ومنه منقطع الإسناد (مقدمة ابن الصلاح ص٢٣).

معلقا، وهذه على صورتين فإما أن يورده بصيغة الجزم (نحو قال،وذكر، وروى) وإما أن يورده بصيغة التمريض (نحو يروى، ويذكر) فالأولى يستفاد منها الصحة إلى من علق عنه، لكن يبقى النظر فيمن أبرز من رجاله : فمنهم من يلتحق بشرطه ، ومنهم من لا يلتحق ، ولكل حالة غرض وحكمة[1] ،وأما صيغة التمريض فلا يستفاد منها الصحة إلى من علق عنه ، لكن فيه ماهو صحيح، وفيه ماليس بصحيح،ولكل أيضا سبب وحكمة[2]ـ فمثال ماجزم به البخاري من المتعلقات قوله في هجرة الحبشة: وقالت عائشة: قال النبيﷺ:«أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين»[3]، ومثال ماأورد بصيغة التمريض ونصّ على ضعفه قوله في الصلاة:ويذكر عن أبي هريرة رفعه لا يتطوع الإمام في مكانه ولم يصح.[4]ومنها مالم ينص على ضعفه مثل«ويذكر عن عامر بن ربيعة قال:«رأيت النبي ـﷺـ يستاك وهو صائم ما لا أحصي أو أعد»[5].

أما الموقوفات فإنه يجزم منها بماصح عنده ولولم يكن على شرطه،ولايجزم بما كان في إسناده ضعف أو انقطاع إلا حيث يكون منجبرا إما بمجيئه من وجه آخر ، وإما بشهرته عمن قاله، وإنما يورد مايورد من الموقوفات من فتاوى الصحابة والتابعين ، ومن تفاسيرهم لكثير من الآيات على طريق الاستئناس والتقوية لما يختاره من المذاهب في المسائل التي فيها الخلاف بين الأئمة[6]ومثاله في الوضوء ، باب من لم ير الوضوء إلا من المخرجين القبل والدبر، وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما:إذاضحك في الصلاة أعاد الصلاة لا الوضوء ، وقال ابن عمر والحسن فيمن يحتجم: ليس عليه إلا غسل محاجمه[7].

---

(١)انظر : تفصيل ذلك عند ابن حجر في هدي الساري ص(٢٣).
(٢) انظر : تفصيل ذلك في المصدر السابق ص(١٨).
(٣) في كتاب مناقب الأنصار ٢٤٤/٤.
(٤) ٢٠٦/١ :كتاب الأذان ، باب مكث الإمام في مصلاه بعد السلام.
(٥)صحيح البخاري ٢٣٤/٢ : كتاب الصوم ، باب السواك الرطب واليابس للصائم .
(٦) ابن حجر : هدي الساري ص(١٩).
(٧) صحيح البخاري ٥١/١، ٥٢ .

والمتابعات في صحيح البخاري كثيرة، ومنها ماوصله البخاري في موضع آخر، ومنها ماوصله غيره، وفي حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ قال:«سئل النبيﷺعن الكبائر قال:الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، وشهادة الزور»تابعه غندر، وأبو عامر، وبهز، وعبد الصمد عن شعبة[1]،فأما متابعة أبي عامر فوصلها أبو سعيد النقاش في كتاب الشهود،وابن منده في كتاب الإيمان[2]، وأما متابعة عبد الصمد وهو ابن عبد الوارث فوصلها المؤلف في الديات[3].

ويستوقفنا في الحديث عن منهج البخاري في الصحيح المصادر التي استقى وألف منها صحيحه، وهل كانت مصادر شفوية تلقفها من أفواه الرواة؟أو أنه اعتمد على مصادر مدونة فأفاد منها؟

والرأي الأول هو الاعتقاد السائد، ولعل مما يسانده رحلات البخاري في الآفاق ـ كما مر ـ ولقياه بجمع من العلماء، وصفهم هو بقوله:«كتبت عن ألف ثقة من العلماء وزيادة، وليس عندي حديث لا أذكر إسناده»[4].

وكذا ما اشتهر به من نبوغ في العلم، وقوة في الحافظة، حتى أثر عنه قوله:«رب حديث سمعته بالبصرة كتبته بالشام، ورب حديث سمعته بالشام كتبته بمصر»[5]. هذا فضلا عمّا هو معروف عن طبقة مشايخه الذين روى عنهم الصحيح[6]، وجوّد البخاري صحيحه بالإسناد القوي حيث جعل من شرطه معاصرة الراوي لمن روى عنه، وثبوت سماعه منه، في حين اكتفي «مسلم» بالمعاصرة[7].

يضاف إلى ذلك كله أنه مكث في تأليفه ست عشرة سنة، وخرّجه من ستمائة ألف حديث[8].

---

(١) المصدر السابق ١٥١/٣، ١٥٢.

(٢) ابن حجر: فتح الباري ٢٦٢/٥.

(٣)انظر :صحيح البخاري٣٦/٨: كتاب الديات، باب قول الله تعالى﴿ومن أحياها﴾.

(٤)النووي: ماتمس إليه حاجة القارئ(نشر دار الفكر، تحقيق:علي حسن علي عبد الحميد)ص ٣٦.

(٥) الخطيب: تاريخ بغداد ١١/٢.

(٦) النووي: انظر ماتمس إليه حاجة القارئ ص(٥٣).

(٧) ابن كثير: اختصار علوم الحديث ص(٢٥).

(٨) النووي: ماتمس إليه حاجة القارئ ص(٤١).

أما الرأي الآخر فيتجه إلى كون البخاري استهدف تأليف جامع صحيح مختصر مستخرج من مصنفات الجيلين السابقين من المحدثين ، تلك التي تعذر على المهتمين الإحاطة بها والاستفادة منها ، ويضيف(سزكين)ـ وهو صاحب هذا الرأي « ويبدو أن البخاري لم يفد من كتب الحديث فحسب، بل إنه استخدم كثيرا من الكتب اللغوية والتاريخية والفقهية»[١] .

ثم يشير إلى موطأ مالك ـ في الحديث ـ وكتابي أبي عبيدة والفراء ـ في اللغة ـ كمصادر للبخاري في الصحيح ، وبعضها قبس منه قسما كبيرا[٢] .

وهذا الرأي ـ يبدو غير ذي قيمة علمية ـ للأسباب الآتية :

١ـ منها : أن البخاري سمى كتابه «الصحيح المسند .. إلخ» ، وساق معظم رواياته بلفظ «حدثنا» ، فما فائدة الإسناد ، وقوله: حدثنا إذا كان ينقل عن مصادر مكتوبة؟!

٢ـ بل إن لفظة«حدثنا» لها دلالتها المميزة عند أهل الحديث ، فهي عندهم أرفع الأقسام لطرق نقل الحديث وتحمله ، ويقصد بها السماع من لفظ الشيخ، ثم يتلو«حدثنا»«أخبرنا»ثم «أنبأنا»وهكذا[٣] . وقد يطلق بعضهم «حدثنا» على «العرض»وهو أن يقرأ التلميذ على الشيخ وهو يسمع ويقر ، كما هو ظاهر من مذهب البخاري وغيره[٤] .

٣ـ ولا يليق بالبخاري في ورعه وأمانته أن يقول«حدثنا» ، أو «أخبرنا» ، ونحوها ، ثم هو ينقل عن مصادر مكتوبة ، دون أن يشير إلى ذلك، وهو الذي اشتهر عنه شرط اللقى مع المعاصرة في الإسناد ـ كما قدمنا ـ!!

٤ـ وحتى وإن اتفق مع المصادر الحديثية قبله في الحديث الواحد أو في المجموعة من الأحاديث سندا ومتنا فلا يعني ذلك أنه نقل عنها، بقدرمايعني اتفاق هؤلاء المحدثين في الرواية أو النقل عن مصدر واحد ، وهذا كثير في كتب الحديث وغيرها.

---

(١) فؤاد سزكين : تاريخ التراث العربي(المجلد الأول، الجزء الأول في علوم القرآن والحديث) ص٢٢١ .

(٢) المرجع السابق ص٢٢١ـ٢٢٥ في الحاشية .

(٣) انظر : مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ص(٦٢) .

(٤) انظر : صحيح البخاري ٢٢/١ : كتاب العلم ، باب القراءة والعرض على المحدث .

٥ـ فإن قيل باحتمال أن يكون البخاري نقل عن هذه المصادر بطريق «الوجادة»[١]أو«الإجازة»[٢]أجيب عن ذلك بقول القاضي عياض: «لاأعلم من يقتدي به أجاز النقل فيه بـ«حدثنا، وأخبرنا،ولامن يعدّه معد المسند،والذي استمر عليه عمل الأشياخ قديما وحديثا في هذا قولهم: وجدت بخط فلان،وقرأت في كتاب فلان بخطه،إلامن يدلس...»[٣]وحيث لايوجد عند البخاري شيء من هذا ، وأحاديثه المسنده بلفظ حدثنا ، وأخبرنا يتبين سقوط هذا الاحتمال.

٦ـ وأخيرا فلعل هذا الرأي ينفرد به«سزكين»فلم أعثر على سابقة له عند الأقدمين ، ولم أقف على متابع لسزكين من المتأخرين، هذا فضلا على أن ماعتمده لتعزيز رأيه لا تقوم به الحجة، في نظري[٤].

وعلى كل حال فالذي يهمنا ـ في مصادر البخاري خاصة ـ مصادره في أحداث السيرة ، والمتأمل في أحداث السيرة عند البخاري يرى أنه اعتمد على جمع من الرواة ، أكثر عن بعضهم واعتمده، وروى عن بعضهم الآخر مستشهدا به، وبصيغة التعليق أو المتابعة، وممن أكثر الرواية عنهم عروة بن الزبير[٥]، وابن شهاب الزهرى[٦]، ونستطيع أن نجزم بأن هذين الراويين من أكثر من نقل عنهم البخاري في السيرة .

---

(١) الوجادة : هي أن يقف على أحاديث بخط راويها لا يرويها الواجد، فله أن يقول:وجدت أو قرأت بخط فلان أو في كتابه بخطه حدثنا فلان ويسوق الإسناد والمتن .. وهو من باب المنقطع وفيه شوب اتصال...[انظر التقريب وشرحه، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للسيوطي ص ٢٨٢]

(٢) الإجازة إذن في الرواية لفظاً أو كتبًا يفيد الإخبار الإجمالي عزمًا[انظر السخاوي:فتح المغيث شرح ألفية الحديث للعراقي ٥٧/٢].

(٣) انظر : كتابه،الإلماع إلى معرفةأصول الرواية وتقييد السماع (تحقيق أحمد صقر، نشر دار التراث بالقاهرة ، المكتبة العتيقة بتونس) ص ١١٦، ١١٧.

(٤)انظر : مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ص (٦٢).

(٥)انظر على سبيل المثال(صحيح البخاري مع الفتح)٢٢٤/٧ ، ٢٣٠ ، ٢٣٩، ٢٥٧، ٢٦٤، ٢٩٩ ، ٣١٤ ، ٣١٩ ، ٣٣٥ ، ٣٨٨ ، ٣٩٩.

(٦)انظر على سبيل المثال:(صحيح البخاري) مع الفتح ٢١٩/٧ ، ٢٣٠ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٥٧ ، ٢٦٣ ، ٢٦٩ ، ٢٧٤ ، ٣٠٨ ، ٣١٩ ، ٣٣٤ .

كما نقل البخاري مرويات أبي إسحق السبيعي[١] سواء في روايته عن البراء ابن عازب وهي كثيرة[٢]، أو في روايتـــه عن زيد بن أرقم[٣]، وسليمان بن صرد[٤]، وعمرو بن ميمون[٥] وهي قليلة .

وممن روى عنهم البخاري في السير عاصم بن عمر بن قتادة[٦]، وموسى ابن عقبة، وقد روى عنه مسندا[٧]، ومعلقا[٨]، وخليفة بن خياط[٩]، وسليمان التيمي[١٠].

أما ابن إسحق فيعد من مصادر البخاري في السيرة، قال ابن حجر: وقد استشهد به البخاري وأكثر عنه فيما يحكي في أيام النبيﷺ، وفي أحواله، وفي التواريخ[١١]. لكن يظهر أن البخاري اقتصر على الاستشهاد به في المتابعات[١٢]، والمعلقات[١٣].

---

(١) هو : عمرو بن عبد الله الهمداني ، من أئمة التابعين بالكوفة ، إلا أنه شاخ ونسي ولم يختلط، وثقة أحمدو ابن معين، وقال أبو حاتم :ثقة يشبه الزهري في الكثرة، وعن أبي داود الطيالسي قال رجل لشعبة :سمع أبو إسحق من مجاهد؟قال ماكان يصنع هو بمجاهد ،كان هو أحسن حديثا من مجاهدومن الحسن وابن سيرين، وقال جرير عن مغيرة: ماأفسد حديث أهل الكوفة غير أبي إسحق والأعمش، وقال الذهبي: لا يسمع قول الأقران بعضهم في بعض ،وحديث أبي إسحق محتج به في دواوين الإسلام ، ويقع لنا من عواليه ، توفي سنة ١٢٧هـ وله ٩٥ سنة .
(الجرح والتعديل ٢٤٢/٦ ، سير أعلام النبلاء ٣٩٩/٥، الميزان ٢٧٠/٣، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ٣٣٤/٢، تهذيب التهذيب ٦٣/٨).

(٢) انظر على سبيل المثال (صحيح البخاري مع الفتح) ٢٤٠/٧ ، ٢٥٥ ، ٢٥٩ ، ٢٩٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٩ ، ٣٦٤ ، ٣٩٨ ، ٤٤١ ، ٤٩٩ .

(٣) انظر : صحيح البخاري مع الفتح ٢٧٩/٧ .

(٤) المصدر السابق ٤٠٥/٧ .

(٥) المصدر نفسه ٢٨٢/٧ .

(٦) المصدر نفسه ٣٧٨/٧ .

(٧) انظر : صحيح البخاري مع الفتح ٣٢١/٧، ٣٢٩ .

(٨) المصدر السابق ٣٩٢/٧، ٤٢٨ .

(٩) المصدرنفسه ٤١٠/٧ .

(١٠) المصدر نفسه ٢٩٣/٧ ، ٣٢١ .

(١١) تهذيب التهذيب ٤٦/٩ .

(١٢) انظر على سبيل المثال : صحيح البخاري ٢٤٠/٤ .

(١٣) انظر (البخاري مع الفتح) ٢٧٩/٧ ، ٣٢٩ ، ٣٧٨ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤٢٨ .

ومجمل القول أن أحداث السيرة في صحيح البخاري ليست قليلة ـ سواء كانت عن طريق هؤلاء الرواة أو سواهم ـ ولعل البخاري قصد إلى ذلك حين أدخل في تسمية كتابه الإشارة إلى أيام النبي ﷺ كما مر في تسميته ـ، لكن هذه الكثرة لاينتظمها كتاب جامع، عدا كتاب المغازي الذي جمع فيه مغازي النبي ﷺ، وبعوثه ، وسراياه ، وإن كان حديثه عن المغازي ليس قصرا على هذا الكتاب ، فربما وجدت حديثا عن إحدى الغزوات في كتاب النكاح مثلا أو في كتاب الصلاة ، أو في التفسير ، أو غيرها.

وهناك كتاب آخر أودع فيه البخاري معظم أحداث الفترة المكية وهو كتاب «مناقب الأنصار» . أما الكتاب الذى قد يشعر اسمه بتركيز أحداث السيرة ـ أكثر من غيره ـ وهو كتاب «الجهادوالسير» فهو أقل ذكرا لوقائع السيرة من سابقيه .

وعلى العموم فلا يكاد كتاب في صحيح البخاري يخلو من ذكر حادثة من أحداث السيرة، لكن هذه الكتب تختلف في حجم مايذكر منها ، فمنها ما هو أكثر ـ نسبيا ـ ككتاب بدء الوحي، وفضائل أصحاب النبي ﷺ والمناقب ، والتفسير ، ومنها ماهو أقل من ذلك كبقية الكتب .

ويلحظ في منهج البخاري أنه ربما بوّب لحادثة من حوادث السيرة دون أن يذكر مايدل على الحادثة[1] ، ليشعر أن أصل الحادثة ثابت عنده، لكن ليس فيها حديث على شرطه، وأحيانا يذكر طرفا من حديث مشعرا أن هذا هو الذي ثبت عنده في الحادثة[2] .

على أن أمر بحث حادثة من أحداث السيرة في صحيح البخاري،ومحاولة جمع أطرافها ، واستيفاء الحديث عنها ليس سهلا، ومرد ذلك أصلا إلى منهج البخاري، وطريقة ترتيبه،وتبويبه ـ كما سبق ـ وهذه مسألة عرفها الأقدمون للبخاري،وميزوا «مسلما» عليه بها[3] .

---

(١) انظر : حديثه عن تزويج عائشة في «مناقب الأنصار» ، فلم يذكر في الباب قصة زواجها ولا مايشير صراحة إلى ذلك حتى قال ابن حجر : إن أحاديث الباب لا تصريح فيها بما في الترجمة لكن يؤخذ ذلك بطريق اللزوم .(الفتح ١٣٥/٧).

(٢) انظر : باب تقاسم المشركين على النبي ﷺ في «المناقب» حيث اكتفي بإيراد مايدل على أصل الحادثة(وهو ماثبت عنده) دون تفصيلاتها(البخاري مع الفتح١٩٢/٧) .وكذا في باب إسلام سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ ، فلم يذكر فيه قصة إسلامه ـ كما في السير ـ واكتفى بالإشارة إلى ماثبت عنده. (انظر :الفتح ٢٧٧/٧).

(٣) انظر: شرح النووي على مسلم ١٤/١، ١٥ .

كما لحظ «ابن حجر» على البخاري في «فضائل الصحابة» أنه لم يهذب ترتيب من ذكره من أصحاب المناقب[1]، وقال عنه في موضع آخر: إن من عادة البخاري إيثار الخفي على الواضح، ثم علل ذلك له بشحذ الأذهان، والبعث على مزيد الاستحضار[2].

ونظرا للالتزام بهذا المنهج فهو يختلف كثيرا عن أصحاب السير في عرض الحادثة بشكل متكامل في موطن واحد، حيث يلزم في منهج البخاري البحث عن الحادثة في كل موطن ذكرها حتى يمكن رسم هيكلها العام[3]، وربما ذكر في الحديث الواحد أكثر من حادثة، فينتج عنه تشابك الأحداث ويحتاج إلى دقة في تمييز بعضها عن بعض[4].

لكننا مع هذا يهمنا أن نذكر للبخاري دقته في وضع أبوابه[5]، وإذا كنا قد أشرنا إلى ذلك بشكل عام في الصحيح فلنذكر نموذجا لهذه الدقة في السيرة النبوية:

---

(١) الفتح ٩١/٧ .

(٢) المصدر السابق ٥٧٢/٨ .

(٣) انظر على سبيل المثال: حديثه عن بيعة العقبة الأولى، فقد فرّق الحديث عنها في نحو سبعة كتب (الإيمان، مناقب الأنصار، التفسير، الحدود، الديات، الأحكام، التوحيد).

(٤) انظر على سبيل المثال حديثه عن هجرة الحبشة ضمن حديثه عن الهجرة إلى المدينة في حديث عائشة الطويل(في مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه (إلى المدينة).

وانظر كذلك : دمجه في الحديث بين غزوة«الرجيع»و«وبئر معونة»، حتى قال الحافظ ابن حجر : يوهم سياق البخاري في هذه الترجمة بأنهما شيء واحد وليس كذلك(الفتح٣٨٠/٧).

(٥) في مسألة تراجم البخاري ـ في أبوابه ـ خلاف ، هل أخذها عن مشايخه ، وعن أبواب الكتب الجامعة السابقة ، أو كانت من تصرفه هو؟ فقال بالأول «الكرماني» ،كما في الفتح(١١٦/٩)الإشارة إلى ذلك، وبه قال فؤاد سزكين، حيث قال: فلا بد في رأينا من قبول ذلك إذا أردنا أن نفسر صعوبات أخرى مهمة في الكتاب على الرغم من كونها ثانوية»(تاريخ التراث العربي، المجلد الأول ، الجرء الأول ص ٢٢٤/ الحاشية.وقال بالرأي الثاني ابن حجر، ونص كلامه «فلم أجد من قال: إن البخاري يتقيد في تراجم كتابه بما ترجم به مشايخه ، بل الذي صرح به الجمهور أن غالب تراجمه من تصرفه»(الفتح ١١٦/٩).

وقد تتبع العلماء مافي هذه التراجم من الفقه والدقة ، فذكروا أكثر من مغزى ومعنى وقد سبق بيان ذلك ، ويهمنا أن نذكر هنا ـ من بينها ـ ماذكره (الشيخ أبو الطيب السيد صادق حسن خان القنوجي) فيما يخص السيرة حيث قال: ومنها أنه يذهب في كثير من التراجم إلى طريقة أهل السير في استنباطهم خصوصيات الوقائع والأحوال من إشارات طرق الحديث ، وربما يتعجب العقبة من ذلك لعدم ممارسة هذا الفن ، لكن أهل السير لهم اعتناء شديد بمعرفة تلك الخصوصيات (الخطة في ذكر الصحاح الستة ، نشر مكتبة إسلامي أكادمي بالهند ص١٩٨).

فبعد «هجرة الحبشة» مباشرة وضع البخاري باباً في «موت النجاشي» وهو إنما مات بعد الهجرة، وأوردفي هذا الباب مايدل على إسلامه، وقد استشكل كونه لم يترجم بإسلامه وهذا موضعه، وترجم بموته ، والجواب ـ كما ذكره ابن حجر ـ أنه لما لم تثبت عنده القصة الواردة في صفة إسلامه ، وثبت عنده الحديث الدال على إسلامه وهو صريح في موته ترجم به ليستفاد من الصلاة عليه أنه كان قد أسلم[1].

وربما كانت هذه الدقة المتناهية سببًا لإنكار أقوام رواية البخاري أحاديث هي موجودة في صحيحه ، لكنها في غير مظانها السابقة إلى الفهم.[2]

ونشير في منهج البخاري لأحداث السيرة إلى إفادته من نقد المتون في تأريخ الحوادث ، فقد يقدم زمن حادثة أو يؤخرها ـ خلاف المشهور من توقيتها ـ بناء على مايراه في متنها من مرجحات للتقديم أو للتأخير .قال ابن حجر :«ثم ساق المغازي على ترتيب ماصح عنده»[3].وهذه نماذج تؤكد هذا المنهج:

ففي غزوة (الخندق) مال البخاري إلى قول«موسى بن عقبة» في كونها سنة أربع ، وقوّاه بأول حديث ذكره في الغزوة ، وهو حديث «ابن عمر» حين عرض على النبيﷺفي غزوة «أحد» ، وهو ابن أربع عشرة سنة فلم يجزه، وعرض يوم«الخندق» وهو ابن خمس عشرة سنة فأجازه.[4] قال ابن حجر: فعلى هذا يكون بينهما سنة واحدة، و«أحد» في الثالثة فتكون الخندق سنة أربع[5].وهذا خلاف المشهور عند أهل السير من كونها وقعت في السنة الخامسة .

---

(١) الفتح ١٩١/٧.
(٢) انظر : شرح النووي على مسلم ١٥/١.
(٣) هدي الساري ص(٤٧٢).
(٤) صحيح البخاري ٤٤/٥، ٤٥ : كتاب المغازي ، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب .
(٥) فتح الباري ٣٩٣/٧ .

وفي غزوة «ذات الرقاع» أشار البخاري إلى تأخر زمنها إلى مابعد خيبر مستدلا على ذلك بشهود أبي موسى الأشعري لها، وأبو موسى إنما جاء من الحبشة بعد خيبر[1]، بينما المشهور في تأريخها عند أرباب السير - كابن إسحق - أنها كانت بعد «خيبر»[2].

وفي غزوة «بني المصطلق» (المريسيع) نقل البخاري قول «ابن إسحق» في كونها سنة ست (على المشهور)، ونقل إلى جانبه قول «موسى بن عقبة» بأنها كانت سنة أربع[3]، ونقل قول الزهري بأن حديث الإفك كان في الغزوة نفسها، ثم نقل - في عرض الحادثة - موقف سعد بن معاذ في حديث الإفك[4]، وهذا يشعر بتقدمها على الخندق[5].

---

(١) صحيح البخاري ٥١/٥: كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقاع، وانظر: المجتمع المدني في عهد النبوة للدكتور أكرم العمري.

(٢) ومع هذا فالبخاري قدمها في: التبويب على خيبر وتوقف عند صنيعه هذا الحافظ ابن حجر فقال: ولا أدري هل تعمد ذلك تسليما لأصحاب المغازي أنها كانت قبل خيبر، أو أن ذلك من الرواة عنه، أو لاحتمال تعددها (الفتح ٤١٧/٧).

(٣) قال ابن حجر: وكأنه سبق قلم، أراد أن يكتب سنة خمس فكتب سنة أربع، والذي في مغازي «ابن عقبة» من عدة طرق أنها سنة خمس (الفتح ٤٣٠/٧).

(٤) صحيح البخاري ٥٤/٥: كتاب المغازي، باب غزوة بني المصطلق.

(٥) لأن سعد بن معاذ رمي بسهم في الخندق، ومات من جراحته في بني قريظة - وقد سبق الحديث عن زمن الخندق - (وانظر: الفتح ٤٣٠/٧).

٣- الإمام مسلم ومنهجه في تدوين أحداث السيرة

نسبه وحياته العلمية:

هو أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشاذ القشيري النسب ، النيسابوري الدار والموطن[١].

قال ابن الصلاح :عربي صليبة[٢]، وقال الذهبي : فلعله من موالي قشير[٣].وفي مولده خلاف بين العلماء حتى قال ابن خلكان:«ولم أر أحداً من الحفاظ يضبط مولده ولا تقدير عمره، وأجمعوا أنه ولد بعد المائتين»[٤].

وقال ابن الصلاح: إن تاريخ مولده . ومقدار عمره كثيراً ما تطلب الطلاب علمه ، فلا يجدونه، وقد وجدناه ولله الحمد، فذكر الحاكم أبو عبد الله بن البيع الحافظ في كتاب«المزكين لرواة الأخبار» أنه سمع أبا عبد الله ابن الأخرم الحافظ يقول: توفي مسلم عشية يوم الأحد ، ودفن يوم الإثنين لخمس بقين من رجب سنة إحدى وستين ومائتين، وهو ابن خمس وخمسين سنة وهذا يتضمن أن مولده كان في سنة ست ومائتين، والله أعلم[٥].

وهذا الرأي نقله ابن خلكان فقال:وعمره خمس وخمسون سنة، هكذا وجدته في بعض الكتب[٦]، وإليه ذهب النووي[٧]، وابن الأثير الجزري[٨]، ونقله رضا كحالة[٩].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥٥٧/١٢، ٥٥٨، ومقدمة النووي لشرح مسلم ١٠/١.
(٢) صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط ، لأبي عمرو بن الصلاح(تحقيق موفق بن عبد الله بن عبد القادر، نشر دار الغرب الإسلامي ص(٥٦)، ومعنى صليبة: خالص النسب .
(٣) سير أعلام النبلاء ٥٥٨/١٢.
(٤) وفيات الأعيان ١٩٥/٥ .
(٥)صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط ص(٦٤).
(٦) وفيات الأعيان ١٩٥/٥ .
(٧) في شرحه لمسلم ١١/١.
(٨) في مقدمته لجامع الأصول ١٨٧/١ .
(٩) معجم المؤلفين ٢٣٢/١٢ لكنه ذكر في الحاشية الرواية الأخرى ص٢٠٤.

ونقل ابن كثير[1]، والذهبي[2]، وابن حجر[3]، أن ولادة مسلم كانت سنة أربع ومائتين ، ونقلها الزركلي، ولم يذكر سواها[4].

أما ابن العماد الحنبلي فقد ذكرمايقضي أنه ولد سنة مائتين وواحد، حيث ذكر أن عمره حين وفاته ستون سنة[5].

نشأ الإمام«مسلم» وله ولوع بالعلم منذ الصغر ، فكان أول سماعه سنة ثماني عشرة ومائتين من يحيى بن يحيى التميمي ، وحج في سنة عشرين وهو أمرد ، فسمع من «القعنبي»بمكة ، فهو أكبر شيوخه[6].

ورحل«مسلم» كغيره من العلماء في سبيل تحصيل العلم وجمعه إلى العراق ، والحجاز ، والشام ومصر، وسمع بخراسان، والري ، فتوفر له عدد من المشايخ الذين سمع وروى عنهم، أمثال:يحيى بن يحيى النيسابوري(بخراسان) ،ومحمد بن مهران (بالري) ، وأحمد بن حنبل (بالعراق) ، وسعيد بن منصور (بالحجاز) ، وعمرو بن سواد(بمصر) ، وغير هؤلاء خلق كثير[7].

وقد أحصى الذهبي لمسلم مائتين وعشرين شيخًا،وكلهم أخرج عنهم في الصحيح[8] ،وهناك شيوخ غير هؤلاء ـ لكنه لم يخرج عنهم في صحيحه ـ كعلي بن الجعد، وعلي بن المديني، ومحمد بن يحيى الذهلي[9].

---

(١) البداية والنهاية ٤٠/١١ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٥٥٨/١٢ ، تذكرة الحفاظ ٥٨٨/٢.

(٣) تهذيب التهذيب ١٢٧/١٠ .

(٤) الأعلام ١١٧/٨ .

(٥) شذرات الذهب ١٤٥/٢ ـ وذكر سزكين أن ولادته سنة(٢٠٢هـ)وقيل سنة ٢٠٦هـ (تاريخ التراث ص ٢٦٣).

(٦) سير أعلام النبلاء ٥٥٨/١٢.

(٧) تاريخ بغداد ١٣/ ١٠٠ ، وشرح النووي على مسلم ١٠/١ .

(٨) سير أعلام النبلاء ٥٥٨/١٢ ـ٥٦١ .

(٩) المصدر السابق ٥٦١/١٢= وإذا كان مسلم لم يخرج للذهلي في صحيحه فقد أخرج له البخاري وروى عنه في صحيحه في نحو ثلاثين موضعا من صحيحه في الصوم ، والطب، والجنائز، والعتق، وغير ذلك ، ولم يصرّح باسمه ـ كما يقول ابن خلكان ـ بل كان يقول : حدثنا محمد ولايزيد، وأحيانا يقول: محمد بن عبد الله،فينسبه إلى جده وإلى جد أبيه. (وفيات الأعيان ١٩٥/٥).

أما الذين رووا عنه فجماعات من كبار أئمة عصره وحفاظه، وفيهم من في درجته كأبي حاتم الرازي ، وموسى بن هارون ، وأحمد بن سلمة ، وأبي عيسى الترمذي ، وأبي بكر بن خزيمة ، ويحيي بن صاعد ، وأبي عوانة الإسفرائني ، وآخرين[١].

كان لمسلم مكانته بين مشايخ عصره ، فقد كان أبوزرعة وأبو حاتم يقدمانه في معرفة الصحيح على مشايخ عصرهما[٢].

وعن صلة مسلم بالبخاري قال الخطيب:«إنما قفى مسلم طريق البخاري ونظر في علمه ، وحذا حذوه ، ولما ورد البخاري بنيسابور في آخر أمره لازمه وأدام الاختلاف إليه»[٣]ثم نقل قول الدارقطني :«لولا البخاري لما ذهب مسلم ولا جاء»[٤].

وكان مسلم يناضل عن البخاري حتى أوحش مابينه وبين محمد بن يحيى الذهلي بسببه[٥]،لكن ـ ومع هذا ـ فقد أخذ العلماء على مسلم ـ رحمه الله ـ انحرافه عن البخاري حيث لم يسمه في صحيحه ، ولم يذكر له حديثًا،بل زادعلى ذلك،فافتتح كتابه بالحط على من اشترط اللقى لمن روى عنه بصيغة«عن» وادّعى الإجماع في أن المعاصرة كافية ، ولا يتوقف في ذلك على العلم.بالتقائهما، ووبخ من اشترط ذلك[٦]،قال الذهبي معلقاً:وإنما يقول ذلك أبو عبد الله البخاري وشيخه علي بن المديني،وهو الأصوب الأقوى، وعلل الذهبي ذلك بحدة مسلم في خلقه[٧]وقبل الذهبي انتقد «ابن الصلاح» «مسلما» فيما ذهب إليه وادعاه قائلا«والذي صار إليه مسلم

(١) شرح النووي على مسلم ١٠/١ .
(٢) تاريخ بغداد ١٠١/١٣ .
(٣) المصدر السابق ١٠٢/١٣ .
(٤) المصدر نفسه ١٠٢/١٣ .
(٥) المصدر نفسه ١٠٢/١٣ .
(٦) انظر : كلام مسلم في مقدمة صحيحه ٢٩/١ ، ٣٠ .
(٧) سير أعلام النبلاء ٥٧٣/١٢وقال ابن كثير:والظاهر أنه يريد علي بن المديني فإنه يشترط ذلك في أصل صحة الحديث ، وأما البخاري فإنه لايشترطه في أصل الصحة،ولكن التزم ذلك في كتابه الصحيح .
(اختصار علوم الحديث ص ٥٢).

هو المستنكر ، وما أنكره قد قيل : إنه القول الذي عليه أئمة هذا العلم ، علي بن المديني ، والبخاري وغيرهما»[1].

عاش«مسلم» حياته شغوفا بالعلم خادما له ، حتى وافاه أجله عشية يوم الأحد ، ودفن يوم الإثنين لخمس بقين من رجب سنة إحدى وستين ومائتين[2].

وقد ذكر الخطيب بسنده في سبب وفاته الرواية التالية، فقال: عقد لمسلم مجلس للمذاكرة ،فذكر له حديث لم يعرفه فانصرف إلى منزله ، وأوقد السراج ، وقال لمن في الدار: لايدخلن أحد منكم هذا البيت ، فقيل له: أهديت لنا سلة فيها تمر، فقال:قدموها إلي ، فقدموها إليه ، فكان يطلب الحديث ويأخذ تمرة تمرة يمضغها ، فأصبح وقد فني التمر ووجد الحديث. قال محمد بن عبد الله النيسابوري: زادني الثقة من أصحابنا أنه منها مات[3].

مات مسلم ـ عليه رحمة الله ـ وبقي من مصنفاته مايحيي ذكره ، ولو لم يخلّف إلا الصحيح لكان كافيا في الثناء عليه ، وبيان مبلغه من العلم ، فكيف وقد أضاف إليه غيره من مصنفات جليلة أمثال: المسند الكبير على الرجال، والجامع الكبير على الأبواب ، وكتاب العلل ، وكتاب ذكر أوهام المحدثين، والتمييز، ومن ليس له إلا راو واحد، وطبقات التابعين ، والمخضرمين، والأقران ، وسؤالاته أحمد بن حنبل، وكتاب عمرو بن شعيب، ومشايخ الثوري،ومشايخ شعبة ، وأولاد الصحابة، وأفراد الشاميين ، والكنى والأسماء وغير ذلك[4].

---

(١) انظر : كتابه: صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط ص ١٢٨ ، وانظر كذلك هدي الساري ص ١٢ .

(٢) تاريخ بغداد ١٠٣/١٣ ، ١٠٤ .

(٣) المصدر السابق ١٠٣/١٣ .

(٤) انظر: صيانة صحيح مسلم لابن الصلاح ص ٦٠ ، ٦١ ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٥٧٩/١٢ ، ومعجم المؤلفين ٢٣٢/١٢ .

صحيح مسلم ومنهجه في أحداث السيرة :

سبق لنا القول بأن صحيح مسلم يلي صحيح البخاري في الصحة والمنزلة بعد كتاب الله ، وهناك من يقدمه على صحيح البخاري، حتى قال أبوعلي الحسين بن علي النيسابوري:«ماتحت أديم السماء أصح من كتاب مسلم ابن الحجاج في علم الحديث»[1].

قال الذهبي معلقا على هذا القول:«لعل أبا علي ماوصل إليه صحيح البخاري»[2].

وقال النووي:«ومما ترجح به كتاب البخاري أن مسلمًا ـ رحمه الله – كان مذهبه ، بل نقل الإجماع في أول صحيحه أن الإسناد المعنعن له حكم الموصول بسمعت بمجرد كون المعنعن والمعنعن عنه كانا في عصر واحد ، وإن لم يثبت اجتماعهما، والبخاري لا يحمله على الاتصال حتى يثبت اجتماعهما، وهذا المذهب يرجح كتاب البخاري، وإن كنا لا نحكم على مسلم بعمله في صحيحه بهذا المذهب لكونه يجمع طرقا كثيرة يتعذر معها وجود هذا الحكم الذي جوّزه والله أعلم»[3].

مكث«مسلم» في تأليف صحيحه خمس عشرة سنة[4]، وصنّفه من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة[5]، وعرضه على أبي زرعة الرازي، فكل ما

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/١٠١ ، جامع الأصول ١/١٨٨ .

(٢) تذكرة الحفاظ ٢/٥٨٩= وقال ابن كثير : ذهبت المغاربة ، وأبو علي النيسابوري من المشارقة إلى تفضيل صحيح مسلم على صحيح البخاري ، فإن أرادوا تقديمه عليه في كونه ليس فيه شيء من التعليقات إلا القليل ، وأنه يسوق الأحاديث بتمامها في موضع واحد ولا يقطعها كتقطيع البخاري في الأبواب ، فهذا القدر لا يوازي قوة أسانيد البخاري .. إلخ كلامه.
(انظر : البداية والنهاية ١١/٣٨).

(٣) شرحه لمسلم ١/١٤ .

(٤) سير أعلام النبلاء١٢/٥٦٦= ويبدو أن محقق الكتاب وهم فأشار في الحاشية إلى أنه وقع عند النووي(ست عشرة سنة) ، والنووي إنما قصد البخاري لا مسلما. (انظر : النووي على مسلم ١/١٤).

(٥) تاريخ بغداد ١٣/١٠١ .

أشار إلى أن له علة تركه،وكل ماقال إنه صحيح وليس له علة أخرجه[١]، وكان«مسلم» يقول:ماوضعت شيئا في هذا المسند إلا بحجة ، وما أسقطت منه شيئاً إلا بحجة[٢].

ونقف بعد هذا عند بعض ماذكره العلماء من خصائص ومميزات لصحيح مسلم، توحي بدقة مؤلفه وتحريه ـ وهذه تندرج تحت منهج مسلم في صحيحه ـ منها : اعتناؤه بالتمييز بين «حدثنا»و«أخبرنا» وتقييد ذلك على مشايخه[٣].

ومنها: اعتناؤه بضبط ألفاظ الأحاديث عند اختلاف الرواة فيها ، فمن ذلك أن الحديث إذا كان عنده عن غير واحد وألفاظهم فيه مختلفة مع اتفاقهم في المعنى قال فيه: أخبرنا فلان ، وفلان واللفظ لفلان[٤].

ومنها: تكراره ـ فيما رواه عن صحيفة همام بن منبه ـ السند التي بها رويت إلى أبي هريرة،وقوله في كل حديث منها:هذا ماحدثنا أبو هريرة،فذكر أحاديث منها كذا وكذا ، قال العلماء: إنما يفعل ذلك المتحري الورع في الصحائف المشتملة على أحاديث بإسناد واحد ، وإن كانت المسألة خلافية بين العلماء ، فمنهم من يرى ترك هذا البيان، ورواية كل حديث منها منفردا موصولا بالإسناد المذكور في أولها[٥].

---

(١) صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط ص(٦٨).

(٢) المصدر السابق ص(٦٨) ، تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٩٠.

(٣) انظر : صيانة صحيح مسلم ص ١٠١ـ١٠٣ وقد سبق بيان ذلك أثناء الحديث عن منهج البخاري .

(٤) انظر على سبيل المثال في صحيح مسلم ٣/ ١١٨٦ الحديث رقم ١٥٥١= وهو كثير في صحيحه .

(٥) انظر في المسألة وتحرير الخلاف : صيانة صحيح مسلم ص١٠٢، ١٠٣، وشرح النووي ٢٢/١.

ومنها : أمانته في النقل عن مشايخه في مثل قوله : حدثنا عبد الله بن سلمة حدثنا سليمان (يعني ابن بلال) عن يحيى (وهو ابن سعيد) فلم يستجز ـ رحمه الله ـ أن يقول سليمان بن بلال ، عن يحيى بن سعيد، لكونه لم يقع في روايته منسوبا عن شيخه[1].

ومنها: احتياطه في تلخيص الطرق ، وتحول الأسانيد مع إيجاز العبارة ، وكمال حسنها ، وحسن ترتيبه ، وترصيفه الأحاديث على نسق يقتضيه تحقيقه ، وكمال معرفته بمواقع الخطاب ، ودقائق العلم ، وأصول القواعد ، وخفيات علم الأسانيد ، ومراتب الرواة وغير ذلك[2].

وقد أشار النووي إلى أن مسلما في دقائق الأسانيد وصنعتها يفوق البخاري[3].

كما ذكر أ ن مما امتاز به مسلم في صحيحه أنه لا يكتب في صحيحه إلا مارواه تابعيان ثقتان عن صحابيين، وكذا في تبع التابعين ، وسائر الطبقات ، إلى أن ينتهي إليه، مراعيا في ذلك مالزم في الشهادة ، وليس هذا من شرط البخاري[4].

وكذا جمعه المتون كلها بطرقها في موضع واحد، ولا يفرقها في الأبواب ولا يقطعها في التراجم ، كما هو الحال في صحيح البخاري[5].

وعدم إكثاره ـ في صحيحه ـ من المعلقات ، فليس فيه سوى موضعين، ومواضع أخرى نزرة جدا ـ اثنا عشر موضعا متابعات لا أصول ـ بخلاف البخاري[6].

---

(١) شرح النووي ٢٣/١ .
(٢) المصدر السابق ٢٣/١ .
(٣) تهذيب الأسماء .
(٤) الخطة في ذكر الصحاح الستة ص ٢٢٨= نسب الذهبي هذه المقالة للحاكم، وعلق عليها بأنها مجرد دعوى (سير أعلام النبلاء١٢/٧٤).
(٥) المرجع السابق ص (٢٣١).
(٦) صيانة صحيح مسلم ص٧٦= وقد ذكر ابن الصلاح أن عدد ماوقع به الانقطاع في مسلم أربعة عشر موضعا ، وذكر النووي أنها اثنا عشر موضعا، ثم ذكرها(شرحه على مسلم ١٧/١ ، ١٨)أما بالنسبة لمعلقات البخاري فهي وإن كانت كثيرة إلاأن العلماء اهتموا بها ، وألف ابن حجر كتابا خاصا بذلك سماه «تغليق التعليق على صحيح البخاري» وقد خرج الكتاب في طبعته الأولى ١٤٠٥هـ في خمس مجلدات ، نشره المكتب الإسلامي ، ودار عمان ، فليرجع إليه من شاء .

ولهذه المزايا وغيرها حصل لمسلم ـ كما يقول ابن حجر ـ في كتابه حظ عظيم مفرط لم يحصل لأحدمثله[1].

رتب «مسلم» كتابه على الأبواب ، لكنه لم يذكر فيه تراجم الأبواب ، لئلا يزداد بها حجم الكتاب أو لغير ذلك[2] ،وأشار في مقدمته إلى أنه قصد منه اختيار الصحيح ، معللا ذلك بأن ضبط القليل وإتقانه أيسر على المرء من معالجة الكثير منه،ولاسيما عند من لا تمييز عنده من العوام[3] ، بل كان من دوافع مسلم لتأليف صحيحه ـ كما يقول في مقدمته ـ وجود مصنفات تحوي الأخبار المبكرة وبالأسانيد الضعاف المجهولة ، وقذفها بين العوام الذين لا يعرفون عيوبها[4].

كما ذكر مسلم ـ في مقدمته ـ أنه عمد إلى تقسيم أخبار الصحيح إلى ثلاثة أقسام وثلاث طبقات من الناس من غير تكرار إلا لسبب يقتضيه [5] ، وهذه الأقسام هي:

---

(١) انظر :تهذيب التهذيب ١٠/١٢٧ .

(٢) انظر : صيانة صحيح مسلم ص١٠١ = وسآتي على مزيد من التوضيح للأبواب في صحيح مسلم . مقدمة مسلم في صحيحه ١/٤.

(٣) المصدر السابق ١/٨ .

(٤) ذكر مسلم من هذه الأسباب كأن يكون التكرار فيه زيادة معنى ، أو إسناد يقع إلى جنب إسناده لعلة تكون هناك ... إلخ كلامه(انظر : المقدمة ١/٤).

(٥) مقدمة صحيح مسلم ١/٤ ـ٧ = وقد اختلف العلماء في مراد مسلم بهذا التقسيم ، وإمكانية تطبيقه فقال الحافظان أبو عبد الله الحاكم ، وصاحبه أبو بكر البيهقي ـ رحمهما الله ـ إن المنية اخترمت مسلما ـ رحمه الله ـ قبل إخراج القسم الثاني ، وأنه إنما ذكر القسم الأول ، وتابعهما القاضي عياض ـ رحمه الله ـ فقال : وليس الأمر على ذلك لمن حقق نظره ، ولم يتقيد بالتقليد ... إلى أن يقول : وجدته ذكر في أبواب كتابه حديث الطبقتين الأوليين ، وأتى بأسانيد الثانية منهما على طريق الاتباع للأولى والاستشهاد ، أو حيث لم يجد في الباب الأول شيئا ، وذكر أقواما تكلم قوم فيهم ، وزكاهم آخرون ، وخرّج حديثهم ممن ضعف أو اتهم ببدعة ، وكذلك فعل البخاري، فعندي أنه أتى بطبقاته الثلاث في كتابه على ماذكر ، وطرح الرابعة كما نص عليه ، فالحاكم (والقول لعياض) تأول أنه إنما أراد أن يفرد لكل طبقة كتابا ويأتي بأحاديثها خاصة مفردة ، وليس ذلك مراده ، بل إنما أراد بما ظهر من تأليفه وبان من غرضه أن يجمع ذلك في الأبواب ، ويأتي بأحاديث الطبقتين ، فيبدأ بالأولى ، ثم يأتي بالثانية على طريق الاستشهاد والاتباع حتى استوفي جميع الأقسام الثلاثة ، ويحتمل (كما يقول عياض) أن يكون أراد بالطبقات الثلاث الحفاظ ، ثم الذين يلونهم ، والثالثة هي التي طرحها ...(ويتابع عياض=

١ـ ماروواه الحفاظ المتقنون .
٢ـ ماروواه المستورون والمتوسطون في الحفظ والإتقان.
٣ـ ماروواه الضعفاء والمتروكون .

فإذا فرغ من القسم الأول أتبعه بذكر القسم الثاني، أما القسم الثالث فلا يعرج عليه ولا يشغل نفسه به ـ كما قال ـ.

=قائلا) :ولا يعترض على هذا بما قاله ابن سفيان ـ صاحب مسلم ـ: إن مسلما أخرج ثلاثة كتب من المسندات : أحدها هذا الذي قرأه على الناس ، والثاني يدخل فيه عكرمة وابن إسحق صاحب المغازي وأمثالهما ، والثالث يدخل فيه من الضعفاء، فإنك إذا تأملت ماذكر سفيان لم يطابق الغرض الذي أشار إليه الحاكم مما ذكره مسلم في صدر كتابه.(انتهى كلام القاضي ملخصا وقد وافقه عليه النووي، فقال : وهذا الذي اختاره ظاهر جدا والله أعلم شرحه على مسلم ٢٣/١ ، ٢٤).
وقال ابن الصلاح : كلام مسلم محتمل لما قاله عياض، ولما قاله غيره (صيانة صحيح مسلم ص٩١).

وقال الذهبي :بل خرّج مسلم حديث الطبقة الأولى، وحديث الثانية إلا النزر القليل مما يستنكره لأهل الطبقة الثانية ، ثم خرّج لأهل الطبقة الثالثة أحاديث ليست بالكثيرة في الشواهد والاعتبارات والمتابعات وقلّ أن خرج لهم في الأصول شيئا ، ولو استوعبت أحاديث أهل هذه الطبقة في الصحيح لجاء الكتاب في حجم ماهو مرة أخرى ، ولنزل كتابه بذلك الاستيعاب عن رتبة الصحة ، وهم كعطاء بن السائب، وليث، ويزيد بن أبي زياد، وأبان بن صمعة، ومحمد بن إسحق، ومحمد بن عمرو بن علقمة، وطائفة أمثالهم ، فلم يخرج لهم إلا الحديث بعدالحديث إذاكان له أصل .(سير أعلام النبلاء ٥٧٥/١٢).

وقد سبق «ابن الصلاح» ـ وهو يرد على من عاب مسلما روايته في صحيحه عن جماعة من الضعفاء أو المتوسطين الواقعين في الطبقة الثانية، والذين ليسوا من شرط الصحيح ـ فأجاب بمثل ماأجاب به الذهبي، وزاد عليه(فليرجع إليه لمن أراد المزيد / في صيانة صحيح مسلم ص٩٤ـ٩٩).
وممن عاب «مسلما»في روايته عن الضعفاء أبو زرعة الرازي، وقد عرض عليه ـ كما يقول البرذعي ـ فرأى في الكتاب أمثال أسباط بن نصر وقطن بن نسير، فأنكر ذلك وقال:يطرق لأهل البدع علينا فيجدوا السبيل بأن يقولوا الحديث إذا احتج عليهم به ليس هذا في كتاب الصحيح ، وقد أجاب مسلم عن ذلك ـ حينما بلغه ـ بأنه لم يدخل من حديث هؤلاء وأمثالهم إلا ما قد رواه الثقات ، ولكن قديقع من هؤلاء بإسناد عال ويقع عند غيرهم بنزول فيقتصر عليهم به.
(أبو زرعة الرازي وجهوده في السنة النبوية ٦٧٥/٢ ، ٦٧٦).

منهج الإمام مسلم في تدوين أحداث السيرة

فإذا ماأتينا إلى الحديث عن منهج مسلم في تدوين أحداث السيرة أمكننا القول بأن هذه المميزات السابقة لصحيح مسلم تظهر في منهجه في كتابة السيرة ـ كجزء من صحيحه ـ فالحادثة فيه سهل تناولها،وبالإمكان جمع طرقها في وقت أقل منه في صحيح البخاري.

وهذه الميزة وإن كانت ظاهرة في صحيح مسلم إلاأنها ليست مطردة في جميع أحداث السيرة فقد يجزئ مسلم ـ هو الآخر ـ الحادثة من أحداث السيرة في أكثر من كتاب ، حسبما يقتضيه كل كتاب من أجزاء الحادثة ، وهذا يؤكد ـ بشكل عام، وكما سبقت الإشارة إليه ـ الفرق في المنهج بين كتب السير، والمدونات الحديثية في عرض أحداث السيرة ـ وكنموذج لهذا في صحيح مسلم ، فقد وزّع مسلم الحديث عن غزوة «تبوك» في أكثر من عشرة مواضع[1] يحتاج من يريد الكتابة عنها الاطلاع عليها كلها .

وعلى العموم فأحداث السيرة في مسلم ليست كحجمها في البخاري،بل أقل،ومع هذا فقد ينفرد مسلم بذكر أحداث لاتوجد أصلا في البخاري.[2] وهناك ثلاثة كتب في صحيح مسلم تضم جزءاً كبيراً من أحداث السيرة،وهي :كتاب الجهاد والسير ، وهو أعظم الكتب استيعابا لأحداث

---

(١) انظر : كتاب الطهارة ، باب المسح على الخفين ٢٢٩/١ ، وباب المسح على الناصية والعمامة ٢٣٠/١ ، وكتاب الصلاة ، باب تقديم الجماعة من يصلي بهم إذا تأخر الإمام ٣٣٧/١ ، وفي باب سترة المصلي ٣٥٩/١ ، وكتاب صلاة المسافرين ،باب الجمع بين الصلاتين في الحضر:٤٩٠/١ ، وكتاب الزكاة ٧٠٦/٢ ، والقسامة ١٣٠١/٣ ، واللقطة ١٣٥٤/٣ ، والإيمان ٣/ ١٢٦٨ـ١٢٧٠ ، وفضائل الصحابة ١٨٧١/٤ ، والتوبة ٢١٢٠/٤ـ٢١٢٨ ، والفضائل ١٧٨٥/٤ ، والزهد والرقائق ٢٢٨٥/٤ .

(٢) ومثال ذلك : الرواية الأخرى في شق الصدر(انظر الحديث عن شق الصدر في الفصل الأول)وإسلام عمرو بن عنبسة ومافي قصته من علائم الدعوة السرية في مكة. (انظر : سرية الدعوة وأوائل المؤمنين من الفصل الثالث) إلى غير ذلك .

السيرة ففيه عن آداب الغزو، وأحكام الغنائم والفيء، والأسرى ، هذا فضلا عن الحديث عن الغزوات،وكتابة النبيﷺإلى الملوك يدعوهم إلى الله ، ونحو ذلك .

ثم «كتاب فضائل الصحابة ـ رضي الله تعالى عنهم ـ» ، حيث يتركز الحديث فيه عن قصص إسلامهم ، ونماذج من جهادهم في سبيل الله ، وفوق ذلك الحديث عن أهل الشجرة وفضلهم ، وفضل من شهد بدراً ، والحديث عن المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار،وإلى غير ذلك .أما الكتاب الثالث فهو كتاب الفضائل، وفي هذا الكتاب حديث عن نسب النبي ﷺوأسمائه، وبعض معجزاته،وصفاته الخلقية والخلقية ، وبعثته، وإقامته بمكة والمدينة ونحوها .

وهذا ـ كما قدمت ـ لا يعني حصر أحداث السيرة في هذه الكتب ، بل قد يندّ عن هذه الكتب أحداث بارزة في السيرة، كما هو الحال في بيعة العقبة الأولى حيث ذكرها مسلم في كتاب الحدود ـ كما سبق ـ والعقبة الثانية في كتاب الإمارة ، والهجرة إلى المدينة في كتاب الزهد والرقائق.

وحيث يلاحظ المطلع في صحيح مسلم تفريق الحديث ـ أحيانا ـ في الحادثة الواحدة في الكتاب الواحد في أكثر من باب[1]فذلك أمر ليس مرجعه إلى مسلم حيث لم يبوّب كتابه، بل اكتفي بوضع الكتب، وترجم جماعة أبوابه بتراجم قال عنها النووي:بعضها جيد ، وبعضها ليس بجيد، إما لقصور في عبارة الترجمة وإما لركاكة لفظها ، وإما لغير ذلك ، إلى أن يقول النووي: وأنا ـ إن شاء الله ـ أحرص على التعبير عنها بعبارات تليق بها في مواطنها[2] .

---

(١) انظر على سبيل المثال حديثه عن غزوة الخندق ، فقد وضع لها بابين في كتاب الجهاد والسير: أحدهما باسم باب غزوة الأحزاب ، وبه ساق حديث حذيفة. في الشدة التي نزلت بهم في ليلة الأحزاب ٣/١٤١٤ .

والآخر باسم باب غزوة الأحزاب، وهي الخندق بعد سبعة أبواب من سابقه، وبه ساق خبر حفر الخندق وماكانوا يرتجزون به حين الحفر ومشاركة النبي ﷺلهم ٣/١٤٣٠ ـ١٤٣٢ .

(٢) شرح النووي على مسلم ١/٢١ ، وانظر : مقدمة الألباني على مختصر المنذري لمسلم ص:(ز) .

فـعلم من ذلك أن هذه التـراجم الموجـودة في شـرح النووي على مـسلم للأبواب هي من صنيعه هو، لا من صنيع مسلم، وهي نفسها الموجودة في النسخة التي حققها «محمد فؤاد عبد الباقي» والتي اعتمدت عليها .

ولهذا «فالمنذري» في مختصره لصحيح مسلم رتبه ترتيبا قال عنه: إنه «يسرع بالطالب إلى وجود مطلبه في مظنّته»[١]، وعقد في مختصره هذا «كتبا» لم ترد في الأصل كعناوين في صحيح مسلم، وإذا كـان هذا في الكتب فـلا غرابة أن تختلف عنده الأبواب عمّا هو موجود في صحيح مسلم؛ لأنها كما قدمنا ليست من وضعه ، بل من وضع النووي[٢].

ويعنينا من ذلك أحداث السيرة حيث نالها نصيبها من هذا الاختلاف في الترتيب عند المنذري[٣].

أما مصادر «مسلم» في السيرة فهي ليست من الوضوح، كما هو الحال عند البخاري، وذلك لأن مسلما لا يعتمد المعلقات كثيرا، ولا يذكر تراجم في كتبه تكشف عن مصادره ـ كماصنع البخاري في معلقاته عن ابن إسحق، وموسى بن عقبة ـ وإنما ساق أحداث السير ـ كغيرها ـ بالإسناد المتصل عن شيوخه.

وهو وإن أكثر من ذكر «الزهري»[٤]، أو «عروة بن الزبير»[٥]، أو نقل عن «موسى بن عقبة»[٦] في السير والمغازي ، فإنما يذكرهم ضمن رجال السند

---

(١) انظر : مقدمة المنذري لمختصره لصحيح مسلم .

(٢) أمثال : كتاب العدة ، والنفقات ، والوقف، والضيافة ، والهجرة والمغازي، وغيرها من الكتب. (انظر :مقدمة الألباني للمختصر ص:ز).

(٣) ومن ذلك فصل «المنذري» الجهاد عن السير حيث أفرد لكل واحد منهما كتابا مستقلا ووضع كتاب أسماه «الهجرة والمغازي».

(٤) انظر : صحيح مسلم ١٣٣٣/٣ ، ١٣٦٨ ، ١٣٧٦ ، ١٣٩٣ ، ١٣٩٨ ، وغيرها كثير .

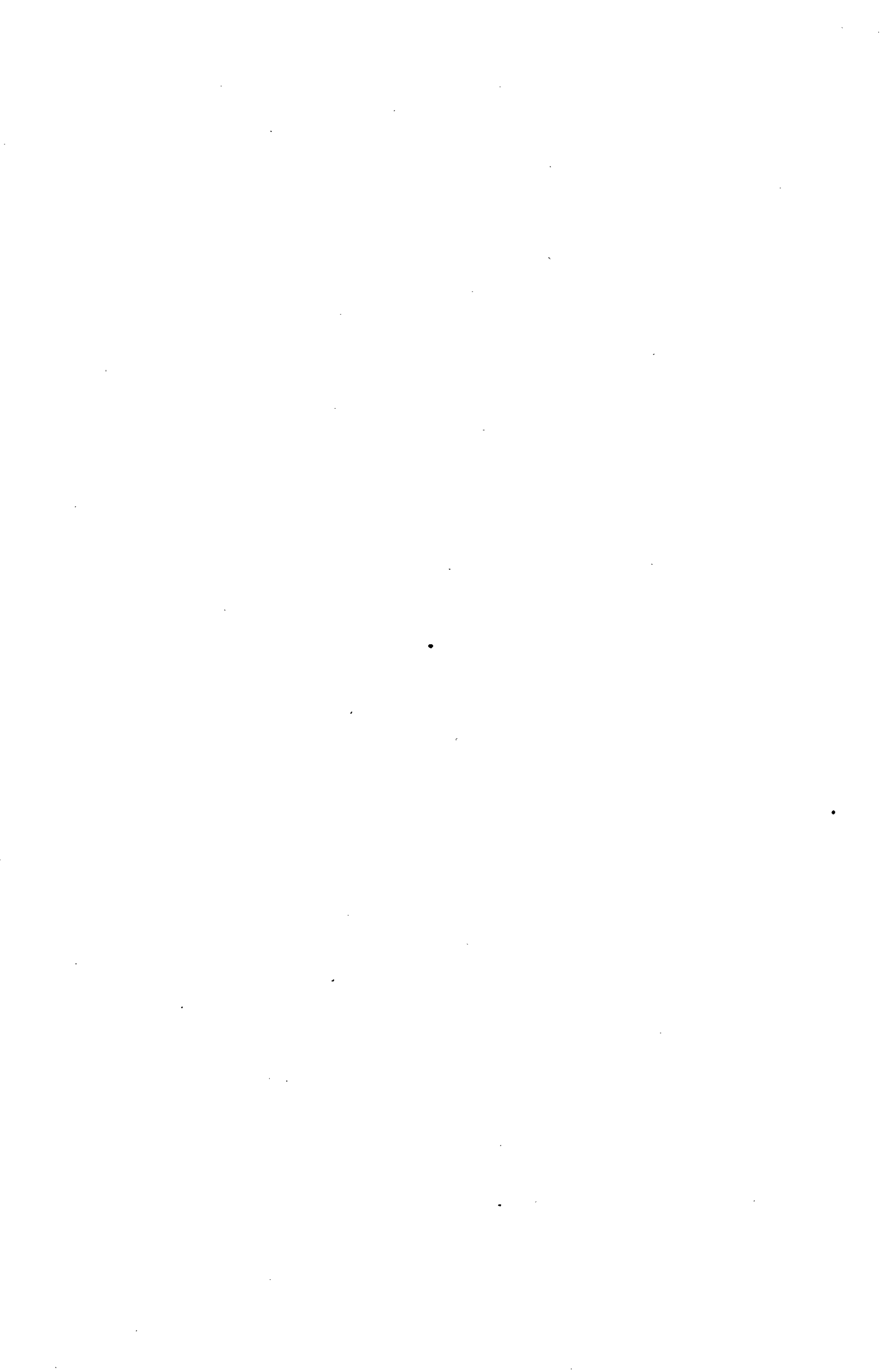
(٥) المصدر السابق ١٣١٥/٣ ، ١٣٨٩ وغيرها .

(٦) المصدر نفسه ٥٧٤/١ .

الذي نقله عن شيوخه ، كما يذكرهم في كتاب آخر غير كتاب السير.

وكما كان للبخارى منهجه في نقد المتون ، والاستنباط منها ـ كما سلف ـ فكذلك مسلم كانت عنده حاسة النقد في المتن ، وربما انتقد متنا ، واكتفى بالإشارة إليه، ولم يذكره في صحيحه، كما فعل في رواية «شريك بن عبد الله بن أبي نمر»[1] في «حادثة الإسراء والمعراج»[2] .

(١) سيأتي التعريف به في الفصل الأول (بمشيئة الله) .
(٢) سيأتي تفصيل الحديث في ذلك في الفصل الأول (حادثة شق الصدر) .



«الفصل الأول»

محمد ﷺ

بين الميلاد والنبوة



«الفصل الأول»
محمد ﷺ بين الميلاد والنبوة

اسمه وفضل نسبه عليه الصلاة والسلام:

اتفق البخاري ومسلم عليهما رحمة الله في بابين عقداهما في صحيحيهما في «أسمائهﷺ» على خمسة أسماء للنبيﷺ :محمد،وأحمد، والماحي(الذي يمحو الله بي الكفر)، والحاشر (الذى يحشر الناس على قدمي(على عقبي)، والعاقب ، الذى ليس بعده نبي)[1].

وفي مسلم : وقد سماه الله رءوفاً رحيماً[2].

ويروي لنا أبو موسى الأشعري - رضي الله عنه - أن النبيﷺ كان يسمي لهم نفسه أسماء فيقول: أنا محمد ، وأحمد ، والمقفّي[3]، والحاشر ، ونبي التوبة ، ونبي الرحمة[4].

هذا عن أسمائه ، أما كنيته فهو: أبو القاسم[5].

وهذه الكنية تعني - كما فسرها النبيﷺ أنه بعث قاسما يقسم بينهم[6]، وكان ﷺ يقول : «أنا قاسم أضع حيث أمرت»[7]،ولهذا نهى ﷺ عن التكني بها، على حين أباح التسمية باسمه[8].

---

(١) البخاري ١٦٢/٤ : كتاب المناقب ، باب ماجاء في أسماء رسول الله ﷺ.، وفي كتاب : التفسير ٦٢/٦ سورة الصف ، ومسلم ١٨٢٨/٤ : كتاب الفضائل ، باب في أسمائه ﷺ.

(٢) ١٨٢٨/٤ .

(٣) قال في النهاية : المقفّي هو المولى الذاهب ، يعني أنه آخر الأنبياء المتبع لهم فإذا قفي فلا نبي بعده(٩٤/٤).

(٤) مسلم ١٨٢٩/٤ .

(٥) البخاري ١٦٣/٤ : كتاب المناقب ، باب وفاة النبي ﷺ، ومسلم ١٦٨٢/٣ : كتاب الأدب ، باب النهي عن التكني بأبي القاسم .

(٦) البخاري ٤٩/٤ : كتاب فرض الخمس ، باب قول الله تعالى﴿فإن لله خمسه وللرسول﴾،ومسلم ١٦٨٣/٣ : كتاب الأدب .

(٧) البخاري ٤٩/٤ .

(٨) البخاري٤٩/٤ ..،وفي كتاب المناقب١٦٣/٤ ،باب كنية النبيﷺ، ومسلم ١٦٨٢/٣ :كتاب الأدب.

أما نسبه فهو ـ كما أخرجه البخاري ـ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان[1] . ووصل ابن إسحق نسبه ﷺ إلى آدم عليه السلام، وفيه نظر[2].

---

(١) البخاري ٢٣٨/٤ : كتاب مناقب الأنصار، باب مبعث النبي ﷺ.

(٢) انظر :السيرة لابن هشام ١/١ ، وقد نقله ابن هشام عن ابن إسحق دون إسناد، وهو محل اختلاف بين العلماء وأصحاب السير، ومعظمهم يرى عدم ثبوته، فقد روي ـ من طريق ابن عباس رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ كان إذا انتسب لم يجاوز في نسبه « معد بن عدنان بن أدد »، ثم يمسك، ويقول: « كذب النسابون، قال الله عز وجل: ﴿وقرونا بين ذلك كثيراً﴾». وفي رواية « كان إذا بلغ معد بن عدنان أمسك» (انظر:طبقات ابن سعد ٥٦/١).

قال السهيلي:والأصح في هذا الحديث أنه من قول ابن مسعود (الروض ٦٦/١) . ويروى عن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: إنما تنتسب إلى عدنان ومافوق ذلك لا ندري ماهو (المصباح المضيء لأبي عبد الله محمد بن علي بن أحمد بن حديدة، نشر عالم الكتب، ط. الثانية ١٤٠٥هـ ١٦/١).

وقال عروة: ماوجدنا أحدا يعرف ماوراء معد بن عدنان(الطبقات٥٨/١)، وعن أبي الأسود قال:سمعت أبا بكر بن سليمان بن أبي حثمة(*)يقول: ماوجدنا في علم عالم، ولاشعر شاعر أحدا يعرف ماوراء معدّ بن عدنان بثبت (المصدر السابق ٥٨/١).

وقد انتهى«ابن سعد»بعد سياقه عدة روايات في نسبه ﷺ إلى القول:«.. فالأمر عندنا على الانتهاء إلى معد بن عدنان،ثم الإمساك عماوراء ذلك إلى إسماعيل بن إبراهيم » . (الطبقات٥٨/١).

وبمثل هذا وقف كثير من أرباب السير. فالسهيلي يقول:ومابعد عدنان من الأسماء مضطرب فيه(الروض٦٦/١) ،وقبله ذكر«ابن حزم»نسبه ﷺ إلى عدنان، ثم قال:هاهنا انتهى النسب الصحيح الذي لاشك فيه(جوامع السيرةص٢)، وكذا«النووي»حيث قال:إلى هنا ـ يعني عدنان ـ إجماع الأمة، وأما مابعده إلى آدم فمختلف فيه أشد اختلاف، قال العلماء:ولايصح فيه شيءيعتمد(تهذيب الأسماء واللغات/القسم الأول ص٢١، أو السيرة النبوية للنووي ـ وهي مستخرجة من التهذيب ص/٨) .وقال الذهبي: ـ إلى عدنان ـ بإجماع الناس، لكن اختلفوا فيما بين عدنان وبين إسماعيل من الآباء..(السيرة ص١).

أما البخاري فمع وقفته في الصحيح عند عدنان، فقد وصله في التاريخ ـ عن ابن إسحق ـ إلى آدم (التاريخ الكبير١/٥، ٦).

(*)قال عنه الذهبي : وكان من أعلم قريش بأنسابها وأشعارها (السيرةص٢).

فهو ﷺ من مضر من ولد النضر بن كنانة[1].

هذا من جهة أبيه. أما نسبه من جهة أمه، فأخواله من بني زهرة[2].

وفي فضل نسبه ﷺ يقول: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفي قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»[3].

ويقول أيضا:«بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت فيه»[4].

وعلو نسبه ﷺ وفضله لم يستطع أبو سفيان أن ينكره في فترة عدائه له، وذلك حين سأله هرقل:كيف نسبه فيكم ؟فأجاب أبو سفيان:هو فينا ذو نسب .. ثم علق هرقل بعد ذلك قائلا:فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها[5].

---

(١) البخاري ١٥٣/٤ ، ١٥٤ :كتاب المناقب، وقوله تعالى:﴿ يأأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى..﴾.

(٢) المصدر نفسه ٢١٢/٤ :كتاب فضائل أصحاب النبي، باب مناقب سعد بن أبي وقاص..،قال ابن حجر:لأن أمه آمنة منهم (الفتح:٨٣/٧).

(٣)مسلم ١٧٨٢/٤ :كتاب الفضائل،باب فضل نسب النبيﷺ.

(٤) البخاري ١٦٦/٤ :كتاب المناقب ،باب صفة النبي ﷺ.

(٥) المصدر نفسه ٥/١، ٦ بدء الوحي، وفي كتاب الجهاد والسير٣/٤.

مولد النبي ﷺ ونشأته:

لا يكاد المطَّلع في الصحيحين يجد شيئا عن السنة التي ولد فيها النبيﷺ والذي نجده تحديد اليوم الذي ولد فيه بيوم«الإثنين»:

ففي صحيح مسلم أن رسول اللهﷺسئل عن صوم يوم الإثنين؟ فقال: «ذاك يوم ولدت فيه ...»الحديث[1] .ويوافقه في ذلك ابن إسحق ويزيد:لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، عام الفيل[2].

كما تتفق رواية الصحيح مع ابن إسحق في كون ولادتهﷺ بعد وفاة والده«عبد الله»، حيث كان حملا في بطن أمه حين توفي أبوه[3].

---

(١) ٨١٩/٢، ٨٢٠:كتاب الصيام،باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصوم يوم عرفة وعاشوراء والإثنين والخميس.

(٢) انظر: السيرة لابن هشام ١٧١/١، وقد ذكره ابن إسحق دون إسناد.

(٣) مسلم ١٣٩٢/٣:كتاب الجهاد والسير،باب رد المهاجرين إلى الأنصار منائحهم من الشجر والثمر.(السيرة لابن هشام ١٧١/١، ١٩٦)=ومسألة موت أبي النبي ﷺ مما اختلف أصحاب السير في تحديد زمنها، فالذي رجحه الواقدي،وكاتبه محمد بن سعد وفاة والده، وأمه حامل به،ومال إليه ابن كثير.(السيرة النبوية لابن كثير٢٠٦/١).وهو الذي يفهم من حديث ابن شهاب الزهري(المغازي ص:٣٩).

أما ابن حزم فيرى أن موته قبل أن يكمل النبي ﷺ ثلاث سنين(جوامع السيرةص٥)، ونقل الذهبي وفاة والده وللنبي ﷺ ثمانية وعشرون شهرا، وقيل: أقل من ذلك،وقيل:وهو حمل .(السيرة النبوية ص٢٢)،ثم روي عن«القرطبي»:كونه حملا على الصحيح .

أما السهيلي فيقول:ذكر أن أباه مات وهو حمل، وأكثر العلماء على أنه كان في المهد.(الروض الأنف١٦٠/٢).

نشأ النبي ﷺ يتيما، وبعد ولادته تولت«أم أيمن»[1]حضانته، حتى كبر ﷺ فأعتقها[2].

أما رُضّاعه فقد كانت«ثُوَيْبَة» ـ وهي مولاة لعمه أبي لهب ـ ممن أرضع النبيﷺ،ولهذا لما عرضت«أم حبيبة» عليه الزواج بأختها ونهى عن ذلك، فقالت له: إني سمعت أنّك ترغب الزواج من درّة بنت أبي سلمة، فرد عليها بقوله: «إنها لو لم تكن ربيبتي في حجري ماحلّت لي، إنها لابنة أخي من الرضاعة أرضعتني وأبا سلمة«ثويبة»[3]» ، ولم يكن أبو سلمة هو الأخ الوحيد للنبيﷺمن رضاع ثويبة،فقدكان عمه«حمزة» كذلك،إذ أرضعتهما ثويبة،ولهذا لما عرض علي بن أبي طالب على النبيﷺ الزواج من ابنة حمزة أجابه: «أنها ابنة أخي من الرضاعة[4]» .

وإذا كانت ثويبة هذه ـ وهي من مرضعات النبي ـﷺ لم يرد ذكرها عند ابن إسحق بهذا الشأن، فالأمر بعكس ذلك في شأن « حليمة السعدية» ، حيث اشتهرت بقصة رضاعها للنبي ﷺ في ديار بني سعد في رواية ابن إسحق، الأمر الذى لم تستوعبه رواية الصحيحين من بين ماأشارت إليه في أحداث السيرة.

---

(١) هي: بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن حصن بن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان، كانت وصيفة لعبد الله بن عبد المطلب(والد النبيﷺ) ،وهي من الحبشة،تزوجها زيد بن حارثة ـ بعد النبوة ـ فأنجبت له أسامة، اختلف في موتها هل كان بعد موت النبي ﷺ، أو بعد موت عمر . (الإصابة ١٣/ ١٧٧).

(٢) مسلم ٣/ ١٣٩٢ : كتاب الجهاد والسير.

(٣) البخارى ٦/ ١٢٥ : كتاب النكاح،باب﴿وأمهاتكم اللآتي أرضعنكم﴾. ويحرم من الرضاعة مايحرم من النسب، وفي باب﴿وربائبكم اللآتي في حجوركم..﴾٦/ ١٢٧ ، وفي باب﴿وأن تجمعوا بين الأختين إلا ماقد سلف﴾:٦/ ١٢٨ ، وفي كتاب النفقات:باب المراضع من المواليات وغيرهن ٦/ ١٩٥ ،ومسلم ٢/ ١٠٧٢ :كتاب الرضاع، باب تحريم الربيبة وأخت المرأة ، ١٧٠٣ من الباب نفسه .

(٤) البخاري ٦/ ١٢٥ :كتاب النكاح .

وإذا كان ابن إسحق قد انفرد عن الصحيحين بذكر قصة إرضاع حليمة للنبيﷺ، فقد فصّل القول فيها، وأتى على الحادثة من جوانبها، من حين قدمت حليمة مكة مع نسوة من بني سعد يلتمسن الرضعاء في سنة شهباء، وشاء الله أن يكون محمد من نصيبها على غير رغبة منها؛ لأنه كان يتيما. لكنها خشيت أن ترجع من بين صواحبها ،وليس معها رضيع .. إلى أن قدّر الله لها ولأهل بيتها من الخير والبركة ما قدر بسبب هذه النسمة المباركة(محمد) ،حتى وقع له ماوقع من أمر الملكين، اللذين شقا صدره – كما سيأتي بيانه ـ وربما كان ذلك سببا في إرجاع حليمة محمداً ـ ﷺ لأمه...[1].

هذه القصة ساقها ابن إسحق بسنده، فقال: وحدثني جهم مولى الحارث ابن حاطب الجمي، عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، أو عمن حدثه عنه قال: (ثم ذكر قصة حليمة بطولها).

وفي هذا السند مقال، فقد تعقب الذهبي أحد رجاله وهو« جهم» ، حيث نسبه للجهالة حين قال: جهم بن أبي الجهم، وله قصة حليمة السعدية، لايعرف[2] ، هذا فضلاعن كون عبد الله بن جعفر لم يصرّح بالتحديث عن حليمة ـ في هذه الرواية ـ .

لكن القصة رواها أبو يعلى، وابن حبان في صحيحه، وصرح فيه بالتحديث بين عبد الله، وحليمة، كما رواها الطبراني، ووثّق الهيثمي رجال أبي يعلى والطبراني.[3]

واستفاضة القصة وشهرتها جعل«ابن عبد البر» يشير إلى القصة بقوله: حليمة هي التي أرضعت النبيﷺ حتى أكملت رضاعه ، ورأت له برهانا وعلما جليلا، **تركنا ذكره لشهرته**[4].

---

(١) انظر تفصيل ذلك في: السير والمغازي لابن إسحق تحقيق سهيل زكار ص ٤٩ـ بتصرف واختصار.

(٢) انظر: ميزان الاعتدال ١/ ٤٢٦.

(٣) انظر: الإصابة ١٢/ ٢٠٠ .

(٤) انظر: مجمع الزوائد ٨/ ٢٢١ .

وقال ابن كثير:«وهذا الحديث قد روي من طرق أخر، وهو من الأحاديث المشهورة المتداولة بين أهل السير والمغازي»[1].

وإذاكان«أبو سلمة»و«حمزة» أخوين للنبي ﷺ من رضاع«ثويبة» ـ كما سلف في رواية الصحيحين ـ ففي رواية ابن إسحق: إخوته من الرضاعة: عبد الله بن الحارث، وأنيسة بنت الحارث ، وخذامة بنت الحارث ـ وهي الشيماء ـ وهم لحليمة بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث ، أم رسول اللهﷺ[2].

رعيه للغنم:

تفيدنا روايات الصحيحين أن جزءاً من وقت النبيﷺقبل البعثة قضاه في رعي الغنم في مكة، إذكان يرعاها لأهل مكة على قراريط[3].

وقد أفادته تلك خبرة ودراية.حتى إن أصحابه حينما كانوا بـ«مرالظهران[4]» وهم يجنون «الكباث»[5] أرشدهم إلى الأسود منه، فقالوا: يارسول الله: كأنك رعيت الغنم ؟قال:«نعم، وهل من نبي إلا وقد رعاها»[6].

وفي السيرة لابن إسحق: وكان رسول الله ﷺ يقول:«مامن نبي إلا وقد رعى الغنم» ، قيل:وأنت يارسول الله ؟قال: «وأنا»[7].

---

(١) الاستيعاب (بهامش الإصابة)١٢/٢٦١.

(٢) انظر: السيرة لابن كثير ١/٢٢٨ .
وانظر السير والمغازي لابن إسحق :تحقيق سهيل زكار ص٤٨ ،والسيرة لابن هشام ١/١٧٣ ، وقد ذكره ابن إسحق دون إسناد .

(٣) البخاري ٣/٤٨ : كتاب الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط.

(٤) مرّ الظهران: موضع على مرحلة من مكة المكرمة .
(معجم البلدان ٥/١٠٤)، ويعرف الآن باسم: وادي فاطمة .

(٥) الكَبَاث: هو النضيج من ثمر الأراك.(النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/١٣٩).

(٦) البخاري٤/١٣٠ :كتاب الأنبياء، باب ﴿يعكفون على أصنام لهم﴾، وفي كتاب الأطعمة، باب: الكباث وهو ثمر الأراك ٦/٢١٣ ، ومسلم ٣/١٦٢١ : كتاب الأشربة، باب فضيلة الأسود من الكباث .

(٧) انظر: الجزء المطبوع من سيرة ابن إسحق ، تحقيق سهيل زكار ص١٢٤ والسيرة لابن هشام ١/١٧٨.

حادثة شقّ الصدر

يعرض للباحث في هذه الحادثة إشكالات عدة، أهمها: متى وقعت حادثة شق الصدر للنبي ﷺ؟ وهل كانت مرة، أو أكثر؟ وهل كان شق الصدر حسيا ، أو معنويا؟

ولعل في محصلة الروايات التي سنذكرها مايجيب على هذه التساؤلات:

أولا: شق صدره في بني سعد:

تتفق رواية الصحيح، مع ابن إسحق على شق صدره في ديار بني سعد ففي صحيح مسلم عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل، وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشقّ عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال :هذا حظّ الشيطان منك. ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه(يعني ظئره) فقالوا: إن محمدا قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون.[1] أما البخاري فلم يذكرهذه الرواية في شق صدره في ديار بني سعد.

أما ابن إسحق، فيذكر شق صدره ـ وهو في ديار بني سعد ـ في روايتين:

الأولى منهما : ضمن حديث حليمة الطويل عن رضاعه ﷺ حين تقول:« .. فرجعنا به، فوالله إنه ـ بعد مقدمنا بأشهر ـ مع أخيه لفي بُهْمٍ لنا خلف بيوتنا ، إذ أتانا أخوه يشتد ، فقال لي ولأبيه : ذاك أخي القرشي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض، فأضجعاه ، فشقا بطنه ،فهما يسوطانه[2] ، قالت : فخرجت أنا وأبوه نحوه فوجدناه قائما منتقعا وجهه ، قالت : فالتزمته، والتزمه أبوه،فقلنا له:مالك يابني ؟قال: «جاءني رجلان عليهما ثياب

---

(١) ١٤٧/١ : كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات= وهو من رواية حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن أنس. ومعنى منتقع اللون : أي متغير اللون .

(٢) قال أبو ذر الخشني: يقال: سطت اللبن والدم وغيرهما أسوطه،إذا ضربت بعضه ببعض وحركته.

بيض فأضجعاني، وشقا بطني، فالتمسا فيه شيئا لاأدري ماهو» قالت: فرجعنا إلى خبائنا، قالت: وقال لي أبوه: ياحليمة، لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب، فألحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به، قالت: فاحتملناه، فقدمنا به على أمه، فقالت:ما أقدمك به ياظئر، وقد كنت حريصة عليه، وعلى مكثه عندك؟.. إلي آخر القصة.[1]

هذه الرواية سبق لنا أقوال العلماء حولها[2] بما يغني عن إعادته هنا.

أما الرواية الثانية: لابن إسحق فقد رواها من طريق آخر،فقال:حدثني ثور ابن يزيد[3]عن بعض أهل العلم ـ ولاأحسبه إلاعن خالدبن معدان الكلاعي[4]ـ أن نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا له:يارسول الله، أخبرنا عن نفسك. قال: «نعم، أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى أخي عيسى، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام، واسترضعت في بني سعد بن بكر، فبينا أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بهماً لنا إذ أتاني رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوءة ثلجًا، فأخذاني فشقا بطني،واستخرجا قلبي،فشقاه، فاستخرجا منه علقة سوداء، فطرحاها، ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج، حتى أنقياه، قال: ثم قال أحدهما لصاحبه: زنه بعشرة من أمته فوزنني بهم، فوزنتهم، ثم قال: زنه بمائة من أمته، فوزنني بهم ، فوزنتهم، ثم قال: زنه بألف من أمته ، فوزنني بهم ، فوزنتهم، فقال : دعه عنك ، فوالله لو وزنته بأمته لوزنها»[5].

---

(١) انظر: السيرة لابن هشام ١٧٦/١، ١٧٧.

(٢) عند الحديث عن رضاعه ﷺ.

(٣) الكلاعي، ثقة، توفي سنة ٥٠هـ، وقيل بعدها. (التهذيب ٣٣/٢).

(٤)ثقة، توفي سنة ١٠٣هـ أو بعدها.(المصدر السابق١١٨/٣).

(٥) انظر الجزء المطبوع من سيرة ابن إسحق .بتحقيق سهيل زكار ص ٥٠،والسيرة لابن هشام ١٧٧/١، ١٧٨.

هذه الرواية يتبين من رواتها قوة إسنادها،ولهذا قال ابن كثير عنها: وهذا إسناد جيد قوي[1].

وهكذا تلتقي رواية مسلم، مع روايتي ابن إسحق في ذكر هذه الحادثة، وتحديدها في ديار بني سعد، أما توقيتها الزمني فتقف ـ دون تحديده ـ رواية مسلم، والرواية الأخيرة لابن إسحق، بينما تحدده الرواية الأولى عند ابن إسحق(رواية حليمة)بالسنة الثالثة من عمر النبي ﷺ، حيث مضى في أول الرواية: أن حليمة قدمت به على أمه حين بلغ سنتين، ولم تزل بأمه حتى ردّته معها، وبعد مقدمه بأشهر ـ كما في الرواية ـ وقعت الحادثة.

وهذه الأشهر ـ أيضا ـ حددها «القسطلاني»في«مواهبه» بشهرين أو ثلاثة[2]. وخالفه الشارح«الزرقاني» حيث رجّح أن شق الصدر كان والنبي ﷺ في الرابعة[3].

---

(١) انظر: السيرة لابن كثير ٢٢٩/١.

(٢) انظر:شرح الزرقاني على المواهب ١٤٩/١ .

(٣) المصدر نفسه ١٥٠/١= واعتمد الزرقاني ـ في ذلك ـ على ماجزم به «الحافظ العراقي» في نظم السيرة، حيث قال:

أقام في سعد بن بكر عندها .. أربعة الأعوام تجني سعدها

وحين شق صدره جبريل .. خافت عليه حدثا يؤول ...

ومتابعة تلميذه الحافظ ابن حجر في سيرته ، والتي ذكر أنه التزم فيها الاقتصار على الأصح مما اختلف فيه، وقد سبقهم إلى تحديد ذلك ـ في السنة الرابعة ـ الواقدي، وكاتبه «ابن سعد»(انظر: الطبقات١١٢/١)وهناك من يجعل هذا في السنة الخامسة للنبي ﷺ أو بعدها ،كما هو مروي عن ابن عباس وابن عبد البر، والأموي ..

(انظر: شرح الزرقاني على المواهب ١٥٠/١).

ثانيا: في مكة عند حادثة الإسراء:

وهذه تنفرد بذكرها رواية الصحيحين دون ابن إسحق، ولم ينفرد بروايتها «شَرِيك»[1] بل رواها ـ في الصحيحين ـ غيره ، وهذه محصلة رواية الصحيحين في الحادثة بأسانيدها :

أ ـ روى البخاري في «كتاب الصلاة» بسنده، فقال: حدثنا يحيى بن بكير، قال حدثنا الليث عن يونس، عن ابن شهاب، عن أنس بن مالك، قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «فرج سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل، ففرج صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا، فأفرغه في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي، فعرج بي إلي السماء الدنيا..»[2].

وفي كتاب «الحج» قال البخاري :وقال عبدان، أخبرنا عبد الله أخبرنا يونس، عن الزهري، قال أنس بن مالك رضي الله عنه:كان أبو ذر يحدث عن رسول الله ﷺ ثم ساق الحديث السابق بنحوه[3].

وفي كتاب «الأنبياء» قال البخاري.. : حدثنا أحمد بن صالح قال : حدثنا

---

(١) هو : شَرِيك بن عبد الله بن أبي نمر المدني(أبو عبد الله)تابعي صدوق(روى حديث الإسراء والمعراج، فجاء فيه بأشياء لم يتابع عليها،وأنكرت عليه، ولهذا تكلم فيه من تكلم من العلماء)قال ابن معين والنسائي: ليس به بأس، وقالا مرة: ليس بالقوي، ووهاه ابن حزم لأجل حديثه في الإسراء، وثقه أبو داود، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن سعد: كان ثقة قليل الحديث، وقال ابن عدي: إذا روى عنه ثقة فإنه ثقة، وقال الساجي:كان يرى القدر، مات قبل الأربعين ومائة.

(انظر : الميزان ٢/٢٦٩ ، وسير أعلام النبلاء ٦/١٥٩ ، والتهذيب ٤/٣٣٧).

(٢) البخاري ١/٩١: باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء .

(٣) البخاري ٢/ ١٦٧ : باب ماجاء في زمزم .

عنبسة حدثنا يونس عن ابن شهاب قال: قال أنس: كان أبو ذر ـ رضي الله عنه ـ يحدث أن رسول الله ﷺ قال: .. وساق الحديث بنحو ماسبق[1].

كما أخرج الحديث ـ بلفظه السابق – مسلم في صحيحه، فقال:وحدثني حرملة بن يحيى التجيبي، أخبرنا ابن وهب قال: أخبرني يونس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول اللهﷺ قال ...[2].

هذه الروايات تجتمع على عرض وتأكيد حادثة شق صدره ﷺ في مكة ـ زمن الإسراء والمعراج ـ وفي حال اليقظة ، دون أدنى لبس أو غموض.

ب ـ وروى البخاري في كتاب«بدء الخلق» بسنده، فقال: حدثنا هُدْبَة ابن خالد ، حدثنا همام عن قتادة، وقال لي خليفة: حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا سعيد وهشام قالا: حدثنا قتادة، حدثنا أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال النبي ﷺ:«بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان، وذكر يعني رجلا بين الرجلين، فأتيت بطست من ذهب ملئ حكمة وإيمانا، فشقّ من النحر إلى مراق البطن، ثم غسل البطن بماء زمزم، ثم ملئ حكمة وإيمانا، وأتيت بدابة أبيض دون البغل وفوق الحمار البراق، فانطلقت مع جبريل حتى أتينا السماء الدنيا...»[3].

وكذا رواه مسلم في «الإيمان» .. حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك (لعله قال) عن مالك بن صعصعة(رجل من قومه) ثم ساق الحديث ـ مع اختلاف يسير في لفظه عن سابقه ـ..[4].

---

(١) ١٠٦/٤ : باب ذكر إدريس عليه السلام .

(٢) ١٤٨/١ : كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات .

(٣) ٧٧/٤ : باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم .

(٤) ١٤٩/١ ، ١٥٠ ، وبنفس هذا السند ساقها مسلم مرة أخرى مختصرة ١٥١/١ .

وفي «المناقب» من صحيح البخاري ذكره البخاري بسنده السابق في «بدء الخلق»وقال في أوله: عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة ـ رضي الله عنهما ـ أن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسري به قال:«بينما أنا في الحطيم، وربما قال في الحجر،مضطجعًا ، إذ أتاني آت، فقدّ، قال وسمعته يقول: فشق مابين هذه إلى هذه» فقلت للجارود[1] ـ وهو إلى جنبي ـ ما يعنى به؟ قال: من ثغرة نحره إلي شعرته، وسمعته يقول: من قصّه إلى شعرته، فاستخرج قلبي، ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانا، فغسل قلبي، ثم حشي، ثم أعيد، ثم أتيت بدابة دون البغل...»[2].

وهذه الروايات ـ هي الأخرى ـ تجمع على ذكر هذه الحادثة في مكة زمن الإسراء والمعراج، وفي حال اليقظة ـ أيضا ـ فإن أشكل فيها قوله«بين النائم واليقظان» قيل: إن ذلك محمول على ابتداء الحال، ثم لما خرج به إلى باب المسجد فأركبه البراق استمر في يقظته، حكاه ابن حجر، ونقل عن الشيخ أبي محمد بن أبي جمرة[3] قوله:«لو قال ﷺ : إنه كان يقظان لأخبر بالحق؛ لأن قلبه في النوم واليقظة سواء، وعينه ـ أيضا ـ لم يكن النوم تمكن منها، لكنه ﷺ تحرى الصدق في الإخبار بالواقع»[4].

قلت :ولعل مما يؤكد هذا الفهم قوله في الرواية الأخرى ـ للبخاري ـ (مضطجعا) دون قوله: «بين النائم واليقظان».

جـ ـ ونأتي ـ بعد هذا ـ إلى رواية «شريك» ،وقد اتفق على روايتها ـ ضمن الحديث عن قصة الإسراء والمعراج ،الشيخان، لكن «مسلما» اختصرها

---

(١) لعله صاحب أنس ـ وسيأتي مزيد تعريف به عند الحديث عن الإسراء ـ بمشيئة الله .

(٢) ٢٤٨/٤ : باب المعراج .

(٣) هو عبد الله بن أبي جمرة (أبو محمد) محدث، مقرئ، من آثاره : مختصر الجامع الصحيح للبخاري، وشرح بهجة النفوس في شعرين، توفي سنة ٦٩٩هـ. (انظر: معجم المؤلفين ٦/ ٤٠).

(٤) انظر : الفتح ٧/ ٢٠٤ .

وعلّق عليها، بينما سرد«البخاري» القصة بطولها دون أن يعلق عليها.

والرواية في البخاري، وسندها هكذا: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثني سليمان عن شريك بن عبد الله أنه قال:سمعت ابن مالك يقول: ليلة أسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة:إنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه، وهو نائم في المسجد الحرام، فقال أولهم: أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم، فقال آخرهم: خذوا خيرهم، فكانت تلك الليلة، فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه، وتنام عينه،ولاينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، فلم يكلموه ، حتى احتملوه، فوضعوه عند بئر زمزم، فتولاه منهم جبريل، فشق جبريل مابين نحره إلى لبته، حتي فرغ من صدره وجوفه، فغسله من ماء زمزم بيده،حتى أنقى جوفه،ثم أتي بطست من ذهب فيه تور من ذهب محشوا إيمانا وحكمة،فحشا به صدره ولغاديده ـ يعني عروق حلقه ـ ثم أطبقه، ثم عرج به إلى السماء الدنيا...[1].

أما «مسلم»فقد جاءت روايته هكذا: حدثنا هارون بن سعيد الأيلي، حدثنا ابن وهب قال: أخبرني سليمان وهو ابن بلال، قال حدثني شريك بن عبد الله بن أبي نمر قال: سمعت أنس بن مالك يحدث عن ليلة أسري برسول الله ﷺمن مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه، وهو نائم في المسجد الحرام، وساق الحديث بقصته نحو حديث ثابت البناني[2]، وقدّم فيه شيئا ، وأخّر، وزاد، ونقص..[3].

وعلى هذا نستطيع القول بأن رواية «شريك»تضاف إلى ماقبلها من روايات تؤكد شق صدره ﷺعند حادثة الإسراء والمعراج، أما ما انفردت به من أمور، فمحل نقاشها عند الحديث عن روايات الإسراء والمعراج ـ بمشيئة الله ـ وهذا لايمنع من الوقوف عند بعضها مما له علاقة بالحادثة التي نحن بصددها

---

(١) ٢٠٣/٨ .. كتاب التوحيد ، باب ماجاء في قوله عزوجل :﴿وكلم الله موسى تكليما﴾وأخرجها في المناقب(مختصرة) ١٦٨/٤ :باب كان النبي ﷺ تنام عينه ولاينامْ قلبه .

(٢) أحد رواة حادثة الإسراء والمعراج ـ كما سيأتي ـ .

(٣) مسلم ١٤٨/١ : كتاب الإيمان (سبق).

اعتمد بعض العلماء ، على ماجاء في هذه الرواية من مغالطات في إنكار شق الصدر في تلك الفترة، وأن الحادثة لم تتعدد بعد وقوعها في ديار بني سعد ، وتلك نماذج من أقوالهم وتتبع من خالفهم.

قالْ الحافظ العراقي ـ رحمه الله ـ: قد أنكر وقوع الشق ليلة الإسراء «ابن حزم» و«عياض» وادعى أن ذلك تخليط من شريك، وليس كذلك ، فقد ثبت في الصحيحين من غير طريق شريك[1] .

قلت: وقد سبق بيان هذه الروايات، بل لقد تعمدت ذكرها بأسانيدها وطرقها ليظهر للمتأمل مافيها من متابعات[2] .

كما تعقب القاضي عياض في دعواه «السهيلي» فقال: إن شق الصدر وقع مرتين.[3] .وقال «القرطبي» في المفهم: لا يلتفت لإنكار الشق ليلة الإسراء؛ لأن رواته ثقات مشاهير[4] .

وممن قال بوقوع شق الصدر مرتين: ابن كثير[5] ، والذهبي[6] ، وابن حجر..[7] بل هناك روايات تفيد شق صدره ـ غير ماذكر ـ فقد روي عن عائشة رضي الله عنها شق صدره عند نزول الوحي عليه في غار حراء[8] .

---

(١) انظر: شرح الشفا لملا علي القاري ١/٤١٤ ، وشرح الزرقاني على المواهب ٦/٢٣.

(٢) في كتب المصطلح تعرف «المتابعة» بـمشاركة الراوي غيره في رواية الحديث (تيسير مصطلح الحديث للدكتور محمود الطحان ص/١٤١).

وانظر: الحديث عنها وأمثلتها في كل من: مقدمة ابن الصلاح ص/٢٨ ، ومقدمة صحيح مسلم ١/٣٣ من شرح النووي، والباعث الحثيث ص/٥٩).

(٣) الروض الأنف ٢/١٧٣.

(٤) انظر: الفتح ٧/٢٠٥ .

(٥) السيرة النبوية ١/٢٣١ .

(٦) السيرة ص ٢٢.

(٧) الفتح ١/٤٦٠، ٧/٢٠٤، ١٣/٤٨١ .

(٨) انظر: دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني ص/٦٩ ، ونقل ابن حجر، أن «الطيالسي» و«الحارث» قد رويا ذلك في مسنديهما ، ولم يعلّق عليهما (الفتح ١/٤٦٠).

كما نقل عن أبي هريرة رضي الله عنه شق صدره ﷺ، وهو ابن عشر سنين[١].

وإذا كنا قد انتهينا إلى إثبات وقوع شق الصدر مرتين ـ كما في الصحيحين ـ إحداهما في بادية بني سعد قبل البعثة، والأخرى في مكة ـ بعد البعثة ـ عند وقوع حادثة الإسراء والمعراج فضلا عمّا أشار إليه غيرهما من الحالات ـ فكذلك تنتهي إلى أن هذا الشق كان حسيا، وهذا ماتؤكده روايات الصحيحين السابقة، فقد جاء في بعضها: «فشق من النحر إلى مراق البطن»[٢]، وفي بعضها: «إلى أسفل بطنه»[٣]، وجاء في إحداها: «فشق جبريل مابين نحره إلى لبته»[٤].

وفوق ذلك كله فأنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ يقول:«وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط ، في صدره»[٥].

وماأجمل ماانتهى إليه ابن حجر في ذلك حين قال:«وجميع ماورد من شق الصدر ، واستخراج القلب، وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة مما يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحية القدرة، فلا يستحيل شيء من ذلك»[٦].

---

(١) روى ذلك عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائده على مسند أبيه، وقال الهيثمي:رجاله ثقات، وثقهم ابن حبان(مجمع الزوائد ٢٢٣/٨ ، وانظر: محمد رسول الله، لمحمد صادق عرجون ١٤٧/١ ، وإن كان يظهر عليه (عرجون)عدم الميل إلى التعدد ص/١٤٧ ، كما ذكرها أبو نعيم، وقال: إنه تفرد به معاذ بن محمد، كما تفرد بذكر السن، ثم أشار إلى المروي عن حليمة في بني سعد(دلائل النبوة ص/٧١)، وقد ذكر هذه الحادثة والتي قبلها«الصالحي» في سيرته (سبل الهدى والرشاد ٨٢/٢ـ٨٦)،وابن حجر في الفتح ٤٦٠/١ .

(٢) البخاري ٧٧/٤، ومسلم ١٥١/١ (سبقت) .

(٣) مسلم ١٥٠/١ .

(٤) البخاري ٢٠٣/٨ .

(٥) مسلم ١٤٧/١ .

(٦) الفتح ٢٠٥/٧ .

قصة بَحيرَى

وممّا يستوقف الباحث ـ في هذه الفترة من نشأة النبي ﷺ رحلته بصحبة عمه ـ أبي طالب ـ إلى الشام ، وقصته مع «بحيرى»[1] وهذه قد انفرد بذكرها«ابن إسحق» دون الصحيحين، وجاء فيها: أن أبا طالب حين أراد الذهاب للشام تاجرا مع ركب من قريش، تعلقه محمدﷺ فرقّ له عمه، وصحبه معه، فلما نزل الركب «بصرى» من أرض الشام، كان يوجد بها راهب يقال له«بَحيرى» ، وكان إليه علم أهل النصرانية، فرغب إلى الركب أن يصنع لهم طعاما، وأن يجتمعوا كلهم عليه، فلما اجتمعوا، وأحضروا محمدا جعل يلحظه لحظا شديداً، ويتعرف إلى صفاته التي يجدها عنده، ثم جعل يسأل النبيﷺ ويجيبه، حتى وافق مايجده من صفته، ثم قال لعمه: ارجع بابن أخيك،واحذرعليه يهود، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم .

ثم إن نفراً من أهل الكتاب ـ غير بَحيَرى رأوا فيه مارآه بَحيَرى، فأرادوه، فردهم عنه بحيرى، فخرج به عمه سريعا، حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام[2] .

هذه الرواية أوردها ابن إسحق دون إسناد، لكن رواها الترمذي بسنده إلى أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه ـ فذكر نحوا من القصة السابقة، وزاد في آخرها «وبعث معه أبو بكر بلالا ، وزوده الراهب من الكعك والزيت» ، ثم قال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه[3] .

---

(١) قال السهيلي : وقع في سير الزهري أن بحيرى كان حبرا من يهود تيماء، وفي المسعودي: أنه كان من عبد القيس، واسمه:سرجس، وفي المعارف لابن قتيبة:قال:سمع قبل الإسلام بقليل هاتف يهتف: ألا إن خير أهل الأرض ثلاثة:بحيرى ، ورباب بن البراء الشنّي، والثالث المنتظر، فكان الثالث رسول اللهﷺ. (الروض الأنف ٢/ ٢٢٠).

(٢) انظر: الجزء المطبوع من سيرة ابن إسحق ، تحقيق سهيل زكار ص ٧٣ والسيرة لابن هشام ١/ ١٩٤ ـ ١٩٧ «بتصرف».

(٣) سنن الترمذي ٥/ ٢٥٠ .

وقد توقف العلماء عند هذه الرواية بين مثبت لها ومنكر، فالترمذي ـ كما سبق ـ حسّنها، والحاكم صحّحها، وقال: إنها على شرط الشيخين[1]، وقال البيهقي:«فأما القصة فهي عند أهل المغازي مشهورة»[2]، وذكرها السهيلي دون أن يعلّق عليها، وذكر أن سنه ﷺ تسع سنين. أو اثنتا عشرة سنة[3]،وكذا النووي، وحدد فيها سنّ النبيﷺباثنتي عشرة سنة[4].

وذكر«ابن سيد الناس»: أن سند الترمذي ليس فيه إلا من خرج له في الصحيح[5]، وقال الحافظ«ابن حجر» :الحديث رجاله ثقات[6].

كما صحح الرواية من المحدثين: الألباني[7]، ومحمد صادق عرجون[8] والأرناؤوط[9].

أما الذين أنكروها فأبرزهم الذهبي حيث قال في السيرة ـ بعد سياقه لرواية الترمذي ـ: وهو حديث منكر جدا، وأين كان أبو بكر؟ وأين كان بلال في هذا الوقت؟.. إلى آخر تفنيده للقصة.[10] وقال في الميزان في ترجمة عبد الرحمن بن غزوان (قراد)ـ وهو أحد رواة حديث الترمذي ـ«قلت:أنكر ما له حديثه عن يونس بن أبي إسحق، عن أبي بكر بن أبي موسى، عن أبي موسى، في سفر النبي ﷺ، وهو مراهق، مع أبي طالب إلى الشام، وقصة بحيرى، ومما يدل على أنه باطل قوله: ورده أبو طالب، وبعث معه أبو بكر بلالا، وبلال لم يكن خلق بعد، وأبو بكر كان صبيا»[11].

---

(١) انظر: المستدرك ٦١٦/٢ .

(٢) دلائل النبوة ٢٦/٢ .

(٣) الروض الأنف ٢٢٠/٢ .

(٤) السيرة النبوية للنووي ص/٢٢ .

(٥) عيون الأثر ٤٣/١ .

(٦) الإصابة (عن شرح الزرقاني على المواهب ١٩٦/١).

(٧) تعليقه على فقه السيرة للغزالي ص/٦٨ .

(٨)محمد رسول الله ١٦٩/١، ١٧١ .

(٩) عبد القادر، وشعيب، انظر: حاشية زاد المعاد ٧٦/١، وحاشية جامع الأصول ٢٦١/١١ .

(١٠) السيرة للذهبي ص/ ٢٨ .

(١١) ميزان الاعتدال ٥٨١/٢ .

وقال في تلخيص المستدرك ـ بعدما ذكر قول الحاكم ـ: «قلت: أظنه موضوعا فبعضه باطل».[1] كما أنكرها ـ من المحدثين ـ عبد الرحمن الوكيل»[2].

والذي يبدو أن إمكانية الجمع بين الرأيين واردة، لاسيما إذا كان الإنكار منصبا على زيادة الترمذي ـ في ذكر أبي بكر وبلال ـ ، فضعف هذه الزيادة لم يتوقف عنده الذهبي وحده، وإنما وقف عنده طائفة ممن أشار إلى قوة إسنادها: فالحافظ ابن حجر استنكر هذه الزيادة، وقال: وليس فيه منكر سوى هذه اللفظة، فتحمل على أنها مدرجة فيه مقتطعة من حديث آخر، وهمًا من أحد رواته[3].

وقبله قال ابن القيم: ووقع في كتاب الترمذي وغيره أنه بعث معه بلالا، وهو من الغلط الواضح. فإن بلالا إذ ذاك لعله لم يكن موجودا وإن كان فلم يكن مع عمه، ولا مع أبي بكر[4].

وقال «ابن سيد الناس»: إن في متن حديث الترمذي نكارة، وهي إرسال أبي بكر مع النبي ﷺ بلالا...[5]، وقال الجزري: وذكر أبي بكر فيه وبلال غير محفوظ[6].

هذا كله فضلا عن أن رواية ابن إسحق ـ التي سبق ذكرها ـ لم تذكر هذه الزيادة المنكرة.

أما إعلال «ابن كثير» للقصة بإرسال أبي موسى الأشعري لها ـ حيث لم

---

(١) تلخيص المستدرك ٦١٥/٢ .

(٢) انظر : تعليقه على الروض الأنف للسهيلي ٢٢٦/٢، ٢٢٧ .

(٣) الإصابة (عن شرح الزرقاني للمواهب ١٩٦/١).

(٤) زاد المعاد ٧٦/١، ٧٧ .

(٥) عيون الأثر ٤٣/١ .

(٦) انظر : فقه السيرة للغزالي (حاشيته) ص/ ٦٨.

يقدم إلى المدينة إلا في سنة خيبر سنة سبع من الهجرة ـ فمع محاولة ابن كثير الإجابة عن ذلك[1]؛ فهناك رواية أخرى ذكرها «رزين»[2] رواها علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ عن أبيه (أبي طالب)، وقال ابن الأثير الجزري: وليس بينها وبين رواية الترمذي ـ عن أبي موسى ـ كبير اختلاف[3]، ولعل بها يزول الإرسال المذكور. ويترجح تحسين الترمذي لها، ويتقوى تصحيح الحاكم للقصة.

البيئة التي نشأ فيها:

أما عن البيئة التي نشأ فيها عليه الصلاة والسلام فهي بيئة جاهلية، حتى إن البخاري عقد في صحيحه «باب قصة زمزم وجهل العرب»، وفيه ساق الأثر عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إذا سرّك أن تعلم جهل العرب، فاقرأ مافوق الثلاثين ومائة في سورة الأنعام: ﴿ قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم﴾ إلى قوله: ﴿ قد ضلوا وماكانوا مهتدين﴾[4].

وعقد بابا آخر في «أيام الجاهلية» ذكر فيه بعضا من ملامح هذه الجاهلية: فقريش في جاهليتها كانت تصوم عاشوراء، وكان النبي ﷺ يصومه، فلما قدم المدينة صامه، وأمر بصيامه..[5].

والمرأة القرشية (من أحمس) التي دخل عليها أبو بكر، فرآها لا تتكلم،

---

(١) انظر: السيرة لابن كثير ٢٤٨/١ .

(٢) هو أبو الحسن رزين بن معاوية بن عمار العبدري السرقسطي الأندلسي، جاور بمكة زمنا، وتوفي بها سنة ٥٣٥هـ، وله كتاب «التجريد للصحاح الستة»، وبه جمع بين كتب البخاري، ومسلم، والموطأ، وجامع الترمذي وسنن أبي داود، وسنن النسائي ـ رحمهم الله ـ ورتب كتابه على الأبواب دون المسانيد، وقد أفاد منه «ابن الأثير الجزري» في كتابه « جامع الأصول» ونقل عنه. (مقدمة جامع الأصول ٤٨/١).

(٣) جامع الأصول ٢٥٩/١١، ٢٦١ .

(٤) ١٦٠/٤، ١٦١ كتاب: المناقب .

(٥) البخاري ٢٣٤/٤: كتاب مناقب الأنصار، ومسلم ٧٩٢/٢: كتاب الصيام، باب صوم يوم عاشوراء.

فقال: مالها؟قالوا: حجّت مصمتة،قال لها: تكلمي فإن هذا لا يحل،هذا من عمل الجاهلية، فتكلمت .. إلى أن قالت: مابقاؤنا على هذا الأمر الصالح الذي جاء الله به بعد الجاهلية..؟[١].

وغلام أبي بكر يؤكد الكهانة في الجاهلية، ويقول لأبي بكر: كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية[٢]، وأهل الجاهلية كانوا يتبايعون لحوم الجزور إلى حبل الحبلة..[٣].

وأول قسامة كانت في الجاهلية في بني هاشم[٤].

ومن خصال الجاهلية: الطعن في الأنساب، والنياحة، ونسي ابن عباس (الراوي) الثالثة، وقيل: إنها الاستسقاء بالأنواء[٥].

يضاف إلى ذلك جاهليتهم في أمور النكاح، وقد كان النكاح عندهم ـ كما تقول عائشة ـ رضي الله عنها على أربعة أنحاء: فنكاح منها نكاح الناس اليوم، يخطب الرجل إلى الرجل وليته ، أو ابنته، فيصدقها، ثم ينكحها، ونكاح آخر كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها: أرسلي إلى فلان، فاستبضعي منه ويعتزلها زوجها ولايمسها أبداً، حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب ـ وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد ـ فكان هذا يسمى نكاح الاستبضاع ، ونكاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة

---

(١) البخاري ٢٣٤/٤، ٢٣٥..

(٢) المصدر نفسه ٢٣٦/٤ .

(٣) المصدر نفسه ٢٣٦/٤= وحبل الحبلة:«أن تنتج الناقة مافي بطنها، ثم تحمل التي نتجت» كما جاء موضحا في الحديث نفسه .

(٤) البخاري ٢٣٦/٤ .

(٥) المصدر نفسه ٢٣٦/٤ .

كلهم يصيبها، فإذا حملت، ووضعت،ومرّ ليال بعد أن تضع حملها، أرسلت إليهم،فلم يستطع أحد منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها، تقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمركم، وقد ولدت، فهو ابنك يافلان، تسمي من أحبّت باسمه، فيلحق به ولدها لايستطيع أن يمتنع به الرجل، والنكاح الرابع أن يجتمع الناس الكثير، فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها، وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علما، فمن أرادهن دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن، ووضعت حملها جمعوا لها، ودعوا لهم القافة، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون، فالتاط به، ودعي ابنه، لايمتنع من ذلك، فلما بعث محمد ﷺ بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلانكاح الناس اليوم[1].

إلى غير ذلك من صور وملامح هذه الجاهلية والنصوص المؤكدة لها، حتى إن زيد بن عمرو بن نفيل[2]، أبى أن يأكل من السفرة التي قدمت للنبيﷺ، وقال: إني لست آكلا مما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلا ماذكر اسم الله عليه ... وكان يعيب على قريش ذبائحهم،ويقول: الشاة خلقها الله ، وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض، ثم تذبحونها

---

(١) المصدر نفسه ١٣٢/٦ ، ١٣٣ : كتاب النكاح، باب من قال: لا نكاح إلا بوليّ.

(٢)قرشي عدوي، ابن عم عمر بن الخطاب، رحل إلى الشام باحثا عن عبادات أهلها، فلم تستمله اليهودية ولا النصرانية، فعاد إلى مكة يعبد الله على دين إبراهيم، تألب عليه جمع من قريش، فأخرجوه من مكة فانصرف إلى حراء، توفي قبل البعثة بخمس سنين. (الأعلام ١٠٠/٣).

غير اسم الله؟! إنكاراً لذلك وإعظاماً[1].

وزيد هذا كان ينفي أن يكون أحد من قريش على دين إبراهيم، ويقول: يامعشر قريش، والله مامنكم على دين إبراهيم غيري..[2].

وهذه الجاهلية التي كانت تعيشها قريش فيها من الشقاء والشدة والبلاء مايفصح عنه المغيرة بقوله أمام عامل كسرى(وقدكان في البعث الذي بعثه عمر)وقد سألهم: ما أنتم؟فأجابه:

نحن أناس من العرب، كنا في شقاء شديد، وبلاء شديد، نمصُّ الجلد والنوى من الجوع، ونعبد الشجر والحجر....[3].

وحذيفة بن اليمان رضي الله عنه يسأل النبي ﷺ، ويقول:

يارسول الله: إنا كنا في جاهلية وشرّ، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟![4].

---

(١) البخاري ٤/٢٣٢، ٢٣٣: كتاب مناقب الأنصار، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل .= نقل ابن حجر تعليق بعض العلماء على هذا الحديث، فقال: قال ابن بطال: كانت السفرة لقريش قدموها للنبي ﷺ، فأبى أن يأكل منها .. قال ابن حجر: وما قاله محتمل، لكن لا أدري من أين له الجزم بذلك .. وقال الخطابي: كان النبي ﷺ لا يأكل مما يذبحون عليها للأصنام، ويأكل ماعدا ذلك، وإن كانوا لا يذكرون اسم الله عليه؛ لأن الشرع لم يكن نزل بعد ، بل لم ينزل الشرع بمنع أكل مالم يذكر اسم الله عليه إلا بعد المبعث بمدة طويلة. قلت(ابن حجر) وهذا الجواب أولى مما ارتكبه ابن بطال .. (الفتح ٧/١٤٣).

=قال السهيلي: فإن قيل كيف وفق الله زيدا إلى ترك أكل ماذبح على النصب، وما لم يذكر اسم الله عليه، ورسول الله ﷺ كان أولى بهذه الفضيلة في الجاهلية لما ثبت الله له؟ فالجواب من وجهين: **أحدهما**: أنه ليس في الحديث مايدل على أنه ﷺ أكل منها...، والثاني: أن زيدا إنما فعل ذلك برأي رآه لابشرع متقدم، وإنما تقدم شرع إبراهيم بتحريم الميتة،لا بتحريم ما ذبح لغير الله ، وإنما نزل تحريم ذلك في الإسلام ... (وهذا الجواب الثاني أنكره على السهيلي المحقق عبد الرحمن الوكيل ، حيث قال جوابه الثاني غير مقبول .. إلخ).

(الروض الأنف ٢/٣٦١).

(٢) البخاري ٤/٢٣٣.

(٣) المصدر نفسه ٤/٦٣ : كتاب الجزية والموادعة، (الباب الأول).

(٤) المصدر نفسه ٨/٩٣ : كتاب الفتن .

وبلغ من شدة هذه الجاهلية أن الآباء كانوا يدفنون البنات، وهن أحياء، حتى أثر عن زيد بن عمرو أنه كان يحيي الموءودة، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته: لا تقتلها، أنا أكفيك مؤنتها، فيأخذها ، فإذا ترعرعت قال لأبيها: إن شئت دفعتها إليك، وإن شئت كفيتك مؤنتها[1].

وهذه البيئة الجاهلية عمت ببلواها أبوي النبي ﷺ، حيث ماتا على الكفر. يقول الرسول ﷺ عن أبيه وقد جاءه رجل يسأله:

أين أبي؟ قال: «في النار»، فلما قفى دعاه، فقال: «إن أبي وأباك في النار»[2].

أما أمه، فيقول ﷺ: «استأذنت ربي أن أستغفر لأمي، فلم يأذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها. فأذن لي، فزوروا القبور، فإنها تذكر الموت»[3].

وإذا كانت هذه محصلة روايات الصحيحين في بيان بعض ملامح البيئة التي نشأ فيها النبي ﷺ، فإننا نجد عند ابن إسحق موافقة لبعض ماذكر منها، وبيان لملامح أخرى .

فقد أورد ابن إسحق مسألة الفخر بالأحساب والطعن بالأنساب[4]

وجاء على ذكر قصة زيد بن عمرو بن نفيل وكراهيته لعادات الجاهلية في الذبائح للأصنام[5]، وهي مقاربة لما جاء في الصحيح.

كما ذكر ابن إسحق ـ من عوائد الجاهلية ـ أن المشركين كانوا يقولون بـ«جمع»: أشرق ثبير كيما نغير، وكانوا لايفيضون حتى تطلع الشمس[6].

---

(١) المصدر نفسه ٢٣٣/٤.

(٢) مسلم ١٩١/١: كتاب الإيمان، باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار..

(٣) المصدر نفسه ٦٧١/٢: كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ ربه عز وجل في زيارة قبر أمه .

(٤) انظر الجزء المطبوع(تحقيق سهيل زكار)ص٩٨.

(٥) المصدر نفسه ص ١١٨.

(٦) المصدر السابق ص٩٨.

وذكر من عادتهم في الذبائح أنهم كانوا إذا ذبحوا لطخوا بالدماء وجه الكعبة وشرحوا اللحوم فوضعوها على الحجارة، وقالوا: لايحل لنا أن نأكل شيئا جعلناه لله عز وجل حتى تأكله السباع والطير..»[1].

ومن عوائدهم: أنهم جعلوا«للحمس»وهم أهل الحرم مزايا خصوا بها أنفسهم دون سائر الناس فتركوا الوقوف بعرفة والإفاضة منها وقالوا: نحن أهل الحرم فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحرمة ولانعظمن غيرها،ثم زادوا على ذلك فابتدعوا أمورا لم تكن حيث قالوا: لاينبغي للحمس أن يأقطوا الأقط، ولايسلوا السمن وهم حرم، ولايدخلوا بيتًا من شعر، ولا يستظلوا إلا في بيوت الأدم ماداموا حرامًا، ثم رفعوا في ذلك فقالوا:لاينبغي لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاءوا به معهم من الحلّ في الحرم إذا جاءوا حجاجًا أو عمّاراً، ولا يطوفوا بالبيت إذا قدموا أول طوافهم إلا في ثياب الحمس فإن لم يجدوا شيئاً منها طافوا بالبيت عراة ..»[2].

---

(١) المصدر نفسه ص ١٠٠.

(٢) المصدر نفسه ص ١٠١، ١٠٢ .

مخالفته لبعض عادات أهل الجاهلية

وإذا كان النبي ﷺ عاش في هذه البيئة، فهل كان لها تأثير عليه؟ الحقّ أن الله تعالى حماه من لوثات هذه الجاهلية، ومساوئها.

قال ابن إسحق: فشبّ رسول الله ﷺ، والله تعالى يكلؤه، ويحفظه، ويحوطه من أقذار الجاهلية، لما يريد من كرامته ورسالته[1].

وفي الصحيحين نشير إلى حادثتين تؤكدان ذلك:

الأولى: في بناء الكعبة، حين شارك قومه في بنائها، وكان هو وعمه «العباس» ينقلان الحجارة، وكان عليه إزاره، فقال له عمه: اجعل إزارك على رقبتك يقيك من الحجارة، ففعل فخرّ إلى الأرض، وطمحت عيناه إلى السماء، ثم أفاق، فقال: إزاري إزاري، فشدّ عليه إزاره[2].

ويتفق «ابن إسحق» مع «الشيخين» في ذكر هذه الحادثة، لكنه يختلف عنهما في تحديد زمانها، ومكانها، إذ جاءت روايته عنها هكذا:

«وكان رسول الله ﷺ فيما ذكر لي - يحدث عما كان الله يحفظه به في صغره، وأمر جاهليته أنه قال: «لقد رأيتني في غلمان قريش ننقل حجارة لبعض مايلعب به الغلمان، كلنا قد تعرى، وأخذ إزاره، فجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة، فإني لأقبل معهم كذلك، وأدبر، إذ لكمني لاكم مأراه لكمة وجيعة، ثم قال: شدّ عليك إزارك، قال: فأخذته، وشددته عليّ، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتي وإزاري عليّ من بين أصحابي»[3].

---

(١) انظر الجزء المطبوع من سيرة ابن إسحق تحقيق سهيل زكار ص ٧٨. والسيرة لابن هشام ١٩٧/١ ذكرها ابن إسحق دون إسناد.

(٢) البخاري ١٥٥/٢: كتاب الحج، باب فضل مكة وبنيانها ..، وفي كتاب مناقب الأنصار، باب بنيان الكعبة ٢٣٤/٤، ومسلم ٢٦٨/١: كتاب الحيض، باب الاعتناء بحفظ العورة.

(٣) السيرة لابن هشام ١٩٧/١= وقد ساقها ابن إسحق دون إسناد، واكتفى بالقول «فيما ذكر لي».

وقد نبّه «السهيلي» لهذا الفرق، وتعقب ابن إسحق في روايته تلك، مشيراً إلى أن هذه القصة إنما وردت ـ في الحديث الصحيح ـ في حين بنيان الكعبة.. ثم قال: وحديث ابن إسحق إن صح أنه كان ذلك في صغره، إذ كان يلعب مع الغلمان، فمحمله على أن هذا الأمر كان مرتين: مرة في حال صغره، ومرة في أول اكتهاله عند بنيان الكعبة(١).

أما ابن كثير فقال: إنها شبيهة بما في الصحيح، فإن لم تكنها فهي متقدمة عليها كالتوطئة لها(٢).

على أن ابن إسحق ذكر بناء قريش للكعبة، ومشاركة النبي ﷺ معهم ـ وعمره خمس وثلاثون سنة ـ حينما ارتضوه حكما بينهم في وضع «الحجر الأسود»، لكنه لم يذكر أنه تعرّى حين ذاك(٣).

هذه الروايات تشير إلى خلق من أخلاق أهل الجاهلية، ألا وهو التعري، وهذا الخلق تتفق عليه رواية الصحيح وابن إسحق، حيث ذكروا أنهم كانوا يطوفون حول البيت عراة، عدا الحمس(والحمس قريش وماولدت)وهم الذين كانوا يحتسبون على الناس بالثياب يطوفون بها، فمن لم تعطه الحمس طاف بالبيت عريانا(٣).

ومع هذ فقد اصطفي الله محمداً ﷺ من بينهم حينما خرّ مغشيا عليه ثم أفاق، وشدّ عليه إزاره.

كما جاء في إحدى روايات الصحيحين أنه ﷺ مارؤي بعد ذلك اليوم عريانا(٤).

---

(١) الروض الأنف٢/٢٢٨.
(٢) السيرة١/٢٥١.
(٣) السيرة لابن هشام ١/٢٠٩ـ٢١٤ـ وقد ذكره ابن إسحق دون إسناد.
(٤) البخاري ٢/١٧٥ :كتاب الحج،باب الوقوف بعرفة، وابن إسحق السيرة لابن هشام١/٢١٩ ،وهو أيضا دون إسناد.
(٥) البخاري ١/٩٦: كتاب الصلاة، باب كراهة التعري في الصلاة، ومسلم ١/٢٦٨: كتاب الحيض(سبق)= قال ابن حجر معلقا: وفي الحديث أنه ﷺ كان مصونا عما يستقبح قبل البعثة وبعدها، (الفتح١/٤٧٥).

أما أهل الجاهلية فقد استمر هذا الخلق فيهم إلى أن أذن في الناس - في حجة أبي بكر بالناس - قبل حجة الوداع - ألا، لايحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان[1].

أما الحادثة الثانية التي خالف محمدﷺفيها قومه، فهي الوقوف بعرفة، إذ كانت قريش تفيض من جمع(مزدلفة) على حين كان يفيض جماعة الناس من عرفات[2].

ويذكر ابن إسحق سبب موقفهم هذا أنهم قالوا: نحن أهل الحرم، فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحرمة، ولا نعظم غيرها كما نعظمها، نحن الحمس، والحمس أهل الحرم[3].

ولهذا تعجب«جبير بن مطعم»[4]حينما أضل بعيراً، فذهب يطلبه - يوم عرفة - فرأى النبيﷺ واقفا بعرفة، وقال: هذا والله من الحمس فما شأنه هاهنا؟![5].

---

(١) البخاري٢/١٦٤ :كتاب الحج، باب لايطوف بالبيت عريان ولا يحج مشرك.

(٢)البخاري ٢/١٧٥(سبق)، ومسلم٢/٨٩٤: كتاب الحج، باب في الوقوف وقوله تعالى:﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾.

(٣) انظر الجزء المطبوع من سيرة ابن إسحق تحقيق سهيل زكار ص ٩٧، ١٠١والسيرة لابن هشام ١/٢١٦.

(٤)هو : جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي النوفلي، كان من أكابر قريش، وعلماء النسب، وقدم على النبي ﷺ في فداء أسارى بدر فسمعه يقرأ«الطور»قال: فكان ذلك أول مادخل الإيمان في قلبي، وقال له النبي ﷺ: «لوكان أبوك حيا، وكلمني فيهم لوهبتهم له؛ لأنه كان له معه موقف». أسلم بين الحديبية والفتح، وقيل غير ذلك، مات سنة سبع أو ثمان أو تسع وخمسين.

(الإصابة : ٢/٦٥).

(٥) البخاري٢/١٧٥، ومسلم٢/٨٩٤(سبقت)، وابن إسحق الجزء المطبوع من سيرته تحقيق: سهيل زكار ص٩٨. وانظرالسيرة لابن هشام ١/٢٢١. باب دعاء النبيﷺ إلى الإسلام والنبوة..، وفي كتاب التفسير ٥/١٦٨باب﴿قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم..﴾، ومسلم ٣/١٣٩٤ : كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام.

صفاته الخَلْقية والخُلُقية

أولاً: صفاته الخَلْقية:

كان النبيﷺ من أحسن الناس وجهًا ، حتى قال أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ : لم أر بعده مثله[1].

وحينما سئل«البراء» ـرضي اللهعنه ـ أكان وجه النبيﷺمثل السيف؟ قال: لا، بل مثل القمر[2].وفي رواية : بل كان مثل الشمس والقمر، وكان مستديراً.[3] وورد أنه كان ﷺ مليح الوجه[4].

أما فمه وعيناه فقد كان ضليع الفم، أشكل العين ، والمعنى(كما فسره أحد رواة الحديث) عظيم الفم، وطويل شقّ العين[5].

أما شَعْره فقد وصف بأنه ليس بالجعد القطط، ولا بالسَّبط[6]، بل كان رَجِلا[7].

---

(١) البخاري ٥٨/٧: كتاب اللباس، باب الجعد، ومسلم ٨١٩/٤: كتاب الفضائل باب في صفة النبي ﷺ وأنه كان أحسن الناس وجها.

(٢) البخاري ١٦٥/٤ : كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ.

(٣) مسلم ١٨٢٣/٤ : كتاب الفضائل، باب شيبه ﷺ .

(٤) المصدر نفسه ١٨٢٠/٤ : كتاب الفضائل، باب كان النبي ﷺ أبيض مليح الوجه.

(٥) المصدر نفسه ١٨٢٠/٤ كتاب الفضائل باب صفة فم النبي ﷺ وعينيه وعقبيه.

(٦)البخاري ٥٧/٧، ٥٨(سبق)، ومسلم١٨٢٤/٤ : الفضائل، باب في صفة النبي ﷺ ومبعثه وسنه.

(٧) البخاري ٥٨/٧، ومسلم١٨١٩/٤، ومعنى (رَجِل) أي لم يكن شديد الجعودة ولا السبوطة بل بينهما (النهاية٢٠٣/٢).

وأنه كـان له جـمّـة عظيـمـة تصل إلى شـحـمـة أذنيـه[١] ،وأحيانا تضرب منكبيه[٢] ،وأحيانا ثالثة تكون بين أذنيه وعاتقه[٣] ، كما كان ﷺ كثير شعر اللحية[٤].

وإذا كان البياض في شعره قد شمل العنفقة[٥] ، والصدغين، وفي الرأس نبذ[٦] فلم يكن ذلك البياض كلّه يبلغ عشرين شعرة[٧].

أما الحمرة في بعض شعره فكانت من آثار الطيب[٨].

ونستكمل بقـيـة صـفـاته الخلقـيـة فنجـده ﷺ من ناحـيـة اللون يوصف بالبياض[٩] ، ولكنه لـم يكـن بالأبيض الأمـهق[١٠] ،ولا بالآدم[١١] ، وإنما كـان أزهر اللون[١٢].

---

(١) البخاري ٤/١٦٥ ، ومسلم ٤/١٨١٨ ، و(الجمّة)من شعر الرأس: ما سقط على المنكبين. (النهاية ١/ ٣٠٠).

(٢) البخاري ٧/٥٨(سبق)، ومسلم ٤/١٨١٨(سبق).

(٣) البخاري٤/١٦٥ ، ٧/٥٨ ، ومسلم ٤/١٨١٩=لعل ذلك هو الجامع بين اختلاف الروايات، وأنه كان يختلف طولا وقصرا حسب أحواله ﷺ ، فإذا قصرها كانت إلى أنصاف أذنيه، وإذا غفل عنها بلغت المنكبين(انظر : النووي١٥/٩١).

(٤)مسلم ٤/١٨٢٣ .. باب شيبه ﷺ .

(٥) العنفقة:(هي ماتحت الشفة السفلى ـ كما جاءت مفسرة في البخاري ٤/ ١٦٤).

(٦) مسلم ٤/١٨٢٢ : الفضائل.

(٧)البخاري ٤/١٦٥ .

(٨) المصدر نفسه ٤/١٦٤ .

(٩) المصدر نفسه ٤/١٦٤ ، ومسلم ٤/ ١٨٢٠ .

(١٠)البخاري ٤/١٦٤ ، ٧/٥٧ ، ومسلم ٤/١٨٢٤ .

(١١) البخاري ٤/١٦٤ ، ٧/٥٧ ، ومسلم ٤/١٨٢٤=والأدمة في الناس: السمرة الشديدة.

(١٢) البخاري ٤/١٦٤=قال ابن الأثير : الأزهر: الأبيض المستنير، والزّهر والزهرة: البياض النير وهو أحسن الألوان. (النهاية ٢/٣٢١).

أما هيئته فلم يكن ﷺ بالطويل البائن، ولا بالقصير[١]، بل كان مربوعا[٢]، وكان مقصّدا[٣].

وكان ﷺ بعيد مابين المنكبين[٤].

أما يداه ورجلاه فقد وصف عليه الصلاة والسلام بأنه كان ضخم اليدين والقدمين[٥]، وأنه بسط الكفين[٦]، وكان ليّن الكف، حتى قال أنس: مامسست خزّة ولا حريرة ألين من كفّ رسول الله ﷺ[٧]، وكان منهوس العقبين[٨].

أما ظهره فكان به خاتم النبوة، كأنه بيضة حمام[٩]، أوهو مثل زرّ الحجلة[١٠] وكان ذلك بين كتفيه[١١]، أو هو على وجه الدقة عند ناغض كتفه اليسرى[١٢].

---

(١) البخاري ٤/١٦٤، ١٦٥، ٧/٥٧، ومسلم ٤/١٨١٨، ١٨٢٤.

(٢) البخاري ٤/١٦٤، ١٦٥، ٧/٤٨، ومسلم٤/١٨١٨.

(٣) مسلم ٤/١٨٢٠= قال في النهاية:«كان أبيض مقصدا» :هو الذي ليس بطويل ولاقصير، ولاجسيم، كأن خلقه نحي به القصد من الأمور، والمعتدل الذي لايميل إلى أحد طرفي التفريط والإفراط. (النهاية في غريب الحديث والأثر٤/٦٧).

(٤) البخاري ٤/١٦٥، ومسلم ٤/١٨١٨.

(٥) البخاري ٧/٥٨.

(٦) المصدر نفسه ٧/٥٨.

(٧) المصدر نفسه ٢/٢٤٤، كتاب الصوم، باب مايذكر من صوم النبي ﷺ وإفطاره.

(٨) مسلم ٤/١٨٢٠= وقد فسر أحد رواة الحديث(منهوس العقبين)فقال:قليل لحم العقب.

(٩) المصدر نفسه ٤/١٨٢٣.

(١٠) المصدر نفسه ٤/١٨٢٣= زر الحجلة:واحد الأزرار التي تشدبها الكلل والستور على مايكون في حجلة العروس، والحجلة : القبجة.

(النهاية ٢/٣٠٠)وهو بيت كالقبة يزين بالثياب والستور للعروس.

(١١) البخاري ٤/١٦٣، ومسلم ٤/١٨٢٣.

(١٢) مسلم ٤/١٢٢٤= قال الجمهور : الناغض: أعلى الكتف.

ثانيا: صفاته الخُلُقية:

وإذا كان ﷺ من أحسن الناس خَلْقًا ـ كما سبق ـ فهو أيضا أحسن الناس خُلُقا، كما يروي لنا ذلك خادمه أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ[1]، وهو الذي كان يقول: «خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين والله ماقال لي أفٍّ قطّ، ولاقال لي لشيء: لم فعلت كذا؟ وهلا فعلت كذا؟»[2].

وفي رواية: «والله ماقال لي لشيء صنعته: لم صنعت هذا هكذا؟ ولا لشيء لم أصنعه لمَ لم تصنع هذا هكذا؟»[3].

وعند البخاري: «خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما قال لي: أف ولا لم صنعت، ولا ألا صنعت؟»[4].

وهذه الخدمة والملازمة من أنس للنبي ﷺ لم تكن في الحضر وحده، أو في السفر وحده، وإنما كانت ـ كما يقول أنس ـ في الحضر والسفر[5].

---

(١) البخاري ١١٩/٧: كتاب الأدب، باب الكنية للصبي وقبل أن يولد الرجل، ومسلم ١٦٩٢/٣: كتاب الأدب، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته.. وفي كتاب الفضائل، باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا ١٨٠٥/٤.

(٢) مسلم ١٨٠٤/٤. كتاب الفضائل.. =هذه الرواية (عشر سنين) متفق عليها وهي المشهورة.

(٣) مسلم ١٨٠٤/١. وفي رواية (تسع سنين) مسلم ١٨٠٥/٤، وعلّق عليها النووي بقوله: ففي رواية التسع لم يحسب الكسر (أي في مدة خدمة أنس بالمدينة) بل اعتبر السنين الكوامل، وفي رواية العشر حسبها سنة كاملة، وكلاهما صحيح (شرح مسلم ٧١/١٥).

(٤) ٨٢/٧، ٨٣: كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء.

(٥) البخاري ١٩٥/٣: كتاب الوصايا، باب استخدام اليتيم في السفر والحضر إذا كان صالحا..، وفي كتاب الديات ٤٦/٨: باب من استعان عبدا أو صبيا، ومسلم ١٨٠٤/٤: الفضائل.

ولم يكن هذا الخلق الحسن قصرا على خدمه، وإنما كان هذا ديدنه مع كل من كان يأتي إليه، ويتعامل معه، فكان مثالا للصبر، والحلم، والرفق، وتعليم الجاهل، وهذه نماذج منها:

عن أنس قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجبذ بردائه جبذة شديدة، قال أنس: فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ، وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يامحمد، مر لي من مال الله الذي عندك ، فالتفت إليه فضحك، ثم أمر له بعطاء!![1].

وجاء أعرابي - ورسول الله ﷺ وأصحابه في المسجد(فقام يبول في المسجد، فزجره الصحابة(مه مه) فنهاهم عن ذلك، وقال: «لاتزرموه، دعوه» «فتركوه حتى بال، ثم دعاه النبي ﷺ، فقال له: إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول، ولا القذر، إنما هي لذكر الله عز وجل،والصلاة، وقراءة القرآن..» ثم دعا بدلو من ماء فشنّه عليه[2].

وجاء في إحدى روايات البخاري في آخرها :«.. فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين»[3].

• وعن أنس قال: أرسلني يوما لحاجة ، فقلت: والله لاأذهب،وفي نفسي أن

---

(١) البخاري ٦٠/٤: كتاب فرض الخمس، باب ماكان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم من الخمس ونحوه، وفي كتاب اللباس٤٠/٧: باب البرود والحبرة والشملة، وفي كتاب الأدب ٩٤/٧ :باب التبسم والضحك، ومسلم٧٣١/٢: كتاب الزكاة، باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة .

(٢) مسلم ٢٣٧/١: كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد.

(٣)البخاري ٦١/١، ٦٢: كتاب الوضوء، باب صب الماء على البول فى المسجد، وباب ترك النبي ﷺوالناس الأعرابي حتى فرغ من بوله في المسجد، وباب يهريق الماء على البول .

أذهب لما أمرني به نبي الله ﷺ، فخرجت حتى أمرّ على صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي ، قال:فنظرت إليه وهو يضحك،فقال: «ياأنيس! أذهبت حيث أمرتك؟» قال: قلت: نعم أنا أذهب يارسول الله[1].

وهذا الصبر والرفق يزينه التواضع في خلقه،والمزاح ـ أحيانا ـ مع أصحابه، فالأمة من إماء المدينة كانت تأخذ بيد النبي ﷺ، فتنطلق به حيث شاءت[2]،والقاصد إليه في بيته لا يجد على بابه بوّابين[3].

أما مزاحه ﷺ، فكان تسرية لأصحابه عند همومهم أحيانا ، ومداعبة لأطفالهم أحيانا أخرى، إلى غير ذلك من مقاصده الحميدة في هذا المزاح، ونذكر كمثال على ذلك موقفه مع علي ـ رضي الله عنه ـ حينما غاضب زوجته فاطمة ـ رضي الله عنها ـ فخرج فاضطجع إلى الجدار إلى المسجد، فتبعه النبيﷺ، فإذا هو مضطجع ، وقد امتلأ ظهره ترابا، فجعل النبي ﷺ يمسح التراب عن ظهره، ويقول:«اجلس ياأبا تراب»[4].

ويقول أنس رضي الله عنه: إن كان النبي ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخ صغير لي إذا رآه: «ياأبا عمير: مافعل النّغير؟!»[5].

---

(١) مسلم ١٨٠٥/٤ : كتاب الفضائل (سبق).

(٢) البخاري ٩٠/٧: كتاب الأدب ، باب الكبر .

(٣) البخاري ١٠٨/٨ : كتاب الأحكام، باب ماذكر أن النبيﷺ لم يكن له بواب، ومسلم ٦٣٨/٢ : كتاب الجنائز، باب في الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى .

(٤) البخاري ١١٩/٧ : كتاب الأدب، باب التكني بأبي تراب، وإن كانت له كنية أخرى .

(٥) البخاري ١٠٢/٧ : كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس، وباب الكنية للصبي، وقبل أن يولد للرجل ١١٩/٧ ، ومسلم ١٦٩٢/٣ : كتاب الأدب (سبق) ،= والنغير: تصغير نغر، وهو طائر صغير كالعصفور.(جامع الأصول ٢٥٨/١١).

وإلى جانب صفاته في الرفق، والتواضع، والمزاح، فهو موصوف بالشجاعة في السلم والحرب،وشجاعته ﷺ في الحرب معروفة، أما في السلم فنذكر منها قصة الفزع الذي أصاب أهل المدينة ذات ليلة، فخرجوا نحو الصوت فإذا رسول الله ﷺ قد سبقهم إليه، وتلقاهم راجعا، وهو على فرس لأبي طلحة عري، في عنقه السيف، وهو يهدّئ ثائرتهم ويقول: «لم تراعوا لم تراعوا مارأينا من شيء، وإنه لبحر (لفرس يبطأ)»[1].

وكان من خلقه عليه الصلاة والسلام حسن التعامل ، وحسن القضاء: فقد استقرض من رجل سنّا من الإبل، فجاءه يتقاضاه، فقال : «أعطوه» ، فطلبوا سنّه، فلم يجدوا له إلاّ سنا فوقها، فقال : «أعطوه» ، حتى قال الرجل: أوفيتني أوفى الله بك، ثم قال عليه الصلاة والسلام: «إن خياركم أحسنكم قضاء»[2].

وفي رواية : إن ذلك الرجل أغلظ للنبي ﷺ القول، فهمّ به أصحابه، فقال لهم : «إن لصحاب الحق مقالا» ، ثم قال لهم : «اشتروا له سناً، فأعطوه إياه، فقالوا: إنا لا نجد إلا سنّا هو خير من سنّه، قال «فاشتروه فأعطوه إياه» ، فإن من خيركم أحسنكم قضاء»[3]

(١) البخاري ٢٢٨/٣ : كتاب الجهاد والسير، باب الحمائل وتعليق السيف بالعنق، وفي باب السرعة والركض في الفزع١٠/٤ ، وفي باب : إذا فزعوا بالليل٢٧/٤ ، ٦٠ ،وفي كتاب الأدب ٨٢/٧(سبق) ، ١٢٢باب في المعاريض مندوحة عن الكذب، ومسلم ١٨٠٢/٤ ,١٨٠٣ : كتاب الفضائل باب في شجاعة النبي عليه السلام وتقدمه للحرب .

(٢) البخاري ٦١/٣ : كتاب الوكالة، باب وكالة الشاهد والغائب جائزة،وباب الوكالة في قضاء الديون ٦١/٣ ، ٦٢ ، وكتاب الاستقراض ٨٣/٣، وباب استقراض الإبل، وباب هل يعطي أكبر من سنه، وباب حسن القضاء، وفي كتاب الهبة١٣٨/٣ :باب الهبة المقبوضة وغير المقبوضة، ومسلم١٢٢٥/٣ : كتاب المساقاة، باب من استسلف شيئا فقضى خيراً منه .

(٣) البخاري٨٥/٣: كتاب الوكالة، باب لصاحب الحق مقال، وفي كتاب الهبة ١٣٨/٣ ،باب الهبة المقبوضة..، ومسلم ١٢٢٥/٣ .

ومن صفاته: الجود، والكرم،فهو أجود الناس[1]، وماسئل رسول اللهﷺ شيئا قط، فقال لا[2]، ولهذا غضب الصحابة رضوان اللهعليهم من ذلك الرجل الذى طلب من النبيﷺ أن يكسوه البردة التي أهدتها إليه امرأة، وكانت قد نسجتها بيدها، وكان عليه السلام محتاجا إليها، ومع ذلك طواها وأرسل بها إليه، فقال له الصحابة: ماأحسنت، سألتها إياه، وقد علمت أنه لا يرد سائلا ؟[3].

وهذه الجود والكرم منهﷺ كان سببا في دخول أقوام في دين الله، ومن ذلك: قصته مع الرجل الذى جاءه يسأله، فأعطاه غنما بين جبلين، فرجع إلى قومه، فقال، ياقوم: أسلموا، فإن محمدا يعطي عطاء من لايخشى الفقر[4].

ولهذا قال أنس: إن كان الرجل ليسلم مايريد إلا الدنيا، فما يسلم حتى يكون الإسلام أحبّ إليه من الدنيا وماعليها!![5].

بل لقد كان هذا الجود منه ﷺ مثار عجب، وسبب مودة، حتى لأعدائه. يقول صفوان بن أمية بعد أن أعطاه النبي ﷺ مائة من النعم، ثم مائة من

---

(١) البخاري ٤/١ : كتاب الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، وفي كتاب الجهاد والسير٢٧/٤ (سبق)، وفي كتاب الأدب٨٢/٧(سبق)، ومسلم ١٨٠٢/٤ (سبق).

(٢) البخاري ٨٢/٧(سبق)، ومسلم ١٨٠٥/٤ (سبق).

(٣) البخاري ١٤/٣ : كتاب البيوع،باب ذكر النسّاج، وفي كتاب اللباس:٤٠/٧ (سبق)،وفي كتاب الأدب٨٢/٧(سبق)وفي كتاب المناقب ١٦٥/٤ : باب صفة النبي ﷺ، وفي كتاب الجنائز٧٨/٢: باب من استعد للكفن في زمن النبي ﷺ.

(٤) مسلم ١٨٠٦/٤ : كتاب الفضائل(سبق).

(٥) المصدر نفسه ١٨٠٦/٤.

غنائم حنين: والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ماأعطاني، وإنه لأبغض الناس إليّ، فما برح يعطيني، حتى إنه لأحبّ الناس إليّ!![1].

ولفرط جوده عليه الصلاة والسلام، ومعرفة الناس به علقته الأعراب ـ منصرفه من حنين ـ يسألونه حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه، فوقف وقال: «أعطوني ردائي، فلو كان عدد هذه العضاة نعما لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلا، ولا كذوبا ولا جبانا»[2].

وقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: قسم رسول الله ﷺ قسما، فقلت: والله يارسول الله لغير هؤلاء كان أحق به منهم، قال: «إنهم خيروني أن يسألوني بالفحش، أو يبخلوني، فلست بباخل»[3]. ولم يقتصر ذلك الجود على المؤلفة قلوبهم، ومن يطمع في إسلامهم، بل شمل جوده وكرمه صحابته المؤمنين، فعبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ كان مع النبيﷺفي سفر، وكان على بكر صعب لأبيه (عمر)، وكان هذا البكر يغلب عبد الله، فيتقدم أمام القوم، فيزجره عمر،ويرده، ثم يتقدم فيزجره عمر، ويرده، فقال النبيﷺ لعمر: «بِعْنِيهِ»، فقال: هو لك يارسول الله، قال: بِعْنِيهِ، فباعه من رسول الله ﷺ، فقال عليه الصلاة والسلام: «هو لك ياعبد الله بن عمر، تصنع به ماشئت»!![4].

---

(١) مسلم ١٨٠٦/٤.

(٢) البخاري ٦٠/٤: كتاب فرض الخمس (سبق).

(٣) مسلم ٧٣٠/٢ : كتاب الزكاة (سبق).

(٤) البخاري ١٩/٣: كتاب البيوع ، باب إذا اشترى شيئا فوهب من ساعته قبل أن يتفرقا ..، وفي كتاب الهبة ١٤٠/٣: باب إذا وهب بعيرا لرجل وهو راكبه فهو جائز.

وجابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ يكون مع النبيﷺ، في غزاة، ومعه جمل ثقال قد أعيا به، وخلّفه في أخريات القوم، حتى زجره النبي ﷺ، فأسرع به، فطلب منه بيعه عليه فقال: هو لك يارسول الله، قال: «بعنيه» فاشتراه منه، وقال: «لك ظهره إلى المدينة»، فلما قدم المدينة أوصى بلالا أن يقضيه، ويزيد له عن ثمنه.. ثم رده عليه،جمله والثمن!![1].

وفوق ماتقدم من كريم خلقه عليه الصلاة والسلام، فلم يكن بفظ، ولا غليظ، ولا سخاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو، ويصفح[2]

ولم يكنﷺ سبابا، ولا فحاشا، ولا لعانا[3]،وهو القائل لعائشة ـ رضي الله عنها ـ: «ياعائشة، متى عهدتني فحاشا»؟![4]

---

(١) البخاري ١٥/٣ : كتاب البيوع، باب شراء الدواب والحمير..، وفي كتاب الوكالة٦٣/٣ :باب إذا وكل رجل أن يعطي شيئا ولم يبين..، وفي كتاب الاستقراض٨٧/٣ :باب الشفاعة في وضع الدين، وفي كتاب الشروط١٧٤/٣ :باب إذا اشترط البائع ظهر الدابة إلى مكان مسمى جاز، وفي كتاب الجهاد والسير٢١٨/٣ :باب من ضرب دابة غيره في الغزو، وفي باب استئذان الرجل الإمام لقوله:﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه﴾١٠/٤ ، ومسلم ٤٩٦/١ : كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب الركعتين في المسجد لمن قدم من سفر أول قدومه، وفي كتاب الرضاع١٠٨٨/٢ ، ١٠٨٩ :باب استحباب نكاح البكر.

(٢) البخاري ٢١/٣ :كتاب البيوع، باب كراهة السخب في السوق، وفي كتاب التفسير٤٤/٦ ، ٤٥ :باب﴿إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا﴾(الفتح آية ٨/).

(٣) البخاري ٨١/٧، ٨٢: كتاب الأدب، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشا ولا متفحشا، وفي باب ماينهى من السباب واللعن٨٤/٧.

(٤) المصدر نفسه ٨١/٧(سبق).

وهو الموصوف بالتوراة ببعض صفته في القرآن:« يأيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا،وحرزا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ..»[١].

وكان الصدق في الحديث خلقا من أخلاقه عليه الصلاة والسلام، عرفه بذلك العدو والصديق، فأمية بن خلف حينما قال له سعد بن معاذ: سمعت محمدا يزعم أنه قاتلك، قال: إياي؟قال: نعم، قال: والله مايكذب محمد إذا حدث..،وكذا زوجة أمية لما أعلمها بالخبر قالت: فوالله مايكذب محمد!![٢].

وأبو سفيان لما سأله هرقل:هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ أجابه قائلا: لا، وعندها ردّ هرقل، لم يكن ليذر الكذب على الناس، ويكذب على الله[٣].

ومشركو قريش كانوا يعرفون هذا الخلق للنبي ﷺ فحينما صعد الصفا، واجتمع إليه الملأ من بطون قريش قال لهم:«أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي» ؟قالوا : ما جربنا عليك إلا صدقا[٤].

وفي رواية، قالوا: ماجربنا عليك كذبا[٥].

---

(١) البخاري ٢١/٣(سبق)، ٤٤/٦، ٤٥(سبق أيضا).

(٢) البخاري ١٨٥/٤ كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام.

(٣) البخاري ٥/١، ٦ بدء الوحي، وفي كتاب الجهاد والسير٣/٤ :باب دعاء النبيﷺإلى الإسلام والنبوة ...، وفي كتاب التفسير١٦٨/٥ :باب﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾، ومسلم ١٣٩٤/٣ : كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعو إلى الإسلام .

(٤) البخاري ١٧/٦ : كتاب التفسير، باب :﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾.

(٥)البخاري ٩٤/٦ : كتاب التفسير(تفسير تبت يدا)، ومسلم ١٩٤/١ كتاب الإيمان، باب:﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾.

ولم يكن من خلقه ﷺ الغدر والخيانة،بل كان من خلقه الأمانة والوفاء بالعهد.. وهذه أيضا اعترف بها أبو سفيان للنبي ﷺأمام هرقل[1]والتزام النبي ﷺبهذا الخلق جعله يردّ أبا بصير، وأبا جندل عام الحديبية ـ مع كرهه والمسلمين لذلك ـ لأنه عاهد قريشا على رد من يأتي إليه منهم[2].

هذه نماذج من صفات الرسول ﷺ الخلقية، وهي ليست حصرا لها بقدر ماهي إشارات إلى نوعيتها.. وصدق الله:﴿.. وإنك لعلى خلق عظيم﴾[3].

وهذا الذي ذكره الشيخان في صفته عليه الصلاة والسلام ـ الخَلْقية والخُلُقية ـ له مايقاربه في السيرة ـ كما ذكر ذلك ابن هشام[4] ـ حيث قال وكان صفة رسول الله ﷺ ـ فيما ذكر عمر مولى غفرة ، عن إبراهيم بن محمد بن علي بن أبي طالب قال: كان علي بن أبي طالب عليه السلام إذا نعت رسول الله ﷺ قال : لم يكن بالطويل الممغط[5]، ولا القصير المتردد ، كان ربعة من القوم ، ولم يكن بالجعد القطط، ولا السبط،كان جعداً رَجِلاً، ولم يكن بالمطهم[6]، ولا المكلثم[7]، وكان أبيض مشربا، أدعج

---

(١) البخاري ١/٥، ٦(سبق)،٣/٤، ٥/١٦٨(سبقت)، ومسلم٣/١٣٩٤(سبق).

(٢) البخاري ٣/١٦٨ : كتاب الصلح، باب الصلح مع المشركين، وفي كتاب الشروط ٣/١٧٢ :باب مايجوز من الشروط في الإسلام والأحكام والمبايعة وباب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط ٣/١٨٢ ، ١٨٣ ، وفي كتاب المغازي٥/٦٨ :باب غزوة الحديبية.

(٣) سورةالقلم آية/ ٤.

(٤) لم ينسب ذلك ابن هشام إلى ابن إسحق .

(٥) الممغط ـ بالمعجمة ـ هو الممتد، وقال أبو رز ـ بالمهملة ـ هو المضطرب الخلق.

(٦) المطهم: العظيم الجسم.(انظرالسيرة النبوية لابن هشام ٢/٨).

(٧) المكلثم: هو المستدير الوجه في صغر.(المصدر السابق٢/٨).

العينين[1]، أهدب الأشفار[2]،جليل المشاش[3]والكتد[4]، دقيق المسربة[5]أجرد[6]، شثن[7] الكفين والقدمين، إذا مشى تقلّع[8]، كأنما يمشي في صبب[9]، وإذا التفت التفت معا، بين كتفيه خاتم النبوة، وهو خاتم النبيين، أجود الناس كفّا، وأجرأ الناس صدرا، وأصدق الناس لهجة، وأوفى الناس ذمة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه أحبه. يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ[10].

---

(١) أي أسودهما. (المصدر السابق٢/٨).

(٢) أي طويلهما، والأشفار: جمع شفر وهو حرف الجفن الذي ينبت عليه الشعر.(المصدر السابق٢/٨).

(٣) المشاش: عظام رؤوس المفاصل.(المصدر السابق٢/٨).

(٤) الكتد: مابين الكتفين.(المصدر السابق٢/٨).

(٥) المسربة: الشعرالذي يمتد من الصدر إلى السرة(المصدر السابق٢/٨).

(٦) الأجرد: القليل شعر الجسم.(المصدر السابق٢/٨).

(٧)أي غليظ. (المصدر السابق٢/٨).

(٨) تقلع: أي لم يثبت قدميه.(المصدر السابق ٢/٨).

(٩) في صبب: أي في موضع منحدر.(المصدر السابق٢/٨).

(١٠) انظر: السيرة لابن هشام ٢/٧_٩ وفي السند ضعف، نظرا لوجود عمر بن عبدالله المدني(مولى غفرة)فقد ضعف، وقيل:كان كثير الإرسال.(انظر: تقريب التهذيب٢/٥٩، والتهذيب ٧/٤٧١)،وفوق ذلك ففي سنده انقطاع، فقد أخرجه الترمذي في المناقب٥/٢٦٠وقال: هذا حديث ليس إسناده بمتصل.

وانظر كذلك مختصر الشمائل المحمدية للترمذي، وضعف محققه (الألباني) سنده ص(١٦).

* * *

زواجه بخديجة وبقية أزواجه في مكة

وسأكتفي ـ من أزواجهﷺ ـ بذكر من تم العقد عليها في الفترة المكية، التزاما بالإطار الزمني لموضوع الرسالة.

١ـ زواجه بخديجة رضي الله عنها:

قال البخاري في صحيحه:«باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها»، ثم ساق في الباب عدة أحاديث تؤخذ دلالتها بطريق اللزوم على زواجه بخديجة، كما ذكر ذلك ابن حجر عليه رحمة الله[١].

ومنها قول عائشة ـ رضي الله عنها ـ:ماغرت على امرأة للنبي ﷺ ماغرت على خديجة..[٢]وقولها:.. وتزوجني بعدها بثلاث سنين[٣].

وقول النبيﷺعن خديجة.. «إنها كانت، وكانت،وكان لي منها ولد»[٤].

وخديجة ـ رضي الله عنها ـ هي أولى زوجاته ﷺ، ولم يتزوج عليها حتى ماتت[٥]، وكان النبيﷺ يكثر ذكرها، ويظهر حبها ، حتى قال يوما لعائشة رضي الله عنها وقد أغضبته ـ بسبب خديجة ـ: «إني قد رزقت حبّها»[٦].

---

(١) فتح الباري ١٣٥/٧ .

(٢) البخاري ٢٣٠/٤ ، ٢٣١ : كتاب مناقب الأنصار، وفي كتاب النكاح١٥٨/٦ : باب غيرة النساء ووجدهن، ومسلم١٨٨٨/٤ ، ١٨٨٩ : كتاب فضائل الصحابة . باب فضل خديجة.

(٣) البخاري ٢٣١/٤ ..،ومسلم ١٨٨٨/٤ .

(٤)البخاري ٢٣١/٤ .

(٥) مسلم ١٨٨٩/٤ .

(٦) المصدر نفسه ١٨٨٨/٤ .

وكان يتأثر لذكراها، وينبسط لمن يذكره بها، وقد دخلت عليه يوما أختها «هالة بنت خويلد» فتذكر بها استئذان خديجة، فارتاع (أو ارتاح[1]) لذلك، حتى غارت منه عائشة وقالت: «وماتذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين، هلكت في الدهر قد أبدلك الله خيرا منها»[2].

ويبلغ في ثنائه عليها فيقول: خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد[3]، وأشار وكيع إلى السماء والأرض[4].

ومابال لا يثني عليها وقد أوحى الله إليه أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه، ولا نصب[5]، وجبريل ـ عليه السلام ـ يطلب من النبي ﷺ أن يقرأ عليها السلام من ربها ومنه[6].

وخديجة ـ رضي الله عنها ـ هي التي قوّت قلب النبي ﷺ حينما نزل عليه الوحي، فقد جاء إليها، وفؤاده يرجف، ويقول: لقد خشيت على نفسي، فقالت: كلاّ والله مايخزيك الله أبدا ....، ثم انطلقت به إلى ورقة بن نوفل[7].

---

(١) هذه رواية مسلم، والأولى لفظ البخاري، ولا تعارض بينهما (انظر الفتح ١٤٠/٧).

(٢) البخاري ٢٣١/٤، ومسلم ١٨٨٩/٤ ورواية البخاري جاءت بصفة التعليق هكذا (وقال إسماعيل ابن خليل)، لكنه في رواية مسلم موصولا هكذا (حدثنا سويد بن سعيد .. إلخ)، كما وصله الإسماعيلي وأبو عوانة في صحيحه، وأبو نعيم في المستخرج. (انظر الفتح ١٤٠/٧، وتغليق التعليق ٨١/٤).

(٣) البخاري ٢٣٠/٤، ومسلم ١٨٨٦/٤.

(٤) مسلم ١٨٨٧/٤.

(٥) البخاري ٢٣١/٤، ١٥٨/٦، ومسلم ١٨٨٧/٤، ١٨٨٨.

(٦) البخاري ٢٣١/٤، ومسلم ١٨٨٧/٤.

(٧) البخاري ٣/١: بدء الوحي، وفي كتاب الأنبياء ١٢٤/٤: باب «﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه﴾» وفي كتاب التفسير ٨٨/٦: (سورة اقرأ)، وفي كتاب التعبير ٦٧/٨: باب التعبير وأول مابدئ به رسول الله ﷺ من الوحي، ومسلم ١٤١/١: كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ.

ويذكر «ابن إسحق» في سبب زواج النبي ﷺبها قصة سفره بتجارة لها إلى الشام مع غلامها ميسرة، فيقول: وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ، ومال، تستأجر الرجال في مالها ، وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم، وكانت قريش قوما تجاراً، فلما بلغها عن رسول اللهﷺ مابلغها من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، بعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجرا، وتعطيه أفضل ماكانت تعطي غيره من التجار، مع غلام لها يقال له: ميسرة، فقبله رسول الله ﷺ منها، وخرج في مالها ذلك، وخرج معه غلامها ميسرة، حتى قدم الشام، فنزل رسول الله ﷺ في ظل شجرة قريبا من صومعة راهب من الرهبان، فاطّلع الراهب إلى ميسرة فقال له:من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ قال له ميسرة:هذا رجل من قريش من أهل الحرم، قال له الراهب: مانزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي.

ثم باع رسول الله ﷺ سلعته التي خرج بها، واشترى ما أراد أن يشتري، ثم أقبل قافلا إلى مكة ومعه ميسرة، فكان ميسرة ـ فيما يزعمون ـ إذا كانت الهاجرة، واشتد الحرّ يرى ملكين يظلانه من الشمس وهو يسير على بعيره، فلما قدم مكة على خديجة بمالها باعت ماجاء به. فأضعف أو قريبا، وحدثها ميسرة عن قول الراهب، وعما كان يرى من إظلال الملكين إياه، وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة، مع ماأراد الله بها من كرامته، فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها به، بعثت إلى رسول الله ﷺ، فقالت له ـ فيما يزعمون ـ:«ياابن عمّ، إني قد رغبت فيك لقرابتك ، وسطتك[1]في قومك، وأمانتك ، وحسن خلقك ، وصدق حديثك ، ثم عرضت عليه نفسها،

وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسبا، وأعظمهن شرفا، وأكثرهن مالا، كل قومها كان حريصا على ذلك منها لو يقدر عليه. وهي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب...

---

(١) أي : من أوسطهم حسبا ونسبا. (النهاية ٢/٣٦٦).

وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص ابن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر ...

فلما قالت ذلك لرسول الله ﷺ ذكر ذلك لأعمامه، فخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب، حتى دخل على«خويلد بن أسد» ، فخطبها إليه، فتزوجها[1] .

هذه الرواية ساقها ابن إسحق دون إسناد، وقال في ثنايا القصة ـ فيما زعموا ـ وذكر في نهايتها أن الذي زوجها أبوها«خويلد» ، وهو موضع خلاف بين العلماء.

أما من ناحية السند، فقد أخرج القصة«الواقدي» مسندة إلى أم سعد بنت سعد بن الربيع، عن نفيسة بنت منبه[2]ـ مع بعض الاختلاف عن سياق ابن إسحق ـ لكن قال الذهبي: وهو حديث منكر[3] .

وذكر القصة ابن حجر في سبب زواج النبي ﷺ بخديجة، ولم ينكرها[4] ، وقبله ابن الأثير في أسد الغابة.[5]أما ابن عبد البر ذكر القصة في بداية حديثه عن سيرة الرسول ﷺ[6] ، ولكنه أغفل ذكرها في ترجمته لخديجة ـ مع طولها نسبيا ـ فلم يشر إليها[7] .

---

(١) انظر: السيرة لابن هشام ٢٠٣/١ هكذا في رواية البكائي، أما في رواية يونس بن بكير فالذي زوجها عمها أسد. بن أسد انظر الجزء المطبوع من سيرة ابن إسحق تحقيق سهيل زكار ص ٨٢.

(٢) انظر: طبقات ابن سيعد

(٣) السيرة ص/٣١.

(٤) الإصابة ٢١٣/١٢.

(٥) ٨٠/٧.

(٦) الاستيعاب ٦٨/١.

(٧) المصدر نفسه ٢٦٩/١٢ ـ٢٨٩ .

أما الباحثون المحدثون: فمنهم من قال باتفاق جمهور الرواة عليها[1]، ومنهم من اعتبرها إفكا صراحا وفرية خبيثة[2].

أما كون «خويلد» هو الذي زوج خديجة،فهو موضع خلاف بين أهل السير ـ كما قدمت ـ وابن إسحق، وإن كان ذكر في الرواية السابقة «خويلد»، فقد ذكر في أواخر السيرة قولا آخر يفيدتزويج أخيها «عمرو بن خويلد» لها[3].

والقول بأن أباها«خويلد»هو الذي زوجها رواية الزهري[4]،وذكره البيهقي[5].

وخالفه الواقدي، وقال: المحفوظ من أهل العلم أن أباها خويلد بن أسد مات قبل الفجار، وأن عمها»عمرو بن أسدهو الذي زوجها[6]، ووافقه على ذلك السهيلي، وعزاه ـ أيضا ـ إلى المبرد وطائفة، وقال: وهو الصحيح[7].

كما وافقه ابن سيد الناس[8]، وابن عبد البر[9]،وقال«الشامي» :ذكره أكثر علماء السير[10].

---

(١) محمد صادق عرجون في كتابه: محمد رسول الله ١/ ٢٠١.

(٢) عبد الرحمن الوكيل في تعليقه على الروض الأنف ٢/ ٢٢٦، ٢٣٧.

(٣) السيرة لابن هشام ٤/ ٣٢١.

(٤) انظر: المغازي النبوية(للزهري)ص/٢٤، وقد روي عن ابن عباس كمارووا أحمد والطبراني، وقال الهيثمي رجالهما رجال الصحيح (مجمع الزوائد ٩/ ٢٢٠)، وعمار بن ياسر، كما رواه الطبراني والبزار، لكن قال الهيثمي فيه عمرو بن أبي بكر المؤملي، وهو متروك(المجمع ٩/ ٢٢١).

(٥) دلائل النبوة، ونقل عن الموصلي: أن المجتمع عليه أن عمها«عمرو» هو الذي زوجها ٢/ ٧٢، ٧٣، وسماه ابن كثير«المؤملي» السيرة١/ ٢٦٧. فإن كانا واحدا فالموصلي متروك كما في الميزان ٣/ ١٨٤.

(٦) انظر: طبقات ابن سعد ١/ ١٣٢، ١٣٣.

(٧) الروض الأنف ٢/ ٢٣٨، ٢٣٩، وحكاه عن جبير بن مطعم، وابن عباس، وعائشة.

(٨) عيون الأثر ١/ ٥٠ .

(٩) الاستيعاب ١٢/ ٢٧١.

(١٠) انظر: شرح الزرقاني ١/ ٢٠٣ .

٢ـ سودة بنت زمعة رضي الله عنها:

روى ابن إسحق ـ من طريق يونس بن بكير ـ أن النبي ﷺ تزوجها بعد خديجة، ولم يصب منها ولداً[١]، وهي التى كانت تقول عنها عائشة رضي الله عنها: مارأيت من امرأة أحبّ إلى أن أكون في مسلاخها[٢] من سودة بنت زمعة، وذكرت شيئا من حدتها..[٣].

وهي التي وهبت يومها من رسول الله ﷺ لعائشة، وذلك حينما كبرت، فكان رسول الله ﷺ يقسم لعائشة يومين: يومها ويوم سودة[٤].

ونفهم من رواية الصحيحين أنها كانت امرأة ـ مع كبر سنها فيما بعد ـ كبيرة الجسم حتى أنها لتعرف وتميز بين النساء إذا مشت، حتى قال عمر ذات يوم ـ وقد خرجت سودة ليلا ـ :إنك والله ياسودة ماتخفين علينا[٥].

وتصفها بعض الروايات بأنها كانت ثقيلة ثبطة بطيئة الحركة، ولهذا استأذنت النبي ﷺ ليلة جمع (مزدلفة) في الدفع قبل حطمة الناس فأذن لها[٦].

---

(١) السير والمغازي لابن إسحق (تحقيق الدكتور سهيل زكار) ص ٢٥٤. وذكر ابن سعد ـ بسند مرسل، رجاله ثقات ـ أن النبي ﷺ بنى بها في مكة. (انظر: الطبقات٨/٥٧، والإصابة لابن حجر ١٢/٢١٦، ٣٢٣).

(٢) في النهاية : مسلاخ الحية جلدها، والسلخ بالكسر: الجلد(٢/٣٨٩).

(٣) مسلم(مختصر المنذري لصحيح مسلم ص ٢١٨) ولم أجده في أصل مسلم .

(٤) البخاري: كتاب النكاح٦/١٧٧ : باب كثرة النساء، وباب المرأة تهب يومها من زوجها لضرتها، وكيف يقسم ذلك٦/١٥٤ ،ومسلم(مختصر المنذري) ص /٢١٨.

(٥) البخاري ٦/١٥٩ : كتاب النكاح باب خروج النساء لحوائجهن.

(٦) البخاري ٢/١٧٨ : كتاب الحج ، باب من قدم ضعفة أهله بليل...

٣- زواجه بعائشة رضي الله عنها:

سبق القول أن زواجه ﷺ بعائشة كان بعد وفاة خديجة بثلاث سنين[١].

والذي يظهر من غالبية الروايات أن عقده عليها كان بمكة وعمرها ست سنين، أما الدخول بها فكان بالمدينة وهي بنت تسع سنين[٢]، وفي إحدى روايات مسلم أنه تزوجها وهي بنت سبع سنين[٣].

وهذا يوافق ماذكره ابن إسحق[٤]، كما يشير مسلم إلى أن الزواج والبني بعائشة كانا في شوال[٥].

ومما يؤكد صغر سنها حين الزواج لعبها بالبنات عند رسول الله، ومجيء صواحب لها ينقمعن من رسول الله، فيرسلهن إليها[٦].

وقد خطبها النبي ﷺ من أبي بكر، فقال أبو بكر: إنما أنا أخوك! فقال له النبي ﷺ: «أنت أخي في دين الله وكتابه، وهي لي حلال»[٧].

---

(١) البخاري ٢٣١/٤ (سبق)، ومسلم ١٨٨٨/٤ (سبق).

(٢) البخاري ٢٥١/٤: كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي ﷺ عائشة وقدومها المدينة وبنائه بها. وفي كتاب النكاح ١٣٩/٦: باب من بنى بامرأة وهي بنت تسع سنين، وفي باب إنكاح الرجل ولده الصغار..، ومسلم ١٠٣٨/٢، ١٠٣٩: كتاب النكاح، باب تزويج الأب البكر الصغيرة. وباب تزويج الأب ابنته من الإمام ١٣٤/٦ ذكر ابن حزم أنه بنى بها في شوال بعد الهجرة بسبعة أشهر (جوامع السيرة/٣٣)، وذكر ابن إسحق أن البناء بعائشة كان وهي بنت تسع سنين أو عشر. (السيرة ٣٢١/٤، ٣٢٢).

(٣) ١٠٣٩/٢ (سبق).

(٤) السيرة لابن هشام ٣٢١/٤. وانظر الجزء المطبوع من سيرة ابن إسحق تحقيق سهيل زكار ص ٢٥٥.

(٥) مسلم ١٠٣٩/٢ (سبق).

(٦) مسلم ١٨٩٠/٤: كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة.

(٧) البخاري ١٢٠/٦: النكاح، باب تزويج الصغار من الكبار.

أما عن كيفية دخوله ﷺ بها: فتحدثنا عائشة وتقول: تزوجني النبي ﷺ وأنا بنت ست سنين، فقدمنا المدينة، فنزلنا في بني الحرب بن خزرج، فوعكت، فتمرق شعري فوفى جُميمه، فأتتني أمي أم رومان، وإني لفي أرجوحة، ومعي صواحب لي، فصرخت بي، فأتيتها لا أدري ماتريد بي، فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار، وإني لأنهج حتى سكن بعض نفسي، ثم أخذت شيئا من ماء فمسحت به وجهي ورأسي، ثم أدخلتني الدار، فإذا نسوة من الأنصار في البيت، فقلن: على الخير والبركة وعلى خير طائر، فأسلمتني إليهن، فأصلحن من شأني فلم يرعني إلا رسول الله ﷺ - فأسلمتني إليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين[١].

وزواج النبي ﷺ بعائشة كان بعد رؤيا رآها في المنام تكررت مرتين كما في البخاري[٢]، أو ثلاث ليال كما في مسلم[٣].

وعن هذه الرؤيا يقول ﷺ: «رأيتك في المنام يجيء بك الملك في سرقة من حرير، فقال لي: هذه امرأتك، فكشفت عن وجهك الثوب فإذا أنت هي، فقلت:« إن يك هذا من عند الله [٤]يمضه»[٥].

---

(١) البخاري ٢٥١/٤(سبق)، ١٤٠/٦: كتاب النكاح، باب البناء بالنهار بغير مركب ولا نيران، ومسلم ١٠٣٨/٢.

(٢) ١١٩/٦: كتاب النكاح، باب نكاح الأبكار، وفي كتاب التعبير ٧٥/٨: باب كشف المرأة في المنام، وباب ثياب الحرير في المنام٧٦/٨،وفي كتاب مناقب الأنصار ٢٥٢/٤: باب تزويج النبي ﷺ عائشة..

(٣) ١٨٩٠/٤: كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة رضي الله عنها.

(٤) قال القاضي عياض: يحتمل أن يكون ذلك قبل البعثة، فلا إشكال فيه، وإن كان بعدها ففيه ثلاثة احتمالات: **أحدها**: التردد هل هي زوجته في الدنيا والآخرة أوفي الآخرة فقط؟، **ثانيها**: أنه لفظ شك لا يراد به ظاهره، و هو أبلغ في التحقيق، ويسمى في البلاغة مزج الشك باليقين، **وثالثها**: وجه التردد هل هي رؤيا وحي على ظاهرها وحقيقتها؟ أو هي رؤيا وحي لها تعبير؟ وكلا الأمرين جائز في حق الأنبياء. قال ابن حجر: والأخير هو المعتمد، وبه جزم السهيلي عن ابن العربي.. (الفتح ١٨٢/٩، وشرح النووي على مسلم ٢٠٢/١٥).

(٥) البخاري ١١٩/٦، ١٣١/٦، كتاب النكاح، باب النظر إلى المرأة قبل التزويج، ٧٥/٨، ٧٦(سبقا)، ومسلم ١٨٩٠/٤(سبق).

وعائشة رضي الله عنها هي الوحيدة من بين أزواجه ـ ﷺ ـ التي تزوجها وهي بكر، ولهذا كانت تظهر هذا الفضل، وتقول للنبي ﷺ: يارسول الله، أرأيت لو نزلت واديا وفيه شجر قد أكل منها، ووجدت شجرة لم يؤكل منها،في أيها كنت ترتع بعيرك؟ !قال: «في التي لم يرتع منها»تعني أن رسول الله ﷺ لم يتزوج بكرا غيرها)[1].

وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول لعائشة: لم ينكح النبيﷺ بكرا غيرك[2].

مكثت عائشة رضي الله عنها مع النبيﷺ تسع سنين[3]، ومات عنها النبي ﷺ وهي بنت ثماني عشرة[4].

وفي فضلها قال عليه السلام: «فضل عائشة على النساءكفضل الثريد على سائر الطعام[5]»، وأخبرها النبيﷺ: أن جبريل يقرِئها السلام[6]، بل لقد اختصت من بين سائر زوجات النبيﷺبنزول الوحي عليه وهو في لحافها، أخبر عن ذلك المصطفىﷺوهو يقول لأم سلمة: «يأم سلمة» لاتؤذيني في عائشة، فإنه والله مانزل عليّ الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها»[7].

ومحبة النبيﷺ لعائشة لم تكن تخفى على المسلمين، حتى لقد كانوا يتحرون بهداياهم اليوم الذي يكون فيه النبيﷺعند عائشة[8].

---

(١) البخاري ٦/ ١١٩.

(٢) البخاري ٦/ ١١٩.

(٣) البخاري ٦/ ١٣٤، ١٣٩: كتاب النكاح.

(٤) مسلم ٢/ ١٠٣٩.(سبق).

(٥) البخاري ٤/ ٢٢٠، ومسلم ٤/ ١٨٨٧، ١٨٩٥.

(٦)البخاري٤/ ٢٢٠، ومسلم ٤/ ١٨٩٥، ١٨٩٦.

(٧) البخاري ٤/ ٢٢١.

(٨)البخاري ٤/ ٢٢١، ومسلم ٤/ ١٨٩١.

وعائشة رضي الله عنها هي التي قبض النبي ﷺ بين سحرها ونحرها ـ كما كانت تقول ـ.[1]

٤ـ أم حبيبة[2] بنت أبي سفيان رضي الله عنها:

وقد جاء ذكرها في الصحيحين من بين أزواج النبي ﷺ[3]، وهي التي عرضت على النبي ﷺ الزواج بأختها «عزة بنت أبي سفيان»، فعجب النبي ﷺ لذلك، وقال: أو تحبين ذلك؟! قالت: نعم.

ثم تعلل ذلك، وتقول: لست لك بمخلية، وأحبّ من شاركني في الخير أختي، فردّ عليها، إن ذلك لايحل لي..[4].

ذكر ابن إسحق أن الذي زوّج «أم حبيبة» للنبي ﷺ هو «خالد بن سعيد بن العاص» وهما في أرض الحبشة، وأصدقها النجاشي عن رسول الله ﷺ أربعمائة دينار، وهو الذي خطبها على رسول الله ﷺ هذا في رواية البكائي عن ابن إسحق[5]، أما في رواية يونس بن بكير عن ابن إسحق فالذي زوجها عمرو بن أمية الضمري[*] وهذا من اختلاف الرواية عنه باختلاف الرواة.

---

(١) انظر: مثلا: البخاري ٢/١٠٦: كتاب الجنائز، باب ماجاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وفي كتاب فرض الخمس ٤/٤٥: باب ماجاء في بيوت أزواج النبي ﷺ، وفي كتاب النكاح ٦/١٥٥: باب إذا استأذن الرجل نساءه، ومسلم ٤/ ١٨٩٣ كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة.

(٢) واسمها «رملة»، وقيل «هند»، ورملة أصح. (انظر: السيرة لابن هشام ٤/٣٢٣، وجوامع السيرة لابن حزم، ص٣٥، والإصابة ١٢/ ٢٦٠).

(٣) انظر: مثلا البخاري ٦/ ١٩٥: كتاب النفقات، باب المراضع من المواليات وغيرهن، ومسلم ٢/١١٢٣: كتاب الطلاق، باب وجوب الإحداد في عدة الوفاة.

(٤) البخاري ٦/١٢٥، ١٢٧، ١٢٨: في كتاب النكاح، ص ١٩٥ كتاب النفقات (وقد سبقت)، ومسلم (وهو الذي حدد اسم أخت أم حبيبة «عزة») ٢/١٠٧٢، ١٠٧٣ كتاب الرضاع (سبق)

(٥) السيرة النبوية ٤/٣٢٣ وذكر ابن حزم أنها سيقت له من بلاد الحبشة وتزوجها بعد الحديبية (جوامع السيرة ص٣٥). وقال ابن حجر: الإجماع على أن النبي ﷺ إنما تزوج أم حبيبة وهي بالحبشة. (الإصابة ١٢/٢٦٢).

(*) انظر الجزء المطبوع من سيرة ابن إسحق تحقيق سهيل زكار ص٢٥٩.

وإذا كنا نجد في الصحيحين اسم« أم حبيبة» من بين من هاجر إلى الحبشة[1]، فإننا نجد أيضا رواية انفرد بإخراجها الإمام مسلم ـ عليه رحمة الله ـ ووقف عندها بعض العلماء مشيرين إلى مخالفتها لماذكره ابن إسحق، بل لأرباب السير والعلم بالخبر، والرواية عن أبي زميل قال: حدثني ابن عباس قال: كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان، ولا يقاعدونه، فقال للنبي ﷺ: يانبي الله، ثلاث أعطنيهن، قال: نعم، قال عندي أحسن العرب وأجمله أم حبيبة بنت أبي سفيان، أزوجكها، قال: نعم .. الحديث[2].

---

(١) البخاري ١١٠/١ : كتاب الصلاة، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية، وفي كتاب الجنائز٩٣/٢ باب بناء المساجد على القبر، وكتاب مناقب الأنصار ٤٢٥/٤ : باب هجرة الحبشة، ومسلم٣٧٥/١ ، ٣٧٦ : كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور..

(٢) مسلم١٩٤٥/٤ : كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي سفيان بن حرب رضي الله عنه، ووجه الإشكال في هذه الرواية هو اتفاقهم على زواج النبي ﷺ بها قبل إسلام أبي سفيان، حتى أنكر ابن حزم هذا الحديث في إحدى الروايات عنه فقال:«وهذا حديث موضوع لا شك في وضعه، والآفة فيه من عكرمة بن عمار.. إلخ كلامه»انظر: (نوادر الإمام ابن حزم، خرجها وعلّق عليها أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهر، الطبعة الأولى السفر الثاني ص٧).

ولم ينفرد ابن حزم بهذا وحده ـ كما جزم بذلك الدكتور خليل إبراهيم ملا خاطر في كتابه«مكانة الصحيحين ص/٣٩٢» ، وإنما وافقه على ذلك الذهبي حيث قال:« ..وفي صحيح مسلم قد ساق له ـ يعني عكرمة بن عمار راوي الحديث أصلا منكرا ... ثم ذكر حديث أبي سفيان. (ميزان الاعتدال٩٣/٣).

وعلى كل حال فقد أنكر الشيخ أبو عمرو بن الصلاح ـ رحمه الله ـ على ابن حزم دعواه، وبالغ في الشناعة عليه، واعتبر هذا من جسارة ابن حزم، وتخطئة الأئمة الكبار.. وأجاب عن الحديث باحتمالين: **أحدهما**: احتمال قصد أبي سفيان تجديد العقد بعد إسلامه تطييبا لقلبه..، **والآخر**: أنه ظن أنّ إسلام الأب في مثل هذا يقتضي تجديد العقد..، وهذان الاحتمالان لم يرض بهما النووي حينما قال:وليس في الحديث أن النبيﷺ جدد العقد، ولا قال لأبي سفيان: أنه يحتاج إلى تجديده..(شرح النووي على صحيح مسلم٦٣/١٦ ، ٦٤).

وقد كثرت توجيهات العلماء لإشكال هذا الحديث، حتى قالت طائفة منهم البيهقي والمنذري:يحتمل أن تكون هذه المسألةمن أبي سفيان وقعت في بعض خرجاته إلى المدينة،وهوكافر =

= حين سمع نعي زوج أم حبيبة بالحبشة.. وقد أشار ابن القيم ـ رحمه الله ـ إلى التعسف والتكلف في هذا القول..(زاد المعاد١/١١٠، ١١١).

وابن سيد الناس حينما قال: إن هذا الحديث مخالف لما اتفق عليه أرباب السير والعلم بالخبر عطف على إجابة المنذري عن الحديث، فقال: إنها تتساوك هزلا!!(عيون الأثر ٢/٣٠٧).وإن كان الوجه الذي ذكره عنه يختلف عن الوجه الذي سبقت إشارة ابن القيم إليه .

وأشار ابن الأثير إلى أن هذا الحديث من أوهام مسلم!!(أسد الغابة١١٦/٧) . وتعقبه ابن حجر قائلا: وفي جزمه بكونه وهما نظر.. ثم أشار إلى بعض تأويلات العلماء للحديث.. (الإصابة ٢٦٢/١٢).

أما ابن القيم، فقد اختلف حكمه على الحديث: فهو مرة يحكم بالوهم في الحديث، كما في جلاء الأفهام ص١٣٨، ومرة أخرى يحاول الإجابة عن هذا الحديث. وما اعترض به عليه، ويؤوله بما يتناسب مع مكانه الصحيح.. كما في زاد المعاد١/١١٠ـ١١٢.

وقال الزرقاني ـ رحمه الله ـ بعد سوقه لتوجيهات العلماء حول الحديث:«وقد ظهر لي الجواب بأن المعنى يديم التزويج، ولا يطلق كما فعل بغيرها، ولا ينافيه قوله عندي؛ لأن الإضافة لأدنى ملابسة، ولابأس به، فإنه قريب»(شرحه على المواهب اللدنية ٣/٢٤٤، ٢٤٥).

أما ابن كثير فقد تعرض كغيره لحديث أبي سفيان، وساق بعض الأوجه المحتملة للحديث، ثم انتهى إلى القول: «وهذه كلها ضعيفة والأحسن في هذا أنه أراد أن يزوجه ابنته الأخرى «عمرة» لما رأى في ذلك من الشرف له، واستعان بأختها أم حبيبة كما في الصحيحين، وإنما وهم الراوي في تسميته أم حبيبة.. (السيرة النبوية ٣/٢٧٧).

أقول: وهذا الرأي الأخير هو الذي تميل إليه النفس، ولكن يمكن أن يضاف إليه رفع الوهم الذي أشار إليه ابن كثير، بأن عزة (وليست عمرة كما ذكر ابن كثير) ورد أنها كانت تكنى هي الأخرى بأم حبيبة (انظر: زاد المعاد ١/١١٢، وشرح المواهب ٣/٢٤٤) وبهذا يزول وهم الراوى.

أما استشكال «ابن القيم» عليه بقوله ﷺ لأبي سفيان: «نعم» واعتباره ذلك وهماً من الراوي، فقد أجاب عنه الدكتور «ملا خاطر» بقوله: يحمل قوله، ﷺ، «نعم» على بعض ما سأل، لا على جميع السؤال، وذلك لأنا لا نعلم ـ من طريق صحيح ـ أن النبي، ﷺ، ولى أبا سفيان إمرة جيش، فقاتل الكفار (قائدا) ...إلى أن يقول: والذي تحقق في حياة النبي، ﷺ، من المطالب الثلاثة التي طلبها أبو سفيان إنما هو جعل معاوية، رضي الله عنه، كاتباً للوحي فقط. ا هـ(مكانة الصحيحين ص ٤٠٦، ٤٠٧).

ومن الباحثين المحدثين الذين تكلموا في الحديث الشيخ«الألباني»، وقد جنح إلى ضعف الحديث مشيرا إلى أن راويه عن أبي زميل(عكرمة بن عمار) لا يستحق التكلف في تأويل حديثه للإبقاء عليه.(تعليقه على مختصر المنذري لصحيح مسلم ص/٤٥٧).

ولا زلت أقول: إن الحكم على ضعف حديث في الصحيحين، أو أحدهما ينبغي أن لا يتوجه إليه مازلنا نجد وجها للتأويل والتوجيه السليم، وأضيف هنا بأن من اعتمد في تضعيفه أو استشكاله لهذا الحديث على حادثة مرور أبي سفيان ـ في فترة الهدنة ـ على النبي ﷺ بالمدينة وهو بعد لم يسلم، وأنه مر بابنته«أم حبيبة» وهي عند النبي ﷺ، فرغب الجلوس عندها، فنزعت من تحته فراش النبي ﷺ، وقالت له : إنك مشرك نجس .. إلخ، أقول: إن ذلك ـ لو صح ـ لا يعارض حديث مسلم المذكور لأن عرض أبي سفيان يتوجه إلى«عزة» لا إلى «رملة» زوج النبي ﷺ ، لكن هذا الخبر لم يكن سلماً، فقد ساقه ابن إسحق دون إسناد (٤/٣٢٣)، وأشار الألباني إلى ضعفه(تعليقه على فقه السيرة للغزالي ص٤٠٥).

استراق الجن للسمع قبل النبوة

من الأمور المعروفة ـ قبل بعثة النبي ﷺ والتي كان لها تعلق ـ فيما بعد ـ بنبوته عليه الصلاة والسلام ـ استراق الجن للسمع، وتفيدنا روايات الصحيحين عن حقيقة هذا الاستراق، وكيفيته، ومتى منعوا من استراق السمع.

تحدّث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فتقول: سأل أناس رسول الله ﷺ عن الكهان فقال لهم رسول الله ﷺ: «ليسوا بشيء»، قالوا: يارسول الله، فإنهم يحدثون أحيانا بالشيء يكون حقا، فقال رسول الله ﷺ: «تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني، فيقرّها في أذن وليه قرّ الدجاجة، فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة»[1].

وتكشف لنا روايات أخر مِن مَن، وكيف كان يسترق الشياطين السمع؟ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الملائكة تنزل في العنان ـ وهو السحاب[2] ـ فتذكر الأمر قضي في السماء، فتسترق الشياطين السمع، فتسمعه فتوحيه إلى الكهان...»[3].

وأخرج الإمام «مسلم» في صحيحه، و«ابن إسحق» في السيرة بسندهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أخبرني رجل من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله ﷺ رمي بنجم، فاستنار، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمي بمثل هذا»؟

---

(١) البخاري ٢٨/٧: كتاب الطب، باب الكهانة، وفي كتاب الأدب ١٢٢/٧: باب قول الرجل للشيء ليس بشيء وهو ينوي أنه ليس بحق.

(٢) في الرواية الأخرى قال: الملائكة تتحدث في العنان، والعنان الغمام ـ بالأمر يكون في الأرض. البخاري ٩٤/٤ كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده.

(٣) البخاري ٧٩/٤: كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم.

قالوا: الله ورسوله أعلم، كنا نقول: ولد الليلة رجل عظيم، ومات رجل عظيم، فقال رسول الله ﷺ: «فإنها لايرمي بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه إذا قضى أمراً سبح حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا، ثم قال الذين يلون حملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال،قال: فيستخبر بعض أهل السموات بعضا، حتى يبلغ الخبرأهل هذه السماء الدنيا، فتخطف الجن السمع، فيقذفون إلى أوليائهم، ويرمون به، فما جاءوا به على وجهه، فهو حق، ولكنهم يقرفون فيه ويزيدون.»[1]

أما عن كيفيتهم وهيئتهم حال استراق السمع، فتكشفه رواية أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ يبلغ به النبيﷺقال: «إذا قضى الله الأمر في السماء...» إلى قوله فيسمعها مسترقو السمع، ومسترقو السمع هكذا واحد فوق الآخر. ووصف سفيان (هو ابن عيينة أحد رواة الحديث) بيده، وفرّج بين أصابع يده اليمنى نصبها بعضها فوق بعض، فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمي بها إلى صاحبه، فيحرقه، وربما لم يدركه، حتى يرمي بها إلى الذي يليه، إلى الذي هو أسفل منه، حتى يلقوها في الأرض..»[2].

واستمر الجن في استراقهم للسمع إلى أن بعث النبيﷺوما علم الجن ببعثته إلا بعد أن حيل بينهم وبين خبر السماء ،وأرسلت عليهم الشهب، فرجعوا إلى قومهم، فقالوا : مالكم ؟ فقالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب ، قالوا : ماحال بينكم وبين خبر السماء

---

(١)مسلم ١٧٥٠/٤ ، ١٧٥١ : كتاب السلام، باب تحريم الكهانة، وإتيان الكهان، وابن إسحق بنحو هذه الرواية وبنفس السند: انظر الجزء المطبوع من سيرة ابن إسحق تحقيق سهيل زكار ص ١١٣ والسيرة لابن هشام ٢٢٤/١ ، ٢٢٥ .

(٢) البخاري ٢٢١/٥ : كتاب التفسير (سورة الحجر)، وفي سورة سبأ: باب ﴿حتى إذافزع عن قلوبهم﴾ ٢٨/٦ ، وفي سورة ﴿ قل أوحي إليّ﴾ ٧٣/٦ .

إلا شيء حدث ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ماهذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فانصرف أولئك النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبيﷺ.. الحديث[1].

إسلام الجن:

ونستكمل الحديث عن الجن بمجيئهم للنبي ﷺ، وإعلان إيمانهم: ففي الحديث الماضي علمنا كيف فزعوا حين حيل بينهم وبين خبر السماء، وأنهم اتفقوا على أن يضربوا مشارق الأرض ومغاربها، ليعلموا أي شيء حال بينهم وبين خبر السماء، فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبي ﷺ وهو بنخلة ـ عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك حين رجعوا إلى قومهم، وقالوا: ﴿ياقومنا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا﴾، فأنزل الله على نبيه ﷺ: ﴿قل أوحي إليّ﴾، وإنما أوحي إليه قول الجن[2].

---

(١) البخاري١/١٨٧ : كتاب الأذان، باب الجهر بقراءة صلاة الفجر، ومسلم ١/٣٣١ : كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن وسآتي على تكملة الحديث في موضعه. وفي السيرة لابن إسحق: فلما تقارب أمر رسول اللهﷺ، وحضر مبعثه حجبت الشياطين عن السمع، وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد لاستراق السمع فيها فرموا بالنجوم، فعرفت الجن أن ذلك لأمر حدث من أمر الله في العباد. انظر الجزء المطبوع من سيرة ابن إسحق تحقيق سهيل زكار ص ١١١ والسيرة لابن هشام ١/٢٢٢ ذكره ابن إسحق دون إسناد).

(٢) البخاري ١/١٨٧ ، ١٨٨ : في كتاب الأذان، وفي كتاب التفسير ٦/٧٣: (سورة قل أوحي إلي)، والعبارة في آخر الرواية (وإنما أوحي إليه قول الجن) من قول ابن عباس، وكان يقول ما قرأ رسول اللهﷺ على الجن، ولا رآهم ـ كما سيأتي ـ ولكن البخاري اختصر هذه العبارة في حديثه، وكأنه تعمّد ذلك؛ لأن ابن مسعود أثبت قراءته على الجن، فقدمه على نفي ابن عباس: انظر (الفتح ٨/ ٦٧٠) وسيأتي مزيد تفصيل ذلك.

والذي يظهر من روايات الصحيحين أن الجن جاءوا للنبي ﷺ واستمعوا إليه أكثر من مرة، علم فيهم ببعضها ـ وهي المتأخرة ـ ولم يعلم بهم في بعضها الآخر ـ وهي المتقدمة في أول البعثة، وبهذا نوفق بين روايتي ابن عباس وابن مسعود التاليتين:

١ـ رواية ابن عباس: قال ماقرأ رسول الله ﷺ على الجن، ومارآهم. انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ... إلى آخر الرواية[١].

٢ـ رواية ابن مسعود: عن عامر الشعبي قال سألت علقمة: هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال: فقال علقمة أنا سألت ابن مسعود فقلت: هل شهد أحد منكم مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال: لا، ولكنا كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ففقدناه، فالتمسناه في الأودية والشعاب، فقلنا: استطير أو اغتيل، قال: فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء، قال: فقلنا: يارسول الله،فقدناك، فطلبناك، فلم نجدك،فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فقال: أتاني داعي الجن فذهبت معه، فقرأت عليهم القرآن، قال: فانطلق بنا، فأرانا آثارهم، وآثار نيرانهم، وسألوه الزاد، فقال: لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر مايكون لحما، وكل بعرة علف لدوابكم، فقال، رسول الله ﷺ: «فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم»[٢].

قال الشعبي: وكانوا من جن الجزيرة[٣].

---

(١) مسلم ٣٣١/١: كتاب الصلاة، والرواية نفسها أخرجها البخاري عن ابن عباس أيضا، ولكن دون قوله(ماقرأ على الجن ومارآهم) كما سبق أن بينته في الصفحة السابقة.

(٢)مسلم ٣٣٢/١: كتاب الصلاة.

(٣) المصدر نفسه ٣٢٢/١ هم جن نصيبين، قال ابن حجر: ونصيبين بلدة مشهورة بالجزيرة بين الشام والعراق.(الفتح١٧٢/٧).

ومما يشهد لرواية ابن مسعود ـ وأن النبي ﷺ علم بالجن، رواية أبي هريرة رضي الله عنه ـ وقد تبع النبي ﷺ ذات يوم ـ فقال له: ابغني أحجاراً أستنفض بها، ولا تأتني بعظم، ولا بروثة، فأتيته بأحجار أحملها في طرف ثوبي، حتى وضعت إلى جنبه، ثم انصرفت، حتى إذا فرغ مشيت معه، فقلت: مابال العظم والروثة؟ قال: هما من طعام الجن ـ وإنه أتاني وفد جن نصيبين ـ ونعم الجن ـ فسألوني الزاد، فدعوت الله لهم أن لا يمروا بعظم ولا بروثة إلا وجدوا عليها طعما[1].

وكذا قول «مسروق» حينما سأل: من آذن النبي ﷺ بالجن ليلة استمعوا القرآن؟ قال: حدثني ابن مسعود أنه آذنته بهم شجرة[2].

وخلاصة القول ـ والذي يظهر لي والعلم عند الله ـ أن الجن قدموا على النبي ﷺ أول البعثة، حينما حيل بينهم وبين خبر السماء، وطافوا في الأرض يبحثون عن سبب ذلك، وفي هذه المرة ـ وعلى حسب رواية ابن عباس عند مسلم ـ أن النبي ﷺ لم يقرأ على الجن، ولم يرهم، ولكنهم ـ كما في الرواية ـ رجعوا إلى قومهم مؤمنين، ثم قدموا عليه بعد أن اشتهر الإسلام، وانتشر، وعلم بهم، وسألوه، فأجابهم، وربما كان لقاؤه بهم على هذه الشاكلة ـ أعني علمه بهم وتعليمهم ـ أكثر من مرة، وهذا من أحسن وجوه الجمع بين الروايات[3].

وبالمقارنة مع ابن إسحق نجده لا يذكر لقاء الجن بالنبي ﷺ في أول البعثة، وإنما يذكر استماع الجن للنبي ﷺ منصرفه من الطائف وهو بنخلة،

---

(١) البخاري ٢٤٠/٤ : كتاب مناقب الأنصار، باب ذكر الجن.

(٢) البخاري ٢٤٠/٤ : كتاب مناقب الأنصار، ومسلم ٣٣٣/١ كتاب الصلاة..

(٣) هذا الجمع قال به البيهقي في دلائل النبوة ٢٢٧/٢ ، والنووي في شرحه لصحيح مسلم ١٦٧/٤ ، واحتمله ابن كثير في التفسير ١٧٩/٧ ، وابن حجر في الفتح ١٧٢/٧ ، ٦٧٠/٨ .

وهم سبعة نفر من جن نصيبين..[1]،وهذه إحدى زيادات الصحيحين على ابن إسحق.

وفوق ماتقدم من ذكر إسلام الجن أشير إلى قوله عليه الصلاة والسلام: «إن بالمدينة نفرا من الجن قد أسلموا، فمن رأى شيئا من هذه العوامر، فليؤذنه ثلاثا، فإن بدا له بعد فليقتله فإنه شيطان»[2].

وأشير أيضا إلى قول ابن مسعود رضي الله عنه:نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن، فأسلم الجنيون، والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون، فنزلت:﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾[3].

ويبقى خبر عمر مع الجن ـ وتلك أرجئها إلى الحديث عن إسلام عمر بحول الله.

---

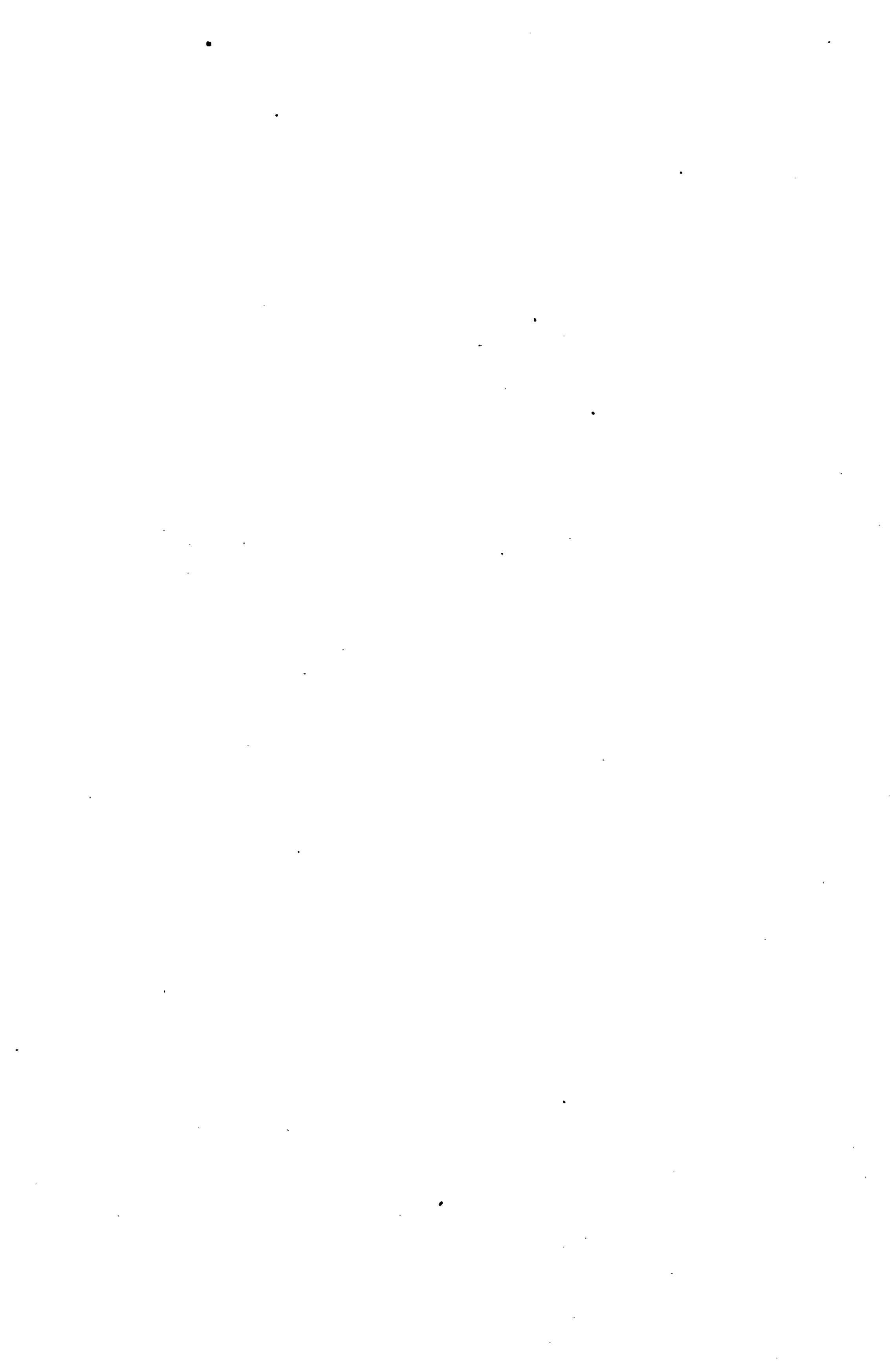
(١) انظر الجزء المطبوع من سيرة ابن إسحق تحقيق سهيل زكار ص ١١٤ وسيرة ابن هشام ٣١/٢ قال ابن كثير(معلقا)وهذا صحيح، ولكن قوله ـ يعني ابن إسحق ـ: إن الجن كان استماعهم تلك الليلة فيه نظر؛ لأن الجن كان استماعهم في ابتداء الإيمان، كما دل عليه حديث ابن عباس، وخروجه ـ عليه السلام ـ إلى الطائف كان بعد موت عمه، وذلك قبل الهجرة بسنة أو سنتين، كما قرره ابن إسحق وغيره(تفسيرابن كثير ٢٧٣/٧) وأقول : إن الجمع الذي أشرت إليه يحل هذا الإشكال.

(٢) مسلم ١٧٥٧/٤ : كتاب السلام، باب قتل الحيات وغيرها .

(٣) المصدر نفسه ٤/ ٢٣٢١ : كتاب التفسير ، باب في قوله تعالى:﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾.



«الفصل الثانى»
البعثة وبعض الأحداث في مكة



«الفصل الثاني»
البعثة وبعض الأحداث في مكة

إرهاصات النبوة:

اتصف النبي ﷺ قبل بعثته بصفات، وخصه الله بأشياء تشير إلى اصطفائه، وأنه كان يعد لأمر عظيم.

هذه الصفات وتلك الخصائص تشكل في مجموعها إرهاصات وبشائر لنبوته عليه الصلاة والسلام.

ونحيل ـ هنا ـ إلى ماسبقت الإشارة إليه منها، ونزيد عليها مالم نأت عليه من قبل بمزيد من الشرح والبيان:

تولّى النبي ﷺ رعي الغنم لأهل مكة، وقال :«وهل من نبي إلا وقد رعاها»[١] ،وكان قومه «القرشيون» يقفون بمزدلفة، ومنها يفيضون، على حين كانت جماعة الناس تفيض من عرفات، أما هو فوقف، وأفاض مَن حيث يقف الناس بعرفات، وخالف بذلك مألوف قومه، ولفت أنظار الناس إليه ـ كما سبق ـ[٢].

وفي أيام طفولته شق صدره، واستخرج حظ الشيطان منه[٣].

---

(١) البخاري ١٣٠/٤ ، ٢١٣/٦(سبقت)، ومسلم ١٦٢١/٣(سبقت أيضا)وابن إسحق بلفظ«مامن نبي..»السيرة لابن هشام ١٧٨/١ .

(٢) البخاري ١٧٥/٢ ، ومسلم ٨٩٤/٢(سبقت)، والسيرة لابن هشام ٢٢١/١ .

(٣) انظر حادثة شق الصدر في الفصل الأول= وقد سبقت الإشارة إلى شق صدره وهو في ديار بني سعد، ونسوق هنا ـ بالتفصيل ـ رواية أبي هريرة في شق صدره وهو ابن عشر سنين حيث سأل النبي ﷺ، وقال: ماأول مارأيت من أمر النبوة؟ فاستوى رسول الله ﷺ جالسا، وقال:«لقد سألت أبا هريرة، إني لفي صحراء ابن عشر سنين وأشهر، وإذا برجل يقول لرجل: أهو هو؟ قال: نعم فاستقبلاني بوجوه لم أرها لخلق قط، وأرواح لم أجدها من خلق قط، وثياب لم أرها على أحد قط، فأقبلا إلي يمشيان حتى أخذ كل واحد منهما بعضدي لا أجد لأخذهما مسّا، فقال أحدهما لصاحبه: أضجعه بلا قصر ولا هصر، فقال أحدهما لصاحبه:افلق صدره، فهوى أحدهما إلى صدري، ففلقها فيما أرى بلا دم ولا وجع، فقال له: أخرج الغل والحسد، فأخرج شيئا كهيئة العلقة، ثم نبذها فطرحها فقال له: أدخل الرحمة والرأفة، فإذا مثل الذي أخرج شبيه الفضة، ثم هزّ إبهام رجلي اليمني، فقال: اغد واسلم، فرجعت بها، أغدو بها رقة على الصغير ورحمة على الكبير. قال الهيثمي: رواه عبد الله(بن أحمد)، ورجاله ثقات وثقهم ابن حبان.(مجمع الزوائد ٢٢٢/٨).

وعند بناء الكعبة خرّ النبي ﷺ مغشيا عليه، حينما جعل إزاره على رقبته لتقيه الحجارة ـ كما أرشده إلى ذلك عمه العباس ـ ثم أفاق وهو يقول: إزاري إزاري، فشدّ عليه إزاره، وما رؤي بعد ذلك اليوم عريانا[1].

ورمي الشياطين بالشهب، والحيلولة بينهم وبين خبر السماء، لفت أنظار الجن ومن سواهم من الكهان إلى أن هناك أمرا قد حدث[2]، ولهذا ضربوا مشارق الأرض ومغاربها بحثاً وراء السبب...[3].

وقصة «عمر» مع الكاهن الذي أخبره عن حديث الجن وإخبارهم عن شأن النبي ﷺ قبل بعثته تعد من إرهاصات النبوة[4].

ومن إرهاصات النبوة معرفة أحبار اليهود، ورهبان النصارى، وكهان العرب بخبر مبعثه قبل أن يبعث، لما تقارب من زمانه.

---

(١) انظر: (مخالفته لبعض عادات أهل الجاهلية) من الفصل الأول.

(٢) قال ابن إسحق: أول العرب فزع للرمي بالنجوم ـ حين رمي بها ـ هذا الحي من ثقيف، وأنهم جاءوا إلى رجل منهم يقال له: عمرو بن أمية أحد بني علاج وكان أدهى العرب وأنكرها، فقالواله: ياعمرو ،ألم تر ماحدث في السماء من القذف بهذه النجوم ؟قال:بلى، فانظروا، فإن كانت معالم النجوم التي يهتدى بها في البر والبحر، ويعرف بها الأنواء من الصيف والشتاء، لما يصلح الناس في معايشهم هي التي يرمى بها فهووالله طي الدنيا وهلاك هذا الخلق، وإن كانت نجوما غيرها وهي ثابتة على حالها فهذا الأمر أراد الله به هذا الخلق فما هو؟. انظر :(الجزء المطبوع من سيرة ابن إسحق تحقيق سهيل زكار ص ١١٣ . وسيرة ابن هشام ٢٢٤/١).

هذه الرواية رواها ابن إسحق عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفي(ت١٢٨ هـ)، وهو ثقة، قاله ابن معين، وأبو حاتم، والنسائي والدارقطني، وابن حبان، وقال عنه ابن سعد: كان ثقة له أحاديث كثيرة ورواية وعلم بالسيرة وغير ذلك.(تهذيب التهذيب ٣٩٢/١١).

وقال الذهبي: روى حديث«يعقوب»بنحوه«حصين»عن « الشعبي »لكن قال: فأتوا عبد ياليل بن عمرو الثقفي وكان قد عمي، وقد جاء غير حديث بأسانيد واهية أن غير واحد من الكهان أخبره رئيه من الجن بأسجاع ورجز فيها ذكر مبعث النبي ﷺ وسمع من هواتف الجان من ذلك أشياء (السيرة ص٦٦).

(٣) انظر: (استراق الجن للسمع قبل النبوة) في الفصل الأول.

(٤) سنأتي على تفصيل الحادثة في إسلام عمر ـ بمشيئة الله ـ.

قال ابن إسحق: أما الأحبار من يهود، والرهبان من النصارى فعمّا وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه، وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه، وأما الكهان من العرب فأتتهم به الشياطين من الجن فيما تسترق من السمع، إذ كانت وهي لا تحجب عن ذلك بالقذف من النجوم، وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكر بعض أموره، لا تلقي العرب لذلك فيه بالاً، حتى بعثه الله تعالى ، ووقعت تلك الأمور التي كانوا يذكرون فعرفوها...[1].

وساق ابن إسحق بسنده إلى عاصم بن عمر بن قتادة،عن رجال من قومه، قالوا: إن مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله تعالى وهداه، لما كنا نسمع من رجال يهود ،كنا أهل شرك، أصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا، وكانت لاتزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نلنا منهم بعض مايكرهون قالوا لنا: إنه تقارب زمان نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرم..إلخ الرواية[2].

«وهِرَقْل» حين جاءه الخبر برسالة النبي ﷺ قال: وقد كنت أعلم أنه خارج ،لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه ولوكنت عنده لغسلت عن قدميه.. إلى آخر كلامه[3].

---

(١) انظر: السيرة لابن هشام ٢٢١/١ وهو دون إسناد ـ كما سبق ـ.

(٢) انظر: السيرة لابن هشام ٢٣١/١ ويبدو قوة إسناد هذه الرواية فابن إسحق صرّح بالتحديث، وعاصم بن عمر: ثقة عالم بالمغازي(كما في التقريب ٣٨٥/١).

(٣) البخاري ٦/١بدء الوحي، ٤/٤ : كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة، ١٦٩/٥ : كتاب التفسير، باب:﴿قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ..﴾، ومسلم ١٣٩٥/٣ : كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هِرقْل يدعوه إلى الإسلام.

وكان من أسباب إسلام أوائل الأنصار (النفر الستة) ماكانوا يسمعونه من يهود المدينة عن بعثة النبي ﷺ، فلما عرض عليهم الإسلام قال بعضهم لبعض: ياقوم: تعلمون والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود فلا يسبقنكم إليه[1].

كما سبق لنا الحديث عن قصته مع بحيرى الراهب ـ بما يغني عن إعادته هنا ـ، وهي أيضا واحدة من إرهاصات النبوة[2].

ومن إرهاصات نبوته ﷺ: تسليم الحجر والشجر عليه قبل نبوته، يقول ﷺ: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلّم عليّ قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن»[3].

وكذا الرؤيا الصادقة (أو الصالحة) في النوم، فكان ﷺ لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، وهي أول مابدئ به من الوحي[4]، وإن كانت تلك ليست خاصة بالنبي ﷺ[5].

---

(١) انظر: السيرة لابن هشام ٣٧/٢، وسيأتي الحديث عن الرواية مفصلا في مقدمات الهجرة.

(٢) انظر: في الفصل الأول «نشأته ﷺ».

(٣) مسلم ١٧٨٢/٤ : كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة، وابن إسحق ـ كما في السيرة لابن هشام ٢٥٣/١ وزاد: «فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يارسول الله». وقد رواه ابن إسحق عن عبد الملك بن عبيد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي ـ وكان واعية ـ عن بعض أهل العلم.

(٤) البخاري ٣/١ بدء الوحي، وفي التفسير ٨٧/٦ (اقرأ)، وفي التعبير ٦٧/٨ أول مابدئ به من الوحي، ومسلم ١٣٩/١ : كتاب الإيمان باب بدء الوحي..

(٥) فقد جاء في صحيح البخاري عن النبي ﷺ قال: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات قالوا: وما المبشرات؟ قال : الرؤيا الصالحة» ٦٩/٨ : كتاب التعبير، باب المبشرات» ،وفي رواية: «رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة» ٦٩/٨ باب الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة .

العزلة والتحنث:

ثبت في الصحيحين أنه كانﷺقبل البعثة ـ يعتزل قومه ويتحنث، فقد حبب إليه الخلاء، فكان يلحق بغارحراء، فيتحنث فيه ـ والتحنث التعبد[1] ـ الليالي ذوات العدد، قبل أن يرجع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة، فيتزود بمثلها، حتى فَجِئَهُ الحق وهو في غار حراء..[2].

وجاء في بعض روايات الصحيحين: جاورت بحراء شهراً[3]. وذكر ابن إسحق أن ذلك في شهر رمضان[4].

---

(١) هكذا جاءت مفسرة في روايات الصحيحين، وهي من تفسير وإدراج الزهري كما جزم به الطيبي، والتحنث: إلقاء الحنث وهو الإثم ، كما قيل يتأثم ويتحرج ونحوها.(انظر: الفتح ١/٢٣).
أو هي بمعنى التحنف قال ابن هشام: تقول العرب: التحنث والتحنف، يريدون الحنيفية فيبدلون الفاء من الثاء(السيرة ١/٢٥٤).

(٢) البخاري١/٣:بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول اللهﷺ، وفي كتاب التفسير ٨٨/٦(سورة اقرأ)و وفي كتاب التعبير، باب التعبير وأول مابدئ به رسول الله ﷺ من الوحي٦٧/٨، ومسلم ١/١٤٠ : كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ .

(٣) وقفت على ذلك صريحا عند مسلم ١/١٤٤ : كتاب الإيمان..، أما البخاري ٦/٧٤: التفسير (سورة المدثر) فالذي وقفت عليه ذكره للمجاورة في نفس المواطن التي يذكرها مسلم دون أن أقف على التحديد بشهر وإن كان ابن حجر ذكرها في الفتح في شرحه واستشكلها بقوله: والمشكل من رواية يحيى بن أبي كثير ـ أحد رواة حديث البخاري ـ قوله: جاورت بحراء شهرا.. ويزيل الإشكال أحد أمرين: إما أن يكون سقط على يحيى بن أبي كثير وشيخه من القصة مجيء جبريل بحراء باقرأ باسم ربك وسائر ماذكرته عائشة، وإما أن يكون جاورﷺ بحراء شهرا آخر، فقد تقدم أن في مرسل عبيد بن عمير عند البيهقي أنه كان يجاور في كل سنة شهرا وهو رمضان، **فكان ذلك في مدة فترة الوحي**(وهذا التحديد بمدة فترة الوحي هو الذي يفهم من سياق الرواية) الفتح ٦٧٨/٨.

(٤) انظرالجزء المطبوع من سيرة ابن إسحق تحقيق سهيل زكار ص١٢١وسيرة ابن هشام ١/٢٥٣، ٢٥٤.

وهذا التحنث تقف رواية الصحيحين دون أن يتبين لنا كنهه،وماذا يجري فيه.[1]ويذكر ابن إسحق أن ذلك مما تحنث به قريش في الجاهلية[2]، كما يذكر أن النبي ـ ﷺ ـ كان يطعم فيه من جاءه من المساكين.[3]

---

(١) بل إن بعض الباحثين يعمم، فيقول محقق الروض الأنف ـ عبد الرحمن الوكيل ـ : ليس هناك نص صريح أوصحيح يبين لنا كيف كان يتحنث، ثم يقول: وأذكّر هنا بقول الله سبحانه عما كان عليه محمدقبل البعثة:﴿ماكنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾وقوله:﴿ووجدك ضالا فهدى﴾ فهي إذا كانت عزلة عن مجتمع جاهلي عربدت فيه الخطيئة . والمفهوم من كلام ابن هشام أن هذا التحنث أمر كانت تأتيه قريش في جاهليتها. ا.هـ.
(حاشية الروض الأنف للسهيلي ٢/٣٩٠).

(٢) انظر الجزء المطبوع من سيرة ابن إسحق ، تحقيق سهيل زكار ص ١٢١ والسيرة لابن هشام ١/٢٥٣.

(٣) الجزء المطبوع من سيرة ابن إسحق تحقيق سهيل زكار ص ١٢١المصدر نفسه ١/٢٥٤.

نزول الوحي

تفيد رواية الصحيحين أن أول مابدئ به النبيﷺمن الوحي الرؤيا الصالحة أو الصادقة ـ كما في بعض الروايات ـ في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، فكان يأتي حراء فيتحنث فيه .. حتى فَجِئَهُ الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال:اقرأ، قال«ما أنا بقارئ» قال:«فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد» ،ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قال: قلت: «ما أنا بقارئ» ، قال: فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ فقلت: «ما أنا بقارئ»فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال:﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق*خلق الإنسان من علق* اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم*علم الإنسان مالم يعلم﴾.[1]فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره[2]، حتى دخل على خديجة فقال: «زملوني زملوني» ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، ثم قال لخديجة : «أي خديجةمالي» ؟ وأخبرها الخبر قال: «لقد خشيت على نفسي»قالت له خديجة: كلا، أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً،والله إنك لتصل الرحم، وتصدق في الحديث،وتحمل الكَلّ[3]، وتكسب المعدوم[4]،وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق،ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل..

---

(١) سورة اقرأ الآيات من ١ـ٥ وفي هذا تأكيد على كونها أول ما نزل من القرآن ـ كما سيأتي ـ.

(٢) هذه اللفظة تتفق عليها رواية الصحيحين. وفي بدء الوحيَ ـ في البخاري ـ«يرجف فؤاده» .

(٣) الكَلّ: أصله الثقل .

(٤)أي تعطي غيرك المال المعدوم تبرعا ، أو تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك من نفائس الفوائد ومكارم الأخلاق .

كما سيأتي بيانه[1].

بهذه الشّدّة كان نزول الوحي على النبيﷺ[2]، ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان النبيﷺيعالج من التنزيل شدّة[3]. وتقول عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصّد عرقا[4]. وكان إذا نزل عليه جبريل بالوحي يحرك به لسانه وشفتيه، فيشتد عليه، ويعرف منه ذلك، حتى أنزل الله عليه قوله:﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به * إن علينا جمعه وقرآنه﴾[5].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: كان نبي الله ﷺ إذا أنزل عليه الوحي كرب لذلك وتربّد وجهه[6].

ويبلغ من شدة الوحي على النبي ﷺ أن يقول زيد بن ثابت رضي الله عنه:« .. فأنزل على رسول الله ﷺ وفخذه على فخذي فثقلت عليّ حتى خفت أن ترض فخذي..»[7].

---

(١) البخاري ١/٣ :بدء الوحي،وفي كتاب التفسير(سورة اقرأ)٦/٨٧،وفي التعبير٨/٦٧ : باب التعبير وأول مابدئ به رسول الله ﷺ من الوحي،ومسلم ١/١٣٩ وما بعدها : كتاب الإيمان، باب بدء الوحي..

(٢) قال الخطابي: وإنما فعل ذلك به ليبلو صبره ويحسن تأديبه ، فيرتاض لاحتمال ماكلّفه به من أعباء النبوة، ولذلك كان يعتريه مثل حال المحموم، وتأخذه الرّحضاء أي: البهر والعرق(عن السيرة لابن كثير ١/٣٩٣).

ويقول السهيلي: وكان في ذلك إظهار للشدة والجد في الأمر، وأن يأخذ الكتاب بقوة، ويترك الأناة، فإنه أمر ليس بالهويني(الروض الأنف ٢/٤٠٠).

(٣)مسلم١/٣٣٠: كتاب الصلاة، باب الاستماع للقراءة.

(٤)البخاري١/٣(سبق)، ومسلم، ٤/١٨١٦ : كتاب الفضائل، باب عرق النبي ﷺ في البرد وحين يأتيه الوحي، بلفظ:«إن كان لينزل على رسول الله ﷺ في الليلة الباردة ثم تفيض جبهته عرقا»

(٥) البخاري٦/٧٦ كتاب التفسير (سورة القيامة)، ومسلم ١/٣٣٠ كتاب الصلاة(سبق).

(٦) مسلم ٤/١٨١٧ : كتاب الفضائل(سبق).

(٧) البخاري ٥/١٨٢ : كتاب التفسير(سورة النساء) باب لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله.

أنواع الوحي:

وإذا كان الوحي شديداً ـ كما سبق ذكره ـ فإن معرفة أنواعه توضح أشده ، وقد سأل الحارث بن هشام[1] ـ رضي الله عنه ـ رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس ـ وهو أشده عليّ ـ فيفصم عنّي وقد وعيت عنه ماقال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول»[2].

وهاتان الحالتان كلتاهما عن طريق الملك كما توضحه الرواية الأخرى والسائل نفسه يقول: كيف يأتيك الوحي ؟قال:« كل ذاك يأتي الملك أحيانا في مثل صلصلة الجرس ....، ويتمثل لي الملك أحيانا رجلاً فيكلمني فأعي مايقول»[3].

وأشيرهنا إلى ضرب من ضروب الاختلاف بين مدلول روايات الصحيحين وابن إسحق في ابتداء الوحي هل كان في اليقظة، أو والنبيﷺفي المنام؟ فروايات الصحيحين كما أسلفت تظهر مجيء الملك في حال اليقظة.

أما ابن إسحق فيقول في روايته :« ... حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه

---

(١) هو: الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشي أخو أبي جهل، وأمه فاطمة بنت الوليد بن المغيرة، كان شريفًا مذكوراً، شهد بدراً وأحداً مع المشركين وأسلم يوم فتح مكة وحسن إسلامه، خرج في زمن عمر بأهله وماله من مكة إلى الشام. اختلف في وفاته فقيل: مات في طاعون عمواس ، وقيل: استشهد يوم اليرموك.
(الإصابة ٢/ ١٨١).

(٢) البخاري ١/ ٢ ، ٣: بدء الوحي(سبق)، ومسلم ٤/ ١٨١٦ ، ١٨١٧ : كتاب الفضائل(سبق).

(٣) البخاري ٤/ ٨٠:كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم،وقد تعرض ابن حجر ـ عليه رحمة الله ـ لأنواع الوحي، وأوجه الجمع بينها وبين تحديد هذين النوعين الواردين في هذه الأحاديث، فليرجع إليه للفائدة(فتح الباري١/ ١٩).

الله فيها برسالته ورحم العباد بها، جاءه جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى. قال رسول الله ـ ﷺ : «فجاءني جبريل وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب، فقال: اقرأ..» إلى آخر الرواية»[1].

والرواية واضح فيها أن ذلك كان في حال المنام، لكن الرواية جاءت مرسلة، وبعض العلماء حاول التوفيق بينها وبين رواية الصحيحين[2].

---

(١) السيرة لابن هشام ٢٥٤/١.

(٢) سند الرواية :قال ابن إسحق: وحدثني وهب بن كيسان مولى آل الزبير قال: سمعت عبد الله بن الزبير وهو يقول لعبيدبن عمير بن قتادة الليثي: حدثنا ياعبيد، كيف كان بدء مابتدئ به رسول الله ﷺ ـ من النبوة حين جاءه جبريل عليه السلام؟ قال: فقال عبيد .. إلخ انظر: (سيرة ابن هشام ٢٥٣/١).

فالإرسال واضح من عبيد بن عمير، فهو وإن كان ثقة، إلا أنه من التابعين(انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر ٧١/٧).

وقد تعرض العلماء لرواية ابن إسحق هذه محاولين التوفيق بينها وبين رواية الصحيحين فقال السهيلي:«وقد يمكن الجمع بين الحديثين بأن النبي ﷺ جاءه جبريل في المنام قبل أن يأتيه في اليقظة توطئة وتيسيرا عليه ورفقا به ... إلى أن يقول: وقد ثبت بالطرق الصحاح عن عامر الشعبي أن رسول الله ﷺوكل به إسرافيل فكان يتراءى له ثلاث سنين، ويأتيه بالكلمة من الوحي والشيء ثم وكل به جبريل فجاءه بالقرآن والوحي، فعلى هذا كان نزول الوحي عليه ﷺ في أحوال مختلفة فمنها النوم كما في حديث ابن إسحق،وكما قالت عائشة أيضا أول مابدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة ...» (الروض الأنف ٣٩٢/٢، ٣٩٣)

قلت: أما ماذكره السهيلي من احتمال مجيء الملك في النوم قبل اليقظة تمهيداً وتوطئة فقد قال به غيره، وقد جاء مصرحًا بهذا في مغازي موسى بن عقبة عن الزهري أنه رأى ذلك في المنام ثم جاءه الملك في اليقظة (انظر: السيرة لابن كثير ٣٨٧/١)وقال ابن سيد الناس:«وفي حديث عبيد بن عمير في خبر نزول جبريل عليه السلام قال رسول الله ﷺ «فجاءني وأنا نائم »فهذه حالة، وحديث عائشة وغيرها أنه كان في اليقظة فهذه حالة ثانية، ولا تعارض لجواز الجمع بينهما بوقوعهما معا ويكون الإتيان في النوم توطئة للإتيان في اليقظة...»(عيون الأثر ٨٩/١) كما نقل ذلك ابن كثير حيث قال: وقول عائشة أول مابدئ به من الوحي الرؤيا الصادقة يقوي ماذكره ابن إسحق عن عبيد ابن عمير، وإن كان ذلك كالتوطئةلما يأتي بعده من اليقظة.(السيرة ٣٨٧/١).

= وقال ابن حجر: وإن ثبت من مرسل عبيد بن عمير أنه أوحي إليه بذلك في المنام أولا قبل اليقظة أمكن أن يكون مجيء الملك في اليقظة عقب ماتقدم في المنام ...»(الفتح١/٢٣).

على أن هناك من يرى عدم إمكانية الجمع بين حديث عائشة وعمير بن عبيد. يقول عبد الرحمن الوكيل: رواية المنام من مراسيل عبيد بن عمير وهي مخالفة لرواية الصحيحين المسندة المرفوعة، والجمع بين الروايتين بأن هذا كان مرتين الأولى في المنام، والأخرى في اليقظة تأويل فاسد، فلو أن هذا حدث ما حدث له كل ذلك الذي أصابه من شدة الوحي في المرة الأخرى (حاشية الروض الأنف ٢/٤٠١).

أما استدلال السهيلي بحديث الشعبي في قرن إسرافيل بالنبيﷺ ثلاث سنين فقد أنكره الواقدي قائلا:«ليس يعرف أهل العلم ببلدنا أن إسرافيل قرن بالنبي ﷺ، وإن علماءهم وأهل السيرة منهم يقولون: لم يقرن به غير جبريل من حين أنزل عليه الوحي إلى أن قبض ﷺ»(انظر: الطبقات لابن سعد ١/١٩١). ونقل الطبري هذا القول عن الواقدي وذكر إنكار عبد الله بن أبي بكر بن حزم، وعاصم بن عمر بن قتادة (وهما من أهل السير) لذلك (تاريخ الطبري ٢/٣٨٦).

كما نقل الصالحي في سيرته إنكار الواقدي ثم قال: وهو المعتمد (سبل الهدى والرشاد ٢/٣١٠)وكأن«ابن حجر» لم يرضه رد الواقدي فقال: ولا يخفى مافيه فإن المثبت مقدم على النافي إلا إن صحب النافي دليل نفيه فيقدم،والله أعلم (الفتح ١/٢٧) لكن مما ينبغي أن يعلم أن ابن حجر لم يجزم بمرسل الشعبي بل قال:(إن ثبت).

وهذا المرسل للشعبي ـ كما قال الزرقاني ـ وإن صح إسناده إلى الشعبي فهو مرسل أو معضل، وقد عارضه ما هو أصح منه(شرح المواهب ١/٢٣١).

والذي أصح منه اعتمد عليه«الصالحي»في رده لحديث الشعبي حيث قال: ورد مايوهي أثر الشعبي وهو مارواه مسلم عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال:بينا النبي ﷺ جالس وعنده جبريل إذ سمع نقيضا من السماء من فوق فرفع جبريل بصره إلى السماء فقال: يامحمد هذا ملك قد نزل لم ينزل إلى الأرض قط، قال : فأتى النبيﷺ فقال : أبشر بنورين أوتيتهما ... إلخ الحديث.

قال جماعة من العلماء : إن هذا الملك إسرافيل.(سبل الهدى والرشاد٢/٣١٠).

فإن اعترض على ذلك بالقول: ومن أين لجماعة من العلماء القول بأن المقصود بالملك في الحديث إسرافيل؟(اعترض بذلك صادق عرجون في كتابه محمد رسول الله ١/٤٨٢ وهو يرى صحة أثر الشعبي ويرد على من خالفه) أجيب عن ذلك بحديث آخر رواه الطبري والبيهقي ـ بسند حسن ـ وفيه التصريح بإسرافيل، ورواه ابن حبان أيضا في صحيحه وزاد: هذا الملك مانزل منذ خلق قبل الساعة.(انظر تفصيل ذلك في سبل الهدى والرشاد ٢/٣١٠).

فترة الوحي وأول مانزل من القرآن:

جاء في رواية عائشة ـ السابقة ـ وفتر الوحي فترة، زاد الزهري[1]«حتى حزن النبي ﷺ ـ فيما بلغنا ـ حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي منه نفسه تبدى له جبريل فقال يامحمد: إنك رسول الله حقا فيسكن لذلك جأشه وتقز نفسه فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك»[2].

هذه الفترة ـ كما نفهم من الرواية الآتية ـ تبدو متقدمة في أول البعثة،حيث جاء في الرواية: ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي[3] وسياقها بعدنزول«اقرأ»تقوي ذلك،كما يبدو من زيادة الزهري ـ إن صحت ـ أن أمد هذه الفترة ليس بالقصير، وقد جاء فيها: فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك[4].

---

(١) ضعّف بعض العلماء هذه الزيادة فقال ابن حجر: القائل فيما بلغنا هو الزهري، ومعنى الكلام أن في جملة ماوصل إلينا من خبر رسول الله ﷺ في هذه القصة وهو من بلاغات الزهري وليس موصولا، وقال: هذا من زيادة معمر على رواية عقيل ويونس، ثم قال: وصنيع المؤلف يوهم أنه داخل في رواية عقيل، وقد جرى على ذلك الحميدي في جمعه..، ثم نقل قول الكرماني في كون الظاهر له أن ذلك من بلاغات الزهري، ويحتمل أن يكون بلغه بالإسناد المذكور، وكذا ماوقع عند ابن مردويه في التفسير في كون الزهري أدرجها، قال ابن حجر: والأول ـ كأنه يشير إلى كونها غير متصلة ـ هو المعتمد.. (الفتح١٢/٣٥٩، ٣٦٠).
وقال الألباني ـ في رده على البوطي ـ هذه الزيادة لها علتان: الأولى: تفرد معمر بها دون يونس وعقيل فهي شاذة، الأخرى: أنها مرسلة مفصلة ثم قال: واعلم أن هذه الزيادة لم تأت من طريق موصولة يحتج بها ـ كما بينته في سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم ٤٨٥٨و أشرت إلى ذلك في التعليق على«مختصري لصحيح البخاري»١/٥، وأخيرا قال: وإذا عرفت عدم ثبوت هذه الزيادةقلنا الحق أن نقول: إنها زيادة منكرة من جيث المعنى؛ لأنه لا يليق بالنبي ﷺ المعصوم أن يحاول قتل نفسه بالتردي من الجبل مهما كان الدافع له علي ذلك وهو القائل:«من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها أبدا»أخرجه الشيخان وغيرهما..(دفاع عن الحديث النبوي والسيرة ص/٤١).

(٢) البخاري ٨/٦٨ : كتاب التعبير (سبق).

(٣) المصدر نفسه١/٤ :بدء الوحي= والملاحظ أن هذه الرواية أو غيرها من روايات البخاري ومسلم لا تذكر زيادة الزهري المذكورة في الرواية السابقة في كتاب التعبير.

(٤) وقع في تاريخ أحمد بن حنبل عن الشعبي أن مدة فترة الوحي كانت ثلاث سنين، قال ابن حجر: وبه جزم ابن إسحق.(الفتح١/٢٧)،
وقال السهيلي :وذكر ابن إسحق فترة الوحي عن رسول الله ﷺ ،ولم يذكر مقدار مدة الفترة(وكذا =

وانقضت الفترة، وعاد الوحي إلى النبيﷺ مرة أخرى، ويحدثنا رسول اللهﷺ عن فترة الوحي فيقول: « فبينا أنا أمشي سمعت صوتا من السماء، فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالسا على كرسي بين السماء والأرض، ففرقت منه، فرجعت، فقلت: زملوني زملوني، فدثروه، فأنزل الله تبارك وتعالى:﴿ياأيها المدثر *قم فأنذر *وربك فكبر* وثيابك فطهر * والرجز فاهجر﴾[1] » .

هذه الرواية صريحة في كون« سورة المدثر» هي أول مانزل من القرآن بعد فترة الوحي ودلالات الرواية على هذا كثيرة:فالرسولﷺيحدّث عن« فترة الوحي»لا عن أول نزول القرآن، بل يصرّح في الرواية عن مجيء الملك ـ جبريل ـ له قبل ذلك، وفي غار حراء.

كل ذلك يؤكد أن أول مانزل من القرآن﴿اقرأ﴾كما في رواية عائشة السابقة[2] .

أما حديث جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ حين سأله أبو سلمة: أي القرآن أنزل قبل ؟قال:﴿ياأيها المدثر﴾، فقلت ـ أبو سلمة ـ أو﴿ اقرأ﴾ ؟فقال: أحدثكم ماحدثنا رسول الله ﷺ قال: «جاورت بحراء شهرا، فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت بطن الوادي فنوديت، فنظرت أمامي وخلفي وعن

= ابن سيد الناس(١/ ٩٠) .وقد جاء في بعض الأحاديث المسندة أنها كانت سنتين ونصف سنة(الروض الأنف٢/ ٤٣٣) .

وقال ابن كثير: وقد قال بعضهم: كانت مدة الفترة قريبا من سنتين، أو سنتين ونصفا، ثم قال: والظاهرـ والله أعلمـ أنها المدة التي اقترن معه ميكائيل، كما قال الشعبي وغيره(انظر: السيرة١/ ٤١٤)والفصول في اختصار سيرة الرسول للمؤلف نفسه ص/ ٨٤، ٨٥) .

أما ابن سعد فقال في روايته عن ابن عباس: إنها كانت أياما(الطبقات١/ ١٩٦) .

(١) البخاري١/ ٤، وفي بدء الخلق ٤/ ٨٤،وفي التفسير٦/ ٧٥، ٨٩، وفي الأدب ٧/ ١٢٢، ومسلم ١/ ١٤٣ : الإيمان.

(٢) وللمزيد انظر تعليق«ابن حجر» على حديث عائشة رضي الله عنها«.. إنما نزل أول مانزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار»الفتح٩/ ٤٠ .

يميني وعن شمالي، فلم أر أحدا، ثم نوديت فنظرت فلم أر أحداً، ثم نوديت فرفعت رأسي فإذا هو على العرش في الهواء(يعني جبريل عليه السلام)فأخذتني رجفة شديدة، فأتيت خديجة فقلت: دثروني دثروني، فصبوا عليّ ماء، فأنزل الله عزوجل:﴿ياأيها المدثر* قم فأنذر * وربك فكبر* وثيابك فطهر﴾»[1].

فهذه الرواية تحمل على أن ذلك بعد فترة الوحي[2].

---

(١) البخاري٦/٧٤، ٧٥: كتاب التفسير(سورة المدثر)، ومسلم١/١٤٤ :كتاب الإيمان، باب بدء الوحي..

(٢) وهذا هو المشهور وهو المنقول عن جمهور العلماء، فعروة بن الزبير ـ مثلا ـ يذكر نزول ﴿اقرأ﴾، ثم يقول: ويزعم ناس أن﴿ياأيها المدثر﴾ أول سورة أنزلت عليه والله أعلم (مغازي عروة..ص/١٠١ ، وذكر ابن شهاب الزهري نزول المدثر بعد فترة الوحي في مغازيه(ص/٤٤،٤٥).
ونقل ابن جرير الطبري أن أول مانزل من القرآن بعد﴿اقرأ﴾:﴿ن والقلم ومايسطرون﴾، و﴿ياأيها المدثر﴾(تاريخ الطبري٢/٢٩٩)، وقال النووي:قوله: «إن أول مانزل قوله تعالى﴿ياأيها المدثر﴾ ضعيف باطل، والصواب: أن أول مانزل على الإطلاق﴿اقرأ باسم ربك﴾... وأول مانزل بعد فترة الوحي﴿ياأيها المدثر﴾.. (شرحه على صحيح مسلم٢/٢٠٧ ، ٢٠٨)، ونسب ابن سيد الناس إلى عائشة وعبيد بن عمير، ومحمد بن عباد بن جعفر، والحسن البصري، وعكرمة، ومجاهد، والزهري القول بأن (اقرأ) هي أول مانزل من القرآن(عيون الأثر١/٨٨)، ويقول ابن تيمية: إن أول مانزل(اقرأ) عند جماهير العلماء.. وهي أمر بالقراءة، وبها صار نبيا، وقوله﴿قم فأنذر﴾ أمر بالإنذار، وبها صار رسولا منذرا، إلى أن يقول: وبكل حال فالزهري عنده حديث عروة عن عائشة، وحديث أبي سلمة عن جابر وهو أوسع علما وأحفظ من يحيى بن أبي كثير راوي حديث جابر لو اختلفا، لكن يحيى ذكر أنه سأل أبا سلمة عن الأولى، فأخبر جابر بعلمه، ولم يكن علم مانزل قبل ذلك، وعائشة أثبتت وبينت..(الفتاوى١٦/٢٥٤ـ٢٥٩)«بتصرف»، أما الذهبي فقد أورد رواية جابر ثم قال بعدها: وهو نص في أن﴿ياأيها المدثر﴾ نزلت بعد فترة الوحي الأول وهو﴿اقرأ باسم ربك﴾ فكان الوحي الأول للنبوة والثاني للرسالة(السيرة ص/٦٩)، ويقول ابن كثير: إن المدثر أول ما نزل من القرآن بعد فترة الوحي لا مطلقا..(السيرة١/٤١٢)، ويقول ابن حجر: والمشكل من رواية يحيى بن أبي كثير(هي رواية جابر)قوله: جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت الوادي.. إلى قوله: فرفعتُ رأسي فإذا هو على العرش في الهواء ـ يعني جبريل ـ فأتيت خديجة فقلت: دثروني . ويزيل الإشكال أحد أمرين: إما أن يكون سقط على يحيى وشيخه من القصة مجيء جبريل بحراء(باقرأ باسم ربك) وسائر ماذكرته عائشة، وإما أن يكون جاورﷺ بحراء شهرا آخر، وذلك في مدة فترة الوحي..(الفتح٨/٦٧٨).
وذكر السيوطي في الإتقان عدة أجوبة لرفع إشكال حديث جابر. واستحسن فيها وجهين أحدهما: أن السؤال كان عن نزول سورة كاملة، فبين أن سورة«المدثر». نزلت بكمالها قبل نزول تمام سورة«اقرأ» والآخر: أن جابرا استخرج ذلك باجتهاده وليس هو من روايته، فيتقدم عليه ماروته عائشة.(الإتقان في علوم القرآن: لجلال الدين السيوطي١/٣٢).

ونعود إلى ابن إسحق فنجده يذكر نزول(اقرأ)[1]أولا لكنه حين يتحدث عن فترة الوحي يذكر أن أول مانزل بعدها سورة(الضحي)[2] مخالفا بذلك لروايات الصحيحين، صحيح أن الشيخين(البخاري ومسلما) تحدثا عن فترة أخرى للوحي نزل على إثرها(والضحى) لكن هذه الفترة ـ كما يبدو ـ فترة أخرى غير الفترة الأولى التي نزل على إثرها «المدثر».

والروايات فيها جاءت على هذا النحو: اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثا فجاءت امرأة[3]فقالت: يامحمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثا، فأنزل الله عزوجل:﴿والضحى * والليل إذا سجى* ماودعك ربك وماقلى﴾[4].

وفي رواية : أبطأ(أو احتبس) جبريل على رسول الله ﷺ فقال المشركون: قد ودّع محمد، فأنزل الله عز وجل ﴿والضحى..﴾[5].

والمتأمل ـ في سيرة ابن هشام ـ يجد ابن إسحق يذكرفترة أخرى للوحي نزل على إثرها سورة الكهف، وذلك بعد أن مكث النبي ﷺ خمس عشرة ليلة لايحدث الله إليه في ذلك وحيا ولا يأتيه جبريل، وكان ذلك حينما أعلم أحبار اليهود نفرا من كفار قريش بأسئلة يسألون فيها النبي ﷺ، فإن أخبر عنها فهو نبي، وإلا فهو متقوّل ـ كما يقولون ـ فجاءوا إلى النبي ﷺ فسألوه عن أصحاب الكهف، والرجل الطوّاف، والروح، فوعدهم بالإجابة غدا ـ ولم يستثن ـ فمكث تلك الفترة لايأتيه شيء حتى أرجف به أهل مكة، وشقّ عليه ذلك، وحزن له.. حتى جاءه جبريل بسورة أصحاب الكهف..[6].

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٢٥٤، ٢٥٥.
(٢) المصدر نفسه١/٢٦٠= قال ابن كثيرمعلقا على رأي ابن إسحق. وهو قول بعيد يردّه ما تقدم من رواية صاحبي الصحيح من أن أول القرآن نزولا بعد فترة الوحي﴿ياأيها * المدثر قم فأنذر﴾، ولكن نزلت سورة«والضحى» بعد فترة أخرى كانت ليالي يسيرة(السيرة لابن كثير١/٤١٣ز ٤١٤).
(٣) هي: أم جميل بنت حرب امرأة أبي لهب(انظر الفتح٨/٧١٠).
(٤) البخاري ٦/٨٦ :(التفسير)سورة الضحى، وفي التهجد ٢/٤٣، وفي فضائل القرآن ٦/٩٧، ومسلم٣/١٤٢٢ : في الجهاد والسير.
(٥) مسلم٣/١٤٢١ : كتاب الجهاد والسير.
(٦) ابن هشام ١/٣٢١، ٣٢٢، ذكره ابن إسحق بلاغا عن ابن عباس رضي الله عنهما كما في السيرة، و نقله عنه الطبرى في تفسيره ١٥/١٢٧، ١٢٨، وأسنده عنه، فقال: عن ابن إسحق قال: حدثني شيخ من أهل مصر؟! قدم علينا منذ بضع وأربعين سنة عن عكرمة، عن ابن عباس، ثم ذكره. قلت: الإسناد متوقف على معرفة من يكون هذا الشيخ لا سيما وابن إسحق متهم بالتدليس.

زمن البعثة ومدة إقامته بمكة والمدينة:

اتفق البخاري ومسلم على أنه ـ ﷺ ـ بعث لأربعين سنة[1]، وكذا الأمر عند ابن إسحق[2]، وعنده أن ذلك كان في شهر رمضان[3]، ويزيد مسلم أن ذلك كان يوم الإثنين[4].

ولكن الخلاف وارد في مدة إقامته في مكة، فالمشهور إقامته بمكة ـ منذ بعثته إلى هجرته ـ ثلاثة عشر عاما، وهو مرويٌ في الصحيحين عن ابن عباس.[5]وذكره ابن إسحق[6].

وفي رواية أخرى عن ابن عباس أنه أقام بمكة خمس عشرة سنة[7].

ورواية ثالثة عن ابن عباس ،وعائشة، وأنس بن ماللك(رضي الله عنهم) أنه أقام بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن.كما في الصحيحين[8]، وذكرها يونس بن بكير بسنده عن سعيد بن المسيب[9].

تلك هي جملة الروايات المختلفة في تحديد فترة إقامته بمكة، وقد تعرض

---

(١)البخاري ٢٣٨/٤ : كتاب مناقب الأنصار، باب مبعث النبيﷺ، وفي باب هجرة النبيﷺ وأصحابه إلى المدينة٢٥٣/٤، وفي كتاب المناقب١٦٤/٤، ١٦٥ : باب صفة النبيﷺ، وفي كتاب اللباس ٥٧/٧ :باب الجعد، ومسلم١٨٢٤/٤ :كتاب الفضائل، باب في صفة النبيﷺ ومبعثه وسنه، وفي باب: كم أقام النبيﷺ بمكة والمدينة ١٨٢٧/٤.

(٢) سيرة ابن هشام ٢٥١/١، ٢٥٢. وانظر الجزء المطبوع من سيرة ابن إسحق تحقيق سهيل زكار ص١٣٠، ١٣٤.

(٣) المصدر نفسه٢٥٤/١، ٢٥٨= قال ابن كثير: وهو المشهور كما نص عليه عبيد بن عمير وابن إسحق(السيرة٣٩٢/١).

(٤) ٨١٩/٢، ٨٢٠: كتاب الصيام(سبق)= قال ابن كثير: وهذا مما لا خلاف فيه بينهم (السيرة٣٩٢/١).

(٥) البخاري٢٣٨/٤(سبق)، ٢٥٣/٤(سبق أيضا)، ومسلم١٨٢٥/٤، ١٨٢٦(سبق).

(٦) انظر الجزء المطبوع من سيرة ابن إسحق تحقيق سهيل زكار ص ١٣٤.

(٧) مسلم ١٨٢٧/٤(سبق).

(٨) البخاري ١٦٤/٤، ١٦٥(سبق)، وفي كتاب المغازي١٤٤/٥، باب وفاة النبيﷺ، وفي فضائل القرآن٩٦/٦، باب كيف نزول الوحي وأول ما نزل، ٥٧/٧ في اللباس(وقد سبق)، ومسلم ١٨٢٤/٤، ١٨٢٥ في الفضائل(وقد سبق).

(٩) انظر الجزء المطبوع من سيرة ابن إسحق بتحقيق سهيل زكار ص ١٣٤.

لهـا العلمـاء بالشـرح والبيـان، فحـاول بعـضـهم الجمع بينهـا بأوجـه محتملة[١]، ومال بعضهم إلى كون بعضها أصح وأشهرمن بعض[٢].

أمـا إقـامتـه بالمدينة فـالروايات السـابقـة لا تختلف في تحـديدها بعـشـر سنوات[٣].

---

(١) منهم الحاكم حيث استدرك على الصحيحين حديث علي: «إن الله عز وجل عمّر نبيه ﷺ بمكة ثلاث عشرة سنة» قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي (في تلخيص المستدرك)، ثم قال الحاكم: وقد اتفقت الروايات على هذه مع الروايات التي أخرجاها عن ابن عباس رضي الله عنهما، فأما خبر أنس ومعاوية ـ وإن صحت أسانيدهما ـ في عشر سنين، فليس عليهما القول والعمل. (المستدرك٢/٣٢).

أما السهيلي فقد جنح إلى الترجيح بين الأقوال ـ حيث قال ـ وهو يتحدث عن فترة الوحي ـ: وقد جاء في بعض الأحاديث المسندة أنها ـ فترة الوحي ـ كانت سنتين ونصف سنة، فمن هنا يتفق ماقاله أنس بن مالك: إن مكثه بمكة كان عشر سنين، وقول ابن عباس: ثلاث عشرة سنة، وكان قد ابتدئ بالرؤيا الصادقة ستة أشهر، فمن عدّ مدّة الفترة وأضاف إليها الأشهر الستة كانت كما قال ابن عباس، ومن عدّها من حين حمي الوحي وتتابع ـ كما في حديث جابر ـ كانت عشر سنين، ثم يقول: ووجه آخر في الجمع بين القولين أيضا، وهو أن الشعبي قال: وكل إسرافيل بنبوة محمد ﷺ ثلاث سنين، ثم جاءه بالقرآن جبريل.. وإذا صح ـ هذا الحديث ـ فهو أيضا وجه من الجمع بين الحديثين. (الروض الأنف٢/٤٣٣، ٤٣٤) وهذا الوجه ـ الأخير ـ ذكره قبله الطبري في تاريخه(٢/٣٨٧).

أقول: والوجه الأخير في الجمع اعترض عليه ابن حجر قائلا: هذا الذي اعتمده السهيلي من الاحتجاج بمرسل الشعبي لا يثبت، وقد عارضه ماجاء عن ابن عباس أن مدة الفترة المذكورة كانت أياما. (انظر الفتح١/٢٧، ٨/١٥١) كما اعترض عليه مغلطاي حيث قال: يخدش فيه ـ كلام السهيلي ـ ما في تفسير ابن عباس أنها كانت أربعين يوما، وفي تفسير ابن الجوزي ومعاني الزجاج خمسة وعشرين، وفي تفسير مقاتل ثلاثة أيام، ولعل هذا هو الأشبه بحاله عند ربه لا ماذكره السهيلي وجنح لصحته (انظر: شرح المواهب١/٢٣٦).

وبهذا يترجح لنا ماذكره الحاكم وغيره في كون مدة الإقامة بمكة ثلاث عشرة سنة وهو المشهور.

(٢) وممن قال بذلك الحافظ ابن حجر ـ عليه رحمة الله ـ حيث قال عن حديث ابن عباس ـ: فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة): هذا أصح مارواه مسلم عن طريق عمار بن أبي عمار عن ابن عباس أن النبي ﷺ أقام بمكة خمس عشرة سنة (انظر: الفتح٧/١٦٤، ٢٣٠)، وقال في موضع آخر: إن إقامته بمكة ثلاث عشرة هو قول الجمهور، وهو المشهور، ومن روي عنه مايخالف ذلك جاء عنه المشهور وهم ابن عباس وعائشة وأنس، ثم نقل الرأي المشهور عن معاوية، وبه جزم ابن المسيب، والشعبي، ومجاهد، وقال أحمد: هو الثبت عندنا. (انظر: الفتح ٨/١٥١).

(٣) قال ابن سيد الناس: وهو المتفق عليه بين أهل النقل (عيون الأثر١/٨٩).

إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأثره

كيف أسلم ؟(سبب إسلام عمر) :

ساق البخاري في« باب إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه» القصة التالية:«عن ابن عمر قال: ماسمعت عمر لشيء قط يقول: إني لأظنه كذا إلا كان كما يظن . بينما عمر جالس إذ مرّ به رجل جميل، فقال عمر: لقد أخطأ ظني، أو إن هذا على دينه في الجاهلية، أو لقد كان كاهنهم، عليّ الرجل، فدعي له، فقال له ذلك، فقال: مارأيت كاليوم استقبل به رجل مسلم، قال:فإني أعزم عليك إلا ماأخبرتني،قال: كنت كاهنهم،قال:فما أعجب ما جاءتك به جنيتك ؟قال: بينما أنا يوما في السوق جاءتني أعرف فيها الفزع،فقالت: ألم تر الجنّ وإبلاسها،ويأسها من بعد إنكاسها، ولحوقها بالقلاص وإحلاسها! قال عمر: صدق ، بينما أنا عند آلهتهم إذ جاء رجل بعجل فذبحه،فصرخ به صارخ لم أسمع صارخا قط أشد صوتا منه يقول:ياجليح، أمر نجيح، رجل فصيح، يقول لا إله إلا أنت، فوثب القوم، قلت:لا أبرح حتى أعلم ماوراء هذا، ثم نادى: ياجليح، أمر نجيح، رجل فصيح، يقول لاإله إلا الله، فقمت فما نشبنا أن قيل:هذا نبي»[1].وأورد «ابن إسحق» القصة مع اختلاف يسير في لفظها[2].

قال ابن حجر في شرحه لهذا الحديث:

«لمح المصنف(البخاري) بإيراد هذه القصة في باب إسلام عمر بما جاء عن عائشة وطلحة عن عمر من أن هذه القصة كانت سبب إسلامه ، ثم

---

(١) ٢٤٣/٤ : كتاب مناقب الأنصار.

(٢) انظر: السيرة لابن هشام١/٢٢٧ ـ ٢٣٠ وسندها قال ابن إسحق: وحدثني من لا أتهم ، عن عبد الله بن كعب مولى عثمان بن عفان أنه حدث أن عمر بن الخطاب...

ساق رواية عند أبي نعيم تؤكد ماذهب إليه»[1].

وفي سبب إسلام عمر ـ أيضا ـ يلمّح البخاري إلى قصته مع أخته فاطمة، وختنه«سعيد بن زيد»ويورد القصة مختصرة هكذا:«حدثني محمد بن المثني، حدثنا يحيى، حدثنا إسماعيل، حدثنا قيس قال: سمعت سعيد بن زيد يقول للقوم:لو رأيتني موثقي عمر على الإسلام أنا وأخته وماأسلم..»[2].

والقصة أخرجها ابن إسحق بأتم من هذا وأطول، وهي حديث الرواة من أهل المدينة، كما يقول ابن إسحق.[3]وخلاصة هذه الرواية: أن عمر خرج يوما متوشحا سيفه يريد رسول الله ﷺ ورهطا من أصحابه قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا، وهم قريب من أربعين من بين رجال ونساء، فيهم عمه حمزة، وأبو بكر، وعلي ـ ممن لم يخرج إلى الحبشة ـ فلقيه نعيم بن عبدالله فقال له: أين تريد ياعمر؟قال:أريد محمدا هذاالصابئ.. لأقتله، فقال له نعيم: والله لقد غرتك نفسك ياعمر.. أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم!! قال: وأي أهل بيتي ؟قال: ختنك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو،وأختك فاطمة، فقد أسلما وتابعا محمدا، فعليك بهما، فرجع عمر عامدا إلى أخته وختنه ـ وعندهما خباب بن الأرت ـ معه صحيفة فيها «طه» يقرئهما إياها،فلما سمعوا حسّ عمر، تغيب خباب في مخدع لهم،أو في بعض البيت،وغيّبت فاطمة الصحيفة،فلما دخل عمر قال:ماهذه الهينمة

---

(١) فتح الباري١٨١/٧ روى أبو نعيم في الدلائل أن أبا جهل جعل لمن يقتل محمدا مائة ناقة، فقال عمر: ياأبا الحكم آلضمان صحيح ؟قال:نعم، قال:فتقلدت سيفي أريده، فمررت على عجل وهم يريدون أن يذبحوه، فقلت:أنظر إليهم، فإذا صائح يصيح من جوف العجل:ياآل ذريح، أمر نجيح، رجل يصيح، بلسان فصيح، قال عمر: فقلت في نفسي: إن هذا الأمر مايراد به إلا أنا فدخلت على أختي فإذا عندها سعيد بن زيد.. فذكر القصة في سبب إسلامه بطولها.

(٢)٢٤٣/٤ : كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام عمر، وفي باب إسلام سعيد بن زيد٢٤٢/٤، وفي كتاب الإكراه ٥٦/٨ :باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر.

(٣) سيرة ابن هشام٣٦٨/١= والرواية أخرج نحوها «ابن سعد»في الطبقات٢٦٧/٣ عن إسحاق الأزرق، عن القاسم بن عثمان البصري،عن أنس،لكن القاسم ضعيف،فقد ذكره«العقيلي»في الضعفاء الكبير٤٨٠/٣وقال:عن أنس لا يتابع على حديثه، حدّث عنه إسحاق الأزرق أحاديث لا يتابع منها على شيء اهـ.وقال الذهبي في ترجمته:حدّث عن إسحاق الأزرق بمتن محفوظ، وبقصة إسلام عمر، وهي منكرة جدا(ميزان الاعتدال٣٧٥/٣) .كما أخرجها«أحمد» بنفس سياق ابن إسحق في الفضائل، وقال محققه:سندها منقطع.(فضائل الصحابة٢٧٩/١) .وذكر القصة«ابن عبد البر»في الاستيعاب وعلق عليها بقوله،وخبرها ـ يعني فاطمة ـ في إسلام عمر خبر عجيب(الاستيعاب بهامش الإصابة١١١/١٣) .

ونقل قوله«ابن حجر»ثم قال:وأخرج القصة ابن أبي شيبة في تاريخه، وأبو نعيم من طريقه،ومن طريقه إسحق بن عبد الله بن صالح عن مجاهد عن ابن عباس... ولم يعلق عليها(الإصابة ٨٠/١٣).

التي سمعت؟ قالا له: ما سمعت شيئا،قال:بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمدا على دينه،وبطش بختنه«سعيدبن زيد»فقامت إليه أخته فاطمة لتكفّه عن زوجها،فضربها فشجّها، فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه:نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله، فاصنع مابدا لك،فلما رأى عمر مابأخته من الدم ندم على ماصنع،فارعوى، وقال لأخته:أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرءون آنفا،أنظر ماهذا الذي جاء به محمد،فقالوا:إنك نجس وهذه لايمسها إلا المطهرون، فقام واغتسل،ثم أعطته الصحيفة،وفيها«طه» ، فقرأها.. فأعجبته، وقال: ماأحسن هذا الكلام!فاستبشر لذلك خباب،ورجا إسلامه، وأخبره بدعوة الرسول له..وطلب منهم أن يدلوه على مكان محمد،فأشاروا عليه به، فذهب إليه، وطرق الباب، فقال رجل من الصحابة للنبيﷺ:هذا عمر متوشحًا سيفه،فقال حمزة: إئذن له،فإن جاء يريد خيرا بذلناه له،وإن كان يريد شرا قتلناه بسيفه، وأذن النبي له بالدخول، ثم نهض إليه، فأخذ بمجمع ردائه وجبذه جبذة شديدة، وقال:«ماجاء بك ياابن الخطاب؟فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة» ، فقال عمر: جئتك لأومن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله، فكبر رسول الله تكبيرة عرف الصحابة أن عمر قد أسلم»[1] .

ولم يكتف ـ ابن إسحق ـ بذكر هذه الرواية في سبب إسلام عمر، بل ذكر رواية أخرى، وفيها:«أن عمر خرج ذات ليلة يريد بعض ندمائه، فلم يجدهم فذهب إلى الكعبة ليطوف حولها، فوافق رسول اللهﷺقائما يصلي، فقال في نفسه: لو دنوت منه وسمعت مايقول، فلما سمع القرآن رقّ له قلبه، فلما انصرف رسول الله ﷺ تبعه،فعرف صوته وظن أنه سيؤذيه ،وقال: ماجاء بك ياابن الخطاب هذه الساعة؟قال:جئت لأومن باللهورسوله،فحمدالله

---

(١) انظر : السيرة لابن هشام ١/٣٦٤ ــ٣٦٨.

رسول الله ﷺ، ثم قال:«قدهداك الله ياعمر»، ثم مسح صدري ودعا لي بالثبات..»[1].

وبعد سوق ابن إسحق لهذه الروايات قال: والله أعلم أي ذلك كان.[2]

وإذا كان البخاري يشير إلى أنه في الوقت الذي أسلم فيه عمر كان ابنه«عبد الله» غلاما فوق ظهر بيته ينظر إلى الناس، وهم مجتمعون حول أبيه حين أسلم[3]، فإن ابن إسحق يذكر أن إسلامه كان بعد خروج من خرج من أصحاب النبي ﷺ إلى الحبشة وذلك في قصة وقوفه على أم عبد الله بنت أبي حثمة وهم يترحلون إلى أرض الحبشة، وقد وجدت منه رقّة[4].

---

(١) السيرة لابن هشام ٣٦٨/١= وسندها:قال ابن إسحق:حدثني عبد الله بن أبي نجيح المكي، عن أصحابه عطاء ومجاهد، أو عن من روى ذلك، وقد روى الطبراني ـ في الأوسط ـ قريبا من هذه الرواية، وقال الهيثمي عنها: رجالها ثقات إلا أن شريح بن عبيد لم يدرك عمر.(مجمع الزوائد٩/٦٢)، وفوق علة الانقطاع فهناك علة أخرى وهي تدليس«أبي نجيح»فالسند ضعيف(انظر: فضائل الصحابة١/٢٨٣ في الحاشية).

(٢) ابن هشام ١/٣٧٠.

(٣) ٤/٢٤٢(سبق). وقد أخرج»أبو نعيم» في الحلية١/٣٩، ٤٠ نحو هذه القصة مختصرا من طريق أبي بكر بن أبي شيبة، عن أبى الزبير(محمد بن مسلم بن تدرس) وهو مع حفظه وجلالة قدره، حيث اعتمده مسلم، ورو ي له البخاري متابعة، إلا أنه يدلّس، ولهذا كان«ابن حزم» يرد من حديثه مايقول فيه(عن جابر) ونحوه، فإذا قال سمعت: وأخبرنا احتج به(ميزان الاعتدال٤/٣٧) قلت:وحيث إنه فى هذه الرواية عنعن عن جابر فالإسناد ضعيف.

(٤) ابن هشام١/٣٦٥= وإسنادها حسن وانظر:فضائل الصحابة لأحمد١/٢٧٩. وفي رواية أخرى عند ابن إسحق أن ابن عمر قال: غدوت أتبع إثر أبي حين أسلم وأنظر مايفعل، وأنا غلام أعقل كل مارأيت(ابن هشام١/٣٧٠) وعلق ابن كثير على هذه الرواية ـ وهي قوية الإسناد ـ كما سأذكره في موضعه ـ علّق ابن كثير بقوله:... وهو يدل على تأخر إسلام عمر؛ لأن ابن عمر عرض يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة ـ وكانت أحد في سنة ثلاث من الهجرة ـ وقد كان مميزا يوم أسلم أبوه، فيكون إسلامه قبل الهجرة بنحو من أربع سنين وذلك بعد البعثة بنحو تسع سنين والله أعلم(السيرة٢/٣٩)، أما ابن حجر فقد ذكر رواية تفيد أن ابن عمر كان عمره حين أسلم أبوه خمس سنين، قال: وإذا كان كذلك خرج منه أن إسلام عمر كان بعد المبعث بست سنين أوبسبع؛ لأن ابن عمر كان يوم أحد ابن أربع عشرة سنة، وذلك بعد المبعث بست عشرة سنة، فيكون مولده بعد المبعث بسنتين.(الفتح ٧/١٧٨).

أثر إسلام عمر:

لم يكن إسلام عمر حدثا عاديا، ولم يكن أثره كإسلام غيره من المسلمين، ومن خلال روايات البخاري ندرك حجم هذا الحدث، ففي رواية، أن الناس اجتمعوا عند دار عمرحين أسلم، وقالوا:صبأ عمر[1]، وفي رواية أخرى: أن الوادي قد سال بالناس وهم يريدون عمربعد ما أسلم[2].

بل ونظرا لتفاقم الأمر وشدته خشي عمر على نفسه منهم،وبقي في بيته خائفا، حتى جاءه العاص بن وائل السهمي ـ وهو مشرك، ولكن كان بينهم حلف في الجاهلية ـ فقال له: مابالك؟قال عمر: زعم قومك أنهم سيقتلونني إن أسلمت! قال العاص بن وائل: لاسبيل إليك، يقول عمر: فلما قالها أمنت، وخرج«العاص» فلقي الناس قد سال بهم الوادي، فقال: أين تريدون؟ فقالوا: نريد هذا ابن الخطاب الذي صبأ، قال: لاسبيل إليه،فكرّ الناس[3].

وفي رواية: فجاء رجل عليه قباء من ديباج فقال: قد صبأ عمر فما ذاك؟!، فأنا له جار، قال ـ ابن عمر ـ فرأيت الناس تصدعوا عنه، فقلت من هذا الرجل؟ قال العاص بن وائل.[4]

والذي يظهر ـ من هذه الروايات ـ أن عمر رضي الله عنه تحمل ما تحمل من الشدة، ومن الخوف على نفسه في سبيل إظهارعزّة الإسلام والمسلمين[5]،ويؤكد هذا ـ أيضا رواية ساقها لنا ابن إسحق ـ بإسناد جيد ـ تفيد رغبة عمر ـ حين أسلم ـ في إعلان إسلامه على ملأ قريش ، وتحمله

---

(١) البخاري ٢٤٢/٤: كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام عمر.

(٢) المصدر نفسه ٢٤٢/٤.

(٣) المصدر نفسه ٢٤٢/٤.

(٤) المصدر نفسه ٢٤٢/٤.

(٥) ساق الهيثمي القصة مختصرة ثم قال: رواه البزار والطبراني باختصار، ورجاله ثقات إلا أن ابن إسحق مدلس(مجمع الزوائد٦٥/٩)قلت: لكن ابن إسحق هنا صرح بالتحديث كما بينت في سند الرواية وتصريحه بذلك يرفع التدليس عنه، ولهذا قال ابن كثير عن هذه الرواية: وهذا إسناد جيد قوي. «السيرة٣٩/٢».

العنت في سبيل ذلك. والرواية بإسنادها كما يلي:

قال ابن إسحق: وحدثني نافع مولى عبد الله بن عمر، عن ابن عمر قال: لما أسلم أبي عمر قال: أيّ قريش أنقل للحديث؟قال:قيل له: جميل بن معمر الجمحي[1] فغدا عليه ـ يقول ابن عمر ـ وغدوت أتبع أثره وأنظر مايفعل، وأنا غلام أعقل كل مارأيت، حتى جاءه فقال له: أعلمت ياجميل أني قد أسلمت، ودخلت في دين محمد؟قال: فوالله ماراجعه حتى قام يجر رداءه ، واتبعه عمر ،واتبعت أبي، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يامعشر قريش ـ وهم في أنديتهم حول باب الكعبة ـ ألاإن عمر بن الخطاب قد صبأ، قال: ويقول عمر من خلفه: كذب ولكني قد أسلمت، وشهدت أن لاإله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وثاروا إليه، فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم، قال : وأعيا عمر ،فقعد، وقاموا على رأسه وهو يقول: افعلوا مابدا لكم، فأحلف بالله أن لو كنا ثلاثمائة رجل لتركناها لكم أو لتركتموها لنا، قال: فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلّة حبرة وقميص موشى حتى وقف عليهم، فقال: ماشأنكم؟قالوا:صبأ عمر، فقال : فمه؟ رجل اختار لنفسه أمرا فماذا تريدون؟ أترون بني عدي بن كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا؟ خلوا عن الرجل، قال: فوالله لكأنما كانوا ثوبا كشط عنه، فقلت لأبي ـ بعد أن هاجر إلى المدينة ـ: ياأبت من الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك؟قال: ذاك أي بني، العاص بن وائل السهمي[2].

---

(١) قال السهيلي: جميل هذا هو الذي كان يقال له: ذو القلبين، وفيه نزلت في أحد الأقوال﴿ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾ الأحزاب آية/٤/،(الروض الأنف٣/٢٨٠)،ووافق السهيلي على ذلك صاحب نسب قريش، فقال:إنه كان يقال له ذو القلبين لعقله، وإنه شهد مع النبيﷺ حنينا فقتل زهير بن الأغر الهذلي..(ص/٣٩٥).

وفي الاشتقاق لابن دريد أن ذا القلبين«وهب بن عمير»وكانوا يقولون له قلبان لحفظه، أما«جميل»فقال عنه: كان من أنمّ قريش لا يكتم شيئاص/١٣٠.

(٢) انظر الجزء المطبوع من سيرة ابن إسحق بتحقيق سهيل زكار ص ١٨٤ ، ١٨٥ ،سيرة ابن هشام ١/٣٧٠، ٣٧١ .

والمهم أنه كان لإسلام عمر أثر واضح على المسلمين، وهذا الأثر يحكيه لنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فيقول: مازلنا أعزة منذ أسلم عمر[1].

وعند ابن إسحق عن ابن مسعود ـ أيضا ـ ماكنا نقدر على أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر[2].

تقاسم المشركين (حصار الشعب):

ذكر البخاري ـ رحمه الله ـ في كتاب مناقب الأنصار: «باب تقاسم المشركين على النبي ﷺ» وبه ساق حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ ـ حين أراد حنينا ـ[3] «منزلنا غدا إن شاء الله بخيف بني كنانة[4] حيث تقاسموا على الكفر»[5].

---

(١) البخاري ١٩٩/٤: كتاب فضائل أصحاب النبي، باب مناقب عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، وفي كتاب مناقب الأنصار ٢٤٢/٤: باب إسلام عمر.

(٢) سيرة ابن هشام ٣٦٤/١= وقد ساقها ابن إسحق دون إسناد، واكتفى بالقول: قال ابن إسحق: فلما قدم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة على قريش.. إلخ ففي السند انقطاع، لكن معنى الرواية صحيح كما سبق في رواية البخاري من قول ابن مسعود نفسه. (وانظر: فضائل الصحابة لأحمد (وتعليق المحقق) ٢٧٨/١).

(٣) هكذا وردت في هذه الرواية «حين أراد حنينا»، ووردفي غيرها «حين أراد قدوم مكة» (البخاري ١٥٨/٢: كتاب الحج، باب نزول النبي ﷺ مكة)، وفي رواية: قال النبي ﷺ من الغد يوم النحر وهو بمنى، (المصدر نفسه ١٥٨/٢) و(مسلم ٩٥٢/٢: كتاب الحج) وكأنها إشارة إلى أن مقالته تلك في حجة الوداع، بل ورد ما يؤكد هذا في رواية ثالثة عن أسامة بن زيد قال: قلت يارسول الله: أين تنزل غدا؟ في حجته.. (البخاري ٣٣/٤: كتاب الجهاد والسير، باب إذا أسلم قوم في دار الحرب ولهم مال وأرض فهي لهم).

قال ابن حجر: قوله حين أراد حنينا لا يعارض قوله ـ في الرواية الأخرى ـ حين أراد قدوم مكة، لأنه يحمل على أنه قال ذلك حين أراد دخول مكة في غزوة الفتح، وفي ذلك القدوم غزا حنينا، قال: لكن ورد أنه قال ذلك يوم النحر وهو بمنى، وهذا ظاهر في أنه قاله في حجة الوداع، فيحمل قوله «حين أراد قدوم مكة» أي صادرا من منى إليها في طواف الوداع، ويحتمل التعدد. (انظر: فتح الباري ١٩٣/٧، ١٥/٨) والذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ أن النبي ﷺ قال ذلك في حجة الوداع، ولعل مما يقوي ذلك أن الإمام مسلماً ذكر هذا القول تحت باب «استحباب النزول بالمحصب يوم النفر والصلاة به» وأن الصحابة اختلفوا في هذا النزول هل هو سنة في الحج ـ اقتداء بالنبي ﷺ ـ أم أنه اتفاقي وغير مقصود (النووي ٥٩/٩).

(٤) الخيف: مارتفع عن مجرى السيل وانحدر عن غلظ الجبل (النهاية ٩٣/٢)، قال النووي: والمحصّب، والأبطح، والبطحاء، وخيف بني كنانة اسم لشئ واحد (شرح مسلم ٥٩/٩).

(٥) ٢٤٦/٤، ٢٤٧، وانظر أيضا كتاب الحج ١٥٨/٢، والمغازي ٩٢/٥، والتوحيد ١٩٤/٨، ومسلم ٩٥٢/٢: كتاب الحج.

بهذا الاختصار جاءت إشارة البخاري إلى حادثة«حصار الشعب» وتبعه الإمام مسلم رحمه الله[1] وكأنها دلالة إلى ثبوت أصل الحادثة عندهما دون تفصيلاتها[2].

على أنه قد ورد في بعض الروايات زيادة تفصيل لتلك الحادثة، ونصّ الزيادة ـ كما ورد ـ:«وذلك أن قريشا وبني كنانة تحالفت على بني هاشم وبني المطلب أن لا يناكحوهم، ولايبايعوهم حتى يسلموا إليهم رسول اللهﷺ»[3]،وفي رواية:« ...ولايؤووهم[4]» ، لكن يرى بعض العلماء أن ذلك من إدراج الزهري، لامن أصل رواية الصحيحين[5].

وإذا كانت هذه الحادثة قدوردت بهذا الاختصار ـ في رواية الصحيحين ـ فالأمر يختلف عند ابن إسحق، حيث فصّل القول فيها، فجاء على ذكر سبب الحصار، وكتابة الصحيفة، ومن كتبها، ومدة الحصار، وأخيرا نقض الصحيفة، ومن شارك في نقضها..»

وفيما يتعلق بأسباب الحصار وكتابة الصحيفة قال ابن إسحق: فلما رأت قريش أن أصحاب رسول اللهﷺ قد نزلوا بلدا أصابوا به أمنا وقرارا ، وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم، وأن عمر قد أسلم فكان هو وحمزة بن عبد المطلب مع رسول اللهﷺ وأصحابه، وجعل الإسلام يفشو في القبائل ، اجتمعوا وأتمروا على أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني

(١) ٩٥٢/٢ : كتاب الحج، باب استحباب النزول بالمحصب يوم النفر والصلاة به.

(٢) ولهذا قال ابن حجر:«ولما لم يثبت عند البخاري شيء من هذه القصة اكتفي بإيراد حديث أبي هريرة لأن فيه دلالة على أصل القصة، لأن الذي أورده أهل المغازي من ذلك كالشرح لقوله في الحديث:«تقاسموا على الكفر»(الفتح١٩٣/٧).

(٣) البخارى ١٥٨/٢ : كتاب الحج، باب نزول النبيﷺ مكة، وفي الجهاد والسير ٣٣/٤، باب إذا أسلم قوم في دار الحرب. ومسلم ٩٥٢/٢: كتاب الحج .

(٤) البخاري ٣٣/٤(سبق).

(٥) ذكر الخطيب أن هذا مدرج في رواية الزهري عن علي بن الحسين عن عمرو بن عثمان عن أسامة، وإنما هو عند الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة .(انظر :فتح الباري١٧٦/٦).
ويقول ابن حجر: ويختلج في خاطري أن جميع مابعد قوله يعني المحصب إلى آخر الحديث من قول الزهري أدرج في الخبر، فقد رواه شعيب كما في هذا الباب(نزول النبي مكة)وإبراهيم بن سعد كما في السيرة، يونس كما في التوحيد كلهم عن ابن شهاب مقتصرين على الموصول منه، إلى قوله: على الكفر، ومن ثم لم يذكر مسلم شيئا من ذلك.(الفتح٤٥٣/٣)= قلت قد ذكر مسلم في إحدى رواياته هذه الزيادة ـ كما أسلفت ـ والله أعلم إن كانت مدرجة أو موصولة.

المطلب على أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم شيئا، ولا يبتاعوا منهم، فلما اجتمعوا على ذلك كتبوا في صحيفة، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم، وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبدالدار ابن قصي[١]، فدعا عليه رسول الله ﷺ فشل بعض أصابعه[٢].

أما مدة الحصار فقال ابن إسحق: فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا..[٣] وعن نقض الصحيفة يقول: .. ثم إنه قام في نقض تلك الصحيفة.. نفر من قريش، ولم يبل فيها أحد أحسن من بلاء هشام بن عمرو بن ربيعة ابن الحرث... ثم ذكر كيف تعاقد هؤلاء الخمسة على نقضها وهم: زهير ابن أبي أمية، والمطعم بن عدي، وأبو البختري بن هشام، وزمعة بن الأسود وهشام[٤].

.. .. ..

---

(١) قال ابن هشام: ويقال النضر بن الحارث(السيرة١/٣٧٢)، ويقول السهيلي: وللنساب من قريش في كاتب الصحيفة قولان: أحدهما:أن كاتب الصحيفة هو بغيض بن عامر بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار، والقول الثاني: أنه منصور بن عبد شرحبيل بن هاشم من بني عبد الدار أيضا، وهو خلاف قول ابن إسحق، ولم يذكر الزبير في كاتب الصحيفة غير هذين القولين، والزبيريون أعلم بأنساب قومهم، (الروض الأنف٣/٣٥٤)وجمع«البرهان» .وتبعه«الشامي» باحتمال أن يكون كتب بها نسخ(شرح الزرقاني على المواهب اللدنية١/٢٧٨).

(٢) السيرة لابن هشام١/٣٧١، ٣٧٢ وقد ذكره ابن إسحق دون إسناد، وذكر«الواقدي» القصة(طبقات ابن سعد١/٢٠٨)بأكثر من إسناد لكن معظمها لم يتصل سنده، بل هو مرسل، ماعدا واحدا منها اتصل سنده إلى ابن عباس. لكن في سنده(أبو بكر بن عبد الله ابن سبرة)وقد رمي بالوضع(الميزان٤/٥٠٣، والتهذيب١٢/٢٧)هذا فضلا عن رواية الواقدي لها، وقد تكلم فيه.(انظر: تقريب التهذيب٢/١٩٤).

(٣) السيرة لابن هشام١/٣٧٥= وفي مغازي عروة:فلبثت بنو هاشم في شعبهم ثلاث سنين(مغازي رسول الله ﷺ لعروة ابن الزبير ص/١١٤) .وبه جزم موسى بن عقبة(شرح الزرقاني على المواهب اللدنية١/٢٧٩) ،وذكره ابن سعد في رواية، وفي أخرى أنهم مكثوا سنتين(الطبقات١/٢٠٩، ٢١٠).

(٤) السيرة لابن هشام١/٣٩٧.

وفاة عمه أبي طالب وزوجته خديجة :

قال ابن إسحق: ثم إن خديجة بنت خويلد، وأبا طالب هلكا في عام واحد، فتتابعت على رسول اللهﷺ المصائب بهلك خديجة ـ وكانت له وزير صدق على الإسلام يشكو إليها ـ وبهلك عمه أبي طالب وكان له عضدا، وحرزا في أمره ومنعه، وناصرا على قومه، وذلك قبل مهاجرته إلى المدينة بثلاث سنين[1].

تلك أمور تؤكدها رواية الصحيحين، فعن خديجة يروي لنا البخاري أنها توفيت قبل مخرج النبيﷺإلى المدينة بثلاث سنين[2].

وعائشة رضي الله عنها تقول: هلكت خديجة قبل أن يتزوجني بثلاث سنين[3]ومن المعلوم أنه ﷺ عقد على عائشة بمكة وهي بنت ست، وبنى بها وهي بنت تسع سنين في المدينة وأنها مكثت عنده تسع سنين، ومات عنها وهي بنت ثماني عشرة، كماسبق[4].

ومحصلة ذلك تأكيد وفاة خديجة ـ رضي الله عنها ـ قبل الهجرة بثلاث سنين.

أما أبو طالب، وما كان له من دور في حماية النبي ﷺ من أذى قريش، فذلك أمر تؤكده روايات الصحيحين أيضا، فقد جاء في بعضها أنه كان يحوط النبي ﷺ ويغضب له[5]،وفي أخرى : أنه كان يحوطه وينصره[6].

---

(١) المصدر نفسه ٢/٢٥، ٢٦.

(٢) ٤/٢٥٢ : كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي ﷺ عائشة.

(٣) البخاري٧/٧٦: كتاب الأدب، باب حسن العهد من الإيمان، ومسلم ٤/١٨٨٨ : كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة.

(٤) البخاري: في الفصل الأول(زواجه بعائشة).

(٥) البخاري٤/٢٤٧ : كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب، وفي كتاب الأدب٧/١٢١ : باب كنية المشرك، ومسلم١/١٩٥ : كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه.

(٦) مسلم ١/١٩٥.

وأمام هذه الحماية والنصرة تساءل العباس رضي الله عنه، وسأل النبي ﷺ: ما أغنيت عن عمك، فوالله كان يحوطك، ويغضب لك؟ فأجابه النبي ﷺ: هو في ضحضاح[1] من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار.[2]

وفي رواية: أن أبا طالب كان يحوطك وينصرك، فهل نفعه ذلك؟ قال: نعم: وجدته في غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح.[3]

وفي رواية ثالثة: لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي فيه دماغه.[4]

وهذه كلها تأكيدات على ماكان من أبي طالب تجاه النبي ﷺ، ولكنها من جانب آخر تأكيد أيضا على أن أبا طالب مات كافرا، والروايات بهذا ـ فوق ماتقدم ـ وردت صريحة:

فعن سعيد بن المسيب، عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ، فوجد عنده أبا جهل بن هشام، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول الله ﷺ «ياعمّ، قل لاإله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: ياأبا طالب: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعيد له تلك المقالة، ويعودان بتلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ماكلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله فقال رسول الله ﷺ: «أما والله لأستغفرنّ لك مالم أنه عنك»، فأنزل الله: ﴿ماكان للنبي والذين آمنو أن يستغفروا للمشركين ولوكانوا أولي قربي من بعد ماتبين لهم أنهم أصحاب الجحيم﴾[5].

---

(١) الضحضاح في الأصل: مارقّ من الماء على وجه الأرض مايبلغ الكعبين فاستعاره للنار (النهاية في غريب الحديث ٧٥/٣).
والمقصود هنا خفيف النار ـ وليس فيها خفيف ـ أجارنا الله منها والمسلمين.

(٢) البخاري ٢٤٧/٤ (سبق)، ١٢١/٧ (سبق أيضا)، ومسلم ١٩٥/١.

(٣) مسلم ١٩٥/١.

(٤) المصدر نفسه ١٩٥/١.

(٥) البخاري ٩٨/٢: كتاب الجنائز باب إذا قال المشرك عند الموت لاإله إلا الله، وفي كتاب التفسير ٢٠٨/٥: باب قوله ﴿ماكان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾ وفي تفسير سورة القصص ١٨/٦، وفي كتاب الأيمان والنذور ٢٢٩/٧: باب إذا قال والله لا أتكلم اليوم، ومسلم ٥٤/١: كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضر الموت مالم يشرع في النزع..

فالرواية هنا واضحة في موت أبي طالب على الكفر فهو يأبى أن يقول كلمة التوحيد، وآخر كلمة يقولها: هو على ملة عبد المطلب، والله تعالى يعدّه من المشركين، ويعتبره من أصحاب الجحيم، بل لقد نزل على النبيﷺ في أبي طالب قوله تعالى:﴿إنك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء﴾[1].وقال عليه الصلاة والسلام: «أهون أهل النار عذابا أبو طالب، وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه»[2].

وقاتل الله أصحاب السوء ،هم يجرمون في حق من يصاحبون، وبقدر ما كان لأهل السوء من أثر في الختام لأبي طالب،كان للعادات والتقاليد دورها في ميتة أبي طالب على الشرك وهو القائل للنبيﷺ:لولا أن تعيرني قريش، يقولون: إنما حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك(يعني لا إله إلا الله)[3].

إزاء هذه الروايات في الصحيحين في موت أبي طالب على الشرك، نجد الأمر عند ابن إسحق: بخلاف ذلك، فقد ساق الرواية التالية:

قال ابن إسحق فحدثني العباس بن عبد الله بن معبد، عن بعض أهله، عن ابن عباس ـ في قصة طويلة ـ جاء فيها أن النبيﷺ جعل يقول لعمه:قل لاإله إلا الله أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة، فلما رأى حرصه قال: يابن أخي،والله لولا مخافة السبة عليك وعلى بني أبيك من بعدي.،وأن تظن قريش أني إنما قلتها جزعا من الموت لقلتها، لاأقولها إلا لأسرك بها . ثم قال: فلما تقارب من أبي طالب الموت نظر العباس إليه يحرك شفتيه، قال: فأصغى إليه بأذنه، قال:فقال : يابن أخي والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته أن يقولها، فقال رسول اللهﷺ:«لم أسمع» !![4].

---

(١) البخاري٦/١٨، ٨/١٩٠ : كتاب التوحيد، باب في المشيئة والإرادة، ومسلم١/٥٤، ٥٥.

(٢) مسلم ١/١٩٦.

(٣) المصدر نفسه١/٥٥.

(٤) انظر: السيرة لابن هشام٢/٢٦، ٢٧.

هذه الرواية مع مخالفتها لما في الصحيحين ففي سندها مقال، وللعلماء حولها كلام[1].

---

(١) في سند الرواية(..عن بعض أهله) وهذه جهالة في أحد الرواة، ولهذا قال ابن سيد الناس في هذه الرواية وأمثالها: وهي روايات لا معول عليها، (عيون الأثر١/١٣١ ٩١وقال الذهبي:قلت هذا لا يصح، ويقول إسناده ضعيف؛ لأن فيه مجهولا(السيرةص/١٤٩ ، ١٥١).

ويقول ابن كثير:وقد استدل بعض من ذهب من الشيعة وغيرهم من الغلاة إلى أن أبا طالب مات مسلما بقول العباس في هذا الحديث..

والجواب عن هذا من وجوه: أحدها :أن في السند مبهما لا يعرف حاله وهو قوله«عن بعض أهله»وهذا إبهام في الاسم والحال، ومثله يتوقف فيه لو انفرد.. إلى أن يقول:ثم قد عارضه ـ سياق ابن إسحق ـ ماهو أصح منه(وذكر رواية الصحيحين)(انظر: السيرة لابن كثير٢/١٢٥ ,١٢٦).

قلت: وإشارة ابن كثير إلى تعلق الشيعة بمثل هذه الرواية ، ذكرها قبله الذهبي فقال:... ولكن الرافضة قوم بهت؟!(السيرةص/١٥١)، وقبلهما ذكر السهيلي أنه وجد في بعض كتب المسعودي ـ وهو شيعي ـ اختلافا في عبد المطلب، وأنه قد قيل فيه مات مسلما لما رأى من الدلائل على نبوة محمد ﷺ.. (الروض الأنف٤/٢٩)، وفوق هذا فقد استنكر العلماء من هذه الرواية ماورد في متنها، فالعباس في تلك الفترة لم يكن قد أسلم(أوعلى الأقل لم يكن قد أظهر إسلامه)ولو أدى هذه الشهادة بعدما أسلم لكانت مقبولة، ولم يرد بقوله لم أسمع، وهذا فضلا عن أنه بعد ما أسلم سأل النبيﷺ:هل نفعت أبا طالب بشيء ؟فلو كان عنده علم من إسلام أخيه أبي طالب لما سأل، ولما سكت عند قولهﷺ هوفي ضحضاح من نار، ولقال :إني سمعته يقول : لا إله إلا الله(انظر: الروض الأنف للسهيلي٤/٢٧).

وأخيرا يقول ابن كثير: وعندي أن الخبر بذلك لم يصح لضعف سنده.. وتعليل صحته لعله قال ذلك عند معاينة الملك بعد الغرغرة حين لا ينفع نفساً إيمانها(السيرة لابن كثير٢/١٢٨ ، ١٢٩).

من معجزات النبيﷺ
في مكة

أولا: القرآن الكريم:

والمعجزة أمر خارق للعادة، يجريها الله تعالى على أنبيائه ورسله ليعلم المنكرون لهم صدقهم وتأييد الله لهم، وإذا كان الأنبياء والرسل السابقون لبعثة النبي ﷺ، قد أمدهم الله بأنواع من المعجزات آمن على مثلها البشر، فإن أعظم معجزة للنبي ـﷺ ـ القرآن الكريم، وهو الذي تحدى الله به كفار قريش والعرب من حولهم، بل شمل التحدي الإنس والجن أجمعين﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولوكان بعضهم لبعض ظهيرا﴾.[1]

وإعجاز القرآن الكريم ورد ذكرها في روايات الصحيحين على لسان النبيﷺ حين قال: «مامن الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات مامثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تبعا يوم القيامة».[2]

وليس المراد بذلك نفي ماسواه من المعجزات النبوية الأخرى[3]، والتي من أبرزها مايلي:

---

(١) الإسراء/ الآية(٨٨).

(٢) صحيح البخاري ٩٧/٦: كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزول الوحي وأول مانزل، وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ١٣٨/٨ باب قول النبي ـﷺ ـ بعثت بجوامع الكلم.

وصحيح مسلم١/ ١٣٤: كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ـﷺ ـ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته.

(٣) انظر:الصحيح المسند من دلائل النبوة:لمقبل بن هادي الوادعي(الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ).

ثانيا: الإسراء والمعراج:

يتفق البخاري وابن إسحق على تأخير حادثة الإسراء والمعراج إلى أن فشا الإسلام بمكة في قريش وفي القبائل كلها[1]، أي في أواخر العهد المكي، ولكنهما يختلفان في تقدم الحادثة على موت أبي طالب، أو تأخرها فابن إسحق يضعها قبل موت أبي طالب[2]، بينما يجعلها البخاري بعده.[3]

كما يختلفان في أحداث أخرى في سياق قصة الإسراء والمعراج، بل إن الخلاف واقع بين روايات الصحيحين نفسها، وسنأتي على بيان مناحي هذا الاختلاف، وتحريره، وكلام العلماء حوله ـ بمشيئة الله ـ.

وسنبدأ الحديث عن الإسراء والمعراج برواية أنس بن مالك رضي الله عنه ـ بطرقها المختلفة ـ فهي مع كونها أطول روايات الإسراء والمعراج، قد وردت بأكثر من طريق، وبين هذه الطرق اختلاف سنوضحه في حينه.

رواية أنس بطرقها:

١ـ طريق قتادة:

حدثنا هدبة بن خالد، حدثنا همام بن يحيى، حدثنا قتادة عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما أن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسري به، قال: «بينما أنا في الحطيم[4] ـ ربما قال في الحجر ـ[5] مضطجعا إذ

---

(١) انظر: السيرة لابن هشام ٢/٢، وانظر: السيرة لابن كثير ١٠٧/٢.

(٢) ابن هشام ٢/٢.

(٣) البخاري ٢٤٧/٤ ـ ٢٤٩ : كتاب مناقب الأنصار، باب حديث الإسراء، وعجب ابن كثير لصنيع البخاري هذا حيث أخر الإسراء على موت أبي طالب (السيرة ١٠٧/٢).

(٤) الحطيم: هو مابين الركن والباب، وقيل : هو الحِجْر المُخْرَج منها سمي به لأن البيت رفع وترك هو محطوماً.. (النهاية في غريب الحديث والأثر ٤٠٣/١).

(٥) وفي مسلم ـ من طريق قتادة نفسه ـ «بينما أنا عند البيت بين النائم واليقظان إذ سمعت قائلا يقول أحد الثلاثة بين الرجلين فأتيت ، فانطلق بي فأتيت بطست من ذهب..» (١٥٠/١ : كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ).

أتاني آت فقدّ ـ قال وسمعته يقول: فشق ما بين هذه إلى هذه ـ فقلت للجارود[1]، وهو إلى جنبي مايعني به؟ قال: من ثغرة نحره إلى شعرته، وسمعته يقول: من قصّه إلى شعرته، فاستخرج قلبي، ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيماناً فغسل قلبي ثم حشي، ثم أعيد ، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمارأبيض، فقال له الجارود: هو البراق ياأبا حمزة؟قال أنس: نعم، يضع خطوه عند أقصى طرفه، فحملت عليه، فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا، فاستفتح، فقيل من هذا؟ قال جبريل ، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل مرحبا به. فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصت، فإذا فيها آدم، فقال هذا أبوك آدم، فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد السلام، ثم قال: مرحبا بالابن الصالح، والنبي الصالح ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به، فنعم المجيء جاء ففتح، فلما خلصت إذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة، قال: هذا يحيى وعيسى، فسلم عليهما فسلمت، فردّا، ثم قالا: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد بي إلى السماء الثالثة، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه، قال: نعم، قيل مرحبا به، فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصت إذا يوسف، قال: هذا يوسف، فسلم عليه، فسلمت عليه فردّ، ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به، فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصت إلى إدريس قال: هذا إدريس، فسلم عليه، فسلمت عليه، فردّ، ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة، فاستفتح، قيل: من هذا ؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمدﷺ، قيل: وقد

---

(١) قال ابن حجر: لم أر من نسبه من الرواة، ولعله ابن أبي سبرة البصري صاحب أنس فقد أخرج له أبو داود من روايته عن أنس حديثا غير هذا (الفتح٢٠٤/٧).

أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به، فنعم المجيء جاء، فلما خلصت فإذا هارون، قال: هذا هارون، فسلم عليه، فسلمت عليه، فردّ، ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟قال: نعم، قال:مرحبا به ، فنعم المجيء جاء، فلما خلصت، فإذا موسى، قال: هذا موسى، فسلم عليه، فسلمت عليه، فردّ، ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح، فلما تجاوزت بكى، قيل له: مايبكيك؟ قال: أبكي لأن غلامًا بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي، ثم صعد بي إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ قال جبريل: قيل: ومن معك؟ قال:محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: نعم، مرحبا به، فنعم المجيء جاء، فلما خلصت، فإذا إبراهيم، قال: هذا أبوك، فسلم عليه، فسلمت عليه، فردّ السلام، قال: مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح، ثم رفعت لي سدرة المنتهي، فإذا نبقها مثل قلال هجر، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة، قال: هذه سدرة المنتهى، وإذا أربعة أنهار: نهران باطنان، ونهران ظاهران، فقلت: ماهذان ياجبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات، ثم رفع لي البيت المعمور[1]، ثم أتيت بإناء من خمر، وإناء من لبن، وإناء من عسل، فأخذت اللبن، فقال: هي الفطرة أنت عليها وأمتك، ثم فرضت عليّ الصلوات خمسين صلاة كل يوم، فرجعت فمررت على موسى، فقال:بم أمرت؟ قال: أمرت بخمسين صلاة كل يوم، قال:إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإني والله قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك، فاسأله التخفيف لأمتك، فرجعت، فوضع عني عشرا، فرجعت إلى

---

(١) وفي مسلم ـ من طريق قتادة أيضا ـ زيادة«فقلت ياجبريل ماهذا؟قال: هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ماعليهم»١/ ١٥٠(سبق).

موسى، فقال مثله، فرجعت، فوضع عني عشرا، فرجعت إلى موسى، فقال مثله، فرجعت، فوضع عني عشرا، فرجعت إلى موسى، فقال مثله، فرجعت، فأمرت بعشر صلوات كل يوم، فرجعت، فقال مثله، فرجعت، فأمرت بخمس صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى، فقال: بم أمرت؟ قلت: أمرت بخمس صلوات كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم، وإني قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك، فاسأله التخفيف لأمتك، قال: سألت ربي حتى استحييت، ولكن أرضى وأسلم، قال: فلما جاوزت ناداني مناد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي». [1]

٢- طريق ثابت البناني:

جاء في صحيح مسلم: حدثنا شيبان بن فروخ، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا ثابت البناني، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «أتيت بالبراق (وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه) قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس، قال: فربطته بالحلقة التي يربط به الأنبياء، قال: ثم دخلت المسجد، فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت، فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال جبريل عليه السلام: اخترت الفطرة، ثم عرج بنا إلى السماء، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بآدم، فرحب بي، ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل عليه السلام، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلوات الله عليهما، فرحبا ودعوا لي بخير، ثم عرج بنا

---

(١) البخاري ٢٤٨/٤-٢٥٠ : كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج، وفي كتاب بدء الخلق ٧٧/٤ باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم، وفي كتاب الأنبياء (مختصرا) ١٣٧/٤ باب قول الله تعالى ﴿ذكر رحمة ربك عبده زكريا﴾، وفي كتاب التفسير (مختصرا أيضا) ٩٢/٦ سورة ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ وفي مسلم ١٥٠/١ : كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات.

إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف ﷺ، إذا هو قد أعطي شطر الحسن، فرحب، ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة، فاستفتح جبريل عليه السلام، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد قال: وقد بعث إليه؟قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بإدريس، فرحب ، ودعا لي بخير، قال اللهعزوجل:﴿ورفعناه مكانا عليا﴾[1]ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة، فاستفتح جبريل، قيل من هذا؟ قال جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بهارون ﷺ، فرحب ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة، فاستفتح جبريل عليه السلام، قيل: من هذا؟قال: جبريل، قيل: ومن معك؟قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بموسى ﷺ، فرحب ودعا لي بخير، ثم عرج إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟قال: جبريل، قيل ومن معك؟ قال: محمدﷺ، قيل: وقد بعث إليه؟قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بإبراهيم ﷺ مسندا ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهي، وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال، قال:فلما غشيها من أمر الله ماغشي تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى الله إليّ ماأوحى، ففرض عليّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزلت إلى موسى ﷺ، فقال: ما فرض ربك على أمتك؟قلت: خمسين صلاة، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك لايطيقون ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم، قال: فرجعت إلى ربي فقلت: ياربي خفف على أمتي، فحط عني خمسا، فرجعت إلى موسى، فقلت: حط عني خمسا، قال: إن أمتك لايطيقون ذلك، فارجع إلى

---

(١) سورة مريم آية/١٥٧.

ربك ، فاسأله التخفيف، قال: فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام، حتى قال: يامحمد: إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر، فذلك خمسون صلاة، ومن همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرا، ومن همّ بسيئة، فلم يعملها، لم تكتب شيئا، فإن عملها كتبت سيئة واحدة، قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى ﷺ، فأخبرته، فقال: ارجع إلى ربك ، فاسأله التخفيف، فقال رسول الله ﷺ: فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه».[1]

٣- طريق ابن شهاب الزهري:

وقد اتفق عليها الشيخان، وساقاها في أكثر من مكان، وبأكثر من إسناد[2]،وكلها تنتهي إلى ابن شهاب الزهري عن أنس بن مالك، قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال: فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل، ففرج صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا، فأفرغه في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي، فعرج بي إلى السماء الدنيا، فلما جئت إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء: افتح، قال: من هذا؟ قال: جبريل، قال هل معك أحد؟قال: نعم، معي محمد ﷺ، فقال: أرسل إليه ؟قال: نعم، فلما فتح علونا السماء الدنيا فإذا رجل قاعد على يمينه أسودة وعلى يساره أسودة، إذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل يساره بكى، فقال: مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح، قلت لجبريل: من هذا؟ قال: هذا آدم، وهذه الأسودة عن يمينه وشماله نسم بنيه، فأهل اليمين منهم أهل الجنة ، والأسودة التي عن شماله أهل النار، فإذا نظر عن

---

(١) مسلم١/١٤٥ : كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات..، كما أشار إليها مسلم في كتاب الفضائل ٤/١٨٤٥ : باب من فضائل موسى ﷺ.

(٢) في البخاري: حدثنا يحيى بن بكير، قال: حدثنا الليث، عن يونس، عن ابن شهاب، عن أنس(١/٩١ : كتاب الصلاة:باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء)وفي كتاب الأنبياء ٤/١٠٦ : حدثنا أحمد بن صالح قال : حدثنا عنبسة حدثنا يونس، عن ابن شهاب قال: قال أنس...، وفي مسلم ١/١٤٨ : حدثني حرملة بن يحيى التجيبي، أخبرنا ابن وهب، قال : أخبرني يونس عن ابن شهاب، عن أنس بن مالك.

يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى، حتى عرج بي إلى السماء الثانية، فقال لخازنها: افتح، فقال له خازنها مثل ماقال الأول، ففتح، قال أنس: فذكر أنه وجد في السموات آدم، وإدريس، وموسى، وعيسى، وإبراهيم، صلوات الله عليهم، ولم يثبت كيف منازلهم، غير أنه ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا، وإبراهيم في السماء السادسة[1]، قال أنس: فلما مرّ جبريل بالنبي ﷺ بإدريس، قال: مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح، فقلت: من هذا؟ قال: هذا إدريس، ثم مررت بموسى، فقال: مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح، قلت: من هذا؟ قال: هذا موسى، ثم مررت بعيسى، فقال: مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح، قلت: من هذا؟ قال: هذا عيسى، ثم مررت بإبراهيم، فقال: مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح، قلت: من هذا؟ قال: هذا إبراهيم ﷺ، قال ابن شهاب: فأخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبّة الأنصاري، كانا يقولان: قال النبي ﷺ: ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام، قال ابن حزم وأنس بن مالك: قال النبي ﷺ: ففرض الله على أمتي خمسين صلاة، فرجعت بذلك، حتى مررت على موسى، فقال: مافرض الله على أمتك؟قلت: فرض خمسين صلاة، قال: فارجع إلى ربك، فإن أمتك لا تطيق، ذلك، فراجعني، فوضع شطرها، فرجعت إلى موسى، قلت: وضع شطرها، فقال: راجع ربك، فإن أمتك لاتطيق فراجعت، فوضع شطرها، فرجعت إليه، فقال: ارجع إلى ربك، فإن أمتك لاتيطيق ذلك، فراجعته، فقال: هي خمس وهي خمسون، لايبدل القول لديّ، فرجعت إلى موسى، فقال: راجع ربك، فقلت: استحييت من ربي، ثم انطلق بي حتى انتهي بي إلى سدرة المنتهي، وغشيها ألوان لا أدري ماهي، ثم أدخلت الجنة، فإذا فيها حبائل اللؤلؤ وإذا ترابها المسك.[2]

---

(١) هذا خلاف الروايتين قبلها وسنأتي على بيان ذلك.

(٢) البخاري١/٩١ـ٩٣، ٤/١٠٦، ومسلم١/١٤٨(وقد سبقت).

٤- طريق شريك بن عبد الله بن أبي نمر:

وهذه أيضا أخرجها البخاري بطولها، واختصرها مسلم وتكلم فيها.[1]

والرواية بسندها عن سليمان بن بلال، عن شريك بن عبد الله، أنه قال: سمعت أنس بن مالك يقول ليلة أسري برسول اللهﷺ من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه، وهو نائم في المسجد الحرام، فقال أولهم: أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم، فقال آخرهم: خذو خيرهم، فكانت تلك الليلة، فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه، وتنام عينه، ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم، ولا تنام قلوبهم، فلم يكلموه حتى احتملوه ، فوضعوه عند بئر زمزم، فتولاه منهم جبريل، فشق جبريل مابين نحره إلى لبّته، حتى فرغ من صدره وجوفه، فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه، ثم أتى بطست من ذهب فيه نور من ذهب محشوّا إيمانا وحكمة، فحشا به صدره ولغاديده يعني عروق حلقه، ثم أطبقه، ثم عرج به إلى السماء الدنيا، فضرب بابا من أبوابها، فناداه أهل السماء: من هذا ؟فقال: جبريل، قالوا: ومن معك ؟قال: معي محمد، قالوا: وقد بعث إليه ؟قال: نعم، قالوا: فمرحبا به وأهلا، فيستبشر به أهل السماء لا يعلم أهل السماء بما يريد الله به في الأرض، حتى يعلمهم، فوجد في السماء الدنيا آدم، فقال له جبريل: هذا أبوك، فسلم عليه، فسلم عليه، ورد عليه آدم، فقال: مرحبا وأهلا يابني، نعم الابن أنت، فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطّردان، فقال: ماهذان النهران ياجبريل ؟قال: هذان النيل والفرات عنصرهما، ثم مضى به في السماء، فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد، فضرب بيده، فإذا هو مسك، قال: ماهذا ياجبريل ؟قال: هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك ، ثم عرج إلى السماء الثانية، فقالت الملائكة له مثل ماقالت له الأولى: من هذا؟ قال : جبريل، قالوا: ومن معك؟ قال : محمد ﷺ ، قالوا:

---

(١) سنأتي ـ بمشيئة الله ـ على كلام مسلم حول طريق شريك هذا، حين الحديث عن محصل الروايات.

وقد بعث إليه ؟قال: نعم، قالوا مرحبا به وأهلا، ثم عرج به إلى السماء الثالثة، وقالوا له مثل ماقالت الأولى والثانية، ثم عرج به إلى الرابعة، فقالوا له مثل ذلك، ثم عرج به إلى السماء الخامسة، فقالوا له مثل ذلك، ثم عرج به إلى السماء السادسة فقالوا له مثل ذلك، ثم عرج به إلى السماء السابعة، فقالوا له مثل ذلك، كل سماء فيها أنبياء قد سماهم، فأوعيت منهم إدريس في الثانية، وهارون في الرابعة، وآخر في الخامسة لم أحفظ اسمه، وإبراهيم في السادسة، وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله، فقال موسى: ربي لم أظن أن يرفع عليّ أحد، ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله، حتى جاء سدرة المنتهي، ودنا الجبار ربّ العزة، فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى، فأوحى الله فيما أوحى خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة، ثم هبط حتى بلغ موسى، فاحتبسه موسى، فقال: يامحمد: ماذا عهد إليك ربك ؟قال: عهد إليّ خمسين صلاة كل يوم وليلة، قال: إن أمتك لا تستطيع ذلك فارجع، فليخفف عنك ربك وعنهم، فالتفت النبي ﷺ، إلى جبريل كأنه يستشيره في ذلك، فأشار إليه جبريل: أن نعم، إن شئت، فعلا به إلى الجبار، فقال - وهو مكانه - يارب خفف عنا فإن أمتي لاتستطيع هذا، فوضع عنه عشر صلوات، ثم رجع إلى موسى فاحتبسه، فلم يزل يردده موسى إلى ربه حتى صارت إلى خمس صلوات، ثم احتبسه موسى عند الخمس، فقال يامحمد:والله لقد راودت بني إسرائيل قومي على أدنى من هذا فضعفوا، فتركوه، فأمتك أضعف أجسادا وقلوبا وأبدانا وأبصارا وأسماعا، فارجع فليخفف عنك ربك، كل ذلك يلتفت النبي ﷺ، إلى جبريل ليشير عليه، ولا يكره ذلك جبريل، فرفعه عند الخامسة، فقال: يارب إن أمتي ضعفاء أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبدانهم فخفف عنا، فقال الجبار: يامحمد، قال: لبيك وسعديك، قال: إنه لايبدل القول لديّ كما فرضت عليك في أم الكتاب، قال: فكل حسنة بعشر أمثالها، فهي خمسون في أم الكتاب، وهي خمس عليك، فرجع إلى موسى، فقال: كيف فعلت؟ فقال: خفف عنا، أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها، قال موسى:قد والله راودت بني

إسرائيل على أدنى من ذلك، فتركوه، فارجع إلى ربك، فليخفف عنك أيضا، قال رسول اللهﷺ: «ياموسى قد والله استحييت من ربي مما اختلفت إليه» قال: فاهبط بسم الله، قال: واستيقظ وهو في المسجد الحرام.[1]

تلك أبرز روايات الإسراء والمعراج في الصحيحين[2]، وبعد هذا العرض لها نقف للموازنة بينها، واستخراج دلالاتها، ونشير إلى ما يتفق أو يختلف مع روايات ابن إسحق، ومن محصل الروايات السابقة نقف على الأمور الآتية:

أولا: من أين كان الإسراء؟

يتضح من طريق«قتادة»و«شريك» أن ذلك كان من البيت الحرام، سواء كان من الحجر، أو الحطيم[3]، وهذا موافق لرواية الحسن المرسلة عند ابن إسحق[4]. أما طريق الزهري ففيه أن ذلك من بيته، على حين يذكر ابن إسحق ـ في إحدى رواياته ـ أن ذلك كان من بيت أم هانئ[5]وفي إسناده مقال.[6]

ويرى ابن حجر إمكانية الجمع بين هذه الروايات وغيرها في تحديد المكان.[7]

---

(١) البخاري٨/٢٠٣ـ٢٠٥: كتاب التوحيد، باب ماجاء في قوله عزوجل:﴿وكلم الله موسى تكليما﴾، وفي المناقب(مختصرا)٤/١٦٨ :باب كان النبيﷺ تنام عينه ولا ينام قلبه، ومسلم ١/١٤٨: كتاب الإيمان (وقد سبق).

(٢) هناك روايات غيرها لكنها في الغالب لا تزيد عليها، وسنأتي على مافيها في مواضعها.

(٣) الحطيم: هو مابين الركن والباب...، وقيل هو الحجر المخرج منها.(النهاية١/٤٠٣).

(٤) انظر: سيرة ابن هشام ٢/٣.

(٥) المصدر السابق٢/٩.

(٦) قال ابن كثير: فيه محمد بن السائب الكلبي متروك بمره ساقط(تفسير ابن كثير٥/٣٩)، ثم تابع ابن كثير: لكن رواه أبو يعلي في مسنده عن محمد بن إسماعيل الأنصاري، عن ضمرة بن ربيعة.. والأنصاري هو : الوسواسي، قال الذهبي وهو حديث غريب تفرد به الوسواسي وهو ضعيف (السيرة/١٥٧) وانظر: تضعيف الهيثمي في المجمع١/٧٦.

(٧) يقول ابن حجر: والجمع بين هذه الأقوال أنه نام في بيت أم هانئ.. ففرج سقف بيته ـ وأضاف البيت إليه لكونه يسكنه ـ فنزل منه الملك، فأخرجه من البيت إلى المسجد فكان به مضطجعا وبه أثر النعاس، ثم أخرجه الملك إلى باب المسجد فأركبه البراق، وقد وقع في مرسل الحسن عند ابن إسحق أن جبريل أتاه، فأخرجه، إلى المسجد، فأركبه البراق، وهو يؤيد هذا الجمع. أ.هـ.(فتح الباري٧/٢٠٤).

ثانيا: هل كان في اليقظة أو في المنام؟

جاء في طريق قتادة مجيء الملك إليه وهو «مضطجع» وفي بعضها «بين النائم واليقظان».

أما طريق شريك فهي مصرحة بنومه«وهو نائم» وفي آخرها«واستيقظ وهو في المسجد الحرام» .قال بعض العلماء: وهذا معدود في غلطات شريك[1]، ووجه بعضهم ذلك بتأويلات أخرى.[2]

وإذا كان«البناني»و«الزهري» لم يشيرا في طريقهما إلى شيء من ذلك، فالظاهر من روايتيهما أن ذلك في اليقظة، وبروحه وجسده، فركوبه البراق، وصلاته في المسجد الأقصى، ومروره بالأنبياء، وشربه اللبن.. إلى غير ذلك كلها تؤكد كونه في اليقظة لا في المنام ، أما الرواية عن ابن عباس فقد جاءت صريحة في كونه في اليقظة، وذلك في تأويل قوله تعالى: ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾[3]قال: هي رؤيا عين أريها رسول اللهﷺ ليلة أسري به إلى بيت المقدس.[4]

وبالرجوع إلى ابن إسحق ـ في هذا الشأن ـ لا نجده ينتهي إلى شيء، فهو يروي عن عائشة قولها:«مافقد جسد رسول اللهﷺ، ولكن الله أسرى

---

(١) منهم الحافظ عبد الحق في كتابه(الجمع بين الصحيحين) والخطابي. وانظر: النووي في شرحه لصحيح مسلم٢/ ٢١٠، وابن حجر في الفتح١٣/ ٤٨٠، وابن كثير في السيرة٢/ ١٠٤، وابن القيم في زاد المعاد٣/ ٤٢.

(٢) ارتضى السهيلي ـ جمعا بين الروايات ـ وقوع الإسراء مرتين إحداهما في النوم توطئة وتيسيرا، والأخرى في اليقظة، وعزاه أيضا إلى شيخه أبي بكر ابن العربي، ورآه في شرح المهلب للبخاري.(انظر الروض الأنف٣/ ٤١٧، ٤١٨).

وتعقب ابن القيم هذا الرأي بقوله: وأرباب هذا القول كأنهم أرادوا أن يجمعوا بين حديث شريك وقوله: ثم استيقظت، وبين سائر الروايات.. إلى أن يقول: وكل هذا خبط وهذه طريقة ضعفاء الظاهرية من أرباب النقل الذين إذا رأوا في القصة لفظة تخالف سياق بعض الروايات جعلوه مرة أخرى، فكلما اختلفت عليهم الروايات عددوا الوقائع، والصواب الذي عليه أئمة النقل أن الإسراء كان مرة واحدة بمكة بعد البعثة(زاد المعاد٣/ ٤٢)).

(٣) سورة الإسراء آية/ ٦٠.

(٤) البخاري ٥/ ٢٢٧: كتاب التفسير، باب (وماجعلنا الرؤيا التي أريناك)، وفي كتاب القدر ٧/ ٢١٤: الباب نفسه.

بروحه»[1] وعن معاوية قوله: «كانت رؤيا من الله تعالى صادقة»[2] مع ما أعل به سند هذين الخبرين[3]، ثم يقول في الأخير: والله أعلم أي ذلك كان قد جاءه وعاين فيه من أمر الله، ثم يقول: على أية حال كان نائما أو يقظان كل ذلك حق وصدق.[4]

قلت: والذي عليه السلف وجمهور العلماء والمحققين أن الإسراء كان يقظة بروحه وجسده، مرة واحدة، وأدلتهم مبسوطة في كتبهم.[5]

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/٥.

(٢) المصدر نفسه ٢/٦.

(٣) يقول الكوثري في مقالاته: وأما مايروى عن عائشة رضي الله عنها من قولها «مافقد جسد..» فغير ثابت عنها ألبتة، لأنه من رواية ابن إسحق بلفظ: «حدثني بعض آل أبي بكر» فمن هو هذا؟ وأين ابن إسحق المتوفى في منتصف القرن الثاني من إدراك زمن عائشة؟، وأما مايروى عن معاوية.. فغير ثابت أيضا للانقطاع بين شيخ ابن إسحق «يعقوب بن عتبة» وبين «معاوية»؛ لأنه توفي سنة ١٢٨ هـ، وأين هذا التاريخ من وفاة معاوية؟ فلا يصح التعويل على مثل تلك الأخبار المنقطعة في ادعاء أن الإسراء روحاني فقط، أو في حالة النوم فقط (عن حاشية السيرة للذهبي ص/١٦٦).

(٤) سيرة ابن هشام ٢/٦.

(٥) انظر: تفسير الإمام الطبري ١٣/١٥، ١٤، وجوامع السيرة لابن حزم ص/٦٨، وجوامع المحلى لابن حزم (ضمن كتاب الذخيرة من المصنفات الصغيرة) (جمعها وحققها أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري السفر الأول الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ) ص/٨١، وكلام النووي في شرحه لمسلم ٢/٢٠٩، وابن القيم في زاد المعاد ١/٩٩، ٣/٣٤، وله في موطن آخر تعليق على مانسب إلى عائشة ومعاوية حيث يقول: ينبغي أن يعلم الفرق بين أن يقال كان الإسراء مناما، وبين أن يقال كان بروحه دون جسده، وبينهما فرق عظيم، وعائشة ومعاوية لم يقولا: كانا مناما، وإنما قالا أسري بروحه ولم يفقد جسده وفرق بين الأمرين .. إلخ كلامه (زاد المعاد ٣/٤٠) انظر إلى ابن كثير في التفسير ٥/٥٠، والسيرة ٢/١٠٤ وقد ذكر الطبري من أدلة كون الإسراء والمعراج في اليقظة مايلي:

١- لو كان بروحه دون جسده لم تكن رؤيته لآيات ربه دليلا على نبوته، ولاحجة على رسالته.

٢- ولا كان الذين أنكروا حقيقة ذلك من أهل الشرك كانوا يدافعون به عن صدقه فيه، إذ لم يكن منكرا عندهم، ولا عند أحد من ذوي الفطرة الصحيحة من بني آدم أن يرى الرائي منهم في المنام ماعلى مسيرة سنة، فكيف ماهو على مسيرة شهر أو أقل؟!

٣- والله تعالى أخبر في كتابه أنه أسرى بعبده ولم يخبرنا أنه أسرى بروح عبده، وليس جائز لأحد أن يتعدى ماقال الله إلى غيره.

٤- أن الله أسرى به على دابة يقال لها: البراق، ولو كان الإسراء بروحه لم تكن الروح محمولة على البراق، إذ كانت الدواب لا تحمل إلا الأجسام. (تفسير الطبري ١٣/١٧، ١٤).

ويضيف ابن كثير من الأدلة:

١- قوله تعالى: ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده﴾ فالتسبيح إنما يكون عند الأمور العظام، ولو كان مناما لم يكن فيه كبير شيء ولم يكن مستعظما. =

ثالثا: هل كان الإسراء والمعراج في ليلة واحدة؟

هذا هو المشهور، وهو الواضح من طريق (البناني)، ومن رواية عبد الله بن مسعود حيث جاء فيها، لما أسري برسول الله ﷺ، انتهى به إلى سدرة المنتهى[1]. وكذا رواية أبي هريرة من طريق الزهري حيث قال: قال رسول الله ﷺ: «ليلة أسرى بي لقيت موسى»[2]. ومن المعلوم أن الوصول إلى سدرة المنتهى واللقيا بالأنبياء كانا في المعراج، ومع ذلك جاء ذكرهما في الإسراء ممايدل على اتحاد الأمرين.[3]

أما بقية الطرق الثلاثة (قتادة، والزهري (برواية أنس)، وشريك) فكونها لم تجئ على ذكر أحداث الإسراء كالمرور ببيت المقدس مثلا فلا يعني ذلك انفصاله عن المعراج، وإنما يحمل ذلك على عدة أمور:

فلعل بعض الرواة يحذف بعض الخبر للعلم به، أو ينساه، أو يذكر ماهو الأهم عنده، أو يبسط تارة فيسوقه كله، وتارة يحذف عن مخاطبه بما هو الأنفع عنده.[4]

ومما يؤكد هذا أن معظم هذه الطرق تبدأ بالحديث عن الإسراء، ثم تدخل في تفصيلات ماحدث في المعراج.

= ٢ـ وفوق تكذيب قريش ارتداد جماعة ممن كان أسلم، ولو كان الأمر رؤيا لما حصل شيء من ذلك.

٣ـ ويستدل بقوله تعالى: ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾ وقول ابن عباس: هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ.

٤ـ وكذا قوله تعالى: ﴿ مازاغ البصر وما طغى﴾ والبصر من آلات الذات لا الروح.
(تفسير ابن كثير٥/٤٠، ٤١).

(١) مسلم ١٥٧/١ : كتاب الإيمان، باب في ذكر سدرة المنتهى.

(٢) البخاري١٢٥/٤ : كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى﴿وكلم الله موسى تكليما﴾، وفي باب﴿واذكر في الكتاب مريم﴾١٤٠/٤.

(٣) وإلى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين، وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة، ولا ينبغي العدول عنه، إذ ليس في العقل مايحيله حتى يحتاج إلى تأويل .(انظر:فتح الباري١٩٧/٧).

(٤) ابن كثير: السيرة١١١/٢ ، وابن حجر: الفتح١٩٧/٧ .

وأما من تعلق بتقسيم البخاري وإيراده حديث الإسراء في ترجمة، والمعراج في ترجمة أخرى، وفهم من ذلك أن ليلة الإسراء غير ليلة المعراج[١]، فلا متعلق له، ذلك لأن كلام البخاري في أول الصلاة ظاهر في اتحادهما، وذلك أنه ترجم«باب كيف فرضت الصلاة ليلة الإسراء» ومعلوم أن الصلاة إنما فرضت في المعراج، وإنما أفرد كل منهما بترجمة منفردة لأن كلا منهما يشتمل على قصة مفردة، وإن كانا وقعا معا ـ حكاه ابن حجر.[٢]

بل إنه في ترجمته للمعراج جاء في مقدمة الرواية: أن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسري به، ثم ساق قصة المعراج، مما يؤكد اتحادهما عنده.

رابعا: فرضية الصلاة في الإسراء:

وهو أمر تتفق عليه روايات الصحيحين ـ كما سبق ـ وابن إسحق[٣]، ومع هذا فإنّ ابن إسحق يختلف عن الشيخين في ذكره، لتقدم فرضية الصلاة قبل حادثة الإسراء والمعراج، ففي حديثه عن بدء الوحي، وأول من آمن قال: وابتداء مافرض الله سبحانه على النبيﷺ الصلاة وأوقاتها. ثم ساق بعده عددا من الآثار، منها مجيء جبريل إليه ـ وهو في أعلى مكة ـ وتعليمه كيفية الطهور، وكيفية الصلاة، ثم مجيئه إلى خديجة وتعليمها ذلك وصلاته بها[٤]، لكن الخبر أورده مقطوعا هكذا:«وحدثني بعض أهل العلم..» فلا تقوم به الحجة.[٥] كما أورد حديث ابن عباس في مجيء جبريل إليه أيضا وتعليمه الصلاة[٦] وهذا أيضا أنكره عليه السهيلي، منبها إلى أن هذا ليس موضعه؛ لأن أهل الصحيحين متفقون على أن هذه القصة كانت في الغد من ليلة الإسراء.[٧]

---

(١) أمثال ابن دحية (انظر: الفتح ١٩٦/٧).
(٢) فتح الباري ١٩٦/٧.
(٣) انظر: السيرة لابن هشام ١٤/٢.
(٤) المصدر نفسه٢٦٢/١، ٢٦٣.
(٥) انظر: السهيلي، الروض الأنف ١٣/٣.
(٦) ابن هشام ٢٦٣/١.
(٧) الروض الأنف ١٥/٣.

رواية شريك[1] وكلام العلماء فيها:

ونستكمل الحديث عن محصّل روايات الإسراء بالحديث عن رواية شريك فقد انفرد في روايته بأمور لم تذكر في الروايات الأخرى، ولذا أنكرت عليه، وعدها بعضهم من أوهامه، فالإمام مسلم ـ عليه رحمة الله ـ اختصر روايته وعلّق عليها بقوله: «وقدّم فيه شيئا، وأخر ، وزاد ، ونقص».[2]

ويقول ابن القيسراني(ت ٥٠٧ هـ): أُنْكِرَ على شريك وسليمان بن بلال حديث أخرجاه في الصحيحين وهو حديث الإسراء.[3]

ويقول الحافظ عبدالحق (المعروف بابن الخراط)(ت٥٨٢هـ) عن حديث شريك: زاد فيه زيادة مجهولة وأتى فيه بألفاظ غير معروفة.[4]

وممن أنكر رواية شريك: الخطابي، وابن حزم، والقاضي عياض[5]، والنووي[6]وابن القيم[7]، وابن كثير[8]، والذهبي[9]، على أن ابن حجر أمكنه توجيه بعض ما أنكر من رواية شريك، فرفع الإشكال، وأسقط (كما يقول) تشنيع من شنّع على شريك أمثال الخطابي، وابن حزم ـ كما سيأتي إيضاحه.

ما أنكر من رواية شريك:

١ـ قوله (**قبل أن يوحى إليه**) وهذا على ظاهره أمر مرفوض ـ أن يكون الإسراء قبل بعثته ﷺ وفي الرواية نفسها ما ينقضه ، فالصلاة لم تكن قبل

---

(١) سبقت ترجمته في الفصل الأول عند الحديث عن شق الصدر.
(٢) صحيح مسلم١/١٤٨ .
(٣) الجمع بين رجال الصحيحين ١/٢١٣ ، ٢١٤(دار الكتب العلمية ، بيروت ط. الثانية).
(٤) انظر: شرح النووي لمسلم ٢/٢١٠.
(٥) انظر : فتح الباري ١٣/٤٨٠ .
(٦) شرح صحيح مسلم ٢/٢٠٩ .
(٧) زاد المعاد ٣/٤٢ .
(٨) السيرة٢/١٠٠، ١٠٤ .
(٩) سيرة أعلام النبلاء ٦/١٦٠ ، وميزان الاعتدال.

بعثته ـ وهي واردة في الرواية ـ وأظهر من ذلك أن الرواية مصرّح فيها ببعثته،فهو في كل سماء يمر فيها يسأله أهل السماء.. وقد بعث إليه ؟فيجيب جبريل: نعم، ولهذا قال ابن حجر: إنه يتعين ماذكرته من التأويل، وتأويله:

أن رواية شريك تفيد مجيء الملائكة إليه أكثر من مرة، إحداهما قبل النبوة، وهي التي قال عنها «قبل أن يوحى إليه» والأخرى بعد ذلك، وهي التي قال عنها «فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى» ولم يعين المدة التي بين المجيئين، فيحمل على أن المجيء الثاني، كان بعد أن أوحي إليه، وحينئذ وقع الإسراء.[1]

٢ـ قوله:«ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى». وهذه أيضا زيادة تفرد بها«شريك»واستنكرها العلماء بل شنعوها، حتى قال الخطابي: ليس في صحيح البخاري حديث أشنع ظاهرا ولا أشنع مذاقا من هذا الفصل، بل أشار إلى أكثر من هذا حينما اعتبر هذه الرواية حكاية يحكيها أنس(وهو راوي الحديث) من تلقاء نفسه، ولم يعزها للنبيﷺ، وتعقبه ابن حجر في هذا،وأخيرا أشار إلى أن هذا الحديث عن أنس قد روي من غير طريق شريك، فلم تذكر فيه هذه الألفاظ الشنيعة وذلك ـ كما يقول الخطابي ـ مما يقوي الظن أنها صادرة من جهة شريك.[2]كما تكلم ـ على هذه العبارة ـ السهيلي[3]، وابن كثير[4]و الذهبي.[5]

---

(١) الفتح١٣/ ٤٨٠، ٤٨١، ونقل ابن حجر إجابة بعض العلماء وأن المقصود بالقبلية هنا التخصيص أي قبل أن يوحى إليه في شأن الإسراء.(الفتح١٣/٤٨٥).

(٢) المصدر نفسه ٤٨٣/١٣.

(٣)قال السهيلي: وهذا مع صحة نقله لا يكاد أحد من المفسرين يذكره لا ستحالة ظاهره، أوللغفلة عن موضعه، ولا استحالة فيه، لأن حديث الإسراء إن كان رؤيا رآها بقلبه، وعينه نائمة ـ كما في حديث أنس ـ فلا إشكال.. إلخ كلامه(الروض الأنف٣/٤٤٦).

(٤) ويقول ابن كثير: فأما قول شريك ثم دنا الجبار... فقد يكون من فهم الراوي فأقحمه في الحديث ـ والله أعلم ـ (السيرة ٢/١٠٠).

(٥) قال: وهذا من غرائب الصحيح (الميزان٢/٢٧٠).

وبرجوعنا إلى بقية روايات الصحيحين نجد أن المقصود بالذي كان قاب قوسين أو أدنى هو جبريل عليه السلام، نجد أيضا أن رؤية النبيﷺ متجهة إليه لاإلى الله تعالى، وإليك البيان:

قال الشيباني:سألت زرّ بن حبيش عن قول الله عز وجل:﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾ قال: أخبرني ابن مسعود أن النبيﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح.[1]

وكذا قال ابن مسعود في قوله: ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ قال:رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح.[2]

وعن أبي هريرة في قوله: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ قال:رأى جبريل.[3]

وعائشة حينما سئلت:هل رأى محمدﷺ ربه؟ قالت: سبحان الله! لقد قفّ شعري.[4] قال مسروق لها: فأين قوله:﴿ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾؟ قالت:إنما ذاك جبريل، كان يأتيه في صورة الرجال، وأنه أتاه في هذه المرة في صورته التي هي صورته، فسدّ أفق السماء.[5] وكانت تقول:ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية، قال مسروق: ماهن؟قالت:من زعم أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، قال مسروق: وكنت متكئا فجلست، فقلت: ياأم المؤمنين: أنظريني ولا تعجليني ألم يقل الله عز وجل: ﴿ولقد رآه بالأفق المبين﴾﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾؟فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ، فقال: إنما هو جبريل ، ولم أره على صورته التي خلق غير هاتين المرتين،

---

(١) مسلم١/١٥٨ : كتاب الإيمان، باب في ذكر سدرة المنتهى.

(٢) المصدر نفسه١/١٥٨ :

(٣) المصدر نفسه ١/١٥٨كتاب الإيمان، باب معنى قوله عز وجل:﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾وهل رأى النبيﷺ ربه ليلة الإسراء؟.

(٤) المصدر نفسه ١/١٦٠ .

(٥) مسلم ١/١٦٠ ، ١٦١ .

رأيته منهبطا من السماء، سادا عظم خلقه مابين السماء إلى الأرض فقالت: أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه مايشاء إنه علي حكيم﴾.[١]

وأبو ذر ـ رضي الله عنه ـ سأل رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك ؟قال: نور أنى أراه ؟[٢] وفي رواية: رأيت نورا.[٣]

٣ـ أماكن الأنبياء في السماء:

ورد في رواية شريك أن آدم في السماء الدنيا ـ وهذا أمر تتفق عليه جميع الطرق الأربعة ـ ولكن الخلاف فيمن بعده، وعند شريك أن إدريس في الثانية، وهارون في الرابعة، وآخر في الخامسة لم أحفظ اسمه، وإبراهيم في السادسة، وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله ؟! ويتفق الزهري مع شريك في كون إبراهيم في السماء السادسة. وهذا كله خلاف المشهور،وقد اتفق قتادة،والبناني (في طريقيهما) على ترتيب أماكن الأنبياء على النحو التالي: في السماء الثانية: عيسى ويحيى، وفي الثالثة: يوسف، وفي الرابعة: إدريس، وفي الخامسة: هارون ، وفي السادسة: موسى، وفي السماء السابعة: إبراهيم ـ عليهم السلام ـ.

والضبط واضح في هاتين الروايتين(طريق قتادة، والبناني)لاسيما وقد اتفقتا على ذلك ووافقهما عليه ابن إسحق ـ في إحدى رواياته ـ.[٤]

---

(١) المصدر نفسه ١٥٩/١.

(٢) المصدر نفسه ١٦١/١ : كتاب الإيمان، باب في قوله عليه السلام: نور أني أراه ، وفي قوله: رأيت نورا.

(٣) المصدر نفسه ١٦١/١.

(٤) ابن هشام ١٣/٢= وهو من حديث أبي سعيد الخدري ـ وهو حديث طويل ـ وعلى الرغم من موافقته لما في الصحيحين في أماكن الأنبياء إلا أن الرواية بشكل عام ضعفها بعض العلماء حتى قال ابن كثير: هو من غرائب الأحاديث وفي إسناده ضعف (السيرة٩٨/٢)، وقبله أعلّ الذهبي سنده، وتكلم في بعض رجاله(السيرة/١٨١).

والأمر ليس كذلك في طريقي (شريك والزهري) فعدم الضبط واضح في ألفاظ الروايتين، فعند شريك (فأوعيت منهم..)، ويقول أيضا: (وآخر في الخامسة لم أحفظ اسمه)؟!

أما الزهري فقد صرّح بذلك حيث قال أنس: «.. ولم يثبت كيف منازلهم..».

٤ـ وشق الصدرفي زمن الإسراء أمر لا ينفرد به شريك في طريقه عن أنس بل يتفق معه قتادة، والزهري (وقد سبق القول في ذلك مفصلا عند الحديث عن شق الصدر).

٥ـ ويتفق شريك والزهري على إغفال ذكر اللبن والخمر اللذين عرضا على النبي ﷺ في مسراه، ويختلف قتادة عن البناني في تحديد مكان العرض عليه، وهل كان ذلك بمسجد إيلياء بالقدس ـ قبل المعراج ـ كما في طريق البناني، وكما في رواية سعيد بن المسيب عن أبي هريرة،[1] ورواية الحسن المرسلة عند ابن إسحق[2]؟ أم بعد أن عرج به كما في طريق قتادة[3]؟ وعلى كل حال فاحتمال الجمع بين الأمرين وارد.[4]

إلى غير ذلك مما خالف به شريك غيره من الرواة، وقد أحصاها العلماء، وأجابوا عنها.[5]

---

(١) البخاري ـ ٢٢٤/٥: كتاب التفسير، باب قوله: ﴿أسري بعبده ليلا من المسجد الحرام﴾، وفي كتاب الأشربة ٢٤٠/٦: في قوله تعالى ﴿إنماالخمر والميسر..﴾ الآية، ومسلم١٥٩٢/٣: كتاب الأشربة، باب جوازشرب اللبن.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام ٤/٢.

(٣) وهو الذي مال إليه ابن كثير في سبيل الموازنة بين ما ذكره ابن إسحق وبين طريق قتادة حيث قال: وهكذا تخيره من الآنية اللبن والخمر والماء هل كانت ببيت المقدس كما تقدم (يشير إلى رواية ابن إسحق) أو في السماء كما ثبت في الحديث الصحيح؟ (السيرة ٩٩/٢).

(٤) قال ابن حجر: ويجمع بين هذا الاختلاف إما بحمل«ثم على غير بابها من الترتيب، وإنما هي بمعنى الواو هنا، وإما بوقوع عرض الآنية مرتين مرة عند فراغه من الصلاة ببيت المقدس، وسببه ما وقع له من العطش، ومرة عند وصوله إلى سدرة المنتهى ورؤية الأنهار الأربعة.(الفتح٢١٦/٧).

(٥) عدها ابن القيم ثمانية أغلاط لشريك(زاد المعاد١٠٠/١)،وذكر ابن حجر أن ابن القيم عدها عشرة، وأوصلها ابن حجر إلى اثني عشر وهما، وأجاب عن بعضها.(الفتح١٣/ ٤٨٠ ـ ٤٨٦).

قريش والإسراء:

لم يكن متوقعا تصديق قريش لحادثة الإسراء والمعراج، وهي التي أنكرت نبوة النبيﷺبأكملها، بل كذبوه.

وتكذيب قريش للإسراء والمعراج أمر اتفقت عليه روايات الصحيحين[1]، وابن إسحق[2]، وكان له أثره على النبيﷺ، حتى لقد كرب كربة ما كربها قط، وهو القائل:

«لقد رأيتني في الحجر، وقريش تسألني عن مسراي، فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها، فكربت كربة ماكربت مثله قط..».[3]

وتتجلى عناية الله بعبده ـ وهو في تلك الحال ـ فيرفع الله له بيت المقدس، ويجليه له، فطفق يخبرهم عن آياته وهو ينظر إليه، فلا يسألونه عن شيء إلا نبأهم به.[4]

* * *

---

(١) البخاري٢٤٧/٤ : كتاب المناقب (سبق)، وفي كتاب التفسير٢٢٤/٥(سبق)، ومسلم١٥٦/١ : كتاب الإيمان باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال.

(٢) انظر:سيرة ابن هشام ٤/٢= وإن كان هناك فرق هل السائل قريش كما في رواية الصحيح أو أبو بكر كما في ابن إسحق.

(انظر: سيرة ابن كثير١٠٣/٢).

(٣) مسلم١٥٧/١ : كتاب الإيمان(وقد سبق).

(٤) البخاري٢٤٧/٤, ٢٢٤/٥(سبقت)، ومسلم١٥٦/١، ١٥٧.

ثالثا: انشقاق القمر:

وتلك معجزة أخرى من معجزات النبوة، جعلها الله آية على صدق رسول اللهﷺ فيما جاء به من الهدى ودين الحق، وقد رواها عدة من الصحابة سمى لنا«الشيخان»بعضهم[1]، هذا فضلا عن ورودها في كتاب الله ﴿اقتربت الساعة، وانشق القمر﴾.[2]

وانشقاق القمر كان على زمان النبيﷺ كما اتفق عليه الشيخان.[3]

وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: خمس قد مضين: الدخان، واللزام، والبطشة، والقمر، والروم[4]بل جاء تحديدها بالفترة المكية حيث انشق بمكة[5]ويقول ابن مسعود رضي الله عنه: انشق القمر ونحن مع النبيﷺ بمنى.[6]

ووقوع تلك المعجزة بعد أن سأل أهل مكة رسول اللهﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر[7]،وقد رأوه منشقا فرقتين، فرقة فوق الجبل وفرقة دونه، حتى رأوا حراء بينهما[8]، كل ذلك يؤكد انشقاق القمر في مكة.

---

(١) أمثال عبد الله بن عباس، وابن مسعود، وأنس بن مالك رضي الله عنهم.

(٢) سورة القمر الآية الأولى.

(٣) البخاري١٨٦/٤ : كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبيﷺ آية فأراهم انشقاق القمر، وفي كتاب مناقب الأنصار٢٤٤/٤ باب انشقاق القمر، ومسلم ٢١٥٨/٤، ٢١٥٩ : كتاب القيامة والجنة والنار باب انشقاق القمر.

(٤) البخاري١٦/٦ : كتاب التفسير(سورة الفرقان)باب: ﴿فسوف يكون لزاما﴾ وفي سورة الدخان٣٩/٦ :باب: ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾، وباب: ﴿ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون﴾٤١/٦، ومسلم٢١٥٧/٤ : كتاب صفة القيامة، باب الدخان.= ومعنى مضين: أي وقعن، وعدّ منها ماهو سيكون من العذاب المستمر ـوهو اللزام ـ لتحقق وقوعه.

(٥) البخاري ٢٤٣/٤.

(٦) المصدر نفسه٢٤٣/٤، مسلم ٢١٥٨/٤.

(٧) البخاري ١٨٦/٤، ٢٤٣، ومسلم ٢١٥٩/٤.

(٨) البخاري ٥٢/٦ : كتاب التفسير(سورة القمر)وفي مناقب الأنصار٢٤٣/٤، ومسلم ٢١٥٨/٤.

وبعد ظهور هذه المعجزة طلب النبي ﷺ من الصحابة أن يشهدوا بما رأوا حيث قال لهم: «اشهدوا وأشهدوا[1]»، وفي إحدى الروايات قال رسول الله ﷺ: «اللهم اشهد».[2]

والمشهور أن انشقاق القمر حصل مرة واحدة، أما ماورد في إحدى روايات مسلم: « .. فأراهم انشقاق القمر مرتين[3]» فقد أجاب عنها العلماء.[4]

أما ابن إسحق فلم أقف له على ذكر لحادثة انشقاق القمر، وهذه تضاف إلى الأحداث التي انفرد بها صاحبا الصحيحين عن ابن إسحق في أحداث السيرة.

---

(١) البخاري٦/٥٢(سبق)، وفي المناقب٤/١٨٦، ومناقب الأنصار٤/٢٤٣، ومسلم٤/٢١٥٨.

(٢) مسلم ٤/٢١٥٩=ومع هذا فقد أنكر انشقاق القمر بعض المبتدعة والفلاسفة ورد العلماء عليهم. انظر مثلا: (النووي شرح١٧/١٤٣، والفتح٧/١٨٥).

(٣) ٤/٢١٥٩.

(٤) قال الحافظ ابن كثير: فيه نظر، والظاهر أنه أراد فرقتين، والله أعلم. (السيرة٢/١٢١) وتكلم ابن القيم على هذه الرواية فقال: المرات يراد بها الأفعال تارة، والأعيان أخرى، والأول أكثر، ومن الثاني: «انشق القمر مرتين» وقد خفي على بعض الناس فادعى أن انشقاق القمر وقع مرتين، وهذا مما يعلم أهل الحديث والسير أنه غلط، فإنه لم يقع إلا مرة واحدة. (انظر: فتح الباري ٧/١٨٣).
أما الحافظ ابن حجر فقدقال: اتفق الشيخان عليه من رواية شعبة عن قتادة بلفظ «فرقتين»، قال البيهقي: قد حفظ ثلاثة من أصحاب قتادة عنه «مرتين» قلت (ابن حجر) لكن اختلف عن كل منهم في هذه اللفظة ولم يختلف على شعبة وهو أحفظهم، ولم يقع في شيء من طرق حديث ابن مسعود بلفظ «مرتين» .. إلى أن يقول: ولا أعرف من جزم من علماء الحديث بتعدد الانشقاق في زمنه ﷺ، ولم يتعرض لذلك أحد من شراح الصحيحين. (الفتح٧/١٨٣).

رابعا : إخباره ﷺ عن جمع من الشهداء وهو على جبل حراء:

أخرج مسلم بسنده في فضائل طلحة والزبير عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ كان على «حراء» هو وأبوبكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فتحركت الصخرة، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد».[1]

وفي رواية أخرى: كان رسول الله ﷺ على «جبل حراء» فتحرك فقال: «اسكن «حراء» فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد»، وعليه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، وسعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنهم ـ.[2]

وهكذا تحدد الرواية الثانية جبل حراء، وتزيد في الذين كانوا عليه مع النبي ﷺ سعد بن أبي وقاص.

قال النووي: وفي هذا الحديث معجزات للنبي ﷺ منها إخباره أن هؤلاء شهداء وماتوا كلهم غير النبي ﷺ وأبي بكر شهداء، فإن عمر وعثمان وعليا وطلحة والزبير ـ رضي الله عنهم ـ قتلوا ظلما شهداء، فقتل الثلاثة مشهور، وقتل الزبير بوادي السباع بقرب البصرة منصرفا تاركا للقتال، وكذلك طلحة اعتزل الناس تاركا للقتال فأصابه سهم فقتله، وقد ثبت أن من قتل ظلما فهو شهيد.. إلى أن يقول: وأما ذكر سعد بن أبي وقاص في الرواية الثانية فقال القاضي: إنما سمي شهيدا؛ لأنه مشهود له بالجنة.[3]

---

(١) ٤/١٨٨٠ : كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل طلحة والزبير رضي الله عنهما.

(٢) المصدر السابق ٤/١٨٨٠.

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم ١٥/١٩٠.

هذه الحادثة خلاف الحادثة المشهورة التي رواها«البخاري»وفيها أن النبيﷺ«صعد» أحدا ، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، فرجف بهم، فقال: «اثبت أحد، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان».(١)

وقد توقف«ابن حجر»عند هذا الحديث ، مشيرا إلى رواية«مسلم» السابقة، والمصرحة« بحراء» فقال:«وأحد» أصح، ويتابع قائلا: ولولا اتحاد المخرج لجوزت تعدد القصة، لكنه مالبث أن رجع عن ذلك،ورجح تعدد القصة مدللا على ذلك بما رواه أحمد ـ بسند صحيح ـ عن بريدة بلفظ« حراء»(٢)، وأبو يعلى من حديث سهل بن سعد بلفظ«أحد» وسنده صحيح أيضا، فقوى ذلك احتمال تعدد القصة، إلى أن يقول : وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة مايؤيد تعدد القصة، فذكر إنه كان على حراء ومعه المذكورون هنا ـ يقصد في رواية أحد عند البخاري ـ وزاد معهم غيرهم.(٢)

وممن ذكر هذه الحادثة ـ في حراء ـ أبو داود(٣) والترمذي(٤)وأبونعيم(٥)، والبيهقي(٦)، كما ذكرها ياقوت الحموي، فقال ـ وهو يعرف بحراء ـ حراء بالكسر والتخفيف والمد: جبل من جبال مكة على ثلاثة أميال وهو معروف، وكان النبيﷺ قبل أن يأتيه الوحي يتعبد في غار من هذا الجبل.. إلى أن يقول: ذكروا أن النبيﷺ ارتقى ذروته ومعه نفر من أصحابه فتحرك فقال رسول اللهﷺ: «اسكن ياحراء، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد».(٧)وهذا كله يؤكد تعدد القصة.

---

(١) صحيح البخاري١٩٧/٤ : كتاب فضائل أصحاب النبي، باب لوكنت متخذا خليلا ، وفي مناقب عمر٢٠٠/٤ ، وفي مناقب عثمان٢٠٤/٤ .

(٢) فتح الباري٣٨/٧ .

(٣) انظر: مختصر سنن أبي داود للمنذري٢٨/٧ .

(٤) انظر: سنن الترمذي ٣١٥/٥، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقد روي من غير وجه عن سعيد بن زيد . وانظر: جامع الأصول ٥٥٩/٨ ، ٥٦٠وقد أشار المحقق إلى صحة الحديث.

(٥) دلائل النبوةص(٥٤) .

(٦) في دلائل النبوة ٣٥١/٦ .

(٧) معجم البلدان٢٣٣/٢ .

تلك أبرز معجزات النبوة في مكة، ولا شك أن هناك معجزات أخرى غيرها ـ لاسيما في الفترة المدنية ـ حتى إن البخاري وضع في كتاب المناقب بابا في علامات النبوة في الإسلام[1] و مثله الإمام مسلم، فقد بوّب في الفضائل بابا في معجزات النبي ﷺ.[2]

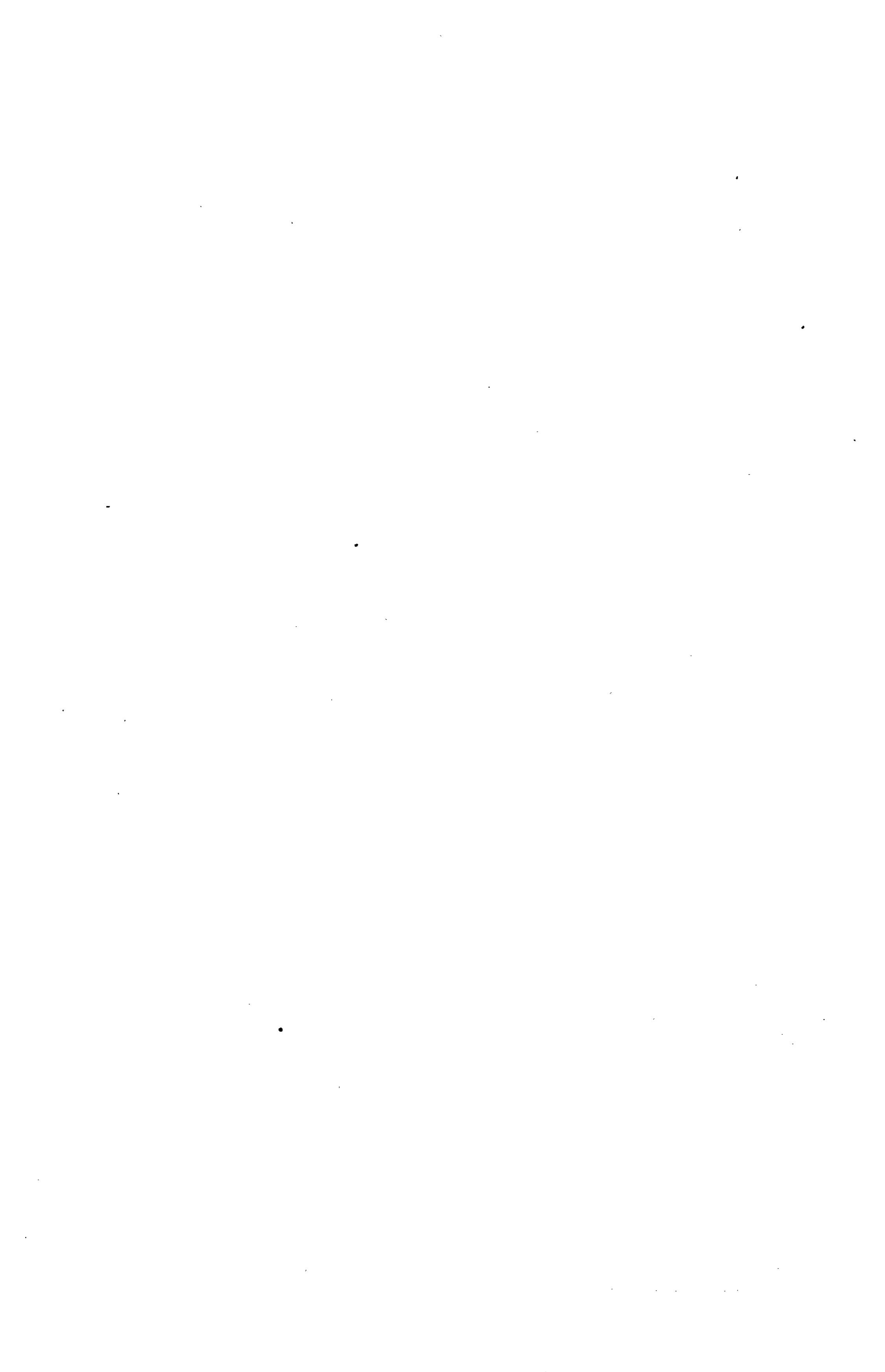
* * *

(١) ١٦٨/٤ ـ ١٦٨.

(٢) ١٧٨٣/٤ ـ ١٧٨٦.

«الـفـصل الثالـث»

أســاليب الدعـوة في مكة



«الفصل الثالث»
أساليب الدعـوة في مكة

سرية الدعوة وأوائل المؤمنين:

مكث النبيﷺ بمكة مدة ـ لم تحددها روايات الصحيحين، وحددها ابن إسحق بثلاث سنين(١)ـ وهو مستخف بدعوته، ومن يؤمن به يطلب إليه التكتم وعدم الإعلان، وقصة إسلام عمرو بن عبسة توضح لنا معالم تلك الفترة، وتؤكد السرية في الدعوة في تلك المرحلة، يقول عمرو بن عبسة: كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجلٍ بمكة يخبر أخبارا، فقعدت على راحلتي فقدمت عليه، فإذا رسول اللهﷺ مستخف، جرآء عليه قومه، فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة، فقلت له: ماأنت؟قال: «أنا نبي»، فقلت: ما نبي؟ قال: «أرسلني الله»، فقلت: وبأي شيء أرسلك؟ قال: أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان وأن يوحد الله لا يشرك به شيء»، قلت له: فمن معك على هذا؟قال: «حر وعبد» قال: ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به فقلت له: إني متبعك، قال: «إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا، ألا ترى حالي وحال الناس؟!ولكن ارجع إلى أهلك فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني...»(٢)

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام١/٢٧٤، وقد ذكره ابن إسحق بلاغا ولم يسنده، وأسند مثله الواقدي كما رواه ابن سعد في طبقاته١/١٩٩ ،لكنه مروي عن (جارية بن أبي عمران)وهو مجهول(انظر: ميزان الاعتدال١/٣٨٥)وحددها الزهري بأربع أو خمس سنين، وهذا منه اعتمادا على أن مدة مكوث النبيﷺ بمكة خمس عشرة سنة(المغازي للزهري/٧٤).

وذكر البلاذري أنها كانت أربع سنين(أنساب الأشراف١/١١٦).

(٢) مسلم١/٥٩٦: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب إسلام عمرو بن عبسة.

وكذا الأمر في قصة إسلام أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ ففيها دلالات على السرية، فموقف علي ـ رضي الله عنه ـ مع أبي ذر يؤكد هذا، وقد مر به فقال له: كأن الرجل غريب؟ قال أبو ذر: نعم، قال علي: فانطلق إلى المنزل، قال أبو ذر فانطلقت معه لايسألني عن شيء ولاأخبره، فلما أصبحت غدوت إلى المسجد لأسأل عن النبي ﷺ وليس أحد يخبرني عنه بشيء، قال فمرّ بي عليّ فقال: أما نال(آن) للرجل أن يعرف منزله بعد؟! فأقامه فذهب معه لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى إذا كان يوم الثالث، فعاد عليّ عليٌّ مثل ذلك، فأقام معه ثم قال: ألا تحدثني ما الذي أقدمك؟ قال: إن أعطيتني عهدا وميثاقا لترشدنني فعلت (وفي الرواية الأخرى: قال أبو ذر: قلت له إن كتمت عليّ أخبرتك، قال: فإني أفعل..) ففعل فأخبره. قال عليّ: فإنه حق، وهو رسول الله ﷺ، فإذا أصبحت فاتبعني فإني إن رأيت شيئا أخاف عليك قمت كأني أريق الماء (وفي الرواية الأخرى: قمت إلى الحائط كأني أصلح نعلي وامض أنت) فإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي ففعل فانطلق يقفوه حتى دخل على النبي ﷺ ودخل معه.

وهكذا وصل أبو ذر إلى النبي ﷺ في غاية من التكتم والحذر، وقبل ذلك مكث بصحبة علي ثلاثة أيام لا يكلم أحد منهما صاحبه في شيء.. ولم تكن المفاتحة بالحديث إلا بعد العهد والميثاق.

وإذا كان هذا في بداية القصة فنهايتها أيضا تؤكد الأمر وتجليه، فأبو ذر يعلن إسلامه من حين وصوله إلى النبي ﷺ، ثم يقول له عليه الصلاة والسلام: «ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري» (وفي الرواية الأخرى: فقال لي يا أبا ذر: «اكتم هذا الأمر وارجع إلى بلدك فإذا بلغك ظهورنا فأقبل»[1]

وفي ظل تلك الظروف في سرية الدعوة كان المؤمنون يكتمون إيمانهم

---

(١) البخاري٤/٢٤١: كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام أبي ذر رضي الله عنه، وفي كتاب المناقب ٤/١٥٨: باب قصة زمزم (وهي الرواية الأخرى المشار إليها) وانظر طرفها في كتاب الأدب٧/٨١: باب حسن الخلق، ومسلم٤/١٩٢٣: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي ذر رضي الله عنه.

ومن نماذج هؤلاء «المقداد بن الأسود ـ رضي الله عنه ـ وهو الذي قال له النبيﷺ: «إذا كان رجل مؤمن يخفي إيمانه مع قوم كفار فأظهر إيمانه فقتلته[1] فكذلك كنت أنت تخفي إيمانك بمكة قبل»[2]

وربما لم يعلم بعضهم بإسلام بعض ولهذا قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: لقد رأيتني وأنا ثلث الإسلام[3] ويقول: ما أسلم أحد إلا في اليوم الذي أسلمت فيه، ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام[4] فهل حقا لم يسبق سعدا إلى الإسلام بعد النبي ـﷺـ إلا رجل واحد، أو رجلان ـ وبهذا يصبح ثلث الإسلام ـ؟وهل حقا أيضا أنه لم يسلم أحد إلا في اليوم الذي أسلم فيه؟ أم أنه رضي الله عنه أخبر حسب علمه؟![5] على حين يقول عمار ـ رضي الله عنه ـ: رأيت رسول اللهﷺ وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر[6].

ويذكر ابن إسحق نصّا في سرية الدعوة فيقول:«فجعل رسول اللهﷺ يذكر

---

(١) هذا الأمر وقع للمقداد حينما بعث النبيﷺسرية فيها المقداد، فلما أتوهم وجدوهم تفرقوا وفيهم رجل له مال كثير لم يبرح فقال: أشهد أن لاإله إلا الله، فأهوى إليه المقداد فقتله. الحديث. (انظر: الفتح١٢/١٩٠، وتغليق التعليق٥/٢٤٢).

(٢) البخاري٨/٣٥: كتاب الديات في قوله تعالى:﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم﴾وهذا الخبر علقه البخاري لكن وصله غيره.
(انظر: الفتح ١٢/١٩٠، وتغليق التعليق ٥/٢٤٢).

(٣) البخاري ٤/٢١٢: كتاب فضائل أصحاب النبي، باب مناقب سعد بن أبي وقاص.

(٤) المصدر نفسه ٤/٢١٢، وفي كتاب مناقب الأنصار٤/٢٤٠ :باب إسلام سعد رضي الله عنه.

(٥) هذا ماذكره ابن كثير في السيرة١/٤٤٣ويضيف قوله: ماأسلم أحد إلا في اليوم الذي أسلمت فيه مشكل، إذ يقتضي أنه لم يسبقه أحد بالإسلام، وقد علم أن الصديق وعليا وخديجة وزيد بن حارثة أسلموا قبله، كما قد حكى الإجماع على تقدم إسلام هؤلاء غير واحد منهم ابن الأثير، ونص أبو حنيفة رحمه الله على أن كلا من هؤلاء أسلم قبل أبناء جنسه(السيرة١/٤٤٣).
ويعلق ابن كثير على حديث عمرو بن عبسة وقوله:«لقدرأيتني وأنا ربع الإسلام»بقوله: فلعله أخبر بحسب علمه فإن المؤمنين كانوا إذ ذاك يستترون بإسلامهم لا يطلع على أمرهم كثير أحد من قراباتهم دع الأجانب، دع أهل البادية من الأعراب، والله أعلم(المصدر السابق١/٤٤٣).
ويقول ابن حجر:قال ذلك بحسب اطلاعه، والسبب فيه أن من كان أسلم في ابتداء الأمر كان يخفي إسلامه ثم قال: وحديث سعد يعارض حديث عمار والجمع بينهما ماأشرت إليه.(الفتح٧/٨٤).

(٦) البخاري٤/١٩٢: كتاب فضائل أصحاب النبي، باب قول النبيﷺ: «لو كنت متخذا خليلا»، وفي كتاب مناقب الأنصار٤/٢٤٠ باب إسلام أبي بكر الصديق.

(٧) سيرة ابن هشام ١/٢٦٢.

وهناك نص آخر لابن إسحق، لم يذكره ابن هشام؛ لأنه ليس من رواية البكائي عن ابن إسحق، وإنما من رواية يونس بن بكير عنه، وهو تأكيد للسرية أيضا من خلال الحوار بين رسول الله ﷺ وبين عليّ في بداية إسلامه، فقد عرض النبي عليه الإسلام ودعاه إلى التوحيد فقال علي: هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم، فلست بقاض أمرا حتى أحدّث به أبا طالب فكره رسول الله ﷺ أن يفشي عليه سره قبل أن يستعلن أمره، فقال له: «ياعلي إذا لم تسلم فاكتم».[1]

وباختصار فإن السرية معلم من معالم تلك الفترة، يضاف إليها جراءة قومه عليه مع استخفائه بدعوته، وتهكمهم به حتى وصفوه بالصابئ، والشاعر، والكاهن، والساحر.[2] بل زادوا على ذلك حين شنفوا له وتجهموا[3]، ولهذا كان يطلب ممن يؤمن به في تلك المرحلة أن يكتم إيمانه أو يلحق بقومه ـ كما صنع مع عمرو بن عبسة ـ ومن يعلن إسلامه منهم تناله قريش بالضرب والأذى كما فعلوا بأبي ذر حين أسلم ـ كما سيأتي في قصة إسلامه ـ.

* * *

(١) السير والمغازي لابن إسحق(تحقيق سهيل زكار)وهي إحدى القطع من سيرة ابن إسحق برواية يونس بن بكير ص/١٣٧ ذكره ابن إسحق دون إسناد.

(٢) مسلم ١٩٢٠/٤.

(٣) مسلم ١٩٢٣/٤= وشنفوا له: أي أبغضوه، وتجهموا له: قابلوه بوجوه غليظة كريهة.(النووي١٦/ ٣٢).

أوائل المؤمنين

خديجة بنت خويلد رضي الله عنها:

سبق القول عن إيمان خديجة وموقفها من النبيﷺحين جاء إليها يرجف فؤاده على إثر نزول الوحي عليه وتصديقها له في أول وهلة.[1] قال الحافظ معلقا: ومما اختصت به خديجة سبقها نساء هذه الأمة إلى الإيمان.[2]

وقال ابن إسحق: وآمنت به خديجة بنت خويلد ، وصدقت بما جاءه من الله ، وآزرته على أمره ، وكانت أول من آمن بالله وبرسوله وصدق بما جاء منه، فخفف الله بذلك عن نبيه ﷺ لا يسمع شيئا مما يكرهه من رد عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك، إلا فرّج الله عنه بها إذا رجع إليها تثبته وتخفف عليه وتصدقه وتهوّن عليه أمر الناس رضي الله عنها.[3]

كما ذكر ابن إسحق صلاة خديجة مع النبيﷺ على إثر فرض الصلاة عليه وتعليم جبريل له كيفية الطهور والصلاة ووقتها، وذلك بأعلى مكة قبل فرضها في الإسراء[4]، لكن الخبر في سنده مقال.[5]

* * *

(١) انظر ص(١٥٧) من الفصل الأول.

(٢) الفتح١٣٧/٧ .

(٣) ابن هشام ٢٥٩/١ .

(٤) المصدر نفسه ٢٦٣/١.

(٥) قال السهيلي: «هذا الحديث مقطوع في السيرة، ومثله لا يكون أصلا في الأحكام الشرعية، ولكنه قد روي مسندا إلى زيد بن حارثة ـ يرفعه ـ غير أن هذا الحديث المسند يدور على عبد الله بن لهيعة وقد ضعف..» (الروض الأنف١٣/٣).

أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما:

ويأتيان في مقدمة من آمن من الذكور.

ففي رواية البخاري السابقة عن عمار رضي الله عنه قال:«رأيت رسولﷺوما معه إلا خمسة أعبد، وامرأتان، وأبوبكر» دلالة على أن أبا بكر أول من أسلم من الأحرار مطلقا، لكن ذلك مخصوص بمن أظهر إسلامه.[1] ولعل هذا يتفق مع ما ذكره ابن إسحق من كون أبي بكر أول من أظهر إسلامه حيث قال: فلما أسلم أبو بكر، رضي الله عنه، أظهر إسلامه، ودعا إلى الله ورسوله[2]..، ذلك لأن ابن إسحق ذكر أن أول ذكر من الناس آمن برسول الله ﷺ وصلّى معه، وصدّق بما جاءه من الله تعالى«علي بن أبي طالب رضي الله عنه»[3]لكن ابن إسحق نفسه ذكر استخفاء علي بإيمانه وصلاته من أبيه ومن جميع أعمامه وسائر قومه.[4]

وبهذا الوجه تجمع بين اختلاف الأقوال في أول من آمن بالنبيﷺ بعد خديجة[5]، على أن هناك توجيها آخر يقضي بكون علي رضي الله عنه، أول من آمن من الصبيان، وأبو بكر أول من آمن من الرجال الأحرار.[6]

لقد كان لإيمان أبي بكر رضي الله عنه ميزة كان النبيﷺ يذكرها له فيقول:«إني قلت ياأيها الناس، إني رسول الله إليكم جميعا فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت».[7]

وهذه الميزة في عدم التردد في قبول الإسلام ذكرها ابن إسحق أيضا لأبي

---

(١) انظر : ابن حجر في الفتح٧/ ٢٤.

(٢) ابن هشام ١/ ٢٦٨.

(٣) المصدر نفسه١/ ٢٦٤.

(٤) المصدر السابق١/ ٢٦٥= ذكره ابن إسحق دون إسناد.

(٥) وانظر بالإضافة إلى ماسبق:كتاب «فضائل الصحابة»للإمام أحمد، تحقيق وصي الله بن محمد عباس ج١/ ٢٢٦ رقم ٢٦٨).

(٦) انظر: السيرة لابن كثير١/ ٤٣٢، وقال الذهبي معلقا على حديث عمار السابق(ص/ ١٢٨) :ولم يذكر عليا؛ لأنه كان صغيرا ابن عشر سنين. (السيرةص/ ٧٩).

(٧) البخاري٥/ ١٩٧ : كتاب التفسير.

بكر فقال: قال رسول الله ﷺ:«مادعوت أحدا إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كبوة[1] ونظر، وتردد، إلا ماكان من أبي بكر بن أبي قحافة ماعكم[2] عنه حين ذكرته له وما تردد فيه».[3]

وهذه الرواية لابن إسحق هي التي دونها ابن هشام في سيرته من رواية البكائي وهي التي تتفق مع رواية الصحيح ـ كما مر ـ ولكن هناك رواية أخرى تنسب إلى ابن إسحق أيضا، لكنها من رواية يونس بن بكير وهي مخالفة للرواية قبلها إذ جاء فيها: قال يونس عن ابن إسحق:«ثم إن أبا بكر الصديق لقي رسول الله ﷺ فقال: أحق ماتقول قريش يامحمد؟ من تركك آلهتنا، وتسفيهك عقولنا وتكفيرك آباءنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «بلى إني رسول الله ونبيه، بعثني لأبلغ رسالته، وأدعوك إلى الله بالحقّ فوالله إنه للحق، أدعوك يا أبا بكر إلى الله وحده لا شريك له ولا تعبد غيره والموالاة على طاعته»، وقرأ عليه القرآن فلم يقرّ ولم ينكر، فأسلم وكفر بالأصنام... ورجع أبو بكر وهو مؤمن مصدق.[4]

وهذه الرواية أنكر العلماء فيها قول ابن إسحق: فلم يقر ولم ينكر[5]، وهي مع مخالفتها لرواية الصحيح مخالفة أيضا للرواية الأخرى لابن إسحق كما أوضحت، مما يفيد اختلاف الروايات عن ابن إسحق باختلاف الرواة عنه، وهو أمر نلمسه في هذه الرواية، وفي غيرها.[6]

---

(١) قال صاحب النهاية: الكبوة: الوقفة كوقفة العاثر، أو الوقفة عند الشيءيكرهه الإنسان، ومنه كبا الزند إذا لم يخرج نارا.
(النهاية في غريب الحديث٤/١٤٦).

(٢) ماعكم: أي ماتحبّس وما انتظر ولا عدل.. (المصدر السابق٣/٢٨٥).

(٣) السيرة لابن هشام١/٢٦٨= ذكره ابن إسحق بلاغا.

(٤) انظر: السير والمغازي لابن إسحق ص/١٣٩ تحقيق : سهيل زكار=وقد جاء فيه: فلم يفر، والتصويب من ابن كثير:١/٤٣٢، مع أنه قد ذكر بعدها رواية أخرى توافق مانقله ابن هشام من عدم تردد أبي بكر، وهي مسندة وليست كسابقتها ص/١٣٩.

(٥) انظر: ابن كثير في السيرة١/٤٣٣ حيث قال: هذا الذي ذكره ابن إسحق في قوله:«فلم يقر ولم ينكر» منكر، فإن ابن إسحق وغيره ذكروا أنه كان صاحب رسول الله ﷺ قبل البعثة وكان يعلم من صدقه وأمانته وحسن سجيته وكرم أخلاقه ما يمنعه من الكذب على الخلق فكيف يكذب على الله؟

(٦) سبق لنا أنموذج آخر في إسلام علي حيث جاءت رواية يونس بن بكير عن ابن إسحق على ذكر السرية التي طلبها منه النبي ﷺ، على حين أغفلها زياد البكائي عنه.

وفوق تلك الميزة لإسلام أبي بكر في عدم التردد، فقد كان إسلامه فتحا وسببا لإسلام غيره، ففي بيته كان له أثر، وهذه ابنته عائشة رضي الله عنها تقول: لم أعقل أبويّ إلا وهما يدينان الدين.[1] وجملة من مشاهير الصحابة أسلموا على يديه ـ كماسيأتي ـ، ولقد أفاد أبو بكر رضي الله عنه من جملة تلك المزايا التي كان يعرفها فيه قومه في الدعوة إلى الله، وهذه المزايا ذكرها له ابن إسحق فقال: كان أبو بكر رجلا مؤلفا لقومه، محببًا سهلا، وكان أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بها وبما كان فيها من خير وشر، وكان رجلا تاجرا ذا خلق ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر، لعلمه، وتجارته، وحسن مجالسته فجعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه، فأسلم بدعائه ـ فيما بلغني ـ عثمان بن عفان .. إلخ.[2]

إسلام الأعبد (الخمسة) والمرأتين:

مرّ آنفا قول عمار: رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد، وامرأتان.. قال بعض شراح الحديث: أما الأعبد فهم: بلال،وزيد بن حارثة، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر، وأبو فكيهة[3] مولى صفوان بن أمية بن خلف، وأما الخامس فيحتمل أن يفسر بشقران[4]، وقيل: عمار بن ياسر ـ وهو محتمل ـ وأما المرأتان: فخديجة ، والأخرى أم أيمن، أو سمية.[5]

---

(١) البخاري ٥٨/٣ : كتاب الكفالة، باب: جوار أبي بكر في عهد النبي ﷺ وعقده.

(٢) ابن هشام ٢٦٨/١= ذكره ابن إسحق دون إسناد.

(٣) اسمه يسار، وقيل: أفلح بن يسار الجهمي، مولى لبني عبد الدار، وقيل: مولى صفوان، أسلم حين أسلم بلال، وكان يُعَذّب ويستهزئ به المشركون، هاجر إلى الحبشة، مات قبل بدر.(الاستيعاب «في حاشية الإصابة»٨٧/١٢، وأسد الغابة٥١٨/٥ ، ٢٤٨/٦ ، والإصابة٢٩٨/١١).

(٤) مولى رسول الله ﷺ، اشتهر بهذا اللقب قيل: اسمه صالح، وكان عبدا حبشيا لعبد الرحمن بن عوف فأهداه للنبي ﷺ، وقيل: بل اشتراه فأعتقه بعد بدر، وشهد خيبر، حضر غسل النبي ﷺ بعد موته.(أسد الغابة٥٢٧/٢).

(٥) ابن حجر: الفتح٢٤/٧.

أما «بلال» فقد سبق لنا في قصة إسلام عمرو بن عبسة إجابة النبي ﷺ له حين سأله: من معك على هذا الدين؟ قال: «حر وعبد»، ويعني بالعبد بلالا[1]. قال النووي: قوله (في الحديث) ومعه يومئذ أبو بكر وبلال، دليل على فضلهما، وقد يحتج به من قال: إنهما أول من أسلم.[2] والغريب من ابن إسحق أنه لم يذكر بلالا في عداد من ذكرهم من أوائل المسلمين، وإن كان قد ذكره بين من ناله الأذي من المشركين[3]، لكن روايات المتقدمين تكاد تجمع على قدم إسلام بلال.[4] وتتفق رواية الصحيح مع ابن إسحق في كون بلال كان رقيقا، ثم اشتراه أبو بكر وأعتقه.[5]

أما زيد بن حارثة فيعده ابن إسحق أول ذكر أسلم وصلى بعد علي بن أبي طالب[6]، وإن كان حديث ابن إسحق بإسلام زيد مرسلا.[7]

كما ذكر عامر بن فهيرة في عداد المسلمين الأوائل.[8]

أما أبو فكيهة فقد ذكره ابن إسحق ضمن من كان النبي ﷺ يجلس إليهم من المستضعفين من أصحابه[9] ولم أعثر على ذكر إسلامه في أوائل من أسلم[10] فقد ذكر ابنته «فكيهة بنت يسار» في عداد هؤلاء.[11]

وكذلك ذكر ابن إسحق «عمار بن ياسر» في عداد الأوائل من المسلمين.[12]

---

(١) انظر: القصة في أول هذا الفصل.

(٢) شرح مسلم ١١٥/٦.

(٣) ابن هشام ٣٣٩/١.

(٤) انظر مثلا: فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ١٨٢/١، ٢٣١ (بأسانيد صحيحة) وابن سعد ٢٣٣/٣، والحاكم وصححه ٢٨٤/٣ ووافقه الذهبي، وأبو نعيم في الحلية ١٤٩/١، وابن عبد البر في الاستيعاب ٤٨/٣، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٣٤٧/١.

(٥) البخاري ٢١٧/٤ فضائل أصحاب النبي، باب مناقب بلال بن رباح، وانظر: ابن هشام ٣٤٠/١.

(٦) ابن هشام ٢٦٥/١.

(٧) انظر: حاشية الروض الأنف ١٦/٣ = لكن روي بسند صحيح إلى الزهري أنه قال: ما علمنا أحدا أسلم قبل زيد بن حارثة (المغازي لابن شهاب الزهري ص/٤٦، وفضائل الصحابة لأحمد ٨٣٦/٢ قال محققه: إسناده صحيح إلى الزهري)، والمصنف لعبد الرزاق الصنعاني ٣٢٥/٥.

(٨) ابن هشام ٢٧٢/١، والمغازي لابن إسحق (رواية يونس بن بكير) ص/١٤٤، تحقيق سهيل زكار.

(٩) ابن هشام ٤٢٠/١.

(١٠) وقد عزا ابن حجر إلى ابن إسحق القول بأنه أسلم حين أسلم بلال (الفتح ٢٤/٧)

(١١) ابن هشام ٢٧١/١.

(١٢) المصدر نفسه ٢٧٤/١.

إسلام سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:

وهو من أوائل من أسلم،وقـد مـر[1] قوله: لقـد رأيتني وأنا ثلث الإسـلام، وقوله: ما أسلم أحد إلا في اليوم الذي أسلمت فيه، ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام.

ويؤكد ذلك ابن إسحق وهو يضعه من بين النفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالإسلام ومن بين من آمن بدعاء أبي بكر حين أسلم وأخذ يدعو غيره إلى الإسلام.[2]

على أن إسلام سعد لم يكن بالأمر الهيّن، بل أثار إسلامه أقرب الناس إليه وهي أمه، وأنزل بشأنه قرآنا يتلى إلى يوم القيامة، فقد حلفت أم سعد[3] أن لا تكلمه، ولا تأكل ، ولا تشرب حتى يكفر بدينه، وقالت له: زعمت أن الله وصـاك بوالديك،وأنا أمك، وأنا آمـرك بهـذا، ومكثت ثلاثا حتى غـشي عليها من الجهد، حتى قام إليها ابن لها يقال له «عمارة»فسقاها فجعلت تدعو على «سعد»فأنزل الله عز وجل هذه الآية[4] :﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسنا وإن جاهداك على أن تشرك بي...﴾ وفيها: ﴿وصاحبهما في الدنيا معروفا﴾.[5]

---

(١) انظر أوائل هذا الفصل(الدعوة السريةص/ ٢٤٣).

(٢) ابن هشام ٢٦٨/١، ٢٦٩.

(٣)واسمها: حمنة بنت أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف(الطبقات لابن سعد٩٧/١/٣ . والمستدرك للحاكم٤٩٥/٣، وفي الإصابة وهي: بنت عم أبي سفيان، لكنه سماها«حمزة» وهو خطأ (الإصابة١٦٠/٤)، وانظر: سير أعلام النبلاء٩٦/١ .

(٤) هذه الآية وردت في العنكبوت آية/٨/ ونصها:﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسنا وإن جاهداك لتشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما إليّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾ وفي لقمان الآية/١٤، ١٥ ونصها:﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك إليّ المصير* وإن جاهداك على أن تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا..﴾. وفي الأحقاف الآية/١٥/ :﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها.. ووضعته كرها..﴾ ولعل مسلما أراد هذه الآيات كلها أو معظمها، ومما يدعّم هذا أن المفسرين عند كل هذه الآيات يذكرون قصة سعد مع أمه انظر: (تفسير ابن كثير ٢٧٥/٦، ٣٤٠، ٢٦٣/٧).

(٥) مسلم ١٨٧٧/٤ : فضائل الصحابة، باب فضل سعد بن أبي وقاص.

إسلام أبي ذر رضي الله عنه:

وقد ورد في إسلامه أكثر من رواية في الصحيحين، كما أورد ابن اسحق رواية ثالثة تختلف عن رواية الصحيحين، وسأسوق هذه الروايات ليظهر الفرق بينها، وأولى هذه الروايات الرواية المشهورة، والمتفق عليها بين الشيخين، التي سبق عرض معظمها حين تحدثنا عن «سرية الدعوة» وخلاصتها أن أبا ذر لم يشفه كلام أخيه عن النبي، ﷺ، فتجهز وخرج بنفسه إلى مكة، ومكث بها مدة ـ يشرب من زمزم ـ ولا يسأل أحداً، حتى التقى بعلي ودله على النبي، ﷺ ـ بخفية وحذر ـ فأسلم، وطلب منه النبي، ﷺ، كتم ذلك والرجوع إلى بلده حتى يظهر أمره فقال: والذي بعثك بالحق لأصرخن بها بين أظهرهم فجاء إلى المسجد وقريش فيه فقال: يا معشر قريش: إني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فقالوا: قوموا إلى هذا الصابئ فقاموا فضربوه حتى أوجعوه، فأدركه العباس، فأكب عليه ثم أقبل عليهم فقال: ويلكم تقتلون رجلا من غفار ومتجركم وممركم على غفار فأقلعوا عنه، فلما أصبح من الغد رجع إليهم فقال مثل ما قال بالأمس، فصنعوا به مثل ماصنعوا به من قبل، حتى أكب عليه العباس.[1]

والرواية الأخرى انفرد بها« مسلم» عن عبد الله بن الصامت[2] قال: قال أبو ذر: خرجنا من قومنا غفار ـ وكانوا يحلون الشهر الحرام ـ فخرجت أنا وأخي«أنيس» و«أمنا» فنزلنا على خال لنا، فأكرمنا خالنا وأحسن إلينا، فحسدنا قومه فقالوا: إنك إذا خرجت من أهلك خالف إليهم«أنيس» ، فجاء خالنا فنثا[3] علينا الذي قيل له، فقلت: أما ماضى من معروفك فقد كدّرته ولا جماع لك فيما بعد، فقربنا صرمتنا[4]فاحتملنا عليها، وتغطّى خالنا ثوبه

(١) البخاري١٥٨/٤ ، ٢٤١(سبق) ، ومسلم١٩٢٣/٤(سبق أيضا) .

(٢) هو : عبد الله بن الصامت الغفاري الليثي، ابن أخي أبي ذر، بصري، تابعي، ثقة، ذكر البخاري وفاته بين السبعين والثمانين، وعده خليفة فيمن مات سنة ٧٢ للهجرة.(انظر: تاريخ خليفة بن خياط (تحقيق د. أكرم العمري)ص/٢٦٨ ، والتهذيب٢٦٤/٥) .

(٣)(نثا) الحديث ينثوه نثوا إذا أظهره.(جامع الأصول٥٦/٩) .

(٤) الصرمة: القطعة من الإبل نحو الثلاثين(المصدر نفسه٥٦/٩) .

فجعل يبكي فانطلقنا حتى نزلنا بحضرة مكة فنافر أنيس عن صرمتنا[1] وعن مثلها[2] فأتيا الكاهن فخيّر أنيسا، فأتانا أنيس بصرمتنا ومثلها معها، قال أبو ذر: وقد صليت يا ابن أخي قبل أن ألقى رسول الله ﷺ، بثلاث سنين.[3] قلت لمن؟ قال: لله، قلت: فأين توجّه؟ قال: أتوجه حيث يوجهني ربي، أصلي عشاء حتى إذا كان من آخر الليل ألقيت كأني خفاء[4] حتى تعلوني الشمس، فقال أنيس: إن لي حاجة بمكة فاكفني فانطلق أنيس حتى أتى مكة، فراث[5] عليّ ثم جاء فقلت: ماصنعت؟ قال: لقيت رجلا بمكة على دينك يزعم أن الله أرسله، قلت: فما يقول الناس؟ قال: يقولون: شاعر، كاهن، ساحر، ـ وكان أنيس أحد الشعراء ـ قال أنيس: لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم، ولقد وضعت قوله على أقراء[6] الشعر فما يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر، والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون، قال: قلت: فاكفني حتى أذهب فأنظر، قال: فأتيت مكة فتضعفت رجلا منهم فقلت: أين هذا الذي تدعونه الصابئ؟ فأشار إليّ فقال: الصابئ[7]، فمال عليّ أهل الوادي بكل مدرة وعظم حتى خررت مغشيا عليّ، قال فارتفعت حين ارتفعت كأني نصب أحمر[8] قال: فأتيت زمزم فغسلت عني الدماء وشربت من مائها، ولقد لبثت يابن أخي ثلاثين بين ليلة ويوم ما كان لي طعام إلا ماء زمزم فسمنت حتى تكسّرت عكن بطني، وما وجدت على كبدي سخفة جوع، قال فبينا أهل مكة في ليلة قمراء إضحيان[9] إذ ضرب على أسمختهم فما يطوف

(١) الصرمة: القطعة من الإبل نحو الثلاثين (المصدر نفسه ٩/٥٦).

(٢) المنافرة: المفاخرة والمحاكمة، والمعنى أنه راهن والرهن صرمة هذا وصرمة ذاك فأيهما كان أفضل أخذ الصرمتين.. ففاز بها أنيس.

(٣) وفي الرواية الأخرى ـ المختصرة ـ صليت سنتين قبل مبعث النبي ﷺ (مسلم ٤/١٩٢٣ فضائل الصحابة).

(٤) الخفاء: بالخاء المعجمة وكسرها: كساء يطرح على السقاء. (جامع الأصول ٩/٥٦).

(٥) راث فلان علينا: أبطأ. (المصدر نفسه ٩/٥٧).

(٦) أقراء الشعر: طرائقه وأنواعه. (المصدر نفسه ٩/٥٧).

(٧) منصوب على الإغراء أي: انظروا وخذوا هذا الصابئ.

(٨) يعني من كثرة الدماء.

(٩) أي: مضيئة منــورة.

بالبيت أحد، وامرأتان منهم تدعوان «إسافا» و«نائلة»قال: فأتتا عَلَيَّ فقلت: هن مثل الخشبة غير أني لاأكني، فانطلقتا تولولان وتقولان: لو كان هاهنا أحد من أنفارنا، قال فاستقبلهما رسول الله ﷺ وأبو بكر وهما هابطان، قال: «مالكما؟» قالتا: الصابئ بين الكعبة وأستارها، قال: «ماقال لكما؟» قالتا: إنه قال كلمة تملأ الفم ، وجاء رسول الله ﷺ حتى استلم الحجر وطاف بالبيت هو وصاحبه ثم صلى فلما قضى صلاته قال (أبو ذر): فكنت أنا أول من حياه بتحية الإسلام ـ قال فقلت: السلام عليك يارسول الله. فقال: «وعليك ورحمة الله» ، ثم قال: «من أنت؟» قال:قلت: من غفار. قال: فأهوى بيده فوضع أصابعه علي جبهته، فقلت في نفسي: كره أن انتميت إلى غفار، فذهبت آخذ بيده فَقَدَعَني[1] صاحبه، وكان أعلم به مني، ثم رفع رأسه ثم قال: «متى كنت هاهنا؟» قال: قلت: قد كنت هاهنا منذ ثلاثين بين يوم وليلة[2]، قال: «فمن كان يطعمك؟» قال: قلت: ماكان لي طعام إلا ماء زمزم، فسمنت حتى تكسّرت عكن بطني وما أجد على كبدي سخفة جوع، قال: «إنها مباركة، إنها طعام طعم» ، فقال أبو بكر: يارسول الله ائذن لي في طعامه الليلة، فانطلق رسول الله ﷺ وأبو بكر وانطلقت معهما، ففتح أبو بكر بابا فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف ـ وكان ذلك أول طعام أكلته بها ـ ثم غبرت ماغبرت، ثم أتيت رسول الله ﷺ فقال: «إنه قد وجهت لي أرض ذات نخل لا أراها إلا يثرب فهل أنت مبلغ عني قومك؟ عسى الله أن ينفعهم بك ويأجرك فيهم» ، فأتيت أنيسا فقال: ماصنعت؟قلت: صنعت أني قد أسلمت وصدّقت قال: مابي رغبة عن دينك فإني قد أسلمت وصدقت، فأتينا أمنا فقالت:مابي رغبة عن دينكما فإني قد أسلمت وصدّقت فاحتملنا[3] حتى أتينا قومنا غفارا فأسلم نصفهم وكان يؤمهم إيماء بن

(١) أي كفّني.

(٢) وفي الرواية الأخرى:«منذكم أنت هاهنا؟» قلت:منذ خمس عشرة.(مسلم٤/١٩٢٣ :فضائل الصحابة).

(٣) يعني: حملنا أنفسنا ومتاعنا على إبلنا وسرنا.

رحضة الغفاري[1] وكان سيدهم، وقال نصفهم: إذا قدم رسول الله ﷺ المدينة أسلمنا، فقدم رسول الله ﷺ المدينة فأسلم نصفهم الباقي، وجاءت أسلم فقالوا يارسول الله: إخواننا نسْلم على الذي أسلموا عليه فأسلموا، فقال رسول الله ﷺ: «غفار غفر الله لها، وأسلم سالمها الله».[2] هذه هي رواية مسلم، وهي ـ كما نرى ـ تختلف في سياقها عن الرواية الأولى المتفق عليها، فبالإضافة إلى كون سياقها أطول من سابقتها، فبين الروايتين اختلاف في الدلالة، حتى قال ابن حجر عن رواية مسلم هذه: وفيها مغايرة كثيرة لسياق ابن عباس (يعني المتفق عليها).[3]

ومن أمثلة الاختلاف بين الروايتين: أن رواية ابن عباس تفيد وصول أبي ذر للنبي ﷺ عن طريق علي فهو الذي دلّه بعد أن أضافه ثلاث ليال، بينما تفيد رواية «ابن الصامت» لقيا أبي ذر للنبي ﷺ أول مالقيه ليلا وهو يطوف بالكعبة ومعه أبو بكر، وهو الذي استضافه وأطعمه من زبيب الطائف، وفي رواية ابن الصامت أن مكوث أبي ذر بمكة ثلاثين ليلة قبل لقياه بالنبي ﷺ ليس له طعام إلاماء زمزم، بينما في رواية ابن عباس أنه كان معه زاد وقربة، ومدة مكوثه قبل أن يلقى النبي ﷺ ثلاث ليال، وفي رواية ابن عباس ذكر لموقف العباس معه حين أعلن إسلامه في قريش، بينما في رواية ابن الصامت ليس لها ذكر إلى غير ذلك من مناحي الاختلاف مما أدى إلى اختلاف العلماء في إمكانية الجمع بين الروايتين أو عدمه.

قال القرطبي: في التوفيق بين الروايتين تكلف شديد[4] ووافقه على ذلك «الأبي» حيث قال: «وقد ظهر بين طريق ابن عباس وطريق ابن

---

(١) هو إيماء بن رحضة بن حزمة بن خفاف الغفاري، قديم الإسلام، يقال له ولابنه «خفاف» ولأبيه «رحضة» صحبة (أسد الغابة ١٣٨/٢). ولهذا وقع الخلاف هنا هل المقصود «إيماء» كما في هذه الرواية أو «خفاف». (انظر: الذهبي في السيرة ص/١٠٠، والإصابة ١٤٨/١).

(٢) مسلم ١٩١٩/٤ ـ ١٩٢٢: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) فتح الباري ١٧٤/٧، وقال في الإصابة: وبينهما اختلاف ظاهر ١١٩/١١.

(٤) المصدر السابق ١٧٥/٧.

الصامت فيما رواه من حديث أبي ذر اختلاف يبعد بينهما فيه».[1] لكنه ـ رحمه الله ـ أبعد النجعة حين قال: ولم أر من الشارحين من نبّه على هذا التعارض!![2] وقد سبق لنا تقديم قول القرطبي، وكذا نبه إليه ابن حجر حيث خالف رأي القرطبي وقال: إن الجمع بين الروايتين ممكن.. وساق توجيهاته للجمع بين الروايتين عند مواضع الخلاف.[3]

وهناك رأي لأحد المعاصرين مفاده: إمكانية الجمع بين الروايتين على اعتبار أن إحداهما تكمل الأخرى، ولكل واحدة منهما زمن، فرواية البخاري تأتي في التسلسل الزمني بعد رواية مسلم، إذ هي شرح للكلمة الواردة في رواية مسلم«فغبرت ماغبرت»، ونحن لا نجد في رواية مسلم أنه أسلم رغم أنه لقي رسول الله ﷺ وأبا بكر حتى قوله: فغبرت ماغبرت.[4]

متى أسلم أبو ذر:

وفي زمن إسلام أبي ذر تقف رواية الصحيحين عند القول: «لما بلغ أبا ذر مبعث النبيﷺ قال لأخيه..» كما سبق في الروايات، كما لا نجد شيئا عند ابن إسحق في إسلام أبي ذر لكنا نجد تحديدا في الروايات الأخرى.

فالحاكم ـ فيما استدركه على الصحيحين ـ أخرج عن أبي ذر قوله: «لقد رأيتني ربع الإسلام، لم يسلم قبلي إلا النبي ﷺ، وأبو بكر، وبلال» ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي على ذلك[5]،

---

(١) الأبي: شرح مسلم (إكمال إكمال المعلم)٦/٣٠٦.

«والأبي»وإن كان قد نبّه إلى بعد الجمع بين الروايتين، فقد أشار إلى احتمال جمع بينهما، وإن كان قد استبعده في الأخير ونصّ كلامه كما يلي: «.. وكل من السندين صحيح فالله يعلم أي المتنين كان، ويحتمل أن أبا ذر أتى النبيﷺ حول الكعبة فأسلم ولم يعلم علي إذ ذاك، ثم إن أبا ذر بقي مستترا بحاله إلى أن استتبعه علي، ثم أدخله على النبيﷺفجدد إسلامه فظن الراوي أن ذلك أول إسلامه، وفي هذا الاحتمال بعد..(المصدر السابق٦/٣٠٦).

(٢) المصدر نفسه ٦/٣٠٦.

(٣) الفتح ٧/١٧٤.

(٤) منير الغضبان: أبو ذر الغفاري الزاهد المجاهد، دار العربية للطباعة والنشر ، ط. الأولى، ص/٣٩.

(٥) المستدرك للحاكم وبذيله تلخيص الذهبي٣/٣٤٢= كما أخرج هذه الرواية الطبراني عن جبير ابن نفير، وقال الهيثمي: رواه الطبراني بإسنادين وأحدهما متصل الإسناد ورجاله ثقات٠(مجمع الزوائد٩/٣٢٧).

وقبله روى لنا يونس بن بكير - في مغازي ابن إسحق - لكن من طريق ليس فيه ابن إسحق فقال: أول الرجال إسلاماً علي بن أبي طالب، ثم الرهط الثلاثة: أبو ذر، وبريدة، وابن عم لأبي ذر[١]، لكن هذه الرواية جاءت مرسلة.[٢] يضاف إلى ذلك أن معظم الذين ترجموا لأبي ذر يذكرون سابقة إسلامه.[٣]

إسلام ضماد الأزدي[٤]:

روى مسلم عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن ضمادا قدم مكة، وكان من أزد شنوءة، وكان يرقي من هذه الريح فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون: إن محمدا مجنون، فقال: لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يديّ، قال: فلقيه فقال: يامحمد إني أرقي من هذه الريح[٥]، وإن الله يشفي على يدي من شاء فهل لك؟ فقال رسول اللهﷺ: «إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أما بعد» قال فقال: أعد عليّ كلماتك هؤلاء فأعادهن عليه رسول اللهﷺ ثلاث مرات، قال فقال: لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، ولقد بلغن ناعوس البحر[٦] قال فقال: هات يدك أبايعك على الإسلام، قال فبايعه، فقال

---

(١) السير والمغازي لابن إسحق - رواية يونس بن بكير - تحقيق سهيل زكار ص/١٣٨، أو سيرة ابن إسحق المسماة بكتاب «المبتدأ والمبعث والمغازي» تحقيق محمد حميد الله ص/١١٩.

(٢) سند الرواية هكذا: نايونس، عن يوسف بن جهيب، عن عبد الله بن بريدة قال: أول الرجال إسلاما.. إلخ فإذا كان عبد الله بن بريدة ولد في خلافة عمر- رضي الله عنه -، والقصة التي يرويها وقعت في أوائل البعثة اتضح الإرسال فيها.

(٣) انظر: الاستيعاب (حاشية الإصابة٢/١٧٠، وأسد الغابة٦/١٠٠، وسير أعلام النبلاء٢/٤٦، والإصابة ١١/١١٩).

(٤) هو ضماد بن ثعلبة الأزدي(وهو غير ضمام بن ثعلبة السعدي) ذكر ابن عبد البر وغيره أنه كان صديقا للنبيﷺ في الجاهلية، وكان رجلا يتطبب ويرقي، ويطلب العلم، أسلم أول الإسلام. (الاستيعاب - الملحق بالإصابة ٥/٢٠٤، وأسد الغابة ٣/٥٦، والإصابة٥/١٩٢).

(٥) المراد بالريح هنا: الجنون. (النووى٦/١٥٧).

(٦) قال النووي: ضبطناه بوجهين أشهرهما ناعوس بالنون والعين هذا هو الموجود في أكثر نسخ بلادنا. والثاني: قاموس بالقاف والميم ،وهذا هو المشهور في روايات الحديث في غير صحيح مسلم. قال بعضهم وهو الصواب، والمعنى قعره. (شرحه لمسلم ٦/١٥٧).

رسول الله ﷺ: «وعلى قومك» قال: وعلى قومي، قال: فبعث رسول الله سرية فمروا بقومه، فقال صاحب السرية للجيش: هل أصبتم من هؤلاء شيئا؟ فقال رجل من القوم: أصبت منهم مطهرة، فقال: ردوها، فإن هؤلاء قوم ضماد.[1] ولم أجد له ذكرا عند ابن إسحق.

إسلام سعيد بن زيد[2] رضي الله عنه:

ذلك عنوان وضعه البخاري في صحيحه، وساق فيه الحديث عن قيس بن أبي حازم[3] قال: سمعت سعيد بن زيد بن نفيل في مسجد الكوفة يقول: والله لقد رأيتني وإن عمر لموثقي على الإسلام قبل أن يسلم عمر[4]... وفي موضع آخر عن قيس نفسه قال: سمعت سعيد بن زيد يقول للقوم: لو رأيتني موثقي عمر على الإسلام أنا وأخته وما أسلم...[5]

وإذا جاز لنا أن نفهم من سياق البخاري قدم إسلام سعيد، وزوجته ـ فاطمة بنت الخطاب ـ (أخت عمر)، وأنهما تعرضا لفتنة عمر قبل أن يسلم، فابن إسحق يؤكد لنا هذه الأسبقية له ولزوجته حيث يضعهما في أوائل من أسلموا بعد النفر الثمانية[6] الذين سبقوا الناس بالإسلام.[7]

---

(١) ٥٩٣/٢: كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة.

(٢) سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى العدوي.. أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، أسلم قبل دخول النبي ﷺ، دار الأرقم، شهد أحدا والمشاهد بعدها، ولم يكن بالمدينة زمان بدر، مات سنة خمسين أو بعدها..(الإصابة ١٨٨/٤).

(٣) قيس بن أبي حازم ـ واسمه حصين بن عوف، ويقال: عوف بن عبد الحارث، ويقال عبد عوف ابن الحارث بن عوف ـ البجلي الأحمسي، أبو عبد الله، أدرك الجاهلية، ورحل إلى النبي ﷺ ليبايعه فقبض وهو في الطريق، قال الذهبي: أجمعوا على الاحتجاج به، ومن تكلم فيه فقد آذى نفسه. مات سنة ٩٨هـ. (الميزان٣٩٢/٣، والتهذيب ٣٨٦/٨) قيل: إنه أجود التابعين إسنادا، لأبيه صحبة، أما هو فقد نقل بعض مايشير إلى رؤيته للنبي ﷺ، لكن قال العلماء: إنها لا تصح. (انظر: الإصابة ٢٣٧/٨، ٢٣٨).

(٤) ٢٤٢/٤: مناقب الأنصار.

(٥) المصدر نفسه ٢٤٣/٤.

(٦) وهم كما ذكرهم ابن إسحق، علي بن أبي طالب، وزيد بن حارثة، وأبو بكر الصديق، وعثمان ابن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله.

(٧) انظر: السيرة لابن هشام٢٦٩/١، وبرواية ابن بكير انظر: سيرة ابن إسحق، تحقيق محمد حميد الله ص/١٢٤، وبتحقيق سهيل زكار ص /١٤٣.

السابقون إلى الإسلام في رواية ابن إسحق:

وهذه جملة من ذكرهم ابن إسحق ممن تقدم إسلامهم.

فبعد ذكره لإسلام خديجة، وعلي ـ رضي الله عنهما ـ قال: ثم أسلم زيد بن حارثة بن شرحبيل ـ مولى رسول الله ﷺ ـ وكان أول ذكر أسلم وصلى بعد علي بن أبي طالب. ثم أسلم أبو بكر بن أبي قحافة، فأسلم بدعائه: عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد ابن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله.

قال ابن إسحق: فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالإسلام فصلوا وصدقوا رسول الله ﷺ بما جاءه من الله، ثم أسلم أبو عبيدة عامر بن الجراح، وأبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد، والأرقم بن أبي الأرقم، وعثمان ابن مظعون، وأخواه قدامة وعبد الله ابنا مظعون بن حبيب، وعبيدة بن الحارث، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وامرأته فاطمة بنت الخطاب، وأسماء بنت أبي بكر، وعائشة بنت أبي بكر ـ وهي يومئذ صغيرة ـ وخباب ابن الأرت، وعمير بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود، ومسعود بن القاريّ ـ وهو مسعود بن ربيعة بن عمرو ـ وسليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود، وأخوه حاطب بن عمرو، وعياش بن أبي ربيعة، وامرأته أسماء بنت سلامة، وخنيس بن حذافة بن قيس، وعبد الله بن جحش بن رئاب، وأخوه أبو أحمد بن جحش، وجعفر بن أبي طالب، وامرأته أسماء بنت عميس، وحاطب بن الحارث بن معمر، وامرأته فاطمة وأخوه حطاب بن الحارث، وامرأته فكيهة بنت يسار، ومعمر بن الحارث بن معمر بن حبيب، والسائب ابن عثمان بن مظعون، والمطلب بن أزهر بن عبد عوف وامرأته رملة بنت أبي عوف، والنّحام واسمه نعيم بن عبد الله بن أسيد، وعامر بن فهيرة ـ مولى أبي بكر الصديق ـ وخالد بن سعيد بن العاص، وامرأته أمينة بنت خلف بن أسعد، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس، وأبو حذيفة بن عتبة، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف، وخالد ، وعامر، وعاقل، وإياس بنو البكير ابن عبد ياليل، وعمار بن ياسر، وصهيب بن سنان.(١)

(١) السيرة لابن هشام ٢٦٨/١ـ٢٧٠ ، وقد ذكر ذلك ابن إسحق دون إسناد.

الجهر بالدعوة

وردت في الصحيحين روايات عن ابن عباس، وعائشة، وأبي هريرة[1]، وقبيصة بن المخارق[2]، وزهير بن عمرو[3] ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ، وكلها تفيد جهر النبي ﷺ بدعوته وإنذاره عشيرته الأقربين.

فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: لما نزلت: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾[4] صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: «يابني فهر، يابني عدي» لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ماهو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: «أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدِّقيَّ؟ قالوا: نعم، ماجربنا عليك إلا صدقا، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبولهب: تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا، فنزلت: ﴿تبت يدا أبي لهب وتب

---

(١) هؤلاء الأعلام أشهر من أن يعرفوا، ولكن الملاحظة التي تستوقفنا هنا أن كلا من ابن عباس وأبي هريرة ـ وكذا عائشة ـ لم يدركا هذه الحادثة الواقعة في صدر الإسلام ـ ومن أدركها منهم لم يكن بإمكانه رواية أحداثها بالمشاهدة إما لصغر سنه ـ كابن عباس وعائشة ـ وإما لتأخر إسلامه كأبي هريرة ولهذا اعتبر العلماء روايتهم لها من مرسل الصحابة، وممن جزم بذلك الإسماعيلي (الفتح ٥٠٢/٨) لكن ابن حجر يرى احتمال وقوع الحادثة مرتين ـ مشيرا إلى بعض مايؤيده ـ وإن كان يقول: ولكن الأصل عدم تكرار النزول. (الفتح ٥٥٢/٦، ٥٠٢/٨).

(٢) قبيصة بن المخارق بن عبد الله بن شداد الهلالي، يكنى أبا بشر، له صحبة، سكن البصرة، قال ابن خزيمة: لاأدري ألقبيصة البجلي صحبة أم لا؟ وتعقبه ابن حجر. (التاريخ الكبير للبخاري ١٧٣/٧، وأسد الغابة ٣٨٣/٤، والإصابة ١٣٢/٨).

(٣) زهير بن عمرو الهلالي، نزيل البصرة، قال البغوي: لا أعلم له إلا حديث الإنذار، ونقل ابن السكن أن البخاري لم يصححه لأنه لم يذكر السماع. (أسد الغابة ٢٦٦/٢، والإصابة ٢٣/٤) وذكر البخاري له هذا الحديث في التاريخ الكبير ٤٢٤/٣).

(٤) الشعراء آية /٢١٤/.

ماأغنى عنه ماله وماكسب﴾.[1]

وفي رواية أخرى لابن عباس أيضا: أن النبيﷺ خرج إلى البطحاء فصعد إلى الجبل فنادى «ياصباحاه»، فاجتمعت إليه قريش فقال: «أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقوني؟» قالوا: نعم، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد..» وذكر نحوه.[2]

وفي رواية ثالثة ـ لابن عباس ـ لما نزلت:﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ ورهطك منهم المخلصين[3] خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا فهتف «ياصباحاه»، فقالوا: من هذا؟ فاجتمعوا إليه فقال: «أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟» قالوا: ماجربنا عليك كذبا[4]..

وتختلف رواية أبي هريرة اختلافًا يسيرا في عرضها عن رواية ابن عباس، وقد جاء فيها: لما نزلت: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ قام رسول اللهﷺ فقال: «يامعشر قريش ـ أو كلمة نحوها ـ اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من

---

(١) البخاري٦/١٦: كتاب التفسير ـ سورة الشعراء ـ والرواية وردت في مواطن أخرى سأنبه إليها عند ذكرها.

(٢) البخاري٦/٩٥: كتاب التفسير، سورة تبت يدا أبي لهب وتب، وفي الكتاب نفسه تفسير سورة سبأ، باب: إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد٦/٢٩ لكن بدون ذكر البطحاء.

(٣) قال الإمام النووي: ظاهر هذه العبارة أن قوله: «ورهطك منهم المخلصين كان قرآنا أنزل ثم نسخت تلاوته، ولم تقع هذه الزيادة في روايات البخاري» شرح مسلم ٣/٨٢، ٨٣، ولا يخفى مافي ذلك الجزم بعدم ذكر البخاري لها من الخطأ، وانظر: ابن حجر في الفتح ٨/٥٠٢، وقد قيل في هذه الزيادة إنها تفسير لقوله: عشيرتك، أو قراءة شاذة قرأها ابن عباس ثم نسخت تلاوتها.(حاشية البخاري٦/٩٤).

(٤) البخاري٦/٩٤: كتاب التفسير، سورة تبت، ومسلم١/١٩٤: كتاب الإيمان باب قوله تعالى:﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾.

الله شيئا، يابني عبد مناف[1]، لاأغني عنكم من الله شيئا، ياعباس بن عبد المطلب، لاأغني عنك من الله شيئا، وياصفية[2]، عمة رسول الله ﷺ لاأغني عنك من الله شيئا، ويافاطمة بنت محمد ﷺ، سليني ماشئت من مالي لاأغني عنك من الله شيئا».[3]

وفي رواية ـ له ـ عند مسلم: لما نزلت هذه الآية: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ دعا رسول الله ﷺ قريشا فاجتمعوا، فعمّ وخصّ فقال: «يابني كعب بن لؤي، أنقذوا أنفسكم من النار، يابني مرّة بن كعب، أنقذوا أنفسكم من النار، يابني عبد شمس، أنقذوا أنفسكم من النار، يابني عبد مناف، أنقذوا أنفسكم من النار، يابني هاشم، أنقذوا أنفسكم من النار، يابني عبد المطلب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة، أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئا، غير أن لكم رحما سأبلها ببلاها».[4]

أما رواية عائشة فهي مختصرة، وقد انفرد بإخراجها الإمام مسلم ـ عليه رحمة الله ـ ونصها قالت: «لما نزلت ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ قام رسول الله ﷺ على الصفا فقال: «يافاطمة بنت محمد، ياصفية بنت عبد المطلب، يابني عبد المطلب، لاأملك لكم من الله شيئا، سلوني من مالي ماشئتم».[5]

كما انفرد مسلم بإخراج رواية قبيصة بن المخارق، وزهير بن عمرو، وقد

---

(١) ووقع عند مسلم: يابني عبد المطلب بدل: يابني عبد مناف١/١٩٣ .(سبق).

(٢) وفي رواية: ياأم الزبير بن العوام بدل: صفية. البخاري٤/١٦١ .

(٣) البخاري٣/١٩٠ : كتاب الوصايا، باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب، وفي التفسير ٦/١٧«سورة الشعراء».

(٤) مسلم ١/١٩٢ : كتاب الإيمان، باب: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ ومعنى سأبلها ببلاها أي سأصلكم في الدنيا ولاأغني عنكم من الله شيئا، وقد استعير البلل لمعنى الوصل(النهاية في غريب الحديث والأثر١/١٥٣).

(٥) المصدر نفسه ١/١٩٢ .

اختلفت ألفاظها عن الروايات قبلها،وفيها قالا: لما نزلت: ﴿وأنذرعشيرتك الأقربين﴾ انطلق نبي الله ﷺ إلى رضمة من جبل، فعلا أعلاها حجرا، ثم نادى: «يابني عبد مناف، إني نذير، إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يربأ[1] أهله، فخشي أن يسبقوه، فجعل يهتف: ياصباحاه».[2]

هذه محصلة روايات الصحيحين عن الجهر بالدعوة وإنذار النبي ﷺ لعشيرته الأقربين.

وهي كما نرى ـ وإن اختلفت في بعض ألفاظها ـ فدلالتها واحدة، فالنبيﷺ عندما نزل عليه الأمر بإعلان الدعوة صعد الصفا، وجعل يهتف بقومه وعشيرته حتى اجتمعوا إليه فأعلمهم دعوته، وخوفهم من مخالفته.

ولنا أن نميّز ـ من خلال النصوص السابقة ـ طبيعة الدعوة في هذه المرحلة، فهي ليست دعوة سرية كما كان الأمر من قبل، وهي أيضا ليست قصرا على أفراد معينين ـ كما كان قبل ـ بل هي دعوة للقبائل، يؤكد لنا ذلك ـ فوق ماتقدم ـ الإمام البخاري في رواية ساقها عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: لما نزلت ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ جعل النبي ﷺ يدعوهم قبائل قبائل.[3]

وحين نعود إلى ابن إسحق نجده يذكر رواية تختلف في سياقها، وفي دلالتها عن رواية الصحيحين السابقة، والرواية من طريق يونس بن بكير

---

(١) أي يحفظهم ويتطلع لهم.(النووي على مسلم٣/٨٢).

(٢)١/١٩٢، ١٩٣ .

(٣) البخاري ٤/١٦١: كتاب المناقب، باب من انتسب إلى آبائه في الإسلام والجاهلية. وهذه الرواية قد تبدو معلقة لكن قال ابن حجر: هو موصول وليس بمعلق وقد وصله الإسماعيلي والطبراني عن قبيصة.

(انظر: الفتح ٦/٥٥٢، وتغليق التعليق ٤/٤٧).

وسندها كما يلي:

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحق قال: حدثني من سمع عبد الله بن الحارث بن نوفل واستكتمني اسمه، عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ قال رسول الله ﷺ: «عرفت أني إن بادأت بها قومي رأيت منهم ما أكره، فصمت عليها، فجاءني جبريل فقال: يامحمد، إنك إن لم تفعل ماأمرك ربك تعالى عذّبك ربك»، قال علي: فدعاني رسول الله ﷺ فقال: ياعلي، إن الله قد أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين فعرفت أني إن بادأتهم بذلك رأيت منهم ماأكره فصمت عن ذلك حتى جاءني جبريل فقال: يامحمد، إن لم تفعل ما أمرت به عذبك ربك، فاصنع لنا ياعلي رِجل شاة على صاع من طعام، وأعد لنا عس[1] لبن، ثم اجمع بني عبد المطلب» ففعلت، فاجتمعوا له وهم يومئذ أربعون رجلا أم ينقصون، فيهم أعمامه: أبو طالب، وحمزة، والعباس، وأبو لهب الكافر الخبيث، فقدمت إليهم تلك الجفنة، فأخذ منها رسول الله ﷺ حذية[2] فشقها بأسنانه، ثم رمى بها في نواحيها، ثم قال: «كلوا باسم الله»، فأكل القوم حتى نهلوا عنه، فما رئي إلا آثار أصابعهم، والله إن كان الرجل منهم ليأكل مثلها، ثم قال رسول الله ﷺ: «اسقهم ياعلي»، فجئت بذلك القعب فشربوا حتى نهلوا جميعا، وايم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم بدره أبو لهب إلى الكلام

---

(١) العسّ: القدح الكبير، وجمعه عساس و أعساس. (النهاية٣/٢٣٦).

(٢) الحذية: هي القطعة، وهي بالكسر ماقطع من اللحم طولا .(المصدر نفسه١/٣٥٧).

فقال:لهدّ[1] ماسحركم صاحبكم! فتفرقوا، ولم يكلمهم رسول الله ﷺ، فلما كان الغد قال رسول الله ﷺ: «ياعلي، عد لنا بمثل الذي كنت صنعت لنا بالأمس من الطعام والشراب، فإن هذا الرجل قد بدرني إلى ماقد سمعت قبل أن أكلم القوم»، ففعلت، ثم جمعهم له، فصنع رسول الله ﷺ كما صنع بالأمس، فأكلوا حتى نهلوا عنه، ثم سقيتهم فشربوا من ذلك القعب حتى نهلوا عنه، وايم الله إن الرجل منهم ليأكل مثلها، ويشرب مثله، ثم قال رسول الله ﷺ: «يابني عبد المطلب، والله ما أعلم شابا من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة».[2]

هذه هي رواية يونس بن بكير عن ابن إسحق، كما رواها عن ابن إسحق أيضا سلمة بن الفضل[3] بنحو الرواية السابقة إلا أنه زاد في آخرها بعد قوله: «إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي وكذا وكذا» قال: فأحجم القوم عنها جميعا وقلت ـ يعني عليا ـ وإني لأحدثهم سنا وأرمصهم عينا، وأعظمهم بطناً، وأحمشهم ساقا، أنا يانبي الله أكون وزيرك، فأخذ برقبتي، ثم قال: «إن هذا أخي وكذا وكذا فاسمعوا له وأطيعوا»، قال: فقام القوم

---

(١) لهدّ: كلمة يتعجب بها، يقال: لهدّ الرجل: أي ماأجلده، ويقال: إنه لهدّ الرجل أي لنعم الرجل.(النهاية٥/ ٢٥٠).

(٢)انظر: سيرة ابن إسحق: تحقيق وتعليق محمد حميد الله ص/١٢٦، ١٢٧، والسير والمغازي لابن إسحق بتحقيق سهيل زكار ص/١٤٥.

(٣) هو أحد رواة السيرة عن ابن إسحق، مختلف في توثيقه أو تجريحه فالبخاري قال: عنده مناكير، وقال النسائي: ضعيف، وعن ابن معين: ليس به بأس وكان يتشيع، وقال أبو حاتم: محله الصدق، في حديثه إنكار يكتب حديثه ولا يحتج به، وعن جرير ليس من لدن بغداد إلى خراسان أثبت في ابن إسحق من سلمة. (الجرح والتعديل ٢/ ١٦٨، والتهذيب ٤/ ١٥٣).

يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع.[1]

وعلى العموم فإن الوقفة المتأملة عند إسناد هذه الرواية تكفي عن التعرض لما جاء فيها مخالفا لرواية الصحيحين قبلها، وإذا كان أهل الجرح والتعديل يضعفون حديث ابن إسحق، إذا عنعن ـ خشية التدليس ـ فكيف الحال إذا أبهم في الإسناد قائلا: حدثني من سمع عبد الله بن الحارث بن نوفل، واستكتمني اسمه، والجهالة في الإسناد عيب فادح في السند؟! لكن الأمر ـ في هذه الرواية ـ لا يقف عند هذا الحد، فالمبهم في سيرة ابن إسحق جاء التصريح به في رواية أخرى، ساقها لنا الطبري في تفسيره، وتاريخه، بهذا الإسناد:

حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحق عن عبد الغفار بن القاسم عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، عن عبد الله بن عباس، عن علي بن أبي طالب قال.. وساق نحو الرواية السابقة.[2]

وبهذا يتضح أن الذي أبهمه ابن إسحق في سيرته هو عبد الغفار بن القاسم، حتى قال أحمد بن عبد الجبار العطاردي [3]، بلغني أن ابن إسحق إنما سمعه من عبد الغفار بن القاسم أبي مريم عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث[4]، فمن يكون عبد الغفار هذا؟!

قال عنه علي بن المديني: كان يضع الحديث، ويقال: كان من رؤوس الشيع[5]، ويقول ابن عدي: كان غاليا في التشيع[6]، وقال أحمد بن حنبل:

---

(١) انظر: تفسير الطبري١٩/٧٤، ٧٥، وتاريخ الطبري ٢/٣١٩، ٣٢٠.

(٢) انظر: المصدرين السابقين.

(٣) قال عنه ابن حجر: أحمد بن عبد الجبار بن محمد العطاردي، أبو عمرو الكوفي، ضعيف وسماعه للسيرة صحيح، من العاشرة، مات سنة اثنتين وسبعين.
(التقريب١/١٩).

(٤) انظر: دلائل النبوة للبيهقي٢/١٨٠، وتفسير ابن كثير٦/١٨٠، وانظر كذلك: السيرة للذهبي ص/٨٢، ٨٣.

(٥) ميزان الاعتدال٢/٦٤٠.

(٦) الكامل في ضعفاء الرجال ٥/١٩٦٥.

كان أبو عبيدة إذا حدثنا عن أبي مريم يضجّ الناس يقولون: لانريده.[1] وقال ابن حبان: كان يقلب الأخبار لا يجوز الاحتجاج به[2]، كما ترك الاحتجاج به النسائي[3]. وقال أبو داود: وأنا أشهد أن أبا مريم كذاب، لأني قد لقيته وسمعت منه، واسمه عبد الغفار بن القاسم[4]، ومع ذلك كله فقد نقل أنه كان يشرب حتى يبول في ثيابه!![5]

فهل بعد هذا كله يمكننا قبول روايته؟! بل ولعلنا نفهم بذلك السرّ الذي جعل ابن إسحق ـ غفر الله له ـ يقول: «واستكتمني اسمه» !!

ولهذا أنكر الذهبي مثل هذه الأخبار[6]، أما ابن كثير فمع تضعيفه لرواية عبد الغفار بن القاسم، فقد ذكر رواية أخرى رواها أبو حاتم في تفسيره عن علي بنحو الرواية السابقة، إلا أنه ذكر فيها: «أيكم يقضي عني ديني ويكون خليفتي في أهلي»، كما أشار إلى رواية أخرى عن أحمد ـ بنحو

---

(١) الميزان ٢/٦٤٠.

(٢) المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين(دار الوعي حلب)٢/١٤٣.

(٣) الميزان ٢/٦٤٠ .

(٤) الضعفاء للعقيلي٣/١٠١.

(٥) المصدر نفسه٣/١٠١ .

(٦) ميزان الاعتدال٢/٤٥. وهذا الذي أنكره الذهبي رواية في مسند الإمام أحمد وهي قريبة من رواية ابن إسحق، وقد رواها بأكثر من طريق، وكل طريق منها لا يخلو من ضعف في الإسناد، أما الطريق الأول: فعن يحيى بن عبد الحميد الحماني عن شريك.. ويحيى ـ هذا ـ قال عنه الذهبي: شيعي بغيض، قال زياد بن أيوب: سمعت يحيى الحماني يقول: كان معاوية على غير ملة الإسلام؟! قال زياد: كذب عدو الله(الميزان٤/٣٩٢) والغريب أن أحمد شاكر حسّن هذا الإسناد(المسند٢/١٦٥ ط. دار المعارف) وقد تعقبه وصي الله بن محمد عباس(محقق فضائل الصحابة للإمام أحمد) فقال: وفي تحسينه نظر.(فضائل الصحابة٢/٦٥١).
أما الطريق الثاني: فعن المنهال بن عمر، عن عياد بن عبد الله الأسدي عن علي (المسند٢/١٦٥).
قال البخاري عن عياد: سمع منه المنهال بن عمر وفيه نظر، وقال ابن المديني: ضعيف الحديث (الميزان٢/٣٦٨). وقال ابن الجوزي: ضرب ابن حنبل على حديثه عن علي أنا الصديق الأكبر، وقال ابن حزم: هو مجهول.(تهذيب التهذيب٥/٩٨).
أما الطريق الثالث: فعن أبي صادق عن ربيعة بن ناجذ عن علي. قال الذهبي: ربيعة بن ناجذ عن علي، لا يكاد يعرف، وعنه أبو صادق بخبر منكر فيه: علي أخي ووارثي(الميزان٢/٤٥)، ومع هذا كله فقد صحح هذا الإسناد وصي الله..(فضائل الصحابة لأحمد٢/٧١٢) وأظن أن في تصحيحه نظراً!!

(٩) السيرة النبوية١/٤٥٩، ٤٦٠. علما بأنه ساق في سيرته تضعيف العلماء لعبد الغفار بن القاسم(أبو مريم).

ماتقدم ـ واعتبر هذه وتلك شواهد أو كالشاهد لما تقدم(٩)، وفي ذلك نظر.

قريش بعد الجهر بالدعوة:

قال ابن إسحق: فلما بادأ رسول الله ﷺ قومه بالإسلام، وصدع به كما أمره الله لم يبعد منه قومه، ولم يردوا عليه ـ فيما بلغني ـ حتى ذكر آلهتم وعابها، فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه، وأجمعوا خلافه وعداوته، وحدب على رسول الله ﷺ عمه أبو طالب، ومنعه، وقام دونه.(٢)

وقد سبق من روايات الصحيحين مايوافق رواية ابن إسحق في حماية عمه له، ومنعه(٣)، لكن ابن إسحق هنا يفصل الأمر، ويذكر عدة روايات جرت فيها مفاوضات بين قريش وأبي طالب بشأن النبي ﷺ.

ففي المرة الأولى مشى إليه أشراف قريش فقالوا: ياأبا طالب، إن ابن أخيك قد سبّ آلهتنا وعاب ديننا، وسفّه أحلامنا، وضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلي بيننا وبينه، فإنك على مثل مانحن عليه من خلافه فنكفيكه، فقال لهم أبو طالب قولا رفيقا، وردهم ردا جميلا فانصرفوا عنه.(٣)

ثم مشوا إليه أخرى فقالوا له: إن لك سنا وشرفا ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا، حتى تكفّه عنا أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين، ثم انصرفوا عنه، فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ولم يطب نفسا بإسلام رسول الله ﷺ لهم، ولا خذلانه، ثم بعث إلى رسول الله ﷺ فقال له: إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا، فأبق عليّ وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر مالاأطيق، فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه بداء، وأنه خاذله ومسلمه، وأنه قد ضعف عن

---

(١) ابن هشام١/٢٧٥، ٢٧٦.

(٢) انظر: وفاة عمه أبي طالب .. في الفصل الثاني ص (٢٠٦).

(٣) انظر الجزء المطبوع من سيرة ابن إسحق تحقيق سهيل زكار ص ١٤٨، والسيرة لابن هشام١/٢٧٦، ٢٧٧ ـ وقد ذكرها ابن إسحق بلاغا دون إسناد.

نصرته والقيام معه، فقال:«ياعم، والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ماتركته» .ثم استعبر رسول اللهﷺ فبكى ، ثم قام، فلما ولى ناداه أبو طالب فقال: أقبل يابن أخي .. فلما أقبل قال:اذهب يابن أخي فقل ماأحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبدا.[1]

أما المرة الثالثة فقد ذهبوا إليه«بعمارة بن الوليد»وقالوا: يا أبا طالب هذا أنهد فتى في قريش وأجمله، فخذه فلك عقله[2]، ونصره، واتخذه ولدا فهو لك، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا فنقتله. فردّ عليهم:والله لبئس ماتسومونني أتعطوني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابني تقتلونه؟هذا والله مايكون أبدا.[3]

وفوق ماتقدم فقد جرّبت قريش ـ أيضا ـ أسلوب التفاوض مع النبيﷺ مباشرة لاسيما وقد كثر المؤمنون، وأسلم عمه«حمزة» وكان المرشح لذلك«عتبة بن ربيعة»الذي قال للنبيﷺ :يابن أخي، إنك منا حيث قد

---

(١) انظر الجزء المطبوع من سيرة ابن إسحق بتحقيق سهيل زكار ص١٥٤ ، والسيرة لابن هشام ٢٧٨/١ . وقد روى ابن إسحق هذه الرواية عن يعقوب ابن عتبة بن المغيرة بن الأخنس وهذا وإن كان ثقة، فلم يدرك أحدا من الصحابة ، فهو من تابعي التابعين، وقد توفي سنة ١٢٨هـ.
انظر: (الجرح والتعديل ٢١١/٩ ، وتهذيب التهذيب٣٩٢/١١) ، فالإسناد معضل، والحديث ضعيف:انظر(حاشية الألباني في فقه السيرة ص/١١٤) ،وقال محقق الروض الأنف:حديث«لو وضعوا الشمس..» لم يروه أحد من أصحاب الصحاح(الروض الأنف٥٢/٣)وقد روى الطبراني في الأوسط، وأبو يعلى هذه الرواية مختصرة، وفيها بدل«لو وضعوا الشمس ..، إلخ»قوله:«والله ماأنا بأقدر أن أدع مابعثت به من أن يشعل أحدكم من هذه الشمس شعلة من نار»ثم قال أبو طالب : والله ماكذب ابن أخي قط، ارجعوا راشدين. قال الهيثمي: رجال أبي يعلى رجال الصحيح.(مجمع الزوائد١٥/٦).

(٢) أي :ديته .

(٣) انظر الجزء المطبوع من سيرة ابن إسحق تحقيق سهيل زكار ص١٥٢ ، والسيرة لابن هشام٢٧٩/١ .

علمت من السّطة[1] في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرّقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم .. فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها، لعلك تقبل منها بعضها، فقال له النبي ﷺ: قل ياأبا الوليد أسمع، فقال: يابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت إنما تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك، حتى إذا فرغ قال له النبي ﷺ: «أقد فرغت ياأبا الوليد؟» قال: نعم، قال: «فاستمع مني»، قال: أفعل، فابتدأ يقرأ عليه القرآن من أول سورة حم السجدة، حتى بلغ السجدة فسجد، ثم قال له: «قد سمعت ياأبا الوليد ماسمعت فأنت وذاك»، فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلسوا إليه قالوا: ماوراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني سمعت قولا والله ماسمعت بمثله قط، والله ماهو بالشعر، ولا بالسحر، ولابالكهانة، يامعشر قريش، أطيعوني واجعلوها بي، وخلوا بين هذا الرجل وماهو فيه، فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به، قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا مابدا لكم.![2] ومع هذا كله فقد عمدوا إلى الإيذاء والاستهزاء بالنبي، ﷺ، والمؤمنين معه.

---

(١) السِّطة: بكسر السين وفتح الطاء (مخففة) المنزلة الرفيعة أو لعلها من التوسط في النسب وفي النهاية «فقامت امرأة من سطة النساء» أي من أوساطهن حسبًا ونسبًا (النهاية في غريب الحديث والأثر ٣٦٦/٢)

(٢) ابن هشام ٣١٣/١، ٣١٤، وقد رواها ابن إسحق فقال: حدثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرطبي، فهي مرسلة، لكن وصل إسنادها عبد بن حميد في مسنده إلى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وكذا الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده، والبغوي في تفسيره، كما ساق ذلك ابن كثير في تفسيره (في أوائل سورة فصلت) ١٥٠/٧، ١٥١، ورواها الهيثمي عن جابر ـ باختلاف يسير ـ ثم قال: رواه أبو يعلى، وفيه الأجلح الكندي، وثقه ابن معين وغيره، وضعفّه النسائي وغيره وبقية رجاله ثقات. (مجمع الزوائد٢٠/٦)، وقال الألباني: وسنده حسن إن شاء الله (فقه السيرة ص/١١٣).

الإيذاء في سبيل الدعوة:

مرّ صور من إيذاء المشركين للنبيﷺ، ومن آمن معه في المرحلة السّرية، لكن أمر الإيذاء استفحل بعد الجهر بالدعوة، لاسيما وقد بدأ النبيﷺ يظهر شعائر دينه، فلم يعد يستخفي بصلاته مثلا، بل بات يصليها عند البيت، وأمام المشركين، وهذا أثار حفيظتهم، وأوقد نار الشر في صدورهم، حتى قال أبو جهل مستنكرا: هل يعفّر محمد وجهه بين أظهركم؟قيل: نعم، فقال: واللات والعزى، لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، أو لأعفّرنّ وجهه في التراب، فأتى رسول اللهﷺ وهو يصلي - زعم ليطأ على رقبته - فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه، ويتقي بيديه، فقيل له:مالك؟فقال: إن بيني وبينه لخندقا من نار، وهولا وأجنحة، فقال رسول اللهﷺ: لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا، وأنزل الله عز وجل:﴿كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى﴾. الآيات.[١]

وفي رواية أن أبا جهل قال: لئن رأيت محمدا يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه. فبلغ النبيﷺ فقال: لو فعله لأخذته الملائكة.[٢]

هذه حادثة، وحادثة أخرى تجمع إلى أبي جهل غيره من صناديد قريش، بينما رسول اللهﷺ قائم يصلي عند الكعبة وجمع من قريش في مجالسهم إذ قال قائل منهم[٣]:ألا تنظرون إلى هذا المرائي أيكم يقوم إلى جزور آل فلان فيعمد إلى فرثها ودمها وسلاها فيجيء به، ثم يمهله حتى إذا سجد وضعه

---

(١) مسلم ٢١٥٤/٤: كتاب صفات المنافقين، باب قوله: ﴿إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى﴾.

(٢) البخاري ٨٩/٦: كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية﴾.

(٣) هكذا جاء مبهما في بعض الروايات، وقد جاء التصريح به في روايات أخر: ففي البخاري: فقال أبو جهل وناس من قريش(٢٣٤/٣: كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة، وفي كتاب الوضوء٦٥/١ باب إذا ألقي على ظهر المصلى قذر أو جيفة، وفيها: وأبو جهل وأصحاب له جلوس إذ قال بعضهم لبعض ... إلخ)، وفي مسلم: إفراد أبي جهل وحده بالقول(١٤١٨/٣: كتاب الجهاد والسير باب مالقي النبيﷺ من أذى المشركين والمنافقين).

بين كتفيه، فانبعث أشقاهم[1]، فلما سجد رسول الله ﷺ وضعه بين كتفيه، وثبت النبي ﷺ ساجدا، فضحكوا حتى مال بعضهم إلى بعض من الضحك!، فانطلق منطلق إلى فاطمة ـ وهي جويرية ـ فأقبلت تسعى، وثبت النبي، ﷺ ساجداً حتى ألقته عنه، وأقبلت عليهم تسبّهم، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال: «اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، ثم سمى : اللهم عليك بعمرو بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة[2]، وأمية بن خلف[3]، وعقبة بن أبي معيط، وعمارة ابن الوليد».

---

(١) جاء التصريح بعقبة بن أبي معيط في روايات أخرى.(انظر : البخاري٤/٧١: كتاب الجزية والموادعة، باب طرح جيف المشركين في البئر، وفي مناقب الأنصار٤/٢٣٩ : باب مالقي النبيﷺ وأصحابه من المشركين بمكة)، ومسلم ٣/١٤١٩ : الجهاد والسير باب (مالقي النبيﷺ من أذى المشركين والمنافقين).

(٢) هذا هو الصحيح أنه الوليد بن عتبة، وقد جاء في إحدى روايات مسلم: الوليد بن عقبة، قال أبو إسحق: وهو غلط في هذا الحديث.(٣/١٤١٩).

(٣) هذا هو الصحيح، وقد جاء في بعض الروايات بالشك بين أمية أو أبي بن خلف، قال شعبة: أمية أو أبي ـ فهو الشاك ـ لكن جزم البخاري بأمية فقال: والصحيح أمية.

انظر :(البخاري٣/٢٣٤ : في الجهاد والسير،وفي الجزية والموادعة٤/٧١،وفي مناقب الأنصار٤/٢٣٩، ومسلم ٣/١٤١٩).

وقد رويت من طريق سفيان الثوري ولم يشك في أمية. كما في مسلم٣/١٤٢٠، وكذا في البخاري عن طريق سفيان أيضا، لكن وقع عنده أبي بن خلف ٣/٢٣٤، ويوجه ابن حجر هذا على أنه وهم من البخاري أو من شيخه أبي بكر بن عبد الله بن شيبة، ويستدل على أن شيخه أبا بكر أخرج الرواية في مسنده فقال: «أمية»(الفتح١/٣٥١) ثم قال ابن حجر: وأطبق أصحاب المغازي على أن المقتول ببدر «أمية» وعلى أن أخاه «أبيا» قتل بأحد (المصدر السابق١/٣٥١). وهذا هو الذي صوّبه ابن كثير.(السيرة١/٤٦٨).

قال ابن مسعود ـ الراوي ـ فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب قليب بدر، ثم قال رسول الله ﷺ: «واتبع أصحاب القليب لعنه»[1].

وتتجاوز قريش في إيذائها للنبي ﷺ، وهي تحاول قتله أو خنقه وذلك من أشد ما صنعه المشركون به، كما قال عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ وعروة بن الزبير يسأله ويقول: قلت لعبد الله، أخبرني بأشد ماصنع المشركون برسول الله ﷺ، قال: بينما النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه، ودفعه عن النبي ﷺ وقال: أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم.[2]

وقد روى القصة ابن إسحق ـ أيضا ـ لكن بأطول من هذا السياق، وفيها زيادات لم ترد في رواية البخاري المتقدمة، والرواية بتمامها كما رواها

---

(١) البخاري١/١٣١: كتاب الصلاة، باب المرأة تطرح عن المصلي شيئا من الأذى (وقد سبق بيان مواضعه الأخرى في البخاري ومسلم) لكن تنفرد هذه الرواية في البخاري بذكر السابع وهو «عمارة ابن الوليد أما ما عداها فلا تذكره، ويكتفي أبو إسحق ـ وهو أحد الرواة ـ بقوله: ونسيت السابع، أو : وعدّ السابع فلم نحفظه (والذي عده عمرو بن ميمون). لكنه في رواية البخاري ـ في الصلاة ـ وهي التي أوردت ، قد تذكره أبو إسحق، وهي من رواية إسرائيل عن أبي إسحق ـ وهذه الرواية كما يقول الحفاظ ـ غاية في الإتقان للزومه أباه؛ لأنه جده، وقد كان إسرائيل يقول: كنت أحفظ حديث أبي إسحق كما أحفظ سورة الحمد (الفتح١/٣٥١)، أما استشكال من استشكل عدّ عمارة معهم وهو لم يقتل ببدر، فيخرج كلام ابن مسعود ـ بقتلهم في بدر ـ على حمله على الأكثر ويدل عليه أن عقبة بن أبي معيط لم يطرح أيضا في القليب وإنما قتل صبرا بعد رحيلهم عن بدر مرحلة (الفتح ١/٣٥١).

(٢) البخاري ٤/٢٤٠: مناقب الأنصار، باب مالقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة، وفي فضائل أصحاب النبي٤/١٩٧ في مناقب أبي بكر، وفي التفسير٦/٣٤(تفسير سورة المؤمنون) قال ابن حجر : وهذا الذي ذكره ابن عمرو يخالف حديث عائشة: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ والحديث سيأتي: والجمع بينهما أن عبد الله بن عمرو استند إلى مارواه، ولم يكن حاضرا للقصة التي وقعت بالطائف (الفتح ٧/١٦٨).

البيهقي عن الحاكم عن الأصم، عن أحمد بن عبد الجبار، عن يونس، عن محمد بن إسحق، حدثني يحيى بن عروة عن أبيه عروة قال:قلت لعبد الله ابن عمرو بن العاص: ماأكثر مارأيت قريشا أصابت من رسول الله ﷺ فيما كانت تظهره من عداوته؟ فقال: لقد رأيتهم وقد اجتمع أشرافهم يوما في الحجر فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا:ما رأينا مثل ماصبرنا عليه من هذا الرجل قط، سفّه أحلامنا، وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرّق جماعتنا، وسبّ آلهتنا وصرنا منه على أمر عظيم، أو كما قالوا، قال: فبينما هم في ذلك طلع رسول الله ﷺ فأقبل يمشي حتى استلم الركن، ثم مر بهم طائفا بالبيت فغمزوه ببعض القول، فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ، فمضى، فلما مرّ بهم الثانية غمزوه بمثلها، فعرفتها في وجهه، فمضى ، فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها، فقال: «أتسمعون يامعشر قريش؟ أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح» فأخذت القوم كلمته، حتى مامنهم من رجل إلا وكأنما على رأسه طائر وقع، حتى أن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفؤه حتى إنه ليقول: انصرف أبا القاسم راشدا فما كنت بجهول، فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم مابلغ منكم وما بلغكم عنه، حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه! فبينما هم على ذلك طلع رسول الله ﷺ فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فأحاطوا به يقولون: أنت الذي تقول كذا وكذا؟ لما كان يبلغهم من عيب آلهتهم ودينهم، فيقول رسول الله ﷺ: «نعم أنا الذي أقول ذلك»، ولقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجامع ردائه، وقام أبو بكر يبكي دونه ويقول: «ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله» ثم انصرفوا عنه، فإن ذلك لأكبر مارأيت قريشا بلغت منه قط.(١)

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام ٣١٠/١، ومن رواية يونس بن بكير انظر: السير والمغازي لابن إسحق ص/٢٢٩، والسيرة لابن كثير ٤٧١/١ وقد أورد القصة الهيثمي في مجمعه فقال: في الصحيح طرف منه، رواه أحمد وقد صرّح ابن إسحق بالسماع وبقية رجاله رجال الصحيح.(مجمع الزوائد ١٦/٦)، وقول الهيثمي: في الصحيح طرف منه إشارة إلى حديث ابن مسعود المتقدم، وقد أشار البخاري إلى رواية ابن إسحق هذه، واعتبرها متابعة لحديث ابن مسعود٢٤٠/٤، وتوقف ابن حجر عند رواية ابن إسحق هذه فقال: وصلها أحمد من طريق إبراهيم بن سعد، والبزار من طريق بكر ابن سليمان. (انظر الفتح١٦٨/٧).

أما حديث عائشة: «هل أتى عليك يوم كان أشدّ من يوم أحد؟» فسيأتي الحديث عنه عند الحديث عن ذهابه ﷺ للطائف بمشيئة الله.

وتستمر العدواة للنبي ﷺ، وتتنوع وسائل إيذاء المشركين له حيث يلجأون إلى الاستهزاء به، وبما كان ينزل عليه من القرآن، ففي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ولا تجهر بصلاتك ولاتخافت بها﴾.[1] قال: نزلت ورسول الله ﷺ مختف بمكة، كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمع المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾ أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن، ﴿ولا تخافت بها﴾ عن أصحابك فلا تسمعهم ﴿وابتغ بين ذلك سبيلا﴾.[2] وكذا أوردها ابن إسحق مع بعض الاختلاف عن رواية الصحيحين.[3]

وحين اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثا، جاءت إليه امرأة فقالت: يامحمد: إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثا؟! فأنزل الله عز وجل: ﴿والضحى والليل إذا سجى * ماودعك ربك وما قلى﴾.[4]

---

(١) الإسراء آية/١١٠.

(٢) البخاري ٢٢٩/٥: كتاب التفسير (سورة بني إسرائيل) باب ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها، وفي كتاب التوحيد ١٩٦/٨: باب قول الله تعالى: ﴿أنزله بعلمه والملائكة يشهدون﴾ وفي باب: ﴿وأسروا قولكم أو اجهروا به﴾ ٢٠٩/٨، وباب قول النبي ﷺ: «الماهر بالقرآن مع الكرام البررة» «وزينوا القرآن بأصواتكم» ٢١٤/٨. ومسلم ٣٢٩/١: كتاب الصلاة، باب التوسط في القراءة في الصلاة الجهرية بين الجهر والإسرار.

(٣) ابن هشام ٣٣٦/١ = ووجه الاختلاف أن ابن إسحق جعل الجهر بالقرآن والإسرار به من أجل بعض كفار قريش، فلا تجهر بصلاتك فيتفرقوا عنك؛ لأنهم لا يرغبون في الاستماع بشكل مكشوف ولا تخافت بها فلا يسمعها من يحب أن يسمعها ممن يسترق ذلك دونهم لعله يرعوي إلى بعض مايسمع فينتفع به.

(٤) البخاري ٨٦/٦: كتاب التفسير (سورة الضحى).

وكان من أكابر المستهزئين «الأسود بن المطلب بن أسد»[1] وهناك غيره من أكابر المستهزئين ذكرهم ابن إسحق.[2]

وهل بعد أن يقول أبو جهل ـ وهو من المستهزئين ـ أيضا ـ: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم!! فنزلت: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام﴾ الآية.[3]

ولم يكن هذا الإيذاء والاستهزاء قَصْراً على النبي ﷺ، بل نال المسلمين معه من أذى قريش ما نالهم، ويصور ابن عمر رضي الله عنهما حال المسلمين في تلك الفترة ويقول: «كان الإسلام قليلا، فكان الرجل يفتن في دينه، إما قتلوه وإما يعذبوه، حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة..»[4]

وتقول أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ وقد سئلت عن الهجرة: لاهجرة اليوم، كان المؤمنون يفر أحدهم بدينه إلى الله تعالى وإلى رسوله ﷺ مخافة أن يفتن عليه، فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام، واليوم يعبد ربه حيث شاء.[5]

وإذا كان أبو بكر رضي الله عنه ـ وهو وصاحب المنزلة والمكانة في قريش ـ يقول لابن الدّغنّة ـ وقد لقيه عند برك الغماد، فسأله: أين تريد ياأبا بكر؟

---

(١) البخاري٦/٨٣: كتاب التفسير (سورة والشمس وضحاها)، وابن هشام ٢/١٥، ٢٩١. ١/٣١٥، ٣٨٦.

(٢) قال ابن إسحق: وكان عظماء المستهزئين كما حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير: خمسة نفر من قومه: الأسود بن المطلب بن أسد (من بني أسد)، والأسود بن عبد يغوث بن وهب (من بني زهرة)، والوليد بن المغيرة (من بني مخزوم)، والعاص بن وائل (من بني سهم)، والحرث بن الطلاطلة بن عمرو بن الحارث (من بني خزاعة). (سيرة ابن هشام٢/١٥، ١٦).

(٣) البخاري٥/١٩٩: كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك﴾ (الأنفال)، وباب قوله: ﴿وماكان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾ ٥/٢٠٠، ومسلم ٤/٢١٥: كتاب صفات المنافقين، باب قوله تعالى: ﴿وما كان الله ليعذبهم﴾.

(٤) البخاري٥/١٥٧: كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض..﴾ وفي باب: ﴿ماكان الله ليعذبهم﴾ ٥/٢٠٠.

(٥) البخاري ٤/٢٥٣: كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي، ﷺ، وأصحابه إلى المدينة.

فأجابه: أخرجني قومي فأنا أريد أن أسيح في الأرض فأعبد ربي..!![1]

وعند ابن إسحق :فقال أبو بكر: أخرجني قومي وآذوني ، وضيقوا عليّ.[2]

وإذا كان البخاري قد أشار إلى موقف أبي بكر مع النبيﷺ حين حاول الكفار خنقه، فقد شاركه ابن إسحق في ذكر هذه الرواية ـ مع بعض الاختلاف ـ كما سبق ـ ومع ذلك يضيف ابن إسحق قوله: وحدثني بعض آل أم كلثوم بنت أبي بكر أنها قالت: رجع أبو بكر يومئذ وقد صدعوا فرق رأسه مما جبذوه بلحيته، وكان رجلا كثير الشعر.[3]

إذا كان الأمر كذلك مع أبي بكر، فلا شك أن غيره من المسلمين من باب أولى وقد سبق لنا من كان يوثق على الإسلام[4]، بل إن النبي عليه الصلاة والسلام حتى بعد هجرته للمدينة كان يدعو لنفر من المسلمين حبسوا وآخرين استضعفوا فيقول: «اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة[5]، اللهم أنج سلمة بن هشام[6] ، اللهم أنج الوليد بن الوليد[7]،اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين» .متفق عليه.[8]

---

(١) البخاري ٥٨/٣ : كتاب الكفالة، باب جوار أبي بكر في عهد النبيﷺ وعقده، وفي كتاب مناقب الأنصار٢٥٤/٤ :باب هجرة النبيﷺوأصحابه إلى المدينة.

(٢) أخرج ابن إسحق الرواية بتمامها كما ساقها البخاري، وقد صرّح بالتحديث حيث قال: وحدثني الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت.. (ابن هشام٣٩٥/١).

(٣) ابن هشام ٣١١/١.

(٤) انظر: إسلام سعيد بن زيد ـ في هذا الفصل ـ.

(٥) قرشي مخزومي، كان من السابقين الأولين، وهاجر الهجرتين، ثم خدعه أبو جهل إلى أن رجعوه من المدينة إلى مكة، فحبسوه، فكان النبيﷺ يدعو له ومن معه. (الإصابة ١٨٤/٧ ، وفتح الباري٢٢٧/٨).

(٦) من بني مخزوم، وهو أخ لأبي جهل، كان من السابقين، حبسه الكفار عن الهجرة، وآذوه، ففر منهم هو وعياش بن أبي ربيعة، والوليد بن الوليد، فلما علم النبيﷺ بمخرجهم دعا لهم (الإصابة٢٣٦/٤).

(٧) ابن المغيرة: مخزومي ـــ أيضا ـ حضر بدرا مع المشركين فأسر، فافتداه أخواه هشام وخالد، فلما افتدي أسلم، وعاتبوه في ذلك، ولما أسلم حبسه أخواله، فكان النبي ﷺ يدعو له في القنوت. (الإصابة ٣١٦/١٠).

(٨) البخاري١٥/٢ : كتاب الاستسقاء ، باب دعاء النبيﷺ: «اجعلها سنين كسني يوسف»، وفي الأنبياء١٢٢/٤ باب قوله تعالى﴿لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين﴾، وفي التفسير١٧١/٥(آل عمران)باب ليس لك من الأمر شيء، ومسلم٤٦٦/١ ، ٤٦٧ كتاب المساجد باب استحباب القنوت في جميع الصلاة..

وقال ابن إسحق: وحدثني الزبير بن عكاشة بن عبد الله بن أبي أحمد، أنه حدّث أن رجالا من بني مخزوم مشوا إلى هشام بن الوليد ـ حين أسلم أخوه الوليد بن الوليد بن المغيرة وكانوا قد أجمعوا على أن يأخذوا فتية منهم كانوا قد أسلموا، منهم سلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة،قال: فقالوا ـ وخشوا شره ـ: إنا قد أردنا أن نعاتب هؤلاء الفتية على هذا الدين الذي أحدثوا فإنا نأمن بذلك في غيرهم، قال: هذا فعليكم به فعاتبوه وإياكم ونفسه ثم قال:

ألا لا يقتلن أخي عييس   فيبقى بيننا أبدا تلاحي

احذروا على نفسه، فأقسم بالله لئن قتلتموه لأقتلن أشرفكم رجلا، قال: فقالوا: اللهم العنه، من يغرر بهذا الحديث، فوالله لو أصيب في أيدينا لقتل أشرفنا رجلا، فتركوه ونزعوا عنه، قال:وكان ذلك مما دفع الله به عنهم.[١]

وبشكل عام ـ وكما في رواية ابن إسحق ـ فقد تذامرت قريش فيما بينها على من في القبائل منهم من أصحاب رسول الله ﷺ الذين أسلموا معه فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم.[٢]

ويروى لنا ابن إسحق ، حدثني حكيم بن جبير ، عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس : أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب مايعذرون به في ترك دينهم؟ قال: نعم والله، إن كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى مايقدر على أن يستوي جالسا من شدة الضرّ الذي نزل به، حتى يعطيهم ماسألوه من الفتنة، حتى يقولوا له: اللات والعزى إلهك من دون الله؟ فيقول: نعم حتى إن الجعل ليمر بهم فيقولون له:هذا إلهك من دون الله؟ فيقول:نعم،.افتداء منهم ممايبلغون من جهده.[٣]

---

(١) ابن هشام ٣٤٢/١، ٣٤٣.

(٢) المصدر نفسه ٢٨١/١ ، ٣٣٩ ـ وقد ساقه ابن إسحق دون إسناد.

(٣) ابن هشام٣٤٢/١. كما رواها عن ابن إسحق يونس بن بكير. انظر: (المبتدأ تحقيق حميد الله ص/١٧٢).

وإذا صحت هذه الرواية[1] فهي تأكيد للحال التي بلغها المسلمون في مكة.

إيذاء الموالي:

وإذا كانت تلك نماذج من أحوال المسلمين من ذوي النسب والمنعة في مكة، فإن أمر الموالي، ومن لم تكن لهم منعة في قومهم، كان أشد وأنكى.

ومن هؤلاء: بلال، وعمار، وصهيب، وخباب، وأمثالهم ممن وقع عليه الرّق. قال الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ: وسبي عمار، وصهيب، وبلال.[2]

ولهذا حينما قال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لصهيب: «اتق الله ولا تدع إلى غير أبيك»[3]، ردّ عليه قائلا: «مايسرني أن لي كذا وكذا وإني قلت ذلك، ولكنى سرقت وأنا صبي».[4]

وكان خباب ـ كما يقول عن نفسه ـ «رجلا قينا في الجاهلية»، ثم يحكي لنا معاناته مع أحد كفار قريش ويقول: «كان لي على العاص بن

(١) تكلم العلماء في حكيم بن جبير (راويها) وضعفوه..
قال الإمام أحمد: ضعيف منكر الحديث مضطرب، وقال البخاري: كان شعبة يتكلم فيه، وقال النسائي: ليس بالقوي، وقال ابن معين: ليس بشيء، وقال يعقوب بن شيبة: ضعيف الحديث، وقال الدارقطني: متروك، وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث، منكر الحديث، له رأي غير محمود، نسأل الله السلامة، وقال الجوزجاني: حكيم بن جبير كذاب، وقال ابن مهدي: إنما روى أحاديث يسيرة وفيها منكرات، وقال الذهبي: شيعي مقل.
انظر: (التاريخ الكبير للبخاري ١٦/٣، الجرح والتعديل ٢٠١/٣، وتهذيب الكمال للمزي «مخطوط مصور» ٣١٧/١، والميزان ٥٨٣/١، والكاشف ٢٤٨/١، وتهذيب التهذيب ٤٤٥/٢).

(٢) ٣٨/٣: كتاب البيوع، باب شراء المملوك من الحربي وهبته وعتقه.

(٣) كان صهيب يقول: إنه ابن سنان بن مالك بن عبد عمرو بن عقيل، ويسوق نسبا ينتهى إلى النمر ابن قاسط، وأن أمه من بني تميم، وكان لسانه أعجميا، لأنه ربي بين الروم فغلبه عليه لسانهم، وكان يقول لعمر: أما النسب فلو كنت من روثة لانتسبت لها، ولكن كان العرب يسبي بعضهم بعضا فسباني ناس بعد أن عرفت مولدي وأهلي فباعوني فأخذت بلسانهم، وفي رواية: وأما انتسابي إلى العرب فإن الروم سبتني وأنا صغير وإني لا أذكر أهل بيتي. قال الحافظ: وهذه طرق يقوى بعضها ببعض. (الفتح ٤١٣/٤).

(٤) البخاري ٣٩/٣ (سبق).

وائل دين ـ وفي رواية ـ كنت قينا بمكة فعملت للعاص بن وائل السهمي سيفا ـ فأتيته أتقاضاه قال: لاأعطيك حتى تكفر بمحمدﷺ، فقلت: لاأكفر حتى يميتك الله ثم تبعث، قال: دعني حتى أموت وأبعث، فسأوتى مالا وولدا فأقضيك ـ وفي رواية: قال: وإني لميت ثم مبعوث؟قلت:نعم ـ فأنزل الله: ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا * أطّلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا﴾».[1]

وفي رواية ابن إسحق: حتى إذا كان له عليه مال فجاء يتقاضاه، فقال له: ياخباب، أليس يزعم محمد صاحبكم هذا الذي أنت على دينه أن في الجنة مابتغى أهلها من ذهب أو فضة أو ثياب أو خدم؟ قال خباب: «بلى» قال: «فأنظرني إلى يوم القيامة يا خباب حتى أرجع إلى تلك الدار فأقضيك هنالك حقك، فوالله لا تكون أنت وأصحابك يا خباب آثر عند الله مني، ولا أعظم حظا في ذلك فنزلت الآية».[2]

وخباب ـ أيضا ـ هو الذي جاء للنبيﷺ يشكو إليه ماكان يجده وأصحابه من أذى المشركين إذ يقول: «أتيت النبي ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت: ألا تدعو الله لنا، ألا تستنصر لنا؟ فقعد وهو محمر وجهه فقال: «لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد مادون عظمه من لحم أو عصب، مايصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين مايصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت مايخاف إلاالله، والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون».[3]

---

(١) البخاري٣/١٣ : كتاب البيوع، باب ذكر القين والحداد، وفي الإجارة٣/٥٢ :باب هل يؤاجر الرجل نفسه من مشرك في أرض الحرب، وفي الخصومات٣/٩٢ :باب التقاضي، وفي التفسير٥/٢٣٧ :باب قوله: ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا..﴾ الآية، ومسلم٤/٢١٥٣ في صفات المنافقين باب:سؤال اليهود النبيﷺ عن الروح.

(٢) ابن هشام١/٣٨٠= وقد ساقها ابن إسحق دون إسناد.

(٣)البخاري٤/١٧٩ : كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، وفي مناقب الأنصار٤/٢٣٨ :باب مالقي النبيﷺوأصحابه من المشركين بمكة، وفي الإكراه٨/٥٦ :باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر.

أما بلال ـ رضي الله عنه ـ: فقد سبق لنا القول باتفاق رواية الصحيح مع ابن إسحق على كونه رقيقًا، ثم إعتاق أبي بكر له من بين من أعتق[1] وكان يقول لأبي بكر: إن كنت إنما اشتريتني لنفسك، فأمسكني، وإن كنت إنما اشتريتني لله فدعني وعمل الله.[2]

وإذا كان البخاري يروي لنا خبر عتق بلال بهذا الاختصار، فابن إسحق يفصل الأمر مشيراً إلى تعذيب المشركين له قبل عتقه فيقول: «وكان بلال، مولى أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ لبعض بني جمح مولدا من مولديهم، وكان صادق الإسلام طاهر القلب، وكان أمية بن خلف يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى، فيقول وهو في ذلك البلاء: أحد أحد» .[3]

وفي رواية مرسلة عند ابن إسحق: وحدثني هشام بن عروة، عن أبيه قال:« كان ورقة بن نوفل يمر ببلال وهو يعذب بذلك وهو يقول: أحد أحد، فيقول أحد أحد والله يابلال، ثم يقبل على أمية بن خلف ومن يصنع ذلك به من بني جمح فيقول: أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لأتخذنه حنانا[4] ، حتى مرّ به أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوما وهم يصنعون ذلك به، وكانت دار أبي بكر في بني جمح ـ فقال لأمية بن خلف: ألا تتقي الله في هذا المسكين؟حتى متى؟ قال: أنت الذي أفسدته فأنقذه مما ترى، فقال أبو بكر: أفعل، عندي غلام أسود أجلد منه، وأقوى، على دينك، أعطيكه به، قال: قد قبلت، قال: هو لك، فأعطاه أبو بكر الصديق رضي الله عنه غلامه ذلك، وأخذه فأعتقه» .[5]

---

(١) انظر: أوائل المؤمنين ـ من هذا الفصل ـ .٢٦٧

(٢) البخاري ٢١٧/٤ (سبق).

(٣) ابن هشام ٣٣٩/١، ٣٤٠ ـ ذكره ابن إسحق دون إسناد.

(٤) قال السهيلي: الحنان الرحمة، والمعنى: لأتخذن قبره منسكا ومسترحما. (الروض ٢٢٢/٣).

(٥) ابن هشام ٣٤٠/١.

وهذه الرواية مع كونها مرسلة[1] يظهر التعارض بينها وبين رواية الصحيح المتقدمة ـ في الوحي ـ من كون ورقة لم ينشب أن توفي في فترة الوحي، بما يفيد موته قبل إظهار الرسالة، وتعذيب من غذّب من المسلمين، وهذا مانبه إليه الذهبي حينما قال : « ولم يعش ورقة إلى ذلك الوقت»[2].وقال ابن حجر: «ولم ينشب ورقة أن توفي» ، فهذا ظاهره أنه أقر بنبوته، ولكنه مات قبل أن يدعو رسول الله ﷺ الناس إلى الإسلام فيكون مثل بحيرا، وفي إثبات الصحبة له نظر[3]، وإن كان عاد فوضع احتمال الترجيح، أو إمكانية الجمع بين المتعارضين حيث قال: قوله في الحديث «ثم لم ينشب» هذا بخلاف مافي السيرة لابن إسحق أن ورقة كان يمر ببلال وهو يعذب، وذلك يقتضي أنه تأخر إلى زمن الدعوة، وإلى أن دخل بعض الناس بالإسلام، فإن تمسكنا بالترجيح فما في الصحيح أصح، وإن لحظنا الجمع أمكن أن يقال: الواو في قوله«وفتر الوحى»ليست للترتيب فلعل الراوي لم يحفظ لورقة ذكرا بعد ذلك في أمر من الأمور فجعل هذه القصة انتهاء أمره بالنسبة إلى علمه، لا إلى ماهو الواقع[2] .وقال في موطن آخر: والجمع بين هذا وحديث عائشة أن

---

(١) فالإرسال واضح من عروة بن الزبير، وقد ذكره كذلك ابن سيد الناس في عيون الأثر١/١١٤ دون أن يعلق عليه، وقبله ذكره الإمام أحمد في فضائل الصحابة مرسلا أيضا، وأشار محققه إلى ضعف إسناده١/١١٨ كما أخرجه الأصفهاني في الأغاني، المجلد الأول٣/١٥، وأبو نعيم في الحلية١/١٤٧، ١٤٨، و الفسوي في تاريخه٣/٢٥٤ مرسلا أيضا، وابن القيم في زاد المعاد٣/٢٢ دون إسناد، لكن أشار محققه إلى إرساله، وذكره الذهبي مصرحا بإرساله(سير أعلام النبلاء١/٣٥٢) وحينما ذكره عن الليث نسخة هشام جعله من أنكر مافيه وقال: هذا مرسل(٣ل٥٣، ٥٤، ١٤٦) عن فضائل الصحابة١/١١٩، كما ذكره ابن حجر وقال: وهذا مرسل جيد ـ وإن كان قد ذكر خلافه كما سيتضح.(الإصابة١٠/٣٠٥).

(٢) سير أعلام النبلاء ١/٣٥٢.

(٣) الإصابة ١٠/٣٠٤ .

(٤) فتح الباري١/٢٧.

يحمل قوله: « ولم ينشب ورقة أن توفي أي قبل أن يشتهر الإسلام، ويؤمر النبي ﷺ بالجهاد»[1]، ونقل هذا عنه الصالحي(٩٤٢هـ)في سيرته[2]، أما ابن كثير فقد أثار هذا الاستشكال، وكأنه استغربه فقال: وفيه نظر.[3]

وأقول ـ وبالله التوفيق ـ: إن محاولة الجمع بين الروايتين بتلك التأويلات ظاهرة التكلف، ومحتاجة إلى تدعيمها بالأدلة، ولم يكن من ذلك شيء، وقد قال صاحب الأعلام:«وعالج ابن حجر(في الإصابة) التوفيق بين الروايتين فلم يأت بشيء».[4]

على أن الأمر في إثبات الصحبة ـ أصلا ـ لورقة محل نزاع بين العلماء فكيف بشهود تعذيب بلال؟ولهذا ألف البقاعي[5]كتابا بهذا الشأن أسماه:«بذل النصح والشفقة للتعريف بصحبة السيدورقة[6]»شدد الإنكار فيه على من أنكر صحبته.

ولعل من أقوى أدلة القائلين بصحبته وموته على الإسلام، الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد بسنده عن عائشة رضي الله عنها أن خديجة سألت رسول الله ﷺ عن ورقة بن نوفل فقال:«قد رأيته فرأيت عليه ثياب بياض، فأحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بياض» وهذا الحديث حسّن إسناده الحافظ ابن كثير ، لكنه قال: «لكن رواه الزهري وهشام عن عروة مرسلا، فالله أعلم».[7]

---

(١) الإصابة ٣٠٥/١٠.

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد٣٢٧/٢ ، ٤٨٤.

(٣) السيرة النبوية ٤٩٢/١، ٤٩٣.

(٤) انظر: الأعلام للزركلي ١٣١/٩.

(٥) إبراهيم بن عمر الشافعي، نزيل القاهرة، ثم دمشق، عالم. أديب، مفسر، محدث، مؤرخ، له عدة مؤلفات، مات بدمشق سنة٨٨٥هـ. (معجم المؤلفين ٧١/١).

(٦) انظر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر البغدادي (تحقيق عبد السلام هارون)٣٩١/٣.

(٧) انظر: السيرة لابن كثير ٣٩٧/١.

وروى الحافظ «أبو يعلى» بسنده ـ أيضا ـ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ سئل عن ورقة بن نوفل فقال: «قد رأيته فرأيت عليه ثياب بياض في بطنان الجنة، وعليه السندس» وهذا الحديث ـ هو الآخر ـ علّق عليه ابن كثير بقوله: «إسناده حسن، ولبعضه شواهد في الصحيح، والله أعلم».[1]

ويمكن أن يشهد للحديثين السابقين ما أخرجه البزار والحاكم وابن عساكر من حديث عائشة ـ أيضا ـ أن النبي ﷺ قال: « لا تسبوا ورقة فإني رأيت له جنة أو جنتين» وقد صححه الحاكم وقال: على شرط الشيخين[2]. وقال ابن كثير: «وهذا إسناد جيد، وروي مرسلا وهو أشبه.»[3]

وهناك من يقول: إن «حديث رؤية النبي ﷺ لورقة في الجنة حديث منقطع».[4]

وقد نقل «ابن حجر» عن محمد بن عائذ الدمشقي[5] موت ورقة على النصرانية[6]، وإن كان قد ضعّف روايته، فصاحب «المحبّر» يؤكد هذا ويقول: إن ورقة «استحكم في النصرانية، وقرأ الكتب ومات عليها»[7]، وكذا ابن حزم في «الجمهرة» ذكر نصرانية ورقة ولم يذكر له إسلاما.[8]

---

(١) المصدر السابق ١/٣٩٨.

(٢) انظر: المستدرك على الصحيحين ٢/٦٠٩، وانظر حاشية الألباني على فقه السيرة للغزالي، وقد مال إلى تصحيح الحديث ص/١٠٠.

(٣) السيرة النبوية ١/٣٩٨.

(٤) انظر: حاشية الروض الأنف (لعبد الرحمن الوكيل) ٢/٣٥٥.

(٥) ولي خراج الغوطة بدمشق للمأمون، له كتب منها: السير، والمغازي، قال صاحب التقريب: محمد بن عائذ ـ صاحب المغازي ـ صدوق رمي بالقدر، مات سنة ٢٣٣هـ. (تقريب التهذيب ٢/١٧٣، والأعلام للزركلي ٧/٤٨).

(٦) الإصابة ١٠/٣٠٥، ٣٠٦.

(٧) محمد بن حبيب (ت ٢٤٥هـ) المحبّر ص/١٧١.

(٨) جمهرة أنساب العرب ص/١٢٠، ٤٩١.

وابن عساكر يقول:«لاأعرف أحدا قال إنه أسلم»[٩] .وسبق قول ابن حجر»وفي إثبات الصحبة له نظر» .[١٠]

وحتى الذين لم يجزموا بموته على النصرانية أكدوا موته قبل إظهار الدعوة[١] فكيف والحال كذلك يصار إلى إمكانية الجمع بين رواية الصحيح الصريحة في موته في فترة الوحي، ورواية ابن إسحق المؤكدة لشهود تعذيب بلال؟!وعلى فرض تسليمنا بذلك كله، يبقى أمر الإرسال في رواية ابن إسحق عائقا ، وهو وحده كاف لتضعيف الرواية وعدم التعويل عليها وبخاصة أنها تعارض الرواية الصحيحة المسندة.

أما«عمار بن ياسر»فقد ذكر ابن إسحق ماكان يلقاه هو وأبوه وأمه من أذى المشركين فقال:«وكان بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر، وبأبيه، وأمه ـ وكانوا أهل بيت إسلام ـ إذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة، فيمر بهم رسول الله ﷺ فيقول ـ فيما بلغني ـ: «صبرا آل ياسر موعدكم الجنة»[٢] فأما أمه فقتلوها وهي تأبى إلا الإسلام».

---

(١) انظر: حاشية الروض الأنف ٢/٣٥٥.

(٢) الإصابة١٠/٣٠٤.

(٣) انظر: خزانة الأدب للبغدادي٣/٣٩٢، وعبد الرحمن الوكيل في حاشيته على الروض الأنف٢/٣٥٥، والزركلي في الأعلام٩/١٣١.

(٤) ابن هشام١/٣٤٢. وقد رواه ابن إسحق بلاغا ـ كما مر ـ لكن وصله الحاكم عن جابر بن عبد الله٣/٣٨٨ـ٣٨٩ وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وكذا وصله الطبراني في الأوسط ـ كما في مجمع الزوائد٩/٢٩٣. وقال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن عبد العزيز المقوم وهو ثقة، وكذا ذكره الذهبي في سيرته عن هشام الدستوائي عن أبي الزبير عن جابر ص/١٣٧، وأخرجه أبو أحمد الحاكم ـ كما في الإصابة ـ من طريق عقيل عن الزهري عن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر عن أبيه ١٠/٣٣١، وقال الألباني: وهذا سند صحيح من مراسيل الصحابة وهي مقبولة عند العلماء (فقه السيرة للغزالي «الحاشية»)ص/١٠٨، وأخرجه أحمد (رقم ٤٣٩) وأبو نعيم في الحلية١/١٤٠..قال الألباني: فهذه طرق تشهد لصحة الحديث، ولهذا قال: حديث حسن صحيح.(حاشية فقه السيرة ص/١٠٧، وانظر : حاشية زاد المعاد٣/٢٢).

إبطاء قريش بالإسلام ودعاء الرسولﷺ عليهم:

واستمر المشركون في عنادهم، وإيذائهم، فدفع ذلك المسلمين إلى الهجرة إلى الحبشة ـ كما سيأتي بيانه ـ واضطر النبيﷺ معه إلى الدعاء عليهم بعد أن أبطأوا في إجابته.

ففي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن قريشا لما استعصت على النبيﷺ ـ وفي رواية ـ: أن رسول الله ﷺ لما رأى من الناس إدباراً، وفي أخرى أن قريشا لما أبطأوا على النبيﷺ، وفي رواية رابعة: أن قريشا لما غلبوا النبيﷺ واستعصوا عليه، وفي رواية خامسة: لما دعا قريشا كذبوه واستعصوا عليه، دعا عليهم وقال: «اللهم أعنى عليهم بسبع كسبع يوسف، فأخذتهم سنة فحصّت كل شيء، حتى أكلوا الميتة والجلود، حتى جعل الرجل يرى بينه وبين السماء دخانا من الجوع، فأتاه أبو سفيان فقال: يامحمد، إنك تأمر بطاعة الله، وبصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا فادع الله لهم، قال الله تعالى:﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ إلى قوله: ﴿..عائدون يوم نبطش البطشة الكبرى..﴾[1]

وإذا كانت بعض الروايات لا تكشف لنا دعاء الرسولﷺ لهم مرة أخرى أن يكشف الله مانزل بهم من ضر، فبعضها الآخر يكشف هذا ويذكر معه أنهم عادوا مرة أخرى إلى حالهم حين أ صابتهم الرفاهية ، حتى انتقم الله منهم في بدر، والروايات جاءت هكذا : فأتي رسول الله ﷺ فقيل يارسول:

---

(١) البخاري١٥/٢ : كتاب الاستسقاء، باب دعاء النبي ﷺ اجعلها عليهم سنين كسني يوسف، وفي باب إذا استشفع المشركون بالمسلمين عند القحط١٩/٢ ، وفي كتاب التفسير٣٢/٦(سورة ص)باب: ﴿وما أنا من المتكلفين﴾، وفي سورة يوسف٢١٧/٥ باب: ﴿وراودته التي هو في بيتها عن نفسه﴾، وفي سورة الروم١٩/٦ ، و في الدخان باب قوله تعالى: ﴿يغشى الناس هذا عذاب أليم﴾ ٣٩/٦ ، وباب قوله تعالى:﴿ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون﴾ ٦/ ٤٠ ، وباب: ﴿أني لهم الذكرى﴾ ٤٠/٦ ، وباب: ﴿ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون﴾ ٦/ ٤٠ ، ٤١ ، وفي الدعوات ١٦٤/٧ :باب الدعاء على المشركين، ومسلم كتاب صفة المنافقين باب الدخان٢١٥٥/٤ـ٢١٥٧ ، وفي المساجد مختصرا«٤٦٧/١ .

استسق الله لمضر فإنها قد هلكت، قال: «لمضر؟ إنك لجريء»، فاستسقى فسقوا، فنزلت: ﴿إنكم عائدون﴾ فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم حين أصابتهم الرفاهية، فأنزل الله عز وجل: ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون﴾، يعني يوم بدر.[1]

وفي رواية: ﴿قالوا ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون﴾، فقيل له: إن كشفنا عنهم عادوا، فدعا ربه فكشف عنهم فعادوا، فانتقم اللهمنهم يوم بدر، فذلك قوله تعالى:﴿يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ إلى قوله جل ذكره: ﴿إنا منتقمون﴾.[2]

وفي رواية: فعادوا في كفرهم فأخذهم الله يوم بدر.[3]

ولعله تمسك بهذا من قال بتكرار دعائه عليهم مرتين إحداهما في مكة، والأخرى في المدينة.[4]

---

(١) البخاري٦/٣٩(وقد سبق)، ومسلم٤/٢١٥٧ لكن بلفظ:«استغفر الله لمضر»بدل استسق.

(٢) البخاري٦/٤٠(سبق).

(٣) البخاري٦/١٩، ٣٢(سبقت).

(٤) قال ابن حجر: أفاد الدمياطي أن ابتداء دعاء النبي ﷺ على قريش بذلك كان عقب طرحهم على ظهره سلا الجزور، وكان ذلك بمكة قبل الهجرة، وقد دعا النبي ﷺ عليهم بذلك بعدها بالمدينة في القنوت.(الفتح٢/٥١١).

الهجرة إلى الحبشة

وهي أول هجرة كانت في الإسلام، ذكره ابن إسحق.[1]

أسباب الهجرة ، ودوافعها:

تتفق رواية الصحيح، مع ابن إسحق في كون الابتلاء في الدين هو السبب في هجرة المسلمين.

ففي البخاري: «فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجرا نحو أرض الحبشة».[2]

ويقول ابن إسحق: «فلما رأى رسول الله ﷺ مايصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية، لمكانه من الله، ومن عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء قال لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم مخرجا مما أنتم فيه».[3]

وفي رواية يونس عن ابن إسحق: «فلما اشتد البلاء وعظمت الفتنة تواثبوا على أصحاب رسول الله ﷺ، وكانت الفتنة الآخرة التي أخرجت من كان هاجر من المسلمين بعد الذين كانوا خرجوا قبلهم إلى أرض الحبشة».[4]

وإذا كان ذلك سبب الهجرة فإن الدافع لها رضا الله والفرار إليه بالدين، وفي هذا قالت أسماء بنت عميس رضي الله عنها ـ وهي إحدى المهاجرات ـ:

---

(١) ابن هشام ٣٤٣/١.

(٢) ٥٨/٣: كتاب الكفالة، باب جوار أبي بكر في عهد النبي ﷺ وعقده، وفي كتاب مناقب الأنصار ٢٥٤/٤، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة.

(٣) ابن هشام ٣٤٣/١.

(٤) السير والمغازي لابن إسحق ـ تحقيق سهيل زكار ـ ص/٢١٣.

«كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم، ويعظ جاهلكم،وكنا في دار البعداء البغضاء بالحبشة، وذلك في الله وفي رسوله».[1]

وأبو بكر رضي الله عنه حين سأله«ابن الدّغنة» أين تريد ياأبا بكر؟أجابه قائلاً:«أخرجني قومي، فأريد أن أسيح في الأرض، وأعبد ربي».[2]

وابن إسحق يقول في السيرة:«فخرج المسلمون إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة، وفراراً إلى الله بدينهم».[3]

أصحاب الهجرة الأولى، وأوائل المهاجرين:

عدّ ابن إسحق عشرة من الرجال، وأربع نسوة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة فقال: أول من خرج من المسلمين ـ من بني أمية ـ عثمان بن عفان، معه امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ، ومن بني عبد شمس أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، معه امرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو، ومن بني أسد: الزبير بن العوام، ومن بني عبد الدار: مصعب بن عمير، ومن بني زهرة: عبد الرحمن بن عوف، ومن بني مخزوم: أبو سلمة بن عبد الأسد، معه امرأته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة، ومن بني جمح: عثمان ابن مظعون، ومن بني عدي: عامر بن ربيعة، معه امرأته ليلى بنت أبي حثمة، ومن بني عامر: أبو سبرة بن أبي رهم، ويقال: بل أبو حاطب[4] بن عمرو، ومن بني الحرث: سهيل بن بيضاء.[5]

---

(١) البخاري ٥/٨٠: كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ومسلم٤/١٩٤٦ :كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل جعفربن أبي طالب وأسماء بنت عميس.

(٢) البخاري٣/٥٨ : الكفالة(سبق)وفي مناقب الأنصار٤/٢٥٤(سبق).

(٣) ابن هشام١/٣٤٣. وانظر الجزء المطبوع من سيرة ابن إسحق تحقيق سهيل زكار ص ٢١٣.

(٤) هو نفسه حاطب بن عمرو بن عبد شمس، فمرة يسمى بحاطب، ومرة بأبي حاطب انظر: الإصابة ٢/١٩٤، ١١/٧٧.

(٥) ابن هشام١/٣٤٤، ٣٤٥=قال ابن هشام: وبلغني أنه كان عليهم عثمان بن مظعون، وقال ابن حجر ـ معلقا على ماذكره ابن إسحق ووافقه الواقدي في سردهن(أي النساء)وزاد اثنين عبدالله ابن مسعود وحاطب بن عمرو.فالصواب ماقال ابن إسحق أنه اختلف في الحادي عشر هل هو أبو سبرة، أو حاطب.(الفتح٧/١٨٩).

وإذا جاز لنا أن نفهم من ابن إسحق أن عثمان بن عفان أول من هاجر من هؤلاء[1]، فإن البخاري يصدّر أحاديث هجرة الحبشة بحديث هجرة عثمان بن عفان، وكأنها إشارة منه إلى كونه أول من هاجر كما فهم ذلك بعض الشرّاح للصحيح.[2]

أصحاب الهجرة الثانية:

قال ابن إسحق: ثم خرج جعفر بن أبى طالب رضي الله عنه، وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة، فكانوا بها، فيهم من خرج بنفسه لاأهل له معه.

ثم ذكرالمهاجرين، وأنسابهم وفيهم العشرة الذين سبقت الإشارة إليهم ثم قال في الأخيره: فكان جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين سوى أبنائهم الذين خرجوا معهم صغارا وولدوا بها ثلاثة وثمانين رجلا ـ إن كان عمار بن ياسر فيهم[3] ـ وهو ـ ابن إسحق ـ يشك فيه.[4]

وسأذكر هنا من جاء ذكرهم في الصحيحين ـ من أصحاب الهجرتين ـ مشيرا إلى بعض الفروق بين ماجاء فيها وماذكره ابن إسحق.

---

(١) انظر:ابن هشام١/٣٤٤، وابن عبد البر في الدرر ص/٢١، وابن كثير في السيرة٢/٤، وابن حجر في الفتح٧/١٨٨.

(٢) ابن حجر: الفتح ٧/١٨٨ = وهذا خلاف ماجزم به الزهري من كون«حاطب بن عمرو» أول من هاجر، كما نقله عنه الحافظ في الإصابة٢/١٩٤ ولم أجده في مغازي الزهري في حديثه عن هجرة الحبشة ص/٩٦.

(٣) ابن هشام ١/٣٥٣ = قال السهيلي:والأصح عند أهل السير كالواقدي وابن عقبة وغيرهما أنه لم يكن فيهم(الروض الأنف٣/٢٢٨)، وذكر ابن عبد البر هجرته إلى الحبشة في الاستيعاب(النسخة الملحقة الإصابة ٨/٢٢٦).

(٤) انظر: الجزء المطبوع من سيرة ابن إسحق، تحقيق سهيل زكار ص١٧٧ ، ابن هشام ١/٣٤٥ ـ٣٥٣.

وأبدأ ـ مشيرا إلى إثبات الهجرتين ـ الأولى والثانية ـ للحبشة، ففي البخاري ينعت عثمان رضي الله عنه ـ من بين مايذكره له من فضائل ـ ويقال له: وهاجرت الهجرتين الأوليين.[1]

وإذا كان ابن إسحق ـ قد ذكره في الهجرتين ـ فهذا يعني التوافق بين رواية ابن إسحق وما في الصحيح.

وأبو سلمة، وزوجه أم سلمة، رضي الله عنهما، من المهاجرين للحبشة، ففي مسلم: أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ بيت أبي سلمة[2]، وفي الصحيحين أن أم سلمة، وأم حبيبة ذكرتا للنبي ﷺ كنيسة رأينها بأرض الحبشة.[3]

وقد ذكر ابن إسحق أبا سلمة وزوجه في المهاجرين الأولين للحبشة كما سبق، أما أم حبيبة فقد ذكرها في من هاجر بعد ذلك (الهجرة الثانية) بصحبة زوجها «عبيد الله بن جحش».[4]

وممن اتفق الشيخان مع ابن إسحق على ذكر هجرتهم إلى الحبشة عبد الله ابن مسعود[5] وقد ذكره ابن إسحق من أصحاب الهجرة الثانية ـ كما في

---

(١) ٢٤٤/٤ (سبق)=قال ابن حجر: الأوليين: تثنية أولى، وهو على طريق التغليب بالنسبة إلى هجرة الحبشة فإنها كانت أولى وثانية، وأما إلى المدينة فلم تكن إلا واحدة.(الفتح ١٨٩/٧).

(٢) ٦٣٢/٢: كتاب الجنائز، باب تلقين الموتى لاإله إلا الله = قال عبد الباقي(محقق مسلم) معلقا على حديث أبي سلمة هذا: فهو أول من هاجر بأهله إلى أرض الحبشة ثم إلى المدينة(٦٣٢/٢).

(٣) البخاري ١١٠/١: كتاب الصلاة، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية وفي الجنائز ٩٣/٢: باب بناء المساجد على القبر، ومسلم ٣٧٥/١: كتاب المساجد ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور.

(٤) ابن هشام ٣٤٦/١.

(٥) البخاري ٢٤٥/٤: مناقب الأنصار (سبق)، ومسلم ٣٨٢/١: كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة.

رواية البكائي ونقله ابن هشام[1] وهذا هو المشهور[2] لكنه في رواية يونس بن بكير عده من المهاجرين الأولين، ولم يذكره في من لحق بهم من أصحاب الهجرة الثانية.[3]

وجعفر بن أبي طالب، وزوجه «أسماء بنت عميس» ففي صحيح مسلم قال جعفر لأبي موسى ومن قدم معه الحبشة: إن رسول الله ﷺ بعثنا هنا، وأمرنا بالإقامة، فأقيموا معنا، فأقمنا معه، حتى قدمنا جميعا.[4]

وأقام جعفر وزوجته أسماء بالحبشة إلى فتح خيبر فقدم على النبي ﷺ فقسم له ومن معه من غنائمها، ولم يقسم لأحد لم يشهدها سواهم[5] بل اعتبر لهم وأصحاب سفينتهم هجرتان ـ كما سيأتي بيانه عند الحديث عن الهجرة للمدينة ـ بمشيئة الله.

وابن إسحق ذكر هجرة جعفر وزوجه في الهجرة الثانية للحبشة، ذلك لأنه لم يذكره من بين العشرة الذين عدّهم في الهجرة الأولى ـ كما سبق ـ وعلى هذا اشتهر هجرة جعفر في الثانية.[6]

---

(١) ابن هشام١/٣٤٨.

(٢) خلافا لما ذكره الواقدي حيث عدّه من أصحاب الهجرةالأولى (الفتح٧/١٨٩)، وابن القيم في زاد المعاد٣/٢٣، ويؤيد كونه في الهجرة الثانيةما أخرجه أحمد، والطبراني بإسناد حسن عن ابن مسعودقال: بعثنا النبيﷺ إلى النجاشي ونحن نحو من ثمانين رجلا فيهم عبد الله بن مسعود، وجعفر بن أبي طالب.(انظر: مجمع الزوائد٦/٢٤ـ ٢٧)و(الفتح٧/١٨٩)، وانظر: عيون الأثر ١/١١٦ ودلائل النبوة للبيهقي ٢/٢٩٨.

(٣) انظر: السير والمغازي(تحقيق سهيل زكار)ص/١٧٦، ٢٢٨ ولم يذكره هنا في بني زهرة ولا في حلفائهم من هذيل.

(٤) ٤/١٩٤٦: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل جعفر بن أبي طالب وأسماء بنت عميس وأهل سفينتهم.

(٥) البخاري٥/٨٠، ٨١: كتاب المغازي، غرفة خيبر، ومسلم٤/١٩٤٦.

(٦) انظر: مغازي عروة بن الزبيرص/١١١، وابن سعد في طبقاته ٤/٣٤، وابن الجوزي في صفة الصفوة١/٥١١، وابن عبد البر في الدررص/٢٢، وابن سيد الناس في عيون الأثر١/١٦٦، والبيهقي في دلائل النبوة٢/٢٨٦، ٢٩٣، وهو يرى أن جعفراً وأصحابه تأخروا عن الهجرة حتى رجع المهاجرون الأولون إلى مكة حين نزلت سورة النجم، وانظر: الأعلام للزركلي٢/١١٨.

لكن ابن كثير يفهم من ابن إسحق غير هذا حيث يقول: وزعم موسى ابن عقبة أن خروج جعفر إنما كان في الهجرة الثانية، وذلك بعد عودة بعض من كان خرج أولا، حين بلغهم أن المشركين أسلموا، إلى أن يقول: وماذكره ابن إسحق من خروجه في الرعيل الأول أظهر، لكنه كان في زمرة ثانية من المهاجرين أولا.[١]

كما تعقب ابن إسحق ابن كثير في كونه ذكر من رواية يونس بن بكير أن الذي كان يكلم النجاشي عثمان بن عفان، ثم قال: والمشهور أن جعفراً هو المترجم.[٢]

وهذا الذي ذكره ابن كثير ـ عليه رحمة الله ـ فيه نظر، ذلك لأن ابن إسحق في رواية البكائي عنه ـ وهي المشهورة ـ ذكر أن المتحدث عن المسلمين مع النجاشي جعفر[٣] وحتى رواية يونس بن بكير عنه وإن كان ذكرها ابن إسحق[٤] فقد عقّب عليها ـ من رواية يونس أيضا ـ بقوله: وليس كذلك إنما كان يكلمه جعفر بن أبي طالب.[٥]

ويتفق ابن إسحق مع الصحيحين في ذكر أبي موسى الأشعري في عداد المهاجرين للحبشة، لكنهما يختلفان في المكان الذي هاجر منه، هل كان من اليمن كما في الصحيحين، أو كان خروجه من مكة كما يفهم من سياق رواية ابن إسحق.

---

(١) السيرة النبوية٢/٦.
(٢) السيرة لابن كثير ٢/٢٧.
(٣) ابن هشام ١/٣٥٨.
(٤) السير والمغازي لابن إسحق(تحقيق سهيل زكار) ص/٢١٨.
(٥) المصدر نفسه ص/٢١٨.

ففي الصحيحين جاءت الرواية ـ في هجرة أبي موسى ومن معه ـ هكذا ـ:
عن أبي موسى قال: «بلغنا مخرج النبيﷺ ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لي، أنا أصغرهما، أحدهما أبو بردة، والآخر أبورهم، إمّا قال بضع، وإما قال في ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلا من قومي، فركبنا سفينة، فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده، فقال جعفر: إن رسول اللهﷺ بعثنا هاهنا، وأمرنا بالإقامة، فأقيموا معنا، فأقمنا معه حتى قدمنا جميعا، فوافقنا النبيﷺ حين افتتح خيبر».[1]

أما ابن إسحق فقد ذكر أبا موسى فيمن هاجرمن مكة إلى أرض الحبشة.[2]، ولهذا قال ابن كثير: وذكر ابن إسحق أبا موسى الأشعرى فيمن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة غريب جدا[3]، وقال في موطن آخر: «ولايلتفت إلى قول ابن إسحق في جعله له من المهاجرة إلى أرض الحبشة من مكة».[4]

وقد وقف العلماء ـ قديما ـ حول هذا الإشكال بين مافي الصحيحين، وعند ابن إسحق، لاسيما وأن الأمر ليس قصراً على ابن إسحق، فقد أخرج الإمام أحمد ـ بسند جيد ـ ما يقتضي أن أبا موسى كان في من هاجر من مكة إلى أرض الحبشة.[5] قال ابن كثير ـ معلقا ـ وهذا إسناد جيد قوي، وسياق حسن، إن لم يكن مدرجا من بعض الرواة والله أعلم.[6]

---

(١) البخاري ٥/ ٨٠، ٨١: المغازي (سبق)، ومسلم ١٩٤٦/٤(سبق).

(٢) انظر: ابن هشام ٣٤٦/١.

(٣) السيرة النبوية ٢/ ٩ .

(٤) المصدر نفسه ٢٤٨/١ .

(٥) المسند ٤٦١/١(ط. المكتب الإسلامي، دار صادر بيروت).

(٦) السيرة النبوية ١١/٢ .

وأخرج أبو نعيم في دلائله، والبيهقي بسنديهما عن أبي موسى قال: «أمرنا رسول الله ﷺ أن ننطلق مع جعفر إلى أرض النجاشي».[1]

قال الحافظ البيهقي: وهذا إسناد صحيح، وظاهره يدل على أن أبا موسى كان بمكة، وأنه خرج مع جعفر بن أبي طالب، رضى الله عنه، إلى أرض الحبشة، والصحيح عن يزيد بن عبد الله بن أبي بردة عن جده أبي بردة، عن أبي موسى «أنه بلغهم مخرج رسول الله ﷺ وهم باليمن فخرجوا مهاجرين في بضعة وخمسين رجلا في سفينة فألقتهم سفينتهم إلى النجاشي بالحبشة» إلى أن يقول: فأبو موسى شهد ماجرى بين جعفر وبين النجاشي، فأخبر عنه، ولعل الراوي وهم في قوله أمرنا رسول الله ﷺ أن ننطلق. والله أعلم.[2]

واحتمال وهم الراوي هذا الذي ذكره البيهقي، قال به غير البيهقي كالذهبي[3] كما أنكر هجرة أبي موسى من مكة ابن حزم[4] وابن سيد الناس.[5]

وقبل هؤلاء أنكر الواقدي على ابن إسحق ذكره لهجرة أبي موسى، وتبعه غيره من أهل السير وقالوا: كيف يخفى ذلك على ابن إسحق، أوعلى من دونه ؟.[6]

---

(١) دلائل النبوة لأبى نعيم (نشر عالم الكتب ، بيروت)ص /٨٤، ودلائل النبوة للبيهقي٢/٢٩٩ .

(٢) دلائل النبوة ٢/ ٣٠٠ .

(٣) السيرة النبوية ص/ ١١٧ .

(٤) جوامع السيرة ص/٥٨ .

(٥) عيون الأثر ١/ ١١٨ .

(٦) انظر: زاد المعاد لابن القيم ٣/ ٢٨، وانظر: إنكار ابن عبد البر لهجرة أبي موسى من مكة في الدرر ص/ ٢٥ .

لكن ابن القيم يدافع عن ابن إسحق ويقول: إن ابن إسحق لم يقل إن أبا موسى هاجر من مكة إلى أرض الحبشة لينكر عليه.[1]

وقد حاول ابن حجر الجمع بين القولين[2]، وتبعه الصالحي في سيرته[3]،ورضي هذا الجمع بعض الباحثين المحدثين فقالوا به.[4]

وعلى كل حال فتتفق روايات الصحيحين مع ابن إسحق في كون أبي موسي ومن معه عادوا مع جعفر ومن كان معه إلى المدينة يوم افتتح النبيﷺ خيبر.[5]

وتكاد رواية ابن إسحق تتفق مع رواية الصحيحين في ذكر ماهمَّ به أبو بكر من الهجرة لأرض الحبشة، لولا مافي البخاري من زيادة حسنة[6]، وإيضاح وتفصيل لبعض ماأجمله ابن إسحق، وإليك رواية البخاري عن عائشة في حديث الهجرة الطويل.[7] قالت: «فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجرا نحو أرض الحبشة حتى بلغ برك الغماد[8] لقيه ابن الدغنة ـ وهو سيد القارة ـ فقال أين تريد ياأبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي فأريد

---

(١) المصدر نفسه ٢٨/٣ .

(٢) فقال:«ويمكن الجمع بأن يكون أبو موسى هاجر أولا إلى مكة فأسلم ، فبعثه النبيﷺ مع من بعث إلى الحبشة فتوجه إلى بلاد قومه وهي مقابل الحبشة من الجانب الشرقي ، فلما تحقق استقرار النبيﷺ وأصحابه بالمدينة هاجر هو ومن أسلم من قومه إلى المدينة فألقتهم السفينة لأجل هيجان الريح إلى الحبشة، فهذا محتمل، وفيه جمع بين الأخبار فليعتمد». (الفتح١٨٩/٧).

(٣) سبل الهدى والرشاد ٥٣٣/٢ .

(٤) سليمان السعود في جمعه لأحاديث الهجرة(أطروحة ماجستير من الجامعة الإسلامية عام١٤٠١/١٤٠٢هـ ص٥٠)

(٥) البخاري ٨٠/٥، ٨١(سبق) ، ومسلم ١٩٤٦/٤(سبق)، وابن هشام في السيرة ٤١٤/٣، ٤١٦ .

(٦) وقد انتبه إلى ذلك الحافظ ابن كثير فنصّ عليها. انظر: السيرة النبوية ٦٤/٢ .

(٧)سيأتي بتمامه ـ إن شاء الله ـ حين الحديث عن الهجرة .

(٨)برك الغماد: بكسر الغين المعجمة، وقيل: بضمها ، والكسر أشهر: موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر، وقيل : بلد باليمن. (معجم البلدان: لياقوت ٣٩٩/١).

أن أسيح في الأرض[1] وأعبد ربي، فقال ابن الدغنة: فإن مثلك ياأبا بكر لا يخرج ولايخرج، إنك تكسب المعدوم، فأنا لك جار، ارجع واعبد ربك ببلدك، فرجع وارتحل معه ابن الدغنة، فطاف ابن الدغنة عشية في أشراف قريش فقال لهم: إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج، أتخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم، فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغتة، وقالوا لابن الدغنة: مر أبا بكر فليعبد ربه في داره، فليصل فيها، وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن، فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا، إلى أن رد عليه أبو بكر جواره ورضي بجوار الله وأري النبي ﷺ دار الهجرة» (المدينة).[2]

وفي رواية أخرى عند البخاري لكنها مختصرة : عن عائشة أيضا قالت: هاجر إلى الحبشة رجال من المسلمين، وتجهز أبو بكر مهاجرا فقال النبيﷺ: «على رسلك فإني أرجو أن يؤذن لي ..» الحديث[3]، وفيه دلالة ـ بالإضافة إلى ماقبله ـ على استمرار الهجرة للحبشة إلى حين الهجرة للمدينة.

أما ابن إسحق فحديثه عن هجرة أبي بكر للحبشة جاء مسندا[4] وهو كما قلت قريب من سياق البخاري، وإن كان أجمل بعض مافصله البخاري.[5]

---

(١) قال ابن حجر: لعل أبا بكر طوى عن ابن الدغنة تعيين جهة قصده لكونه كان كافرا، وإلا فقد تقدم أن قصده التوجه إلى أرض الحبشة، ومن المعلوم أنه لا يصل إليها من الطريق التي قصدها حتى يسير في الأرض وحده زمانا فيصدق أنه سائح، لكن حقيقة السياحة أن لايقصد موضعا بعينه يستقر فيه.(الفتح٧/٢٣٣)

(٢) ٤/٢٥٤ (سبق).

(٣) ٧/٣٩ : كتاب اللباس، باب التقنّع .

(٤) انظر: سيرة ابن هشام ١/٣٩٤، ٣٩٥ وإسناده : حدثني محمد بن مسلم الزهري، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنهما، فرجال السند موثقون وابن إسحق صرحّ بالتحديث.

(٥) فمثلا لم يأت ابن إسحق على ذكر الحبشة ـ في هذه الرواية ـ إطلاقا بل ذكر ما نال أبا بكر من الأذى وأنه استأذن رسول الله ﷺ في الهجرة، كما أنه أجمل موقف أبي بكر حين اشترطت قريش على ابن الدغنة مااشترطت في تخفي أبي بكر بعبادته وعدم استعلائه بذلك ـ كما فصّله البخاري ـ بل لم يذكر ابن إسحق اشتراط قريش على ابن الدغنة حين أعلن لقريش رغبته في إجارته له، واكتفي بإنكار قريش عليه حين رأت نساءهم تعجب به وتجتمع إليه.

ومن جاء ذكرهم في الصحيحين من أهل الحبشة: أم خالد بنت خالد[1] وهي التي كانت تقول:قدمت من أرض الحبشة وأنا جويرية فكساني رسول الله ﷺ خميصة لها أعلام،فجعل رسول الله ﷺ يمسح الأعلام بيده ويقول: «سناه سناه». قال الحميدي: يعني حسن حسن.[2]

وقد ذكرها ابن إسحق في من ولد بأرض الحبشة.[3]

ذلك ماأمكن الوقوف عليه في الصحيحين ممن ذكر له هجرة إلى الحبشة، وهذا لايعني حصرهم في من جاء ذكرهم، بل هناك غيرهم، ولهذا ورد في البخاري: هاجر إلى الحبشة رجال من المسلمين[4] بهذا العموم والإطلاق، وابن إسحق عدّ من هاجر ـ كما سبق ـ.

عودة المهاجرين وقصة الغرانيق:

جاء في صحيح البخاري أن النبي ﷺ حين قال: أريت دار هجرتكم (للمدينة) فهاجر من هاجر قبل المدينة، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة.[5]

فهذا نص من صحيح البخاري يفيد عودة المهاجرين للحبشة حين هاجر المسلمون إلى المدينة.[6]

---

(١) هي أمه بنت خالد بن سعيد بن العاص، ومشهورة بكنيتها «أم خالد» ولدت لأبيها في الحبشة من زوجته أميمة ـ ويقال همنية ـ بنت خلف الخزاعية، تزوجها الزبير بن العوام وولدت له عمرا، وخالدا ـ وبها كانت تكنى ، دعا لها النبي ﷺ حين ألبسها الحلّة، فقيل لم تعش امرأة ماعاشت. (الاستيعاب «الملحق بالإصابة»١٢/٢١٥ ، والإصابة ١٢/١٣١).

(٢) البخاري٤/٢٤٥ : مناقب الأنصار (سبق).

(٣) ابن هشام ١/٣٤٦ .

(٤) ٧/٣٩(سبق).

(٥) ٤/٢٤٤ ، ٢٥٥(وقد سبقت) .

(٦) قال ابن حجر: وهذا السبب في مجيء مهاجرة الحبشة غير السبب المذكور في مجيء من رجع منهم أيضا في الهجرة الأولى. لأن ذاك كان بسبب سجود المشركين مع النبي ﷺ.. إلخ (الفتح ٧/٢٣٤).

وهذا العموم الذي ذكرته رواية البخاري في عودة أهل الحبشة، يستثني منه جعفر ومن كان معه ممن قدموا في فتح خيبر ـ كما سبقت الإشارة إليه[1]، لكن ألم يكن لمهاجرة الحبشة عودة إلى مكة قبل الهجرة للمدينة؟ذلك ما نجده عند ابن إسحق حين يقول: وبلغ أصحاب رسول الله ﷺ الذين خرجوا إلى أرض الحبشة إسلام أهل مكة، فأقبلوا لما بلغهم ذلك، حتى إذا دنوا من مكة بلغهم أن ماسبق أن تحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلا، فلم يدخل منهم أحد إلا بجوار أو مستخفيا[2] وهذا الذي ذكر ابن إسحق من توهم إسلام أهل مكة وتشير إليه رواية الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ سجد «بالنجم» وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس[3]، على أن هناك رواية أخرى ـ عند ابن إسحق ـ لم يروها «البكائي» عنه، وإنما رواها يونس بن بكير عن ابن إسحق ـ دون إسناد ـ وفيها ذكر قصة الغرانيق حيث جاء فيها: «فأقام مهاجرة الحبشة حتى بلغهم أن أهل مكة قد أسلموا وسجدوا، وذلك أن سورة النجم أنزلت على رسول الله ﷺ، فقرأها رسول الله ﷺ، فأنصت إليها كل مسلم ومشرك حتى انتهى إلى قوله تعالى: ﴿أفرأيتم اللات والعزى﴾ فأصاخوا له، والمؤمنون يتصدقون[4]، وارتد ناس حين سمعوا سجع الشيطان فقال: والله لنعبدهن

---

(1) وانظر: الفتح ٢٣٤/٧.

(2) ابن هشام ٣٨٨/١.

(3) البخاري ٣٢/٢: الكسوف، باب سجدة النجم، وفي مناقب الأنصار ٢٣٩/٤، وفي تفسير سورة النجم ٥٢/٦، ومسلم ٤٠٥/١ كتاب المساجد، باب سجود التلاوة.

(4) وفي بعض النسخ: مصدقون (انظر سهيل زكار محقق السير والمغازي لابن إسحق ص/١٧٧).

ليقربونا إلى الله زلفى، وعلم الشيطان بتيك الآيتين كل مشرك، وذلت بها ألسنتهم، وكبر ذلك على رسول الله ﷺ حتى أتاه جبريل عليه السلام، فشكا إليه هاتين الآيتين ومالقي من الناس فيهما، فتبرأ جبريل عليه السلام منهما وقال: لقد تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله عز وجل، وقلت ما لم يقل لك، فحزن رسول الله ﷺ حزنا شديدا وخاف، فأنزل الله عز وجل تعزية له: ﴿وماأرسلنا من قبلك من رسول ولانبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته﴾ إلى قوله: ﴿عليم حكيم﴾ سورة الحج ٥٢.[١]

ورواية ابن إسحق هذه ـ كما قدمت ساقها ابن إسحق دون إسناد، وفيها زيادة على رواية الصحيحين، وعلى رواية البكائي عن ابن إسحق أيضا.

وقد ذكر ابن جرير ـ في تفسيره وتاريخه ـ رواية أخرى عن ابن إسحق، عن يزيد بن زياد المدني عن محمد بن كعب القرظي ـ وفيها ذكر القصة[٢] ـ لكن الرواية مرسلة من القرظي وفيها عنعنة ابن إسحق.[٣]

وبالجملة فقد تعددت روايات وطرق القصة، حتى جمع لها بعض الباحثين[٤] عشرة طرق، وكلها مرسلة، ماعدا طريقا واحدا أسند إلى ابن عباس ـ وفيه مقال كما سيأتي بيانه ـ وأشير إلى هذه الطرق باختصار وهي كما يلي:

عن سعيد بن جبير[٥]،وعن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث [٦]وأبي العالية[٧] ومحمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس[٨]وعن قتادة[٩]، وعروة

(١) السير والمغازي لابن إسحق: تحقيق سهيل زكار ص ١٧٧/، ١٧٨ .
(٢) تفسير الطبري ١٣١/١٧، ١٣٢، وتاريخه (الأمم والملوك)٣٣٨/٢ .
(٣) وانظر : نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق (ط. المكتب الإسلامي)للشيخ ناصر الدين الألباني ص/ ١١، ١٢ .
(٤) انظر: رسالة الألباني: نصب المجانيق ص/٤ـ ١٨، وقد تكلم عن أسانيد هذه الروايات واحدة تلو الأخرى .
(٥) انظر: تفسير الطبري ١٣٣/١٧، والدر المنثور ٣٦٦/٤ .
(٦) تفسير الطبري ١٢١/١٧ .
(٧) المصدر نفسه ١٣٢/١٧ .
(٨)المصدر نفسه ١٣١/١٧، وتاريخ الطبري ٣٤٠/٢.
(٩)المصدر نفسه ١٣٤/١٧ .

ابـن الزبير[1] وعن أبي صـالح[2]، والضحاك[3] ومحمد بن فضالة الظفري والمطلب ابن عبد الله بن حنطب[4] وعن ابن عباس.[5]

وحتى لا أطيل في الوقفة عند أسانيد هذه الروايات كلها أكتفي بتحقيق العلماء وكلامهم فيها، ثم أذكر ما يترجح لي وأعتقده الصواب في هذه المسألة إن شاء الله، فأقول: لا خلاف بين العلماء ـ سواء القائلون منهم بصحة القصة أو المنكرون لها ـ في ضعف الرواية المتسندة ـ وهي رواية ابن عباس ـ ولهذا قال الحافظ ابن حجر ـ وهو ممن يرى صحة القصة ـ: وكلها (أي الطرق) سوى طريق سعيد بن جبير إما ضعيف، وإما منقطع.[6]

لكن خلافهم في بقية طرقها المرسلة، فابن حجر يقول: .. لكن كثرة الطرق تدل على أن للقصة أصلا، مع أن لها طريقين آخرين مرسلين رجالهما على شرط الصحيحين، ثم ذكر طريقي: أبي بكر بن عبد الرحمن ابن الحارث، وأبي العالية.[7]

ويرد من خالفه[8] في هذه القاعدة (قاعدة تقوية الحديث بكثرة طرقه) أصل المسألة إلى كتب الحديث المعتبرة في هذا الشأن، وأن المسألة ليست على إطلاقها، كما فصّل القول في ذلك الحافظ أبوعمرو بن الصلاح في

---

(١) مجمع الزوائد٦/٣٢ـ٣٤ وقال الهيثمي عندها: رواه الطبراني هكذا مرسلا، وفيه ابن لهيعة أيضا، وذكر الهيثمي القصة في تفسير الحج٧/٧٠ـ٧٢ ثم قال: رواه الطبراني مرسلا وفيه ابن لهيعة ولا يحتمل هذا منه، وانظر مغازي عروة بن الزبير ص/١٠٦ وكلام محققها د. الأعظمي في رد القصة، وهو كلام نفيس ص/١٠٦ـ ١٠٨ .

(٢) الدر المنثور ٣٦٦/٤ .

(٣) تفسير الطبري ١٣٣/١٧ .

(٤) طبقات ابن سعد ٢٠٥/١ .

(٥) تفسير الطبري ١٣٣/١٧ ، والدر المنثور٢٦٧/٤ .

(٦) الفتح ٤٣٩/٨ .

(٧) المصدر نفسه ٤٣٩/٨ .

(٨) كالألباني(انظر: رسالته نصب المجانيق ص ٢٠ وما بعدها).

مقدمة علوم الحديث[1] بل وكما حرّره الحافظ ابن حجر نفسه في نخبة الفكر، حين ذكر الحديث المرسل في أنواع الحديث المردود، ثم أخذ يتحدث عن أسباب ذلك.[2]

أضف إلى هذا أن هناك احتمال كون هذه المراسيل الثلاثة الصحيحة مصدرها واحد،وهذا مما يمنع اعتضاد بعضها ببعض،ويقوي هذا الاحتمال أن رواتها الثلاثة عاشوا في عصر واحد، وسني وفاتهم متقاربة، فسعيد بن جبير توفي سنة٩٥هـ، وأبو بكر بن عبد الرحمن سنة٩٤هـ، وأبو العالية سنة ٩٠هـ.[3]

وعلي أية حال فقد مال إلى تصحيح هذه القصة ـ غير الحافظ ابن حجرـ الزمخشري في تفسيره[4]، والنسفي[5]كما تابع السيوطي ابن حجر في تصحيح القصة[6]ونقل ابن سيد الناس عن شيخه الحافظ عبد المؤمن الدمياطي أنه كان يخالف من يردها من جهة رواتها[7]، وذكر القصة الذهبي في سيرته[8] وابن بطال ـ كما نقل ذلك عنه شيخ الإسلام ابن تيمية، مع تضعيفه لقوله[9]وكذا الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مختصره السيرة[10]،

---

(١) مقدمة علوم الحديث ص(١٧).

(٢) نزهة النظر شرح نخبة الفكر ص(٤١).

(٣) انظر ماكتبه د. عبد الله الوهيبي في مجلة كلية أصول الدين ـ العدد الخامس ـ للعام ١٤٠٣/١٤٠٤هـ ص/١٩، ورسالة نصب المجانيق للشيخ الألباني ص/٢٤ .

(٤) تفسير الزمخشري (ط. الاستقامة بالقاهرة ١٣٦٥هـ)٣/١٦٤ .

(٥) تفسير النسفي(المطبعة الأميرية بالقاهرة١٩٣٩م)٣/٤٤٨ .

(٦) لباب النقول في أسباب النزول(دار التحرير للطبع والنشر بالقاهرة١٣٨٢هـ)٣/٢٠، ١٢١ .

(٧) عيون الأثر ١/١٢١ = وهو يخالف شيخه كما سيأتي.

٨) ص/١١٢ وسأبين رأي الذهبي فيها .

(٩) انظر: الفتاوى ٢١/٢٨١، ٢٨٢ قال ابن تيمية : فيقال هذا ضعيف فإن القوم إنما سجدوا لما قرأ النبي ﷺ: ﴿أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون فاسجدوا لله واعبدوا﴾ ص/٢٨٢، وسآتي على مزيد بيان لرأي الشيخ في هذه المسألة، إن شاء الله.

(١٠) انظر: القسم الثالث من مؤلفات الشيخ (طبع جامعة الإمام) ص٣١، ٨٤.(وسأعود لرأي الشيخ أيضا).

ومن أشد من يرى ثبوت القصة ـ دون استنكار لأي شيء ورد فيها ـ إبراهيم ابن حسن الكوراني المتوفي سنة ١١٠١هـ، وهو الذي تعقبه الآلوسي في تفسيره وأطال في الرد عليه.(١)

ويتعلق بهذه القصة لفيف من المستشرقين، وفي مقدمتهم «سيرمور».(٢)

وقبل أن ننتقل للمنكرين لهذا القصة نذكر بعض من توقف من العلماء عن الجزم بصحة إسنادها أو ضعفه.

فابن جرير الطبري ـ عليه رحمة الله ـ ساق معظم رواياتها، ولم يعلق عليها بالصحة أو الضعف، وإن كان تأويله للآيات (في سورة الحج) يشعر بتصحيحه لرواياتها(٣) والواحدي ـ في أسباب النزول ـ ذكر بعض طرقها، ولم يعقب على ذلك بتصحيح أو تضعيف.(٤)

أما الذين أنكروا هذه القصة من العلماء فكثير عددهم، وقد تعددت أوجه الرد عندهم، فمنهم من ردها بصريح القرآن، ومنهم من ردها بصحيح السنة، ومنهم من ردها بالعقل والحجة، ومنهم من ردها بذلك كله، كما تعرضوا ـ في ردهم لها وإنكارها ـ للرواية من جهة متنها كما تعرضوا لها من جهة سندها، ومن هؤلاء: الإمام محمد بن إسحق بن خزيمة(٥)، والإمام البيهقي(٦)

(١) انظر: روح المعاني (المطبعة المنيرية بالقاهرة) ١٧/١٧٨.

(٢) انظر ماكتبه أبو شهبة في كتابه: الموضوعات والإسرائيليات ص/٤٥٠ .

(٣) انظر: تفسير الطبري ١٧/١٣٤، وتاريخ الطبري ٢/٣٣٩ .

(٤) أسباب النزول (تحقيق الأستاذ سيد صقر، ط. دار الكتاب الجديد بالقاهرة) ص/٣٢٠، ٣٢١ .

(٥) وقد سئل عن هذه القصة؟ فقال: هذا من وضع الزنادقة، وصنف فيه كتابا. انظر: تفسير الفخر الرازي (الطبعة الثانية، نشر دار الكتب العلمية/ طهران) ٢٣/٥٠ وتابع الرازي في عزو هذا القول لابن خزيمة الشوكاني في فتح القدير ٣/٤٤٧، أما أبو حيان فعزاه في تفسيره لمحمد بن إسحق (صاحب السيرة) البحر المحيط، وتبعه الآلوسي في تفسيره ١٧/١٦١ = وعزوه لابن خزيمة أقرب.

(٦) قال البيهقي: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل (انظر حاشية الروض الأنف للسهيلي ٣/٣٤٨، وانظر تفسير الفخر الرازي ٢٣/٥٠. لم أجد هذا القول للبيهقي في دلائل النبوة، بل وجدته ذكر هذه القصة ـ عند الحديث عن هجرة الحبشة ـ عن ابن إسحق ولم يعلق عليها. لكنه في ذكره لها لم يقل إن النبي ﷺ تقول بهذه الكلمات (تلك الغرانيق) وإنما هو من سجع الشيطان وفتنته، ولم يسمعها المسلمون، وإنما وقعت في قلب كل مشرك بمكة، ولهذا لما سجد النبي ﷺ في آخر سورة النجم استغرب المسلمون لسجود المشركين معهم، والمشركون لتصورهم أنهم أعظموا آلهتهم. (دلائل النبوة ٢/٢٨٦، ٢٩٦).

والبزار[1]، والماتريدي[2]، وابن حـزم الأندلسي[3]، وأبو بكر بن العـربي[4]، والقـاضي عيـاض[5]، والسـهيلي[6]، وابن سـيـد الناس[7]، والقـرطبي[8]، والرازي[9]، والنيـسـابوري[10]والبيضاوي[11]والقـاضي عـبـد الجـبـار[12]، والكرماني[13]، والعيني[14]، وابن كثير[15]وغيرهم.

وأكتفي بنقل كلام أربعة من هؤلاء العلماء وعلى وجه الاختصار أيضا، وأترك بقيتها مكتفيا بالإشارة إلى مصادرها ليطلع عليها من أراد المزيد.

---

(١) انظر : الشفا بتعريف حقوق المصطفي للقاضي عياض(تحقيق على البجاوي)٧٥١/٢ .

(٢) انظر: حصص الأتقياء(عن الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لأبي شهبة ص/٤٤٢).

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل(ط. على صبيح بالقاهرة)٤٨/٣.

(٤) أحكام القرآن ١٣٠٠/٣ ـ ١٣٠٤ وقد أطال ـ رحمه الله ـ في الرد على هذه القصة وضمنها عشر مقامات .

(٥) الشفا ٧٥٠/٢ ـ٧٦٣ ـ وهو الآخر أطال في الرد وسنأتي على بعض كلامه.

(٦) الروض الأنف ٣٤٤/٣، ٣٤٥ـ وكان آخر ماانتهى إليه قوله: والحديث على ما خيلت غير مقطوع بصحته .

(٧) عيون الأثر ١٢١/١ .

(٨) تفسير القرطبي (ط. دار الكتب بالقاهرة ١٣٨٧هـ)٨٠/١٢، ٨١ .

(٩) تفسير الفخر الرازي ٥٠/٢٣ وما بعدها .

(١٠)في تفسيره : غرائب القرآن ورغائب الفرقان (في حاشية تفسير الطبري١٠٤/١٧) .

(١١) تفسير البيضاوي ٣٨٩/٣(حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي، المكتبة الإسلامية).

(١٢) في كتابه : تنزيه القرآن عن المطاعن ص/٢٤٣ .

(١٣) انظر: الفتح ٦١٤/٦= وقد قال:«وماقيل من أن ذلك بسبب إلقاء الشيطان في أثناء قراءة رسول الله ﷺ لا حجة له عقلا ولا نقلا .

(١٤) عمدة القارئ: ١٠٠/٧، ١٠١ .

(١٥) تفسير ابن كثير ٤٣٨/٥، وفي السيرة ٥٦/٢ .

١ـ ابن حزم : قال في الرد على من لم يوجب العصمة على الأنبياء ما مثاله: استدلوا بالحديث الكاذب الذي لم يصح قط في قراءته عليه السلام في ﴿والنجم إذا هوى﴾ وذكروا تلك الزيادة المفتراة التي تشبه من وضعها من قولهم، وإنها لهي الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترتجى» ثم قال: وأما الحديث الذي فيه الغرانيق فكذب بحت موضوع؛ لأنه لم يصح قط من طريق النقل، ولا معنى للاشتغال به، إذ وضع الكذب لا يعجز عنه أحد.[١]

٢ ـ القاضي عياض : وهو ممن أطال في الكلام على هذه القصة، وأنقل بعض كلامه قال: اعلم ـ أكرمك الله ـ أن لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين: أحدهما في توهين أصله والثاني على تسليمه، أما المأخذ الأول فيكفيك أن هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل، وإنما أولع به وبمثله المفسرون، والمؤرخون المولعون بكل غريب، المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم[٢]. ثم أخذ في نقدها والرد عليها، وبيان معارضتها للآيات القرآنية الأخرى واستحالة القصة نظرا وعرفا.[٣]

٣ـ ابن سيد الناس قال: «والذي عندي في هذا الخبر أنه جارٍ مجرى مايذكر من أخبار هذا الباب من المغازي والسير، والذي ذهب إليه كثير من أهل العلم الترخص في الرقائق ومالا حكم فيه من أخبار المغازي، ومايجري مجرى ذلك وأنه يقبل فيها من لا يقبل في الحلال والحرام لعدم تعلق الأحكام بها .وأما هذا الخبر فينبغي بهذا الاعتبار أن يرد إلى مايتعلق به، إلا أن يثبت بسند لا مطعن فيه بوجه ، ولا سبيل إلى ذلك فيرجع إلى تأويله.[٤]

---

(١) الفصل في الملل ٤٨/٣ .

(٢) الشفاء ٧٥٠/٢ .

(٣) المصدر نفسه٧٥٠/٢ـ٧٦٣ .

(٤) عيون الأثر ١٢١/١ .

٤ـ ابن كثير: وقد تعرض للقصة في تفسيره وسيرته، وفصل القول في التفسير حيث ذكر بعض روايات القصة معلقا على أسانيده، وكانت خلاصة رأيه قوله:«قد ذكر كثير من المفسرين ها هنا قصة الغرانيق، وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة ظنا منهم أنّ مشركي قريش قد أسلموا ، ولكنها من طرق كلها مرسلة، ولم أرها مسندة من وجه صحيح والله أعلم» .[1]

أما في السيرة فلم يذكر القصة عند حديثه عن عودة أهل الحبشة إلى مكة واكتفي بالقول:«وذكروا قصة الغرانيق، وقد أحببنا الإضراب عن ذكرها صفحا لئلا يسمعها من لا يضعها على مواضعها، إلا أن أصل القصة صحيح» .[2]

وإذا كانت تلك بعض ما استنكره العلماء على سند القصة، فلهم على متنها استنكار آخر، فاضطراب رواياتها، ونكارة بعض ألفاظها ـ بالإضافة إلى ماسبق من الحديث عن سندها ـ جعلتهم يحكمون ببطلانها.[3]

ويبقى بعد ذلك ناحية مهمة ـ وربما تكون هي الفيصل في القضية بين المنكرين والمثبتين ـ ألا وهي اختلاف دلالة روايات القصة، فمعظم رواياتها تقول: إن الشيطان أجرى على لسان النبي ﷺ «تلك الغرانيق العلا..» ونطق بها[4] أما بقيتها [5] فقد جاء فيها: أن الشيطان هو الذي تقوّل بهذه

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٤٣٨/٥ .

(٢) السيرة النبوية ٥٦/٢= وقصده بأصل القصة الصحيح ماسبقت الإشارة إليه وهو ما ورد من أصل القصة في صحيح البخارى من سجود المشركين مع المسلمين وكذلك الجن حين تلا عليهم سورة النجم، فقد أتبع قوله بهذ الحديث .

(٣) انظر: تفصيل ذلك عند القاضي عياض في الشفا٧٥٠/٢، والألباني في نصب المجانيق ص/١٨ . ود. عبد الله الوهيبي في مقاله بمجلة أصول الدين ص/٢٢ .

(٤) وهي مجمل روايات القصة ماعدا رواية عروة بن الزبير، وموسى بن عقبة.

(٥) وهي رواية عروة(وقد سبقت)ورواية موسى بن عقبة وهي مروية بنحو سند رواية أبي بكر بن عبدالرحمن بن الحارث إلا أنه لم يذكر فيها ابن شهاب (انظر: الدر المنثور٣٦٧/٤) .

الكلمات ونطق بها،وخيّل للمشركين أنها من كلام النبيﷺ.وهي ليست من كلامه.

وإذا كان المفهوم الأول للروايات مرفوضا جملة وتفصيلا، وذلك لمصادمته لعصمة النبوة في أخطر قضايا الوحي والرسالة[1]، فإن مما يؤكد ضعف الروايات الثلاث المرسلة (التي سبق الإشارة إلى تصحيح بعض العلماء لها) كونها تنصّ على هذا المفهوم فكلها تقول: إن الشيطان ألقى على لسان النبي ﷺ هذه الكلمات!!!

ولهذا فالعلماء الذين صححوا هذه الروايات ـ أمثال ابن حجر ـ يستنكرون ما فيها ، ويضطرون لتأويلها، فيقول ابن حجر: «وإذا تقرر ذلك تعين تأويل ماوقع فيها مما يستنكر، وهو قوله: «ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترتجى، فإن ذلك لا يجوز حمله على ظاهره؛ لأنه يستحيل عليهﷺ أن يزيد في القرآن عمدا ما ليس منه، وكذا سهوا إذا كان مغايرا لما جاء به من التوحيد لمكان عصمته[2].ثم يذكر مسالك العلماء في التأويل ويذكر عدة تأويلاتهم، ثم ينتهي إلى القول :«وقيل: كان النبي ﷺ يرتل القرآن فارتصده الشيطان في سكتة من السكتات ، ونطق بتلك الكلمات محاكيا نغمته بحيث سمعه من دنا إليه فظنها من قوله وأشاعها، قال: وهذا أحسن الوجوه.[3]

وهنا يلتقي ابن حجر مع المنكرين لاتفاقهم على إنكار أهم ماجاء فيها. وهكذا فالمتأمل لبعض العلماء الذين جاءوا على ذكر هذه القصة يجدهم يقصدون بذكرها وإثباتها هذا الجزء الذي لا يستنكر منها، بل هو أحد التفسيرات الواردة لمجمل ما ذكره البخاري في هذه القصة.

---

(١) فهي معارضة لقوله تعالى:﴿وماتنزلت به الشياطين﴾ الشعراء آية/ ٢١٠ ، وقوله: ﴿وما ينطق عن الهوى﴾ «النجم» ، وقوله: ﴿ولوتقول علينا بعض الأقاويل﴾.. الآية(ن)، ثم إذا كان لبّ الرسالة هو تحقيق العبودية لله وحده، وترك عبادة الأصنام المنتشرة، فكيف يدعو عليه الصلاة والسلام إلى تعظيمها وإشراكها في العبادة؟؟.

(٢) انظر: الفتح ٤٣٩/٨ .

(٣) المصدر نفسه ٤٤٠/٨ .

فشيخ الإسلام ابن تيمية مثلا ـ وهو ممن ذكر القصة ـ يضعف مايستنكر من القصة ويشير إلى هذا التأويل الممكن للقصة[1]، ويؤكد الإمام الذهبي على أن الشيطان هو الذي ألقى الكلمات، وأن المسلمين لم يسمعوا ما ألقاه، وعلى نسخ الله لما ألقاه الشيطان.[2]

أما الشيخ محمد بن عبد الوهاب فقد ذكر القصة في موطنين من سيرته ـ كما سبق ـ وأشار في الموطن الأول منهما إلى هذا التأويل الممكن للقصة، وأكد عليه، واستنكر على من لم يميز بين الإسلام الحق الذي أتى به النبيﷺ، وبين دين قريش الذي أرسل الله رسوله ينذرهم عنه، وفي كلامه طول فليرجع إليه في موطنه[3].وبذلك قال غير واحد من العلماء.[4]

وأخيرا يأتي تفسير ابن عباس رضي الله عنهما لآية الحج مؤكدا لهذا المعنى الذي اتفق عليه العلماء، ففي البخاري عن ابن عباس في ﴿إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته﴾ إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه فيبطل الله مايلقي الشيطان ويحكم آياته، ويقال أمنيته: قراءته.[5]

ولعلنا بهذا نجمع بين من أنكر القصة ومن أثبتها، فالذين أنكروها إنما قصدوا مايستنكر منها ـ كما سلف ـ ومن أثبتها فإنما أراد مالا يتنافى مع العصمة ومقام النبوة، والله أعلم.

---

(١) الفتاوى٢١/٢٨٢ .

(٢) السيرة النبوية ص/١١٢ـ١١٤ .

(٣) انظر : القسم الثالث من مجموعة كتب الشيخ(مختصر سيرة الرسول والفتاوى) ص/٣١، ٣٢.

(٤) قال السهيلي: وأهل الأصول يدفعون هذا الحديث بالحجة، ومن صححه قال فيه أقوالا(ثم ذكر السهيلي عدة تأويلات للمقصود بحديث الغرانيق، ومنها ماأشرت إليه (الروض الأنف٣/٣٤٤).

(٥) ٥/٢٤١ : كتاب التفسير: سورة الحج(وقد ذكره البخاري هنا تعليقا لكن وصله الطبري في تفسيره من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس مقطعا منه(انظر: تفسير الطبري١٧/١٣٣، والفتح٨/٤٣٨)وقال النحاس: هذا من أحسن ماقيل في تأويل الآية وأعلاه وأجله، ثم أسند عن أحمد بن حنبل قال: بمصر صحيفة في التفسير رواها علي بن أبي طلحة لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصدا ماكان كثيرا. (عن الفتح٨/٤٣٨).

إسلام النجاشي:

كان إسلام النجاشي ثمرة من ثمار هجرة الحبشة، وقد ذكر ابن إسحق في السيرة ما يفيد إسلام النجاشي، وذلك حين تعرّض - في حديث أم سلمة الطويل - لموقفه مع المسلمين، وبكائه حين قرئ عليه القرآن، ورده على مندوبي قريش هداياهم.(١)

بل ذكر ابن إسحق - في رواية أخرى - عن جعفر بن محمد، عن أبيه قال: اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشي: إنك فارقت ديننا، وخرجوا عليه، فأرسل إلى جعفر وأصحابه فهيأ لهم سفنا وقال اركبوا فيها وكونوا كما أنتم فإن هزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم، وإن ظفرت فاثبتوا ، ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه هو يشهد أن لاإله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله.(٢)

وهذا موافق لما جاء في الصحيحين من ذكر إسلام النجاشي حيث نعاه لهم النبيﷺ في اليوم الذي مات فيه وقال: «استغفروا لأخيكم»، وصلى عليه.(٣)

---

(١) انظر: الجزء المطبوع من سيرة ابن إسحق تحقيق سهيل زكار ص٢١٥ ، والسيرة لابن هشام ١/٣٥٧ـ٣٦١وقد أسنده ابن إسحق ، وصرّح بالتحديث ، وكذا رواه الإمام أحمد (المسند: ٥/٢٩٠) وقال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحق وقد صرح بالسماع(مجمع الزوائد ٦/٢٧) كما تطرق لهذا الحديث شيخ الإسلام ابن تيمية وذكر أن جماعة من العلماء والحفاظ قد ذكروه كأحمد وابن سعد وأبي نعيم وغيرهم ، ثم قال: والقصة متواترة عند العلماء(الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»مطابع المجد التجارية١/٧٩) ، وانظر: (تصحيح أحمد شاكر للحديث في المسند٣/٨٠).

(٢) ابن هشام١/٣٦٣ ، ٣٦٤ بسند رجاله ثقات إلا أنه مرسل من محمد ابن علي المتوفي سنة ١١٨هـ (والد جعفر المذكور)انظر:التهذيب٩/٣٥١.

(٣) البخاري٢/٧١ : كتاب الجنائز، باب الرجل ينعى إلى أهل الميت بنفسه، وفي باب من صف صفين أو ثلاثة على الجنازة٢/٨٨، وفي باب الصفوف على الجنازة، وفي باب الصلاة على الجنائز بالمصلى والمسجد٢/٩١ ، ومسلم٢/٦٥٦ : كتاب الجنائز ، باب في التكبير على الجنازة، وكذا ص/٦٥٧ ، ٦٥٨ ، وانظر الصلاة على النجاشي في سيرة ابن إسحق (الجزء المطبوع) تحقيق سهيل زكار ص ٢١٩ .

وقد جاء الأمر ـ في بعض الروايات ـ صريحا باسم النجاشي وهو «أصحمه»[1] ويؤكد هذا ابن إسحق مرة أخرى فيقول في إحدى رواياته، لما مات النجاشي كان يتحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور.[2]

ولكنه مع هذا كله يذكر ـ من رواية يونس بن بكير ـ أن النبيﷺ بعث إليه كتابا ـ على غرار الكتب التي بعثها إلى الملوك والرؤساء ـ يدعوه فيها إلى الإسلام، وفي الرواية نص على النجاشي الأصحم[3] .فهذه الرواية مع ضعف إسنادها[4] محتملة للتأويل كما قال ابن كثير:«الظاهر أن هذا الكتاب إنما هو إلى النجاشي الذي كان بعد المسلم صاحب جعفر وأصحابه» إلى أن يقول:«وقوله فيه إلى النجاشي الأصحم لعل الأصحم مقحم من الراوي بحسب مافهم والله، أعلم» .[5]

أقول: ومما يقوي احتمال ابن كثير في إقحام الأصحم في رواية يونس هذه، أن البكائي في روايته عن ابن إسحق جاء على ذكر الكتاب المرسل إلى النجاشي دون ذكر الأصحم.[6]

وتأتي رواية الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ لتحسم الأمر وقد جاء فيها: عن أنس أن النبيﷺ كتب إلى كسرى ، وإلى قيصر، وإلى النجاشي، وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى، وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبيﷺ.[7]

---

(١) البخاري ٩١/٢(الجنائز وقد سبق)، ومسلم ٦٥٧/٢(سبق) .

(٢) انظر الجزء المطبوع من سيرة ابن إسحق تحقيق سهيل زكار ص ٢١٩ . ابن هشام ٣٦٣/١ وقد أسنده ابن إسحق وصرح بالتحديث عن يزيد بن رومان وهو أبو روح الأسدي مولى آل الزبير، ثقة، توفي سنة١٣٠هـ(التهذيب٣٢٥/١١) عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها (فهو حديث حسن لوجود ابن إسحق فيه).

(٣) انظر: سيرة ابن إسحق (تحقيق محمد حميد الله) ص/٢١٠ .

(٤) ذكره ابن إسحق دون إسناد .

(٥) السيرة ٤١/٢، ٤٢ .

(٦) ابن هشام ٢٧٩/٤ .

(٦) ١٣٩٧/٣ : كتاب الجهاد والسير، باب كتابة النبيﷺ إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله عز وجل .

ذهابه ﷺ إلى الطائف:

ثبت في الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها أنها قالت للنبيﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فأجاب:

«لقد لقيت من قومك[1] مالقيت، وكان أشد مالقيت منهم يوم العقبة[2] إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال[3]فلم يجبني إلى ماأردت فانطلقت، وأنا مهموم، على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب[4] فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم عليّ،

---

(١) المراد بسبب قومك قريش، وليس المقصود أن مالقيه النبي ﷺ في ذهابه للطائف من قريش أنفسهم، ولهذا قال الزرقاني في شرحه على المواهب، فلا يرد أن ثقيفا ليسوا قومهما.
(شرح المواهب١/٢٩٧).

(٢) فهم بعض شراح الحديث أن المقصود بالعقبة هنا هي التي في منى كالعيني
انظر: عمدة القارئ ١٥/١٤٢ والقسطلاني الذي أنكر عليه ذلك الزرقاني فقال: جزم المصنف بأنها التي بمنى، وفيه مافيه، وأين منى والطائف.(شرح المواهب١/٢٩٧، ٢٩٨)كما فهم هذا الفهم أيضا محمد فؤاد عبد الباقي في تعليقه على صحيح مسلم(٣/١٤٢٠).، ومما يقوي ضعف هذا الرأي أننا نجد في معجم ياقوت عن العقبة مايلي:
والعقبة منزل في طريق مكة بعد واقصة وقبل القاع لمن يريد مكة. ثم ذكر العقبة التي عند منى(معجم البلدان٤/١٣٤)وعن القاع قال ياقوت: منزل بطريق مكة بعد العقبة لمن يتوجه إلي مكة تدعيه أسد وطيء (المصدر السابق٤/٢٩٨)ويقول عن واقصة: إنها منزل بطريق مكة بعد القرعاء نحو مكة وقبل العقبة لبني شهاب من طيء(المصدرنفسه٥/٣٤٥)ولهذا قال الزرقاني: قال شيخنا: لعل المراد بها هنا موضع مخصوص اجتمع فيه مع عبد ياليل لا عقبة منى التي اجتمع فيها مع الأنصار(شرح المواهب١/٢٩٨).

(٣) هذا خلاف مافي سيرة ابن إسحق كما سيأتي بيانه).

(٤) قرن الثعالب: هو قرن المنازل ـ قاله عياض ـ وهو ميقات أهل نجد تلقاء مكة، على يوم وليلة ـ مرحلتين من مكة .
(معجم البلدان٤/٣٣٢)، و(شرح النووي على مسلم١٢/١٥٥).

ثم قال: يامحمد، فقال: ذلك فيما شئت[1] إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال النبيﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لايشرك به شيئا».[2]

هكذا ورد خبر ذهابهﷺ إلى الطائف في الصحيحين والأمر عند ابن إسحق أكثر تفصيلا، فقد جاء على ذكر سبب ذهابه للطائف فقال:

ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى مالم تكن تناله منه في حياة عمه أبي طالب ، فخرج رسول اللهﷺ إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة بهم من قومه، ورجاء أن يقبلوا منه ماجاءهم به من الله عز وجل، فخرج إليهم وحده[3]، وإن كان هذا الخبر ساقه ابن إسحق دون إسناد، فقد ذكره غيره من أرباب السير.[4]

كما جاء في سياقه للخبر نفسه على أشياء لم تأت عليها رواية الصحيحين السابقة، وأخرى جاءت عليها رواية الصحيحين لكن بمزيد

---

(١) هكذا في رواية البخاري، وعند مسلم زيادة ... ثم قال: يامحمد إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت.

(٢) البخاري ٨٣/٤: كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء. وفي كتاب التوحيد (مختصرا) ١٦٧/٨ باب وكان الله سميعا بصيرا، ومسلم ١٤٢٠/٣ كتاب الجهاد والسير ، باب مالقى النبيﷺمن أذى المشركين والمنافقين.

(٣) ابن هشام ٢٨/٢ .

(٤) كعروة بن الزبير في مغازيه ص/١٢٨ ـ وقد ذكره بالسند إلى أن وصل إليه فهو مرسل، وموسى ابن عقبة في مغازيه (انظر الفتح٣١٥/٦) وابن سعد في طبقاته٢١١/١، والطبري في تاريخه ٣٤٤/٢، وأبو نعيم في دلائله ص/١٠٣، والبيهقي في دلائله أيضا٤١٥/٢، والذهبي في السيرة ص/١٨٥ وغيرهم .

تفصيل لها، ونوع من الاختلاف عنها أحيانا ، فمثال الأول: ماذكره ابن إسحق من دعائهﷺ في تلك المرحلة بهذا الدعاء: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، ياأرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك، أو يحل عليّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولاقوة إلا بك».[1]

ومن ذلك أيضا موقف ابني ربيعة (عتبة وشيبة) معه، حين تحركت له رحمهما حينما رأياه على تلك الحال، فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له: عدّاس، فقالا له: خذ قطفا من هذا العنب فضعه في هذا الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل، فقل له يأكل منه، ففعل عداس .. إلخ قصته مع النبي ﷺ، والتي انتهت بتقبيل عداس لرأس النبي ﷺ، ويديه، وقدميه ـ حين ذكر له نبي الله يونس بن متى عليه السلام ـ وأخيرا لوم ابني ربيعة لعداس

(١) ابن هشام ٢/٢٩، ٣٠ = وهذا الدعاء ذكره ابن إسحق دون إسناد حيث قال: فيما ذكر لي، ورواه الطبراني عن عبد الله بن جعفر، وقال الهيثمي: فيه ابن إسحق وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات(مجمع الزوائد٦/٣٥) كما ذكره الصالحي في سيرته، ولم يأت فيه على ذكر ابن إسحق واكتفي بالقول: رواه الطبراني برجال ثقات عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما (سبل الهدى والرشاد٢/٥٧٧)وكأن إشارة الوكيل(محقق الروض الأنف) ترمي إلى تضعيفه حين قال: لم يخرج حديث هذا الدعاء سوى الطبراني عن عبد الله بن جعفر (حاشية الروض الأنف٤/٥٦) أما الألباني فقد صرّح بتضعيفه لكون ابن إسحق ذكره دون إسناد(فقه السيرة للغزالي ص/١٣٢ حاشية). ولكون رواية الطبراني فيها ابن إسحق وقد عنعن(دفاع عن الحديث والسيرة ص/١٩).

وقولهما له: ويحك ياعداس لا يصرفنك عن دينك، فإن دينك خير من دينه.[1]

كما ذكر ابن إسحق ـ منصرفهﷺ من الطائف ـ خبر جن نصيبين[2]، وتلك سبق الحديث عنها في إسلام الجن.

ومثال الثاني ـ وهو ما اختلفت فيه رواية ابن إسحق عمّا في الصحيحين ـ تسمية من عرض النبيﷺ نفسه عليه حين ذهب للطائف، ففي الصحيحين ـ كما مر ـ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ماأردت، وعند ابن إسحق عن محمد بن كعب القرظي قال: لما انتهى رسول اللهﷺ إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم، وهم إخوة ثلاثة: عبد ياليل بن عمرو بن عمير، ومسعود بن عمرو، وحبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف، وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جمح، فجلس إليهم رسول الله ﷺ فدعاهم إلى الله، وكلمهم بما جاء له من نصرته على الإسلام والقيام معه على من خالفه من قومه، فقال له أحدهم، هو يمرط ثياب الكعبة: إن كان الله أرسلك، وقال الآخر: أما وجد الله أحدا يرسله غيرك، وقال الثالث: والله لا أكلمك أبدا، لئن كنت رسولا من الله كما تقول لأنت أعظم خطرا من أن أردّ عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ماينبغي لي أن أكلمك. فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف، وقال

(١) ابن هشام ٢/٣٠، ٣١ .
(٢) ابن هشام ٢/٣١ .

لهم ـ فيما ذكر لي ـ: «إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني» وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومه عنه فيذئرهم[1] ذلك عليه[2].

وهكذا يتضح الفرق بين الروايتين، فالمعروض عليه ـ في رواية الصحيحين ـ ابن عبد ياليل بن عبد كلال، بينما هو في رواية ابن إسحق «عبد ياليل» ومعه أخواه مسعود، وحبيب، وهذا الخلاف ألمح إليه السهيلي ولم يتوقف عنده،[3] كما ذكره الزرقاني[4]، وقبله ابن حجر الذي قال عند شرحه لحديث البخاري: «والذي في المغازي أن الذي كلمه هو: عبد ياليل نفسه، وعند أهل النسب أن عبد كلال أخوه لاأبوه، وأنه عبد ياليل بن عمرو بن عمير ابن عوف، ويقال: اسم ابن عبد ياليل مسعود، وكان ابن عبدياليل من أكابر أهل الطائف من ثقيف».[5]

وهذا الاختلاف وقع أيضا في روايات المفسرين في تحديد عظيم أهل الطائف والوارد ضمن قوله تعالى: ﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم..﴾ففي رواية ابن عباس رضي الله عنهما أنه حبيب بن عمرو ابن عمير الثقفي ومن طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد: أنه ابن عبد ياليل

---

(١) قال ابن هشام: وقوله يذئرهم يعني يحرش بينهم. السيرة٢/٢٩.

(٢) ابن هشام ٢/٢٨، ٢٩ .

(٣) الروض الأنف ٤/٥٧ .

(٤) شرح المواهب اللدنية ١/ ٢٩٨ .

(٥) الفتح٦/٣١٥، وانظر العيني في عمدة القارئ ١٥/١٤٢ .

(٦) سورة الزخرف آية/٣١/ .

(٧) تفسير الطبري ٢٥/٤٠ .

الثقفي[١]، وروى عبد بن حميد[٢]ذلك في تفسيره[٣]، وعن قتادة: عروة ابن مسعود الثقفي[٤]، وعن السدي: كنانة بن عبد بن عمرو بن عمير عظيم أهل الطائف[٥] وإزاء هذا لم يستطع إمام المفسرين ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ أن يقطع بشيء أو يرجح رأيا علي آخر، لاسيما وقد ذكر أنه لم يرد في الكتاب ولافي السنة دلالة على الذين عنوا في هذه الآية.[٦]

وعلى كل حال فإن أمكن الجمع بين الروايتين فذاك بأن يكون ابن عبد ياليل اسمه «مسعود» كما ذكر ابن حجر، ومسعود هذا أحد الثلاثة الذين ذكرهم ابن إسحق في روايته، وإن كان ذلك معارضا بأن مسعوداً الذي ذكره ابن إسحق هو ابن عمرو، والذي في البخاري: ابن عبد كلال، وإن تعذر الجمع فما في الصحيح أصح، خصوصا أن ابن إسحق ذكر القصة مطولة بسند مرسل في أولها، ودون إسناد في آخرها. والله أعلم.[٧]

---

(١) تفسير الطبري ٤٠/٢٥ .

(٢) هو عبد بن حميد بن نصر الكسي(أبو محمد) محدث حافظ، جوال، مفسر توفي بدمشق سنة٢٤٩هـ من آثاره المسند الكبير، وتفسير القرآن .

انظر:(معجم المؤلفين ٦٦/٥) .

(٣) انظر: فتح الباري٣١٥/٦، والدرالمنثور١٦/٦، وقد أضاف ابن المنذر أيضا .

(٤) تفسير الطبري ٤٠/٢٥ .

(٥) المصدر نفسه ٤٠/٢٥ .

(٦) المصدر نفسه ٤٠/٢٥ .

(٧) كما سبق فقد ذكر ابن إسحق القصة عن محمد بن كعب القرظي(وهي التي فيها ذكر الثلاثة) . أما آخر الرواية فقد قال ابن إسحق: فيما بلغني، وانظر كلام ابن حجر أيضا في الفتح٣١٥/٦ .



«الفصل الرابع»

مقدمات الهجرة



«الفصل الرابع»

مقدمات الهجرة

بدء إسلام الأنصار، وبيعتا العقبة:

كان عليه الصلاة والسلام ـ قبل هجرته إلى المدينة ـ يعرض نفسه على الوفود القادمة إلى مكة في المواسم، يدعوهم إلى الله، ويبين لهم ما بعثه الله به، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه، وكان وفد الأنصار أحد تلك الوفود.

وإذا كانت نصوص الصحيحين لم تفصل كل شيء عن تلك الوفود التي عرض النبيﷺ نفسه عليها، فقد حفظا لنا بعضا من النصوص، وخاصة مايتعلق منها بالأنصار ـ رضي الله عنهم ـ.

فقد عقد البخاري ـ رحمه الله ـ في «مناقب الأنصار» بابا في «وفود الأنصار إلى النبيﷺ بمكة وبيعة العقبة».

وإذا كان البخاري لم يذكر ـ في هذا الباب ـ وفادة للأنصار قبل بيعتي العقبة، واكتفى بسوق عدة روايات في العقبتين ـ كما سيأتي بيانه ـ فلعله لم يثبت له شيء على شرطه بهذا الخصوص .

أما ابن إسحق ـ رحمه الله ـ فقد ذكر عدة لقاءات مع الأنصار قبل بيعة العقبة الأولى، وأجملها فيما يلي ـ مشيرا إلى إسنادها:

أولا: اللقاء مع سويد بن الصامت:[1]

قال ابن إسحق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري ثم الظفري عن أشياخ من قومه قالوا: قدم سويد بن الصامت مكة حاجا أو معتمرا، فتصدى له رسول الله ﷺ حين سمع به، فدعاه إلى الله وإلى الإسلام، فقال له سويد:فلعل الذي معك مثل الذي معي، فقال له رسول الله ﷺ: «وما الذي معك؟» قال: مجلة لقمان، يعني حكمة لقمان، فقال له رسول الله ﷺ: «اعرضها عليّ»، فعرضها عليه، فقال له: «إن هذا الكلام حسن، والذي معي أفضل من هذا، قرآن أنزله الله تعالى عليّ، هو هدى ونور»، فتلا عليه رسول الله ﷺ القرآن، ودعاه إلى الإسلام، فلم يبعد منه، وقال: إن هذا القول حسن، ثم انصرف عنه، فقدم المدينة على قومه، فلم يلبث أن قتله الخزرج، فإن كان رجال من قومه ليقولون: إنا لنراه قد قتل وهو مسلم، وكان قتله يوم بعاث.[2]

---

(١) هو ابن عطية بن حوط بن حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، وأمه ليلى بنت عمرو البخارية أخت سلمى بنت عمرو أم عبد المطلب بن هاشم، فسويد هذا ابن خالة عبد المطلب جد رسول الله ﷺ .(انظر: السيرة لابن كثير٢/١٧٣).

وهو ـ كما في خبر ابن إسحق الذي اختصرته ـ الذي كان يسميه قومه بالكامل لجلده وشرفه ونسبه، ثم ذكر قصة منافرته مع أحد بني سليم وظفره به (ابن هشام ٢/٣٤، ٣٥).

(٢) انظر: السيرة لابن هشام٢/٣٤= ويوم بعاث سيأتي التعريف به حين نتحدث عن دخول الأنصار في الإسلام.

ويظهر من رواية ابن إسحق هذه أنها حسنة الإسناد، فابن إسحق صرّح بالتحديث، ثم هو رواه عن ثقة وهو عاصم بن عمر[1]، أما الأشياخ الذين روى عنهم من قومه فلعله قصد بهم بعض الصحابة الذين ثبت روايته عنهم أمثال: جابر بن عبد الله، ومحمود بن لبيد[2] وجدته رميثة[3]، وهنا لاتضر جهالة الصحابي كما أبان ذلك أصحاب الحديث.[4]

---

(١) قال ابن معين، وأبو زرعة، والنسائي: ثقة، وقال ابن سعد: كان راوية للعلم، وله علم بالمغازي والسيرة، أمره عمر بن عبد العزيز أن يجلس في مسجد دمشق فيحدث الناس بالمغازي ومناقب الصحابة ففعل، ذكره ابن حبان في الثقات، وقال البزار: ثقة مشهور، وقال عبد الحق في الأحكام هو ثقة عند أبي زرعة وابن معين، وقد ضعفه غيرهما، وقد ردّ ذلك عليه ابن القطان، وقال: بل هو ثقة عندهما وعند غيرهما ولاأعرف أحدا ضعفه ولا ذكره في الضعفاء، قال الذهبي: وصدق ابن القطان، توفي سنة١٢٠ وقيل: قبلها أو بعدها.

(انظر: الميزان٢/٣٥٥، والتهذيب٥/٥٣، ٥٤).

(٢) محمود بن لبيد بن عقبة بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل الأوسي الأنصاري الأشهلي، مختلف في صحبته، فقد ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين (الطبقات ٥/٧٧)، وذكره مسلم في الطبقة الثانية من التابعين. وقال ابن حجر: روى عن النبيﷺ أحاديث، ولم تصح له رؤية ولا سماع منه. أما الذين ذكروا صحبته فمنهم البخاري حيث روى له عن النبي ﷺ، وقال ابن عبد البر: قول البخاري أولى، يعني في إثبات صحبته، وكذا ذكره ابن حبان في الصحابة، وقال الترمذي: رأى النبيﷺ وهو غلام صغير، وعلى كل حال فهو ثقة.

(انظر التهذيب١٠/٦٥، ٦٦)، و (طبقات ابن سعد ٥/٧٧).

(٣) انظر في من روى عنه (التهذيب٥/٥٣).

(٤) انظر مقدمة ابن الصلاح ص/٢٦، والباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ص/٤٩ . وعلى كل حال ـ وفوق ماتقدم ـ فقد حسّن سند هذه الرواية من الباحثين محققا زاد المعاد ٣/٥٤، وصاحب رسالة الهجرة ص/٦٩ .

ثانيا: اللقاء مع أبي الحيسر ومن معه:

قال ابن إسحق: وحدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ، عن محمود بن لبيد قال: لما قدم أبوالحيسر أنس[1] بن رافع، ومعه فتية من بني عبد الأشهل فيهم إياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج، سمع بهم رسول الله ﷺ فأتاهم، فجلس إليهم فقال لهم: «هل لكم في خير مما جئتم له؟» قال: فقالوا له: وماذاك؟ قال: «إني رسول الله بعثني إلى العباد أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا، وأنزل عليّ الكتاب» قال: ثم ذكر لهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، قال: فقال إياس بن معاذ ـ وكان غلاما حدثا ـ: أي قوم! هذا والله خير مما جئتم له، قال: فيأخذ أبو الحيسر حفنة من البطحاء فضرب بها وجه إياس بن معاذ وقال: دعنا منك، فلعمري لقد جئنا لغير هذا، قال: فصمت إياس، وقام رسول الله ﷺ عنهم، وانصرفوا إلى المدينة، وكانت وقعة بعاث بين الأوس والخزرج، ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك، قال محمود بن لبيد: فأخبرني من حضره من قومي عند موته أنهم لم يزالوا يسمعونه يهلل الله تعالى ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات، فما كانوا يشكون أنه قد مات مسلما، لقد كان استشعر الإسلام في ذلك المجلس حين سمع من رسول الله ﷺ ما سمع.[2]

---

(١) كذا في السيرة أنس، وفي أسد الغابة أيضا، وفي جوامع السيرة لابن حزم «أنيس»وفيه زيادة: في مائة من قومه ص/٦٩، وهو أنس بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل(أسد الغابة ١٤٧/١)

(٢) انظر: السيرة لابن هشام ٣٦/٢، ٣٧ .

وهكذا تبدو هذه الرواية ـ هي الأخرى ـ حسنة الإسناد، فابن إسحق يصرّح بالتحديث فينتفي عنه التدليس، ورواتها: الحصين بن عبد الرحمن، وهو ثقة[1]، ومحمود بن لبيد ثقة أيضا ـ كما سبق ـ.

وقد روى هذه القصة ـ غير ابن إسحق ـ أحمد، والطبراني، ووثق رجالها الهيثمي فقال في مجمعه: ورجاله ثقات[2]، كما ذكر القصة ابن الأثير وعزاها إلى ابن منده، وأبي نعيم[3]، وقال في موطن آخر: أخرجه الثلاثة[4]. وقال ابن حجر عن رواية ابن إسحق: رواه جماعة عن ابن إسحق هكذا، وهو من صحيح حديثه[5] كما ذكر القصة الصالحي في سيرته مشيرا إلى جودة إسنادها[6] وهكذا حسن إسنادها بعض الباحثين المحدثين.[7]

ثالثا: اللقاء مع النفر الستة من الأنصار:

وهذا أهم لقاء قبل لقاء العقبتين، وكان سببا لما بعده من لقاءات، قال ابن إسحق: فلما أراد الله عز وجل إظهار دينه، وإعزاز نبيه ﷺ، وإنجاز موعده له، خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقي فيه النفر من الأنصار، فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم، فبينما هو عند العقبة لقي رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا، قال: فحدثني عاصم بن

(١) فقد ذكره ابن حبان في ثقات أتباع التابعين، وقال الآجري: سألت أبا داود عنه فقال: حسن الحديث، مات سنة١٢٦هـ.(التهذيب٢/٣٨٠، ٣٨١). وقال الذهبي: لم يضعفه أحمد، وهو صالح الأمر(الميزان١/٥٥٢، ٥٥٣)وذكره البخاري في تاريخه الكبير(٣/٨).

(٢) ٦/٣٦.

(٣) أسد الغابة ١/١٤٧.

(٤)المصدر نفسه١/١٨٦.

(٥) الإصابة١/١٤٦=وقد ذكر أن ابن منده ساق الحديث من طريق سلمة بن الفضل عن ابن إسحق كما ساقه ابن هشام، وقد نبه إليه ابن حجر(انظر الإصابة ١/٢١٦).
وفيه أن أنس بن رافع قد أسلم، وهو خلاف ما ذكره البكائي عن ابن إسحق.

(٦) سبل الهدى والرشاد٣/٢٦٢.

(٧) انظر: حاشية زاد المعاد لابن القيم٣/٤٤.

عمر بن قتادة، عن أشياخ من قومه قالوا: لما لقيهم رسول الله ﷺ قال لهم: من أنتم؟ قالوا: نفر من الخزرج، قال: أمن موالي يهود؟ قالوا: نعم، قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا: بلي، فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، قال: وكان مما صنع الله لهم به في الإسلام أن يهود كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان، وكانوا قد عزّوهم ببلادهم فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم: إن نبياً مبعوث الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم، فلما كلّم رسول الله ﷺ أولئك النفر ودعاهم إلى الله قال بعضهم لبعض: ياقوم تعلمون والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود، فلا تسبقنكم إليه، فأجابوه فيما دعاهم إليه، بأن صدقوه وقبلوا منه ماعرض عليهم من الإسلام، وقالوا له: إنا قد تركنا قومنا ولاقوم بينهم من العداوة والشر مابينهم، وعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعزّ منك، ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلى بلادهم، وقد آمنوا وصدقوا، قال ابن إسحق: وهم ـ فيما ذكر لي ـ ستة نفر من الخزرج منهم من بني النجار : أسعد بن زرارة[1]، وعوف بن الحارث بن رفاعة[2]، ومن بني زريق بن عامر رافع بن مالك بن العجلان[3]، ومن بني

---

(١) هو ابن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، يكنى أبا أمامة، من أول الأنصار إسلاما، وذكر الواقدي في أول إسلامه غير ماذكره ابن إسحق، شهد العقبتين، وكان نقيب بني النجار في الثانية، مات في السنة الأولى قبل بدر(انظر:أسد الغابة١/٨٦، والإصابة١/٥٠).

(٢) ابن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار، وهو ابن عفراءويسمى أحيانا بها،واختلف في اسمه فمنهم من يسميه عوفا، ومنهم من يسميه عوذا، والأول أكثر، قيل: إنه أحد الستة ليلة العقبة، وقيل شهد العقبتين،قتل هو وأخوه معّوذ شهيدين في بدر(الاستيعاب النسخة الملحقة بالإصابة٩/٥٣)،(وأسد الغابة٤/٣٠٨، ٣١٠ ،والإصابة٧/١٧٧)..

(٣) نقيب، عقبي، بدري، وقال ابن إسحق: كان أول من قدم المدينة بسورة يوسف، اختلفت الرواية عن ابن إسحق في شهوده بدرا بين رواية البكائي وسلمة، وابن بكير(أسد الغابة ٢/١٩٨، والإصابة ٣/٢٤٣).

سلمة ابن سعد: قطبة بن عامر بن حديدة[1]،ومن بني حرام بن كعب: عقبة ابن عامر بن نابي[2]، ومن بني عبيد بن عدي: جابر بن عبد الله بن رئاب.[3]
فلما قدموا المدينة على قومهم ذكروا لهم رسول الله ﷺ، ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم، فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله ﷺ، حتى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلا، فلقوه بالعقبة ، وهي العقبة الأولى.[4](وسيأتي بيان ذلك بمشيئة الله).
أما سند هذه الرواية فهو السند نفسه الذي سبق الحديث عنه في الرواية الأولى، وإذا كنا قد انتهينا هناك إلى تحسينه، فهو كذلك هنا.
على أن الهيثمي ذكر رواية ابن إسحق هذه، وعزاها إلى الطبراني مشيرا إلى قوة رجال إسنادها حين قال: رواه الطبراني ورجاله ثقات.[5]

---

(١) يكنى أبا زيد، شهد العقبة الأولى والثانية، وبدرا وأحدا والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وكانت معه راية بني سلمة يوم الفتح، جرح تسع جراحات في أحد، ورمى يوم بدر حجرا بين الصفين وقال: لأفر حتى يفر هذا الحجر، توفي في خلافة عمر، وقيل: عثمان.(أسد الغابة٤/٤٠٦، والإصابة ٨/١٦٣).

(٢) أنصاري، خزرجي سلمي، شهد بدرا ـ بعد شهوده العقبة الأولى ـ ثم شهد أحدا، فأعلم بعصابة خضراء في مغفره، وشهد الخندق وسائر المشاهد، وقتل يوم اليمامة شهيدا، واختلط على بعضهم مع عقبة بن عامر الجهني وهو غيره.
(الاستيعاب٨/١٠١، وأسد الغابة٤/٥٤، الإصابة٧/٢٣).

(٣) ابن النعمان بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي، يجتمع هو وجابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام في غنم بن كعب، شهد بدرا، وأحدا، والخندق، وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ(الاستيعاب٢/١٠٨ حاشية الإصابة، وأسد الغابة١/٣٠٦، والإصابة٢/٤٤).

= هكذا ذكر ابن إسحق أن هؤلاء النفر الذين التقى بهم النبي ﷺ من الأنصار كانوا ستة نفر، وهكذا روى عن الشعبي والزهري وغيرهما، وذكر موسى بن عقبة فيما رواه عن الزهري وعروة بن الزبير أنهم كانوا ثمانية وهم: معاذ بن عفراء، وأسعد بن زرارة، ورافع بن مالك، وذكوان بن عبد قيس، وعبادة بن الصامت، ويزيد بن ثعلبة، وأبو الهيثم بن التيهان، وعويم بن ساعدة، فأسلموا وواعدوه إلى قابل(دلائل النبوة للبيهقي٢/٤٣٠، ٤٣٣، والسيرة لابن كثير٢/١٧٧).
ونقل ابن سعد عن الواقدي كلا القولين، ثم انتهى إلى ترجيح ماذكره ابن إسحق حيث قال: قال محمد بن عمر: هذا عندنا أثبت ماسمعنا فيهم، وهو المجتمع عليه(طبقات ابن سعد١/٢١٩).

(٤) انظر: سيرة ابن هشام٢/٣٧ ـ٣٩.

(٥) مجمع الزوائد ٦/٤٢.

من أسباب إسلام الأنصار:

وبعد هذا العرض لبدايات إسلام الأنصار، رأيت الوقوف قليلا عند أسباب إسلامهم، فمما لا شك فيه أن الله تعالى أراد الخير لهؤلاء الأنصار حينما هداهم لهذا الدين، ووفقهم للقاء بهذا النبي الكريم،ولاراد لفضله ولا معقب لحكمه، وإذا كنا هنا بصدد البحث عن أهم الأسباب ـ بعد إرادة الله ـ التي كانت عونا لهم ودافعاً على الدخول في الإسلام، فسنكتفي منها بذكر ماجاء في الصحيحين، وعند ابن إسحق ـ تلميحا أو تصريحا ـ وهذا لا يعني الحصر لها، أو إغفال غيرها، مما يمكن أن يعد سببا مباشرا أو غير مباشر لقبولهم دين الإسلام.

فالإمام البخاري ـ عليه رحمة الله ـ ينفرد بذكر سبب مهم هيّأ مجتمع الأنصار لقبول الدين الحق وهو وقعة بعاث[1]، وهو الذي قالت عنه أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ:«كان يوم بعاث يوما قدّمه الله لرسوله ﷺ، فقدم رسول الله ﷺ وقد افترق ملاؤهم[2]، وقتلت سرواتهم[2]، وجرحوا، فقدّمه الله لرسوله ﷺ في دخولهم في الإسلام.[3]

---

(١) بعاث: بضم الموحدة ـ وحكى القزاز فتحها ـ وبتخفيف العين المهملة، وذكر عن الخليل إعجامها ـ قال ابن الأثير: وهو تصحيف (النهاية١/١٣٩ ، والفتح٧/١١١).

وبعاث : مكان ، ويقال حصن، ويقال مزرعة عند بني قريظة على ميلين من المدينة، كانت به وقعة بين الأوس والخزرج، قتل فيه كثير منهم، وكان رئيس الأوس فيه حضير ـ والد أسيد بن حضير ـ وبه قتل ، ورئيس الخزرج يومئذ عمرو بن النعمان البياضي فقتل بها أيضا، وكان النصر فيها أولا للخزرج، ثم هزم حضير، فرجعوا وانتصرت الأوس، وكان السبب في قتالهم أنه كان من قاعدتهم أن الأصيل لا يقتل بالحليف، فقتل رجل من الأوس حليفا للخزرج، فأرادوا أن يقيدوه، فامتنعوا فوقعت بينهما الحرب لأجل ذلك، فقتل فيها من أكابرهم من كان لا يؤمن أن يتكبر ويأنف أن يدخل في الإسلام حتى لا يكون تحت حكم غيره، وقد كان بقي منهم من هذا النحو عبد الله بن أبي بن سلول.(انظر: الفتح٧/١١١ ، وسبل الهدى والرشاد٣/٢٦٥ ، ٢٦٦) . وللمزيد يرجع إلي أبي الفرج الأصفهاني في أغانيه، فقد أورد أخبارا عن يوم بعاث في الفصل الذي عقده عن نسب أبي قيس بن الأسلت. وكذلك السمهودي في وفاء الوفاء١/١٥٢ـ١٥٦(في الفصل السادس فيما كان بين الأوس والخزرج من حرب بعاث) ولخص أخبار هذه الحرب ابن الأثير في الكامل١/٦٨٠ـ٦٨٤ .

(٢) أي خيارهم وشرفاؤهم، والزعماء فيهم ومقدموهم الذين يرجع إلى قولهم.(انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/٣٦٣، ٤/٣٥١).

(٣) البخاري٤/٢٢١ : كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب الأنصار، وفي باب القسامة في الجاهلية٤/٢٣٧ ، وفي باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة٤/٢٦٥ .

وهكذا يتضح الأمر، فيوم بعاث كان سببا في تفرق ملائهم ـ وفي هذه الحال يكونون أحوج مايكونون إلى من يلم شعثهم ـ وقتل زعمائهم وذوي الشرف والكبرياء فيهم، ممن كان لا يؤمن تكبرهم ورفضهم للحق، أنفة أن يدخلوا تحت حكم غيرهم،وقد حصل لمن بقي منهم أمثال عبد الله بن أبي ـ زعيم المنافقين ـ.

أما زمن هذا اليوم فقد اختلف الروايات في تحديده، فقيل: كان قبل الهجرة بخمس سنين، وقيل: بأربع[١]، وقيل: بأكثر، قال الحافظ ابن حجر: والأول أصح[٢].وذكر ابن سعد مايدل على وقوعه بعد المبعث بعشر سنين.[٣]

ولابد من التنبيه هنا إلى أن ابن إسحق جاء على ذكر بعاث، لكن ذكره ليس على أنه سبب في دخول الأنصارالإسلام، وإنما ذكره في معرض حديثه عن عداوة اليهود للأنصار بعد إسلامهم، ومحاولتهم الوقيعة بينهم بتذكيرهم بأيام الجاهلية بينهم، كيوم بعاث.[٤]

أما السبب الذي ذكره ابن إسحق، وكان له أثر في دخول الأنصار في الإسلام، فهو ماكان يسمعه الأنصار من اليهود في المدينة ـ وكانوا أهل كتاب وعلم ـ عن اقتراب زمان نبي يبعث، وفي هذا يقول ابن إسحق:

---

(١) وقع عند الصالحي في سيرته سبل الهدى والرشاد٢٦٦/٣ أربعين بدل أربع وهو خطأ ـ فقد نقل ذلك عن ابن حجر ومضى قول ابن حجر ـ وسار هذا الخطأ حتى على محققي الكتاب فلم ينتبهوا له، وكذلك وقع عند العيني (عمدة القارئ٢٥٤/١٦) والزرقاني(شرح المواهب٣١٢/١).

(٢) الفتح ١١١/٧.

(٣) فقال في حديثه عن لقاء الستة أو الثمانية من الأنصار: وإنما كانت وقعة بعاث عام الأول.(الطبقات٢١٩/١)وهذا الفهم ذكره ابن حجر في الفتح(٢٦٥/٧).

(٤) انظر: السيرة لابن هشام ١٨٣/٢= ومع هذا نقول إن رواية ابن إسحق التي ساقها ابن هشام ذكر فيها ما بين الأوس والخزرج من العداوة ، ومقالة النفر الستة للنبي ﷺ: «إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم وعسى أن يجمعهم الله بك..» لكن ذلك كله ليس بشكل صريح ـ كما في رواية البخاري.

«وكان مما صنع الله به في الإسلام أن يهود كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان، وكانوا قد عزّوهم ببلادهم، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم: إن نبيا مبعوث الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم، فلما كلّم رسول الله ﷺ أولئك النفر ودعاهم إلى الله قال بعضهم لبعض: ياقوم، تعلمون والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود فلا تسبقنكم إليه، فأجابوه فيما دعاهم إليه ..».[1]

بيعة العقبة الأولى:

روى الشيخان في صحيحيهما عن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ وكان شهد بدرا ومن أصحابه ﷺ ليلة العقبة ـ أن رسول الله ﷺ قال ـ وحوله عصابة[2] من أصحابه، وكانوا في مجلس ـ: «بايعوني على أن لاتشركوا بالله شيئا، ولاتسرقوا، ولاتزنوا، ولاتقتلوا أولادكم، ولاتأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولاتعصوا في معروف، فمن وفي منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله[3] فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه» قال:فبايعناه على ذلك.[4]

وفي بعض الروايات زيادة: ولاننتهب.[5]

---

(١) ابن هشام ٣٨/٢ وقد سبق بيان سنده .

(٢) وفي بعض الروايات: في رهط ، والمعنى متقارب، وسنأتي بإذن الله على دلالة هذه الألفاظ على بيعة العقبة الأولى.

(٣) وفي بعض الروايات زيادة: ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له .

(٤) انظر: صحيح البخاري١٠/١ : كتاب الإيمان، باب١١ ، وفي مناقب الأنصار٢٥١/٤ : باب وفود الأنصار إلى النبيﷺ بمكة وبيعة العقبة، وفي التفسير٦١/٦ : باب إذا جاءك المؤمنات يبايعنك(سورة الممتحنة)وفي الحدود١٥/٨ : باب الحدود كفارة وفي باب توبة السارق ١٨/٨ ،وفي الديات ٣٧/٨باب قول الله تعالى ومن أحياها.وفي الأحكام١٢٥/٨باب بيعة النساء، وفي التوحيد ١٩١/٨ : باب في المشيئة والإرادة، وفي صحيح مسلم١٣٣٣/٣ ,١٣٣٤في كتاب الحدود، باب الحدود كفارات لأهلها

(٥) وسيأتي تأويل المقصود بها .

وقريب من سياق الصحيحين روى ابن إسحق قصة العقبة الأولى فقال: وحدثني يزيد[1] بن أبي حبيب، عن أبي مرثد[2] بن عبد الله اليزني، عن عبد الرحمن[3] بن عسيلة الصنابحي عن عبادة بن الصامت قال: كنت في من حضر العقبة الأولى. **وكنا اثني عشر رجلا**، فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء، وذلك قبل أن يفترض علينا الحرب: على أن لانشرك بالله شيئا، ولانسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف. فإن وفيتم فلكم الجنة، وإن غشيتم من ذلك شيئا فأمركم إلى الله عزوجل إن شاء غفر وإن شاء عذب.[4]

وهكذا يبدو سند هذه الرواية قويا، فرجاله ثقات، ماعدا ابن إسحق وقد صرّح بالتحديث، بل إن البخاري ومسلم أخرجا إحدى روايات بيعة العقبة بهذا السند فقالا: حدثنا قتيبة، حدثنا الليث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير عن الصنابحي عن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ ثم ساقا الحديث.[5]

---

(١) يزيد بن أبي حبيب ـ واسمه سويد الأذي ـ مولاهم أبو رجاء المصري، ثقة، فقيه، توفي سنة١٢٨هـ.
(التهذيب١١/٣١٨، والتقريب ٢/٣٦٣).

(٢) هكذا ورد في سيرة ابن هشام(أبي مرثد)، والصحيح أنه أبو الخير مرثد بن عبد الله اليزني، وهو كذلك في سند البخاري، ولعلها سقطت من السيرة لفظة«الخير»، تابعي ثقة، وله فضل وعبادة، توفي سنة ٩٠هـ.
(التهذيب١٠/٨٢، ٦/٢٢٩).

(٣)هو: المرادي، أبو عبد الله، رحل إلى النبيﷺ فوجده قد مات قبله بخمس ليال أو ست ثم نزل الشام، وهو ثقة، توفي في خلافة عبد الملك بن مروان.
التهذيب٦/٢٢٩).

(٤) انظر: السيرة لابن هشام ٢/٤١ .

(٥) البخاري ٤/٢٥١: في مناقب الأنصار، وفي الديات ٨/٣٧ (وقد سبقت) ومسلم٣/١٣٣٤ .

ثم قال ابن إسحق: وذكر لي ابن شهاب الزهري[1]، عن عائذ الله بن عبد الله الخولاني أبي إدريس[2] أن عبادة بن الصامت حدثه أنه قال: بايعنا رسول الله ﷺ **ليلة العقبة الأولى** على أن لانشرك بالله شيئا ولا نسرق، ولانزني، ولانقتل أولادنا، ولانأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف، فإن وفيتم فلكم الجنة، وإن غشيتم من ذلك شيئا فأخذتم بحده في الدنيا فهو كفارة له، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله عز وجل إن شاء عذب، وإن شاء غفر..[3]

وهذه الرواية هي الأخرى إسنادها قوي، وقد أخرج الشيخان: بهذا السند نفسه معظم أحداث بيعة العقبة الأولى ـ كما سبق ـ.[4]

وهكذا تتفق رواية ابن إسحق مع رواية الصحيحين في بيعة العقبة الأولى وتكون رواية ابن إسحق موضحة لبعض ما أجملته رواية الصحيحين، فتحدد عدد المبايعين باثني عشر رجلا، وتصرّح بأن المقصود بهذه البيعة بيعة العقبة الأولى.

وخالف الحافظ ابن حجر في هذا فقال:« ... والمبايعة المذكورة في حديث عبادة على الصفة المذكورة لم تقع ليلة العقبة، وإنما كان ليلة العقبة ماذكره ابن إسحق وغيره من أهل المغازي أن النبيﷺ قال لمن حضر من الأنصار: «أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم»، فبايعوه على

---

(١) هو: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله.. الزهري، أبو بكر المدني، فقيه حافظ، أحد الأئمة الأعلام، وعالم الحجاز والشام، كان ثقة كثير الحديث والعلم والرواية، فقيها جامعا، توفي سنة١٢٤ هـ أو نحوها.(التهذيب٩/٤٤٥).

(٢) هو: عائذ الله بن عبد الله بن عمرو، ويقال عبد الله بن إدريس بن عائذ بن عبد الله بن عتبة ابن غيلان أبو إدريس الخولاني العوذي، تابعي ثقة، مات سنة٨٠هـ.(التهذيب٥/٨٥).

(٣) السيرة لابن هشام ٢/٤٢.

(٤)انظر: البخاري ١/١٠: في الإيمان، ٤/٢٥١ (الرواية الأولى في مناقب الأنصار) ٦/٦١ في التفسير، ٨/١٥، ١٨ في الحدود، ٨/١٢٥، في الأحكام، ٨/١٩١ في التوحيد، ومسلم ٣/١٣٣٣. (وقد سبقت جميعها).

ذلك، وعلى أن يرحل إليهم هو وأصحابه. وسيأتي في هذا الكتاب ـ في كتاب الفتن وغيره ـ من حديث عبادة أيضا قال: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره... الحديث.وقد وضح أن هذا هو الذي وقع في البيعة الأولى، ثم صدرت مبايعات أخرى ستذكر في كتاب الأحكام ـ إن شاء الله تعالى. منها هذه البيعة التي في حديث الباب في الزجر عن الفواحش المذكورة..» .[1]

ثم أخذ يذكر الأدلة التي تقوي ماذهب إليه فقال: والذي يقوي أنها وقعت بعد فتح مكة بعد أن نزلت الآية التي في الممتحنة وهي قوله تعالى:﴿ياأيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك﴾ ونزول هذه الآية متأخر بعد قصة الحديبية بلا خلاف والدليل على ذلك ماعند البخاري في الحدود من طريق سفيان ابن عيينة عن الزهري في حديث عبادة هذا أن النبيﷺ لما بايعهم قرأ الآية كلها، وعنده في تفسير الممتحنة ـ من هذا الوجه ـ قال: اقرأ آية النساء. ولمسلم من طريق معمر عن الزهري قال: فتلا علينا آية النساء،قال: أن لايشركن بالله شيئا إلى أن قال: فهذه أدلة ظاهرة في أن هذه البيعة إنما صدرت بعد نزول الآية، بل بعد صدور البيعة، بل بعد فتح مكة، ثم قال:

ومما يقوي هذا الأمر ـ وذكر بيعتين ـ على وفق بيعة النساء ـ حضرالأولى منهما عبد الله بن عمرو، وهو ليس من الأنصار ولاممن حضر بيعتهم، وإنما كان إسلامه قرب إسلام أبي هريرة، وحضر الأخرى: جرير بن عبد الله، وإسلام جرير متأخر عن إسلام أبي هريرة.

قال: إنما حصل الالتباس من جهة أن عبادة حضر البيعتين معا، وكانت بيعة العقبة من أجل مايتمدح به، فكان يذكرها إذا حدث تنويها بسابقتيه، فلما ذكر هذه البيعة التي صدرت على مثل بيعة النساء عقب ذلك توهم من لم يقف على حقيقة الحال أن البيعة الأولى وقعت على ذلك... إلى أن

(١) الفتح ٦٦/١ .

يقول: والراجح أن التصريح بذلك ـ أي بأن البيعة الأولى ليلة العقبة كانت على بيعة النساء ـ وهم من بعض الرواة.[1]

ونقل رأي ابن حجر هذا الزرقاني، وكأنه مال إليه.[2]

وخالفهما في ذلك طائفة من العلماء وأصحاب السير، ورأوا أن حديث عبادة في الصحيحين صريح في دلالته على بيعة العقبة الأولى ومن هؤلاء البيهقي[3]، والقاضي عياض[4]،وابن سيد الناس[5]، وابن كثير[6]، والذهبي[7]،والعيني، وقد أطال في ذلك، وأتى على جملة ما ذكره ابن حجر ثم أجاب عنه[8] وانتهى في الأخير إلى ترجيح ماذكره جماعة من الأئمة الأجلاء في كون حديث عبادة صريح في كونه بمكة ليلة العقبة الأولى، ثم قال: ونقيم بصحة ماقالوا دلائل منها:

أنه ذكر في هذا الحديث «وحوله عصابة» وفسروا أن العصابة هم النقباء الاثنا عشر، ولم يكن غيرهم هناك، والدليل على صحة هذا مافي رواية النسائي[9]في حديث عبادة هذا، قال:« بايعت رسول الله ﷺ ليلة العقبة في رهط» الحديث، وقد قال أهل اللغة: إن الرهط مادون العشرة من الرجال لايكون فيهم امرأة، قال ابن دريد : وربما جاوز ذلك قليلا، قاله في العباب،

---

(١) انظر: فتح الباري١/٦٦، ٦٧، ١٢/١٩٧.

(٢) شرح المواهب١/٣١٤، ٣١٥ .

(٣) انظر: دلائل النبوة ٢/٤٣٧ .

(٤) انظر: الفتح١/٦٦ .

(٥) عيون الأثر١/١٥٧، ١٥٨، لكنه ذكر حديث عبادة في العقبة الثانية على منهج من يسمي بيعة العقبة الأولى (النساء) بالعقبة الثانية ـ كما سيأتي بيانه ـ.

(٦) السيرة النبوية ٢/١٧٩، ١٨٠ .

(٧) السيرة ص/١٩٥ .

(٨) انظر: عمدة القارئ ١/١٥٧، ١٥٨ .

(٩) بل ورد لفظ الرهط في بعض روايات البخاري كما في الحدود ٨/١٨١٥ والتوحيد ٨/١٩١ .

والقليل ضد الكثير، وأقل الكثير ثلاثة، وأكثر القليل اثنان، فإذا أضفنا الاثنتين إلى التسعة(الرهط) يكون أحد عشر، وكان المراد من الرهط هنا أحد عشر نقيبا، ومع عبادة يكونون اثني عشر نقيبا فإذا ثبت هذا فقد دل قطعا أن هذه المبايعة كانت بمكة ليلة العقبة الأولى؛ لأن البيعة التي وقعت بعد فتح مكة ـ على زعم هذا القائل[1] ـ كان فيها الرجال والنساء وكانوا بعدد كثير.

والثاني: أن قوله ليلة العقبة دليل على أن هذه البيعة كانت هي الأولى؛ لأنه لم يذكر في بقية الأحاديث ليلة العقبة، وإنما ذكر في حديث الطبراني يوم فتح مكة، ولا يلزم من كون البيعة يوم فتح مكة أن تكون البيعة المذكورة هي إياها، غاية الأمر أن عبادة قد أخبر أنه وقعت بيعة أخرى يوم فتح مكة وكان هو في من بايعوه عليه السلام.

والثالث: أن ماوقع في الصحيحين من طريق الصنابحي عن عبادة ـ رضي الله عنه ـ قال: إني من النقباء الذين بايعوا رسول الله ﷺ، وقال: بايعناه على أن لا نشرك بالله شيئا... الحديث يدل على أن المبايعة المذكورة في الحديث المذكور كانت ليلة العقبة، وذلك لأنه أخبر فيه أنه كان من النقباء الذين بايعوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة، وأخبر أنهم بايعوه، ولم يثبت لنا أن أحدا بايعه عليه السلام قبلهم، فدل على أن بيعتهم أول المبايعات، وأن الحديث المذكور كان ليلة العقبة.[2]

أقول: وأضيف إلى ماذكره العيني من الأدلة على كون المقصود بحديث عبادة بيعة العقبة الأولى مايلي:

أولا: أن إطلاق بيعة النساء على بيعة العقبة الأولى لم ينفرد بذكره ابن إسحق، بل ذكره ابن سعد وقال: ليس فيه عندنا خلاف[3]، وذكره ابن حزم في جوامع السيرة[4]، بل إن البخاري وضع إحدى روايات حديث عبادة تحت باب «بيعة النساء» كما سبق ، هذا فضلا عن ثناء العلماء على سياق ابن

---

(١) أظنه يقصد بذلك ابن حجر .

(٢) انظر : عمدة القارئ١/١٥٨، ١٥٩

(٣) انظر: الطبقات١/٢١٩، ٢٢٠ .

(٤) ص/٧١، ٧٢ .

إسحق عن شيوخه عن اللقاء مع الأنصار وكون سياقه أتم من غيره.[1]

ثانيا يظهر أن ابن حجر خلط بين بيعتي العقبة الأولى والثانية، بدليل أنه ذكر أحاديث العقبة الثانية عند ابن إسحق في معرض الحديث عن العقبة الأولى، مشيراً إلى أن هذه هي التي تدل علي بيعة العقبة الأولى وليس حديث عبادة.[2]

---

(١) انظر: دلائل النبوة للبيهقي ٤٣٣/٢ .

(٢) ليس الأمر مقصوراً على ابن حجر، فهناك اختلاف بين أهل السير في تسمية العقبات، فمنهم من عدها اثنتين، ومنهم من عدها ثلاثا، ومنهم من يذكر بيعة العقبة الأولى، ومنهم من لا يذكرها، وإليك البيان:

فابن إسحق ومن وافقه(كابن سعد، والطبري، وابن حزم، وابن كثير... وغيرهم)لا يعدون أول لقاء مع الستة (أو الثمانية) من الأنصار من البيعات، بل يعتبرونه بدء إسلام الأنصار، ويسميه بعضهم باللقاء الأول.

ويسمون بيعة العقبة الأولى ببيعة النساء، أما بيعة السبعين فيسمونها بالعقبة الثانية وهذا هو المشهور.

وهناك من يسمي أول لقاء مع الأنصار بالعقبة الأولى، وبيعة النساء بالعقبة الثانية وبيعة السبعين بالعقبة الثالثة، أمثال ابن عبد البر،وابن سيد الناس، والصالحي، وهناك من لاتتضح لك الصورة عنده في تسمية العقبات، وتحس بشيء من الاضطراب أو التداخل عنده، أمثال: ابن الأثير في أسد الغابة ٨٧/١ ، ٣٠٧، وابن القيم في زاد المعاد٤٦/٣ ، ٤٨ ، وابن حجر في الفتح٦٦/١ .

أما الذين لم يذكروا بيعة العقبة الأولى: فعروة بن الزبير كما في رواية أبي الأسود عنه(مغازي عروة ص/١٢١ وما بعدها).

وابن شهاب في رواية موسى بن عقبة عنه كما ذكرها البيهقي وعلّق عليها بقول: هكذا ذكر موسى ابن عقبة عن ابن شهاب قصة الأنصار في الخرجة الأولى، وذكرها ابن إسحق عن شيوخه أتم من ذكره.(دلائل النبوة للبيهقي٤٣٣/٢).

وكان عبد الله بن أبي بكر يقول ـ فيما يروى عنه ـ لا أدري ما العقبة الأولى؟ ثم يقول ابن إسحق:بلى لعمري قد كانت عقبة وعقبة.(انظر: السيرة لابن كثير١٨٠/٢).

ثالثا: وممايؤكد توافق رواية الصحيحين وابن إسحق في بيعة العقبة الأولى ماسبق أن بينته في توافق رجال إ سنادهما، أما ألفاظهما ففيها شبه وتقارب، وإذا كانت رواية الصحيحين لم تصرح بذكر العقبة الأولى، ولم تشر إلى عدد المبايعين، فرواية ابن إسحق ـ وهو الإمام في المغازي ـ تكشف هذا وتوضحه، وهكذا تكمل الروايات بعضها بعضا، ويكشف بعضها ما أجمله بعضها الآخر.

رابعا: ووضع البخاري حديث عبادة في مناقب الأنصار، وفي وفودهم إلى مكة، وبيعة العقبة الأولى، كل هذه ـ لا شك ـ قرائن قوية تشير إلى أن قصده بهذا الحديث بيعة العقبة الأولى ليس غير.

خامسا: وفوق ماتقدم فقد وجدت ابن حجر ـ في موضع آخر ـ يكاد يرجع عن قوله، ويضع دلالة حديث عبادة على العقبة الأولى موضع الاحتمال فيقول: «..ثم رأيت ابن إسحق جزم بأن بيعة العقبة وقعت بما صدر في الرواية الثانية التي في هذا الباب فقال:«حدثني يزيد بن أبي حبيب» فذكر بسند الباب عن عبادة قال: كنت في من حضر العقبة الأولى، فكنا اثني عشر رجلا، فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء، أي على وفق بيعة النساء التي نزلت بعد ذلك عند فتح مكة، وهذا محتمل..»[1].

أما الاعتراض على هذه البيعة بكون آية النساء وهي قوله تعالى:﴿ياأيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا[2] ..الآية﴾ نزلت فيها، وهذه الآية نزلت متأخرة ـ بعد قصة الحديبية بلا خلاف ـ كما ذكره ابن حجر[3]، فقد أجيب عن ذلك بأن المقصود: على وفق مانزلت عليه بيعة النساء بعد ذلك عام الحديبية، وكان هذا مما نزل على وفق مابايع عليه أصحابه ليلة العقبة، وليس هذ عجيبا، فإن القرآن نزل بموافقة: عمر بن الخطاب في غير موطن[4]. ويحتمل أن عبادة لما حضر البيعات مع النبي ﷺ

---

(١) انظر: الفتح ٢٢٢/٧.

(٢) سورة الممتحنة آية/ ١٢/.

(٣) الفتح ٦٦/١، ١٩٧/١٢

(٤) السيرة لابن كثير ١٨٠/٢، وانظر: الفتح ٢٢٢/٧ .

وسمع منه قراءة الآيات المذكورة في البيعات التي وقعت بعد الحديبية أو بعد فتح مكة ذكرها في حديثه، بخلاف حديث البيعة الأولى، فإنه ليس فيه قراءة شيء من الآيات، ذكره العيني.[1]

وأظهر من ذلك ـ كما قال ابن كثير ـ أن يقال: إن هذه البيعة وقعت عن وحي غير متلو.[2]

أما من تمسك بما ورد في بعض روايات البيعة من قوله «ولا ننتهب» كدليل على تأخر هذه البيعة؛ لأن الجهاد لم يفرض عند بيعة العقبة الأولى، والمراد بالانتهاب ما يقع بعد القتال في الغنائم[3]، فلا متمسك له؛ لأن الانتهاب أعم من أن يكون في المغانم وغيرها، وتخصيصه بالمغانم تحكم، ومخالف للغة.[4]

* * *

بيعة العقبة الثانية:

أخرج البخاري ومسلم بسنديهما عن عبادة بن الوليد، قال أخبرني أبي عن عبادة بن الصامت قال:

بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة، في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا وعلى أن لا ننازع الأمر أهله، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا، لانخاف في الله لومة لائم.[5]

وأخرجاه بسند آخر عن جنادة بن أبي أمية قال: دخلنا على عبادة بن

---

(١) عمدة القارئ ١/١٥٩ .

(٢) السيرة ٢/١٨٠ .

(٣) الفتح ١/٦٨ .

(٤) عمدة القارئ ١/١٥٩ .

(٥) البخاري ٨/١٢٢: كتاب الأحكام، باب كيف يبايع الإمام الناس، ومسلم (واللفظ له)٣/١٤٧٠: كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية .

الصامت وهو مريض فقلنا: حدثنا أصلحك الله بحديث ينفع الله به، سمعته من رسول الله ﷺ، فقال : دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه، فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله قال: «إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان».[1]

وهكذا أخرج الشيخان بيعة العقبة الثانية، وحددا بنودها، وهي كما نرى تختلف عن بنود بيعة الغقبة الأولى ـ كما سبق ـ فهناك كانت البيعة على عدم الإشراك بالله، وعدم السرقة، والزنا، والقتل.. ونحوها، ولهذا سميت بيعة النساء، أي على وفق مبايعة النساء.

أما هنا فالبيعة على السمع والطاعة في المنشط والمكره والعسر واليسر، وفي حال الغنى أو الأثرة ـ أو هي باختصار ـ وكما ستوضحه رواية ابن إسحق بيعة على الحرب والنصرة.

فإذا ما عدنا إلى ابن إسحق وجدنا عنده في بيعة العقبة الثانية أكثر من رواية يكاد يتفق بعضها مع روايات الصحيحين سندا ومتنا، ويختلف بعضها الآخر بما تضيفه من أحداث، وتكشفه من تفصيلات الحادثة، على عادة أهل السير في تتبع الحادثة وذكر جزئياتها.

قال ابن إسحق: ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة[2]، وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين إلى الموسم مع حجاج قومهم من أهل

---

(١) البخاري ٨٨/٨: كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ سترون بعدي أمورا تنكرونها، ومسلم١٤٧٠/٣ (كما سبق).

(٢) ذكر ابن إسحق في العقبة الأولى أن أصحاب العقبة حين انصرفوا عنه بعث معهم مصعب بن عمير، وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام، ويفقههم في الدين.(ابن هشام٤٢/٢).أ.

الشرك حتى قدموا مكة، فواعدوا رسول اللهﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق، حين أراد الله بهم ماأراد من كرامته والنصر لنبيه، وإعزاز الإسلام وأهله، وإذلال الشرك وأهله.[1]

ثم بدأ يسوق الروايات، وسأذكرها مع الوقفة عند أسانيدها ليتبين الصحيح منها وما هو دون ذلك، كما سيتضح من خلال العرض أقربها إلى رواية الصحيحين، والزيادات المهمة في الرويات الصحيحة الأخرى.

ولنبدأ بأقربها إلى رواية الصحيحين:

قال ابن إسحق: فحدثني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت عن أبيه الوليد عن جده عبادة بن الصامت ـ وكان أحد النقباء ـ قال: بايعنا رسول اللهﷺ بيعة الحرب ـ وكان عبادة من الاثني عشر الذين بايعوا في العقبة الأولى على بيعة النساء ـ على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا، ومنشطنا ومكرهنا، وأثرة علينا، وألا ننازع الأمر أهله، وأن نقول بالحق أينما كنا ، لا نخاف في الله لومة لائم.[2]

فهذه الرواية رجال إسنادها ثقات[3]، وماعدا ابن إسحق، وقد صرّح بالتحديث، والقرب في متنها من رواية الصحيحين ظاهر.

وننتقل بعد هذا إلى رواية أخرى ـ عند ابن إسحق ـ أكثر تفصيلا للحادثة:

قال ابن إسحق : وحدثني معبد بن كعب[4] بن مالك بن أبي كعب بن

---

(١) انظر: السيرة لابن هشام ٤٧/٢ .

(٢) انظر: السيرة لابن هشام٦٣/٢ ، وقد أخرجها أحمد في مسنده بهذا الإسناد٣١٦/٥ .(ط.دار صادر، المكتب الإسلامي).

(٣) عبادة بن الوليد ثقة(التهذيب٢٤١/٥). والوليد بن عبادة ثقة أيضا(انظر: التهذيب ١٣٧/١١).

وعبادة صحابي معروف ـ رضي الله عنه ـ.

(٤) معبد بن كعب .. كان أصغر إخوانه، ذكره ابن حبان في الثقات، له في صحيح البخاري حديث واحد.(الثقات٤٣٢/٥ ، والتهذيب١٠/٢٢٤).

القين أخو بني سلمة أن أخاه عبد الله بن كعب[1] وكان من أعلم الأنصار،حدثه أن أباه كعبا[2] حدثه، وكان كعب ممن شهد العقبة وبايع رسول الله ﷺ بها، قال: خرجنا في حجاج قومنا من المشركين، وقد صلينا وفقهنا، ومعنا البراء بن معرور سيدنا وكبيرنا، فلما وجهنا للسفر وخرجنا من المدينة قال البراء لنا: ياهؤلاء، إني قد رأيت رأيا ووالله ماأدري أتوافقنني عليه أم لا؟ قال : قلنا: وماذاك؟ قال: قد رأيت ألا أدع هذه البنية مني بظهر، يعني الكعبة، وأن أصلي إليها، وقال: فقلنا: والله مابلغنا أن نبينا ﷺ يصلي إلا إلى الشام، وما نريد أن نخالفه، قال: إني لمصل إليها، قال: فقلنا له: لكنا لا نفعل، قال فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام، وصلى إلى الكعبة، حتى قدمنا مكة، قال: وقد كنا عبنا عليه ماصنع ،وأبى إلا الإقامة على ذلك، فلما قدمنا إلى مكة قال لي: يابن أخي انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ حتى أسأله عما صنعت في سفري هذا، فإنه والله قد وقع في نفسي منه شيء لما رأيت من خلافكم إياي فيه، قال: فخرجنا نسأل عن رسول الله ﷺ وكنا لا نعرفه، ولم نره قبل ذلك، فلقينا رجلا من أهل مكة، فسألناه عن رسول الله ﷺ فقال: هل تعرفانه؟ فقلنا: لا، قال: فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه؟ قال: قلنا: نعم، قال: وقد كنا نعرف العباس كان لا يزال يقدم علينا تاجرا، قال فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس، قال: فدخلنا المسجد، فإذا العباس رضي الله عنه جالس ورسول الله ﷺ جالس معه، فسلمنا ثم جلسنا إليه، فقال رسول الله ﷺ للعباس: «هل تعرف هذين الرجلين ياأبا الفضل؟»، قال: نعم، هذا البراء بن معرور سيد قومه، وهذا كعب بن مالك، قال: فوالله ماأنسى قول رسول الله ﷺ: «الشاعر»؟

---

(١) عبد الله بن كعب ، تابعي، ثقة، توفي سنة٩٨هـ كان قائد أبيه كعب حين عمي.(التهذيب٥/٣٦٩).

(٢) هو: الصحابي كعب بن مالك رضي الله عنه .

قال: نعم، فقال البراء بن معرور: يانبي الله إني خرجت في سفري هذا، وقد هداني الله للإسلام، فرأيت ألا أجعل هذه البنية مني بظهر، فصليت إليها، وقد خالفني أصحابي في ذلك حتى وقع في نفسي من ذلك شيء، فماذا ترى يارسول الله؟ قال: «قد كنت على قبلة لو صبرت عليها»[1]. قال: فرجع البراء إلى قبلة رسول الله ﷺ، وصلى معنا إلى الشام، قال: وأهله يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات، وليس ذلك كما قالوا، نحن أعلم به منهم.

قال كعب: ثم خرجنا إلى الحج، وواعدنا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق، قال: فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التى واعدنا رسول الله ﷺ لها، ومعنا عبد الله بن عمرو[2] بن حرام أبو جابر، سيّد من ساداتنا وشريف من أشرافنا، أخذناه معنا، وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا، فكلمناه وقلنا له: ياأبا جابر: إنك سيد من ساداتنا، وشريف من أشرافنا، وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطبا للنار غدا، ثم دعوناه إلى الإسلام، وأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ إيانا العقبة، قال: فأسلم وشهد معنا العقبة، وكان نقيبا، قال: فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ، نتسلل تسلل القطا مستخفين حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة، ونحن ثلاثة

---

(١) قال السهيلي: فقه قوله:«لوصبرت عليها»أنه لم يأمره بإعادة ماقد صلى لأنه كان متأولا، وفي الحديث دليل على أن رسول الله ﷺ كان يصلي بمكة إلى بيت المقدس، وهو قول ابن عباس، وقالت طائفة: ماصلى إلى بيت المقدس إلا مذ قدم المدينة سبعة عشر شهرا أو ستة عشر شهرا...(الروض الأنف١١٣/٤)، وانظر تعليق محمد خليل هراس في السيرة على هذا الحديث، ورد صاحب رسالة الهجرة عليه ص/٧٨.

(٢) أنصاري، خزرجي، كان أحد النقباء في العقبة، وشهد بدرا وأحدا وبها استشهد ودفن هو وعمرو بن الجموح في قبر واحد، وروى مالك في موطئه قصة حفر قبريهما بسبب السيل فوجدا لم يتغيرا كأنهما ماتا بالأمس ... إلخ القصة.
(انظر: الإصابة ١٧٤/٦، ١٧٥).

وسبعون رجلا ومعنا امرأتان من نسائنا: نسيبة بنت كعب[1]، أم عمارة إحدى نساء بني مازن بن النجار، وأسماء بنت عمرو بن عدي بن نابي[2]، إحدى نساء بني سلمة وهي أم منيع، قال: فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذ على دين قومه[3] إلا أنه أحبّ أن يحضر أمر ابن أخيه، ويتوثق له، فلما جلس كان أول متكلم العباس ابن عبد المطلب فقال : يامعشر الخزرج ـ قال: وكانت العرب إنما يسمون هذا الحي من الأنصار الخزرج خزرجها وأوسها ـ إن محمدا منا

---

(١) أنصارية، مازنية، تزوجها زيد بن عاصم المازني، وبعده غزية بن عمر المازني، شهدت بيعة الرضوان أيضا، واليمامة، وشاركت ابنها عبد الله في قتل مسيلمة، فقطعت يدها، وجرحت ، وهي مشهورة بالشجاعة ماتت نحو سنة ١٣ هـ.

(الروض الأنف ١١٨/٤ ، والإصابة١٥١/١٣ ، والأعلام ٣٣٤/٨).

(٢) أنصارية، سلمية، أم معاذ بن جبل، وفي التجريد، قيل هي أسماء بنت عدي بن عمرو، وكنيتها «أم منيع».

(٣) هذا هو المشهور من كون العباس في تلك الفترة كان مشركا، والمسألة محل نظر فابن سعد ذكره في الطبقة الثانية من المهاجرين والأنصار ممن لم يشهد بدرا، ولهم إسلام قديم، ثم ذكر عدة روايات تفيد إسلامه قبل الهجرة..(انظر: الطبقات٤/٥ـ٣٤). لكن الذهبي تتبعه في معظم هذه الروايات ـ المفيدة لقدم إسلام العباس ـ مشيرا إلى ضعفها (سير أعلام النبلاء٧٨/٢)ومع هذا فقد ذكر في مقدمة ترجمته له الرأي القائل بقدم إسلامه، وأنه كان يكتم ذلك، وتساءل عن بقائه في مكة مع إسلامه؟٩٦/٢.

كما تتبع ابن حجر بعض روايات ابن سعد وضعفها (التهذيب١٢٣/٥)وفي فضائل الصحابة، لأحمد، بعض الروايات عن إسلام العباس، ومنها رواية صححها الحاكم، وقال : هي أصح رواية للعباسيين في إسلام العباس (الفضائل٩٢٢/٢)، وفي الصحيحين قصة مدافعته عن أبي ذر حين أسلم وضربه المشركون(سبق)، وانظر: تعليق ابن حجر عليها في الفتح١٧٦/٧ ، وذكر ابن عبد البر إسلام العباس قبل فتح خيبر.ثم قال: وقيل أسلم قبل بدر بل ذكر أن إقامته بمكة كانت برغبة الرسول ﷺ(الاستيعاب٦/٦ بهامش الإصابة) وفي أنساب الأشراف واليعقوبي ذكر لإعطائه النبي ﷺ الخبر بتجهز المشركين لغزوه في أحد.(انظر: الوثائق السياسية ص/٥٠) أما ابن كثير فذكر أنه أسلم عام الفتح، وقيل أسلم: قبل ذلك، لكنه أقام بمكة بإذن الرسول (البداية والنهاية١٧٦/٧).

حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عزّ من قومه ومنعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه، فإنه في عزة ومنعة من قومه وبلده، قال: فقلنا له: قد سمعنا ماقلت، فتكلم يارسول الله، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت.

قال : فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن، ودعا إلى الله ورغب في الإسلام، ثم قال: أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم. قال: فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: نعم والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا[١] فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله أهل الحرب، وأهل الحلقة[٢] ورثناها كابرا عن كابر، قال: فاعترض القول ـ والبراء يكلم رسول الله ﷺ ـ أبو الهيثم بن التيهان فقال: يارسول الله، إن بيننا وبين القوم حبالا، وإنا قاطعوها (يعني اليهود) فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ قال: فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: «بل الدم بالدم، والهدم بالهدم[٣]، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم».

قال كعب: وقد قال رسول الله ﷺ: أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيبا ليكونوا على قومهم بمافيهم[٤] فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبا: تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس.

---

(١) أراد: نساءنا، والعرب تكني عن المرأة بالإزار.(الروض الأنف٤/١١٩).

(٢) الحلْقة : بسكون اللام: السلاح عامًا، وقيل : هي الدروع خاصة(النهاية في غريب الحديث والأثر١/٤٢٧).

(٣) قال السهيلي: قال ابن قتيبة: كانت العرب تقول عند عقد الحلف والجوار: دمي دمك، وهدمي هدمك، أي: ماهدمت من الدماء هدمته أنا، ويقال أيضا: بل الدم الدم والهدم الهدم ...
(انظر: الروض الأنف٤/١٢١، ١٢٢).

(٤) وفي رواية أخرى ـ عند ابن إسحق ـ قال: فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ قال للنقباء: أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى، وأنا كفيل على قومي ـ يعني المسلمين ـ فقالوا: نعم.(انظر: ابن هشام٢/٥٥) وإسناد الرواية حسن لكنه مرسل(رسالة الهجرة ص/٨١).

قال ابن إسحق: قال الزهري: حدثني معبد بن كعب بن مالك، فحدثني في حديثه عن أخيه عبد الله بن كعب عن أبيه كعب بن مالك[1]، قال: كان أول من ضرب علي يد رسول اللهﷺ البراء بن معرور، ثم بايع بعد القوم، فلما بايعنا رسول اللهﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قط: ياأهل الجباجب (والجباجب المنازل) هل لكم في مذمم والصّباء[2] معه قد اجتمعوا على حربكم؟ قال: فقال رسول اللهﷺ: «هذ أزبّ العقبة، هذا ابن أزيب[3]» «استمع أي عدو الله، أما والله لأفرغن لك» قال: ثم قال رسول اللهﷺ: ارفضوا إلى رحالكم، فقال له العباس بن عبادة بن نضلة[4]: والله الذي بعثك بالحق إن شئت لنميلن على أهل منى غدا بأسيافنا، قال: فقال رسول الله ﷺ: «لم نؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم» قال: فرجعنا إلى مضاجعنا، فنمنا عليها حتى أصبحنا، فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاءونا في منازلنا، فقالوا: يامعشر الخزرج، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا، وإنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم، قال: فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون بالله ماكان من هذا شيء، وما

---

(١) هذا السند هو نفسه سند الرواية السابق، مع زيادة الزهري ، والملاحظ أن ابن هشام فصل هذا الجزء من الرواية عما قبله، وأدخل بينهما روايات أخرى لابن إسحق بسند آخر، ونظرا لكون سياق الرواية واحدا فقد أجملتها وألحقت آخرها بأولها ـ وهكذا جاءت الرواية متصلة في مسند الإمام أحمد.

(٢) مذمم: يقصدون به محمداﷺ، والصباء: جمع صابئ وكان المشركون يقولون لمن أسلم مع محمدﷺ: صبأ وهو صابئ أو «مَصْبُوّ» لأنهم لايهمزون، ويسمون المسلمين «الصباة» بغير همز، كما نقل ذلك ابن الأثير. (انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/٣).

(٣) الأزب في اللغة: الكثير الشعر، ومنه حديث بيعة العقبة (هو شيطان اسمه أزب العقبة) النهاية ١/ ٤٣.

(٤) أنصاري، خزرجي، من أهل الصفة، كان أنصاريا مهاجرا؛ لأنه بقي بمكة حتى هاجر مع رسول الله ﷺ إلى المدينة، استشهد بأحد، وهو الذي قال في البيعة: يامعشر الخزرج هل تدرون على ماتأخذون محمدا، فإنكم تأخذونه على حرب الأحمر والأسود.. إلخ ـ كما سيأتي ـ (الإصابة ٣٢٧/٥).

علمناه، قال: وقد صدقوا لم يعلموه، قال: وبعضنا ينظر إلى بعض، قال: ثم قام القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي[1] وعليه نعلان له جديدان، قال: فقلت له كلمة كأني أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا: يأبا جابر أما تستطيع أن تتخذ وأنت سيد من ساداتنا مثل نعلي هذا الفتي من قريش؟ قال: فسمعها الحارث فخلعهما من رجليه ثم رمى بهما إلي فقال: والله لتنتعلنهما (فأل) قال: يقول أبو جابر: مه، أحفظت والله الفتى، فاردد إليه نعليه، قال: قلت: لاوالله لا أردهما، فأل والله صالح، والله لئن صدق الفأل لأسلبنه.[2]

هذه الرواية رجال إسنادها ـ كما سبق الحديث عنهم ـ ثقات، ماعدا ابن إسحق، وقد صرّح بالتحديث، فلا تقل درجتها عن الحسن.

وقد أخرجها الإمام أحمد في مسنده[3] وفي فضائل الصحابة[4] باختصار وصحح ابن حبان هذه الرواية[5]، وكذا ابن حجر[6]، والهيثمي[7] ومال إلى تصحيحها فريق من الباحثين المحدثين.[8]

وبعد معرفتنا بصحة هذه الرواية نتوقف عندها قليلا لإبراز الزيادات ـ التي شملتها الرواية ـ في أحداث العقبة الثانية، فوق ماجاء في رواية الصحيحين، وابن إسحق السابقة. فالرواية تكشف ـ أولا ـ عن الكيفية التي خرج بها

---

(١) أخو أبي جهل وابن عم خالد بن الوليد، وكان شريفا مذكورا، شهد بدرا وأحدا مشركا، ثم أسلم رضي الله عنه يوم فتح مكة، وحسن إسلامه، توفي في طاعون عمواس سنة١٨هـ، وقيل: يوم اليرموك سنة ١٥هـ.
(الاستيعاب٢/٢٥٩، والإصابة ٢/١٨١).

(٢) انظر: السيرة لابن هشام ٢/٤٧ ـ٥١، ٥٦، ٥٧ .

(٣) ٣/٤٦٠ .

(٤) ٢/٩٢٣ .

(٥) كما ذكره الحافظ في الفتح ٧/٢٢١.

(٦) انظر حديثه عن صحة سند الرواية في الإصابة١٢/١١٦ .

(٧) مجمع الزوائد ٦/٤٥ حيث قال: رواه أحمد والطبراني بنحوه ورجال أحمد رجال الصحيح، غير ابن إسحق، وقد صرّح بالسماع.

(٨) انظر تعليق الألباني على فقه السيرة للغزالي ص/١٥٩، وانظر: تعليق وتحقيق الدكتور وصي الله ابن محمد علي، فضائل الصحابة٢/٩٢٣، ورسالة الهجرة للباحث سليمان السعود ص/٨٢.

أصحاب البيعة مع حجاج قومهم، كما تشير إلى اجتهاد البراء بن معرور في الصلاة إلى جهة الكعبة في سفرهم.وتكشف عن موعد النبيﷺ معهم عند العقبة، وكيف تسللوا عند الموعد دون علم قومهم.

كما تحدد عدد المبايعين ـ وسنأتي على ذكرهم في موطنه إن شاء الله[1]ـ وموقف عمه العباس في البيعة، وتوثقه لابن أخيه.

وتحمل الرواية بنود البيعة في المنعة والنصرة، إذ هي بيعة على الحرب كما سبق في الرواية قبلها، ولهذا فرّق ابن إسحق بين بنود هذه البيعة، والبيعة قبلها فقال[2]: وكان في بيعة الحرب ـ حين أذن الله لرسوله في القتال ـ شروط سوى شرطه عليهم في العقبة الأولى: كانت الأولى على بيعة النساء، وذلك أن الله تعالى لم يكن أذن لرسوله ﷺ في الحرب، فلما أذن له فيها وبايعهم رسول اللهﷺ في العقبة الآخرة على حرب الأحمر والأسود أخذ لنفسه، واشترط على القوم لربه، وجعل لهم على الوفاء بذلك الجنة.[3]

ومما تبرزه الرواية ـ أيضا ـ موقف الهيثم بن التيهان، واستفساره عن رجوع النبيﷺ عنهم إذا أظهره الله، وتطمين النبيﷺ بعدم صنيع ذلك.

وتنص الرواية على تعيين النقباء الاثني عشر ، وقد سماهم ابن هشام في رواية البكائي عن ابن إسحق[4]، وذكر خلاف أهل العلم في أحدهم.[5]

كما تبين أول من ضرب على يد الرسولﷺ مبايعا، وهو البراء بن معرور، وفي ذلك خلاف ذكره ابن إسحق ـ في موطن آخر ـ فقال : فبنو النجار

---

(١) سأذكر قائمة بأسماء أهل العقبتين في نهاية هذا الفصل ـ بمشيئة الله ـ.

(٢) ذكر ابن إسحق هذا القول دون إسناد.

(٣) انظر: السيرة لابن هشام ٦٣/٢ . هناك رواية عند الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ تجمع بنود البيعة وتفصلها، ومما جاء فيها: «... وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم .». (المسند ٣٢٢/٣، ٣٣٩).

قال ابن كثير عن إسناده: جيد ولم يخرجوه(السيرة ١٩٦/٢ ، وانظر: رسالة الهجرة ص/٨٦).

(٤) انظر:السيرة لابن هشام ٥١/٢ ـ ٥٣ .

(٥) قال ابن هشام: وأهل العلم يعدون فيهم أبا الهيثم بن التيهان، ولا يعدون رفاعة بن عبد المنذر، ثم استشهد على ذلك بقصيدة لكعب بن مالك.فيها ذكر أبي الهيثم دون رفاعة (السيرة٥٣/٢) وانظر: تعقب ابن كثير لذكر سعد بن معاذ في قصيدة كعب وهو ليس من النقباء بالكلية(السيرة٢٠٠/٢).

وقد اختار السهيلي، وابن الأثير ذكر أبي الهيثم في النقباء(انظر: السيرة لابن كثير ١٩٩/٢ ، وأسد الغابة ١٥/٥).

يزعمون أن أبا أمامة أسعد بن زرارة كان أول من ضرب على يده ، وبنو عبد الأشهل يقولون: بل أبو الهيثم بن التيهان.[1]

وفي الرواية الخبر عن صرخة الشيطان (أزب العقبة).

وفيها ـ أيضا ـ مقالة العباس بن عبادة بن نضلة: والله الذي بعثك بالحق إن شئت لنميلن على أهل منى غدا بأسيافنا.

وقد ذكر ابن إسحق ـ في رواية أخرى ـ موقفا آخر للعباس بن عبادة فقال: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة[2] أن القوم لما اجتمعوا لبيعةرسول اللهﷺ قال العباس بن عبادة بن نضلة الأنصاري أخو بني سالم بن عوف: يامعشر الخزرج، هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم، قال: إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة، وأشرافكم قتل، أسلمتموه فمن الآن، فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه، فهو والله خير الدنيا والآخرة، قالوا: فإنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف، فما لنا بذلك يارسول الله إن نحن وفينا؟قال: «الجنة» ، قالوا: ابسطَ يدك، فبسط يده فبايعوه.

فأما عاصم بن عمر بن قتادة فقال: والله ماقال ذلك العباس إلا ليشد العقد لرسول اللهﷺ في أعناقهم.

وأما عبد الله بن أبي بكر فقال[3] : ماقال ذلك العباس إلا ليؤخر القوم تلك

(١) ابن هشام ٥٦/٢، وانظر: الروض الأنف ١١٩/٤ ، والسيرة لابن كثير ٢٠٢/٢ .

(٢) سبقت ترجمته (وهو ثقة).

(٣) هكذا جاء في سيرة ابن هشام، أما ابن كثير فقال في سيرته: وزعم عبد الله بن أبي بكر٢٠١/٢ .

الليلة رجاء أن يحضرها عبد الله بن أُبيّ بن سلول، فيكون أقوى لأمر القوم فالله أعلم أي ذلك كان.[1]

وأخيرا تكشف الرواية عن قدوم جلة قريش على منازل الأنصار ومشركي قومهم عند الصباح، مستفسرين عما سمعوه من أخبارهم، فيتصدى لهم المشركون يحلفون ماكان من هذا شيء، وفي هذا الصدد يزيد ابن إسحق الأمر توضيحا في رواية أخرى فيقول:

وحدثني عبد الله بن أبي بكر، أنهم أتوا عبد الله بن أبي بن سلول فقالوا له مثل ماقال كعب من القول، فقال لهم: إن هذا لأمر جسيم، ماكان قومي ليتقوتوا عليّ بمثل هذا، وما علمته كان، قال: فانصرفوا عنه، قال: ونفر الناس من منى فتنطس[2] القوم الخبر فوجدوه قد كان ، وخرجوا في طلب القوم، فأدركوا سعد بن عبادة بأذاخر[3]، والمنذر بن عمرو ـ أخا بني ساعدة بن كعب بن الخزرج ـ وكلاهما كان نقيبا ، فأما المنذر فأعجز القوم، وأما سعد فأخذوه فربطوا يديه إلى عنقه بنسع[4] رحله، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه ويجذبونه بجمته ـ وكان ذا شعر كثير ـ قال سعد: فوالله إني لفي أيديهم إذ طلع عليّ نفر من قريش فيهم رجل وضيء

---

(١) انظر: ابن هشام ٥٥/٢. وإسناد الرواية حسن،لكنها مرسلة (وانظر رسالة الهجرة ص/٨٧).

(٢) أصل التنطس: التقذّر، وقيل : هو المبالغة في الطهور، والتأنق فيه، وكل من تأنق في الأمور ودقق النظر فيها فهو نطس ومتنطس.
(النهاية ٥/٧٤).

(٣) أذاخر: موضع قريب من مكة (انظر: معجم البلدان ١/١٢٧).

(٤) النسعة بالكسر: سير مضفور يجعل زماما للبعير وغيره(النهاية٥/٤٨).

أبيض شعشاع حلو من الرجال، ،قال: قلت في نفسي : إن يك عند أحد من القوم خير فعند هذا، قال: فلما دنا مني رفع يديه فلكمني لكمة شديدة، قال : قلت في نفسي : لا والله ماعندهم بعد هذا من خير، قال: فوالله إني لفي أيديهم يسحبونني، إذ أوى لي رجل[1] ممن كان معهم فقال: ويحك!! أما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد؟ قال: قلت: بلى والله، لقد كنت أجيراً لجبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناة تِجارَه، وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادي، وللحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، قال: ويحك!فاهتف باسم الرجلين، واذكر مابينك وبينهما، قال: ففعلت وخرج ذلك الرجل إليهما فوجدهما في المسجد عند الكعبة فقال لهما: إن رجلا من الخزرج الآن يضرب بالأبطح ليهتف بكما، ويذكر أن بينه وبينكما جوارا، قالا : ومن هو؟ قال: سعد بن عبادة، قالا : صدق والله، إن كان ليجير لنا تجارنا، ويمنعهم أن يظلموا ببلده، قال: فجاءا فخلصا سعدا من أيديهم، فانطلق وكان الذي لكم سعدا سهيل بن عمرو أخو بني عامر ابن لؤي.[2]

---

(١) قال ابن هشام: هو أبو البختري ابن هشام. (السيرة ٢/٥٩).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام٢/٥٧ ـ٥٩ وهذه الرواية هي الأخرى إسنادها حسن، لكنها مرسلة، وانظر: رسالة الهجرة ص/٨٢، ٨٤ .

من سمي من أصحاب العقبة في الصحيحين

١ـ **عبادة بن الصامت:** ذكره الشيخان في العقبتين ـ كما سبق ـ.

٢ـ **كعب بن مالك:** ذكره البخاري في العقبة الثانية وذكر قوله: «ولقد شهدت مع النبيﷺ ـ ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها».[١]

٣ـ **جابر بن عبد الله، وأبوه، وخالاه:**

فقد روى البخاري عنه قوله:«شهد بي خالاي العقبة».[٢] قال أبو عبد الله(البخاري) قال ابن عيينة: أحدهما: البراء بن معرور[٣]ووقع في رواية الإسماعيلي: قال سفيان: خالاه: البراء بن معرور وأخوه ولم يسمه.[٤]

وتعقبه الدمياطي فقال: أم جابر هي أنيسة بنت غنمة بن عدي، وأخواها ثعلبة، وعمرو[٥]وهما خالا جابر، وقد شهدا العقبة الأخيرة، وأما البراء بن معرور فليس من أخوال جابر.[٦]

---

(١) ٤/ ٢٥٠ : مناقب الأنصار، باب وفود الأنصار ـ وبيعة العقبة، وفي المغازي٥/ ١٣٠(غزوة تبوك، باب حديث كعب بن مالك، وقول الله عزوجل: ﴿وعلى الثلاثةالذين خلفوا﴾.

(٢) ٤/ ٢٥٠ . مناقب الأنصار(سبق).

(٣) المصدر نفسه ٤/ ٢٥٠ .

(٤) انظر: الفتح ٧/ ٢٢١ .

(٥) هما: ثعلبة، وعمرو بن غنمة بن عدي.. ذكرهما ابن إسحق في العقبة الثانية ـ كما سيأتي ـ.

(٦) الفتح ٧/ ٢٢١، ٢٢٢ .

قال الحافظ ابن حجر: قلت: لكن من أقارب أمه، وأقارب الأم يسمون أخوالا مجازا، ثم ساق دليلا على ذلك ـ، وإن كان مال في الأخير، إلى أن يكون الخال الآخر إما ثعلبة، وإما عمرا...[1]

أما والد جابر، فقد روى البخاري ـ بسنده ـ قال جابر:«أنا، وأبي وخالي[2] من أصحاب العقبة».[3]

فإذا علم أن أحدا من هؤلاء لم يشهد العقبة الأولى ـ كما في رواية ابن إسحق ـ تعين أن يكون قصد جابر بالعقبة: الثانية، ويؤيده أن جابرا، وأباه (عبد الله بن حرام)، والبراء بن معرور، وثعلبة أوعمرو بن غنمة.. كل هؤلاء في عداد أصحاب العقبة الثانية ـ كما ذكره ابن إسحق ـ وسيأتي بيانه ـ.

٤ـ رافع بن مالك بن العجلان: ذكره البخاري، فروى من طريق يحيى ابن سعيد عن معاذ بن رفاعة، عن رافع، وكان رفاعة من أهل بدر، وكان رافع من أهل العقبة فكان يقول لابنه: مايسرني أني شهدت بدرا بالعقبة.[4]

---

(١) المصدر السابق ٢٢٢/٧ .

(٢) وقع في بعض النسخ خالاي(وهي كذلك في النسخة التي عليها فتح الباري) .

(٣) ٢٥٠/٤ .

(٤) ١٤/٥ : كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرا. وقد علق ابن حجر على قول رافع بقوله: والذي يظهر أن رافع بن مالك لم يسمع من النبيﷺ التصريح بتفضيل أهل بدر على غيرهم فقال ماقال باجتهاد منه، وشبهته أن العقبة كانت منشأ نصرة الإسلام وسبب الهجرة التي نشأ منها الاستعداد للغزوات كلها، لكن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله أعلم.(الفتح١٣/٧) .

** ** **

تسمية من شهد العقبتين كما ذكرهم ابن إسحق[١]
مع الإشارة إلى من ذكر في الصحيحين منهم

أولا: أهل بيعة العقبة الأولى (وعددهم اثنا عشر رجلا)[٢]:

١ـ عبادة بن الصامت بن قيس بن أحرم الخزرجي(وقد ذكر في الصحيحين في العقبتين) .قال ابن إسحق: نقيب، شهد بدرا، والمشاهد كلها[٣]، وذكره في العقبتين.

٢ـ أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة الخزرجي، قال ابن إسحق: نقيب، مات قبل بدر، ومسجد رسول الله ﷺ يبنى.وذكره في العقبتين.[٤]

٣ـ رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن رزيق، الخزرجي، قال ابن إسحق: نقيب[٥].وذكره في العقبتين.

---

(١) هذا التحديد بابن إسحق والصحيحين يحتمه عنوان الكتاب وهو مع ذلك يقينا من الخلاف الواقع في تسمية الذين شهدوا العقبتين، ولهذا فمن وجد غير هذه الأسماء، أو لم يجد بعضها عند آخرين من أرباب السير فليعلم أن منشأ ذلك خلافهم حول بعض الأسماء في شهود العقبتين وليتأمل قول ابن سيد الناس عند حديثه عن تسمية من شهد العقبة الثانية حيث قال:« وكانوا ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين، هذا هو العدد المعروف، وإن زاد في التفصيل على ذلك فليس ذلك بزيادة في الجملة، وإنما هو لمحل الخلاف في من شهد ، فبعض الرواة يثبته، وبعضهم يثبت غيره بدله، وقد وقع ذلك في غير موضع في أهل بدر، وشهداء أحد،وغير ذلك» .(عيون الأثر١/١٦٧) .

(٢) انظر: السيرة لابن هشام ٢/ ٤٠، ٤١ .

(٣) المصدر نفسه ٢/٧٢.

(٤) المصدر نفسه ٢/٦٦.

(٥) المصدر نفسه ٢/٦٩ .

٤ـ ذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق(خزرجي) قال ابن إسحق: خرج إلى رسول الله ﷺ، وكان معه بمكة، فهاجر إلى رسول الله ﷺ من المدينة، فكان يقال له: مهاجري أنصاري، شهد بدرا، وقتل يوم أحد شهيدا[1]. ذكره في العقبتين.

٥ـ عوف بن الحارث بن رفاعة(من بني النجار) قال ابن إسحق: شهد بدرا، وقتل به شهيدا[2].وذكره في العقبتين.

٦ـ معاذ بن الحارث بن رفاعة(أخو عوف وهما ابنا عفراء) قال ابن إسحق شهد بدراً وأُحداً ، والخندق، والمشاهد كلها[3].ذكره في العقبتين.

٧ـ يزيد بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم، أبو عبد الرحمن (من بني غصينة من بلي حليف لبني عوف بن الخزرج)[4].وذكره في العقبتين.

٨ـ العباس بن عبادة بن نضلة(من بني سالم بن عوف).قال ابن إسحق: كان ممن خرج إلى رسول الله ﷺ وهو بمكة فأقام معه بها، فكان يقال له مهاجري أنصاري، وقتل يوم أحدشهيدا[5].وذكره في العقبتين.

٩ـ عقبة بن عامر بن نابي(من بني سلمة بن سعد) ذكره ابن إسحق في الأولى، ولم يذكره في الثانية.

---

(١) السيرة لابن هشام ٦٩/٢ .

(٢) المصدر نفسه ٦٦/٢ .

(٣) المصدر نفسه ٦٦/٢ .

(٤) المصدر نفسه ٧٣/٢ .

(٥) المصدر نفسه ٧٣,٧٢/٢.

١٠ـ قطبة بن عامر بن حديدة(من بني سواد بن غنم بن كعب بن سلمة) قال ابن إسحق: شهد بدرا[١].وذكره في العقبتين.

فهؤلاء عشرة كلهم من الخزرج، والباقي اثنان من الأوس، هما:

١١ـ أبو الهيثم بن التيهان، واسمه مالك (من الأوس بن حارثة بن ثعلبة).

قال ابن إسحق: شهد بدرا[٢].وذكره في العقبتين.

١٢ـ عويم بن ساعدة(من بني عمرو بن عوف) قال ابن إسحق: شهد بدرا، وأحدا، والخندق[٣].وذكره في العقبتين.

ثانيا: أهل بيعة العقبة الثانية: (وعدتهم ثلاثة وسبعون رجلا، وامرأتان) من الأوس أحد عشر رجلا وهم: من الأوس بن حارثة ثلاثة نفر:

١ـ أسيد بن حضير بن سماك، قال ابن إسحق: نقيب لم يشهد بدرا[٤].

٢ـ أبو الهيثم بن التيهان: (وقد سبق ذكره في الأولى).

٣ـ سلمة بن سلامة بن وقش: شهد بدرا كما قاله ابن إسحق[٥].

ومن بني حارثة بن الحارث بن الخزرج ثلاثة نفر:

٤ـ ظهير بن رافع بن عدي بن زيد بن جشم بن حارثة[٦].

٥ـ أبو بردة بن نيار، واسمه: هانئ بن نيار بن عمرو بن عبيد. شهد بدرا.

٦ـ نهير بن الهيثم، من بني نابي بن مجدعة بن حارثة.

---

(١) المصدر السابق٢/٧١.

(٢)المصدر نفسه ٢/٦٤ .

(٣) نفس المصدر ٢/٦٥.

(٤) المصدر نفسه ٢/٦٤ .

(٥) المصدر نفسه ٢/٦٤ .

(٦) المصدر نفسه ٢/٦٤ .

ومن بني عمرو بن عوف خمسة نفر:

٧ـ سعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك[١] .قال ابن إسحق: نقيب، شهد بدرا، فقتل به مع رسول الله ﷺ شهيدا.

٨ـ رفاعة بن عبد المنذر بن زنبر: نقيب،شهد بدرا، وقتل يوم أحد شهيدا.

٩ـ عبد الله بن جبير بن النعمان: شهد بدرا، قتل يوم أحد شهيدا، أميرا لرسول الله ﷺ على الرماة.

١٠ـ معن بن عدي بن الجد بن العجلان: شهد بدرا،وأحدا، والخندق ومشاهد رسول الله ﷺ كلها، قتل يوم اليمامة شهيدا في خلافة أبى بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ.

١١ـ عويم بن ساعدة (وقد سبق ذكره في الأولى).

ومن الخزرج بقيتهم وهم: من الخزرج بن حارثة ستة نفر:

١٢ـ أبو أيوب: خالد بن زيد بن كليب، شهد بدرا، وأحدا، والمشاهد كلها، مات بأرض الروم غازيا في زمن معاوية بن أبي سفيان.

١٣ـ معاذ بن الحارث بن رفاعة(سبق ذكره في الأولى).

١٤ـ عوف بن الحارث(أخو معاذ، سبق ذكره في الأولى).

١٥ـ وأخوه معوذ بن الحارث: شهد بدرا، وقتل به شهيدا، وهو الذي قتل أبا جهل بن هشام[٢].

---

(١) قال ابن هشام: ونسبه ابن إسحق في بني عمرو بن عوف، وهو من بني غنم بن السلم؛ لأنه ربما كانت دعوة الرجل في القوم أو يكون فيهم فينسب إليهم.(السيرة٢/٦٥).

(٢) هكذا في النسخة التي اعتمدت عليها (المطبوعة) وفي بعض النسخ تثبت قتل أبي جهل لأخيه عوف.(انظر: حاشية ابن هشام٢/٦٦).

١٦ـ عمارة بن حزم بن زيد: شهد بدرا، وأحدا، والخندق، والمشاهد كلها، وقتل يوم اليمامة شهيدا في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

١٧ـ أسعد بن زرارة(سبق ذكره في الأولى).

ومن بني عمرو بن مبذول رجل واحد وهو :

١٨ـ سهل بن عتيك بن نعمان: شهد بدرا.

ومن بني عمرو بن مالك رجلان هما:

١٩ـ أوس بن ثابت بن المنذر: شهد بدرا.

٢٠ـ وأبو طلحة: زيد بن سهل بن الأسود: شهد بدراً.

ومن بني مازن بن النجار رجلان هما:

٢١ـ قيس بن أبي صعصعة(عمرو بن زيد) شهد بدرا، وكان رسول اللهﷺ جعله على الساقة يومئذ.

٢٢ـ عمرو بن غزية بن عمرو بن ثعلبة.

ومن بلحارث بن الخزرج سبعة نفر هم:

٢٣ـ سعد بن الربيع: نقيب، شهد بدرا، وقتل يوم أحد شهيدا.

٢٤ـ خارجة بن زيد بن أبي زهير: شهد بدرا، وقتل يوم أحد شهيدا.

٢٥ـ عبد الله بن رواحة: نقيب، شهد بدرا، وأحدا ، والخندق، ومشاهد رسول اللهﷺ كلها، إلا الفتح وما بعده، قتل يوم مؤتة شهيدا، أميرا لرسول اللهﷺ .

٢٦ـ بشير بن سعد بن ثعلبة: شهد بدرا.

٢٧ـ عبد الله بن زيد مناة بن ثعلبة: شهد بدرا، وهو الذي أُري النداء للصلاة، فجاء به إلى رسول اللهﷺ فأمره به .

٢٨ـ خلاّد بن سويد بن ثعلبة: شهد بدرا، وأحدا، والخندق، وقتل يوم بني قريظة شهيدا، طرحت عليه رحا من أطم[1]من آطامها فشدخته شدخا كبيرا، فقال رسول اللهﷺ ـ فيما يذكرون ـ: « إن له لأجرشهيدين» .

---

(١) الأطم ـ بضمتين ـ الحصن .

٢٩ـ عقبة بن عمرو بن ثعلبة (أبو مسعود) وكان أحدث من شهد العقبة سنا، مات في أيام معاوية، لم يشهد بدرا.

ومن بني بياضة بن عامر بن زريق ثلاثة نفر، هم :

٣٠ـ زياد بن لبيد بن ثعلبة: شهد بدرا.

٣١ـ فروة بن عمرو بن وذقة: شهد بدرا.

٣٢ـ خالد بن قيس بن مالك بن العجلان: شهد بدرا.

ومن بني زريق بن عامر أربعة نفر هم:

٣٣ـ رافع بن مالك بن العجلان(سبق في الأولى).

٣٤ـ ذكوان بن عبد قيس(سبق في الأولى).

٣٥ـ عبادة بن قيس بن عامر: شهد بدرا.

٣٦ـ الحارث بن قيس بن خالد : شهد بدرا.

ومن بني سلمة بن سعد أحد عشر رجلا هم:

٣٧ـ البراء بن معرور: وهو الذي تزعم بنو سلمة أنه كان أول من ضرب على يد رسول اللهﷺ وشرط له واشترط عليه، ثم توفي قبل مقدم رسول اللهﷺ.

٣٨ـ بشر بن البراء بن معرور: شهد بدرا، وأحدا، والخندق، ومات بخيبر من أكلة أكلها مع رسول اللهﷺ من الشاة التي سم فيها، وهو سيد بني سلمة كما أخبرهم بذلك رسول اللهﷺ.

٣٩ـ سنان بن صيفي بن صخر بن خنساء: شهد بدرا، وتوفي يوم الخندق شهيدا.

٤٠ـ الطفيل بن النعمان بن خنساء: شهد بدرا، وقتل يوم الخندق شهيدا

٤١ـ ومعقل بن المنذر بن سرح بن خناس : شهد بدرا.

٤٢ـ يزيد بن المنذر بن سرح بن خناس: شهد بدرا.

٤٣ـ مسعود بن يزيد بن سبيع بن خنساء.

٤٤ـ الضحاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة: شهد بدرا.

٤٥ـ يزيد بن خذام بن سبيع بن خنساء.

٤٦ـ حبار[1] بن صخر بن أمية بن خنساء: شهد بدرا.

٤٧ـ الطفيل بن مالك بن خنساء بن سنان: شهد بدرا.

ومن بني سواد بن غنم بن كعب، رجل هو:

٤٨ـ كعب بن مالك بن أبي كعب (وقد سبق ذكر البخاري له).

ومن بني غنم بن سواد بن غنم خمسة نفر، هم:

٤٩ـ سليم بن عمرو بن حديدة: شهد بدرا.

٥٠ـ وقطبة بن عامر بن حديدة(سبق ذكره في الأولى).

٥١ـ يزيد بن عامر بن حديدة (أبو المنذر): شهد بدرا.

٥٢ـ أبو اليسر: كُعب بن عمرو بن عباد: شهد بدرا.

٥٣ـ صيفي بن سواد بن عباد.

ومن بني نابي بن عمرو خمسة نفر، هم:

٥٤ـ ثعلبة بن غنمة بن عدي بن نابي: شهد بدرا، وقتل بالخندق شهيدا.

٥٥ـ عمرو بن غنمة بن عدي بن نابي.

٥٦ـ عبس بن عامر بن عدي بن نابي: شهد بدرا.

٥٧ـ عبد الله بن أنيس: حليف لهم من قضاعة.

٥٨ـ خالد بن عمرو بن عدي بن نابي.

ومن بني حرام بن كعب بن غنم سبعة نفر، هم:

٥٩ـ عبد الله بن عمرو بن حرام: نقيب ، شهد بدرا، وقتل يوم أحد شهيدا.

٦٠ـ ابنه جابر بن عبدالله.

٦١ـ معاذ بن عمرو بن الجموح: شهد بدرا.

٦٢ـ ثابت بن الجذع، والجذع: ثعلبة بن زيد، شهد بدرا، وقتل بالطائف شهيدا.

---

(١) قال ابن هشام: ويقال: جبّار بن صخر بن أمية بن خناس.

٦٣ـ عمير بن الحارث بن ثعلبة بن زيد: شهد بدرا.
٦٤ـ خديج بن سلامة بن أوس: حليف لهم من بلي.
٦٥ـ معاذ بن جبل بن عمرو: شهد بدرا، والمشاهد كلها، ومات بعمواس عام الطاعون. بالشام في خلافة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـــ.

ومن بني عوف بن الخزرج ثم من بني سالم بن عوف أربعة نفر:

٦٦ـ عبادة بن الصامت(سبق في الأولى).
٦٧ـ العباس بن عبادة بن نضلة (سبق في الأولى).
٦٨ـ أبو عبد الرحمن: يزيد بن ثعلبة بن خزمة(سبق في الأولى).
٦٩ـ عمرو بن الحارث بن لبدة بن عمرو بن ثعلبة.

ومن بني سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج رجلان:

٧٠ـ رفاعة بن عمرو بن زيد بن عمرو (أبو الوليد): شهد بدرا.
٧١ـ عقبة بن وهب بن كلدة بن الجعد: شهد بدرا، وكان ممن خرج إلى رسول اللهﷺ مهاجرا من المدينة إلى مكة، فكان يقال له: مهاجري أنصاري.

ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج رجلان:

٧٢ـ سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة: نقيب.
٧٣ـ المنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة: نقيب، شهد بدرا، وأحدا، وقتل يوم بئر معونة، أميرا لرسول اللهﷺ، وهو الذي كان يقال له: أعنق[١] ليموت.

قال ابن إسحق: فجميع من شهد العقبة من الأوس والخزرج ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان منهم، يزعمون أنهما قد بايعتا، وكان رسول اللهﷺ لا يصافح النساء إنما كان يأخذ عليهن، فإذا أقررن قال:«اذهبن فقد بايعتكن».

١ـ **من بني مازن بن النجار:** نسيبة بنت كعب بن عمرو، وهي أم عمارة ،كانت شهدت الحرب مع رسول الله ﷺ، وشهدت معها أختها،

---

(١) أعنق : بنون بعد العين المهملة: أي سار العنق، وهو ضرب من السير السريع.

وزوجها زيد بن عاصم بن كعب وابناها حبيب وعبد الله ابنا زيد، وخرجت إلى اليمامة مع المسلمين فباشرت الحرب بنفسها حتى قتل الله مسيلمة، ورجعت وبها اثنا عشر جرحا من بين طعنة وضربة.

٢ـ **ومن بني سلمة:** أم منيع، واسمها: أسماء بنت عمرو بن عدي بن نابي.[1]

** ** **

(١) انظر: سيرة ابن هشام ٦٣/٢ـ٧٥ وقد ساقها ابن إسحق دون إسناد.



«الفصل الخامس»
الهجرة إلى المدينة



« الفصل الخامس»
الهجرة إلى المدينة

أسبابها ودوافعها:

لم تكن الهجرة إلى المدينة سياحة رغب فيها المهاجرون، ولم تكن مكة أرض وباء أو دار مملة ليفرح المهاجرون بنبأ الهجرة عنها، وإنما جاء أمر الهجرة تكليفا من تكاليف العقيدة التي آمنوا بها، وضرورة استلزمتها طبيعة رسالة الإسلام، ووجوب إبلاغها.

وحين ضاقت مكة بهذه الدعوة، وآذت من يؤمن بها، وسدّت الآفاق أمام انتشارها وانتفاع العالمين بها، كان لابد من الهجرة إلى مكان آخر يأمن فيه المؤمنون، وتتهيأ فيه الفرصة لنشر هذا الدين، فكانت الهجرة إلى المدينة لأسباب ودوافع جاء منها في الصحيحين مايلي:

اضطهاد المؤمنين:

مرّ معنا في الفصل الثالث نماذج لهذه القضية، سواء مايخص الرسول ﷺ أم مايعم المؤمنين معه (من الموالي، وذوي الحسب والنسب).

والذي نضيفه هنا هو ذلك النص الذي يربط بين الإيذاء والهجرة، وقد جاء فيه قول بلال[1] ـ رضي الله عنه ـ:« .. اللهم العن شيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، وأمية بن خلف، كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء..»[2].

وكانت مقالته تلك على إثر وعكة نزلت به حين قدومه المدينة مهاجرا (كما سيأتي).

ونضيف نصا آخر متعلق بهجرة أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ

---

(١) انظر: الفتح ٢٦٣/٧ .

(٢) البخاري ٢٢٢٥/٢ : كتاب فضائل المدينة(آخر باب فيه، لم يسمّ)ومقالة بلال هذه جزء من حديث عائشة، وقد أخرجه البخاري في أكثر من موطن كما سيأتي بيانه ـ بمشيئة الله ـ لكن لم تذكر مقولة بلال إلا في هذا الموضع.

ويكشف عن سبب هجرته، ففي صحيح البخاري عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت:

«استأذن النبيﷺ ـ أبو بكر في الخروج[1] حين اشتد عليه الأذى فقال له: أقم، فقال: يارسول الله: أتطمع أن يؤذن لك، فكان رسول اللهﷺ ـ يقول «إني لأرجو ذلك» قالت: فانتظره أبو بكر...»[2].

خوف الفتنة في الدين:

وهذا الأمر أهم المسلمين، حفاظا على دينهم، ومخافة أن يفتنوا فيه، وهذا السبب تجلّيه أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ كما يرويه عطاء بن أبي رباح[3] قال: زرت عائشة مع عبيد بن عمير[4] فسألها عن الهجرة فقالت: لا هجرة اليوم كان المؤمن يفرّ أحدهم بدينه إلى الله وإلى رسولهﷺ مخافة أن يفتن فيه، فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام، فالمؤمن يعبد ربه حيث شاء، ولكن جهاد ونية[5].

تكذيب قريش للنبيﷺ وإخراجه من مكة:

وهذا الأمر يفهم ضمنا مماسبق، ولكن الصحابي سعد بن معاذ رضي الله عنه يبرزه لنا حين يقول: «اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحب إليّ أن أجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك ﷺ وأخرجوه...» وفي لفظ: «من قوم

---

(١) قال العيني: قوله في الخروج: يعني في الهجرة من مكة إلى المدينة قوله الأذى: يعني من كفار مكة(العمدة١٧/١٧٣).

(٢) ٥/٤٣ المغازي، باب غزوة الرصيع .

(٣) واسم أبي رباح أسلم، وكان عطاء من مولدي الجند من مخاليف اليمن نشأ بمكة، وهو مولى آل أبي ميسرة بن أبي خيثم الفهري، كان من سادات التابعين فقها وعلما وورعا وفضلا، وانتهت إليه فتوى أهل مكة وإلى مجاهد في زمانهما. اختلف في سنة موته بين١١٤و١١٧هـ.
(الطبقات لابن سعد ٥/٤٦٧، والتهذيب لابن حجر ٧/١٩٩).

(٤) الليثي، أبو عاصم المكي، قاضي أهل مكة، كان ثقة كثير الحديث، وهو من كبار التابعين، كان ابن عمر يجلس إليه، مات سنة ١٦٨هـ (الطبقات٥/٤٦٣، والتهذيب٧/٧١).

(٥) البخاري٤/٢٥٣ : مناقب الأنصار، باب هجرة النبيﷺ وأصحابه إلى المدينة، وفي المغازي٥/٩٨ في غزوة الفتح(والنص المثبت هنا في هذا الموضع الأخير، وفيما قبله اختلاف يسير فليراجع).

كذبوا نبيك وأخرجوه من قريش»[1].

أما ابن إسحق فنجده يذكر من الأسباب: الإذن بالحرب، وإسلام الأنصار، ووجود مكان يأمن فيه المؤمنون، وفي هذا يقول:

فلما أذن الله تعالى له ﷺ في الحرب، وتابعه هذا الحي من الأنصار على الإسلام والنصرة له ولمن اتبعه، وأوى إليهم من المسلمين، أمر رسول الله ﷺ أصحابه من المهاجرين من قومه، ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة، والهجرة إليها واللحوق بإخوانهم من الأنصار وقال: «إن الله عزوجل قد جعل لكم إخوانا ودارا تأمنون بها» فخرجوا أرسالا...[2].

واجتمعت إلى هذه الأمور المسببة للهجرة دوافع الرغبة فيما عند الله، وابتغاء وجهه ،فكان لهم ماأرادوا، وفي هذا يقول خباب رضي الله عنه: هاجرنا مع رسول الله ﷺ نبتغي وجه الله، ووجب أجرنا على الله، فمنا من مضى لم يأكل من أجره شيئا، منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد، فلم نجد شيئا نكفّنه فيه إلا نمرة، كنا إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه، فإذا غطينا رجليه خرج رأسه، فأمرنا رسول الله ﷺ أ ن نغطي رأسه بها، ونجعل على رجليه من إذخر[3]، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها[4].

ومما يؤكد قصد المهاجرين ، وتفانيهم في سبيل عقيدتهم، أنه لم يكن ثمة أرض أوبأ من المدينة التي أمروا بالهجرة إليها، ففي البخاري وابن إسحق

---

(١) البخاري ٢٥٣/٤ (سبق).

(٢) انظر: ابن هشام ٧٦/٢ .وقد ساقه ابن إسحق بدون إسناد.

(٣) الإذخر: حشيش معروف طيب الرائحة تسقف بها البيوت فوق الخشب(النهاية في غريب الحديث والأثر١/٣٣).

(٤) البخاري٧٨/٢ : كتاب الجنائز، باب إذا لم يجد كفنا إلا ما يواري رأسه أوقدميه غطى به رأسه، وفي مناقب الأنصار٢٥٣/٤ ، ٢٦١ في هجرة النبي ﷺوأصحابه إلى المدينة، وفي المغازي٢٩/٥ ، ٣٠ في غزوة أحد، وفي الرقاق١٧٤/٣ (مختصرا) في باب مايحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، وفي باب فضل الفقر١٧٨/٧ ، ومسلم٦٤٩/٢ : كتاب الجنائز ، باب في كفن الميت.

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: وقدمنا المدينة وهي أوبأ أرض الله[1].

ولم يسلم المهاجرون[2] من هذا الوباء، بل نالهم منه مانالهم ، ووعك له أبو بكر وبلال ـ رضي الله عنهما ـ وربما غيرهما ـ فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

كل امرئ مصبح في أهله .. والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال إذا أقلع عنه الحمى يرفع عقيرته يقول:

ألاليت شعرى هل أبيتن ليلة .. بواد[3] وحولي إذخر وجليل[4]

وهل أردن يوما مياه مجنة[5] .. وهل يبدون لي شامة وطفيل[6]

ولم يكن يطيق هذا الوباء، ويصبر على تلك الحمى من لم يكن دافعه الإيمان بالله، ويحتسب أجر مايصيبه عند الله، ولهذا فالأعرابي الذي بايع رسول الله ﷺ[7] حينما وعك بالمدينة أتى النبي ﷺ ـ فقال: يامحمد أقلني بيعتي، فأبى رسول الله ﷺ، ثم جاءه فقال: أقلني بيعتي، فأبى ثم جاءه فقال:

---

(١) ٢٢٥/٢: في فضائل المدينة(سبق)، سيرة ابن هشام٢/ ٢٢٠.

(٢) استثنى منهم ابن إسحق رسول الله ﷺ فقال: وصرف الله ذلك عنه٢/ ٢٢٢.

(٣) المقصود بالوادي هنا: مكة.(انظر معجم البلدان٥/ ١٨٣)، وعند ابن إسحق«بفخ»(ابن هشام٢/ ٢٢١).

(٤) إذخر، وجليل: الإذخر سبق بيانه، والجليل: هو الثُّمام، وقيل: هو الثُّمام إذا عظم وجلّ (النهاية في غريب الحديث والأثر١/ ٢٨٩).

(٥) مجنّة(بالفتح وتشديد النون)وهو اسم سوق كان للعرب في الجاهلية قيل: هو بلد على أميال من مكة.وقال الأصمعي: هو جبل لبني الدئل خاصة بتهامة بجنب طفيل، وإياه أراد بلال فيما كان يتمثل(معجم البلدان ٥/ ٥٨).

(٦) شامة: جبل قرب مكة، يجاوره آخر يقال له طفيل.(معجم البلدان ٣/ ٣١٥).

(٧) قال العلماء: وهذا الأعرابي كان ممن هاجر ، وبايع النبي ﷺ على المقام معه، وقال القاضي عياض: ويحتمل أن بيعة هذا الأعرابي كانت بعد فتح مكة وسقوط الهجرة إليه ﷺ، وإنما بايع على الإسلام وطلب الإقالة منه فلم يقله، قال النووي: والصحيح الأول والله أعلم.(شرح النووي على مسلم٩/ ١٥٦).

أقلني بيعتي، فأبى[١]، فخرج الأعرابي، فقال رسول الله ﷺ: «إنما المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيّبها[٢]».

وعلى إثر ماأصاب المسلمين، وما قد يصحبه من ضيق أو كره لأرض الهجرة، توجه النبي ﷺ إلى ربه بالدعاء: «اللهم حبّب إلينا المدينة كحبنا مكة. أو أشد وصححها، وبارك لنا في صاعها، ومدها، وانقل حماها فاجعلها بالجحفة»[٣].

ونظرا لظروف الهجرة وارتباطها بأوضاع وأسباب معينة، كان لها فضلها، وكان للمهاجرين مزيتهم[٤]، ولم تكن الهجرة في حال غربة الإسلام كحالها بعد أن عزّ وانتصر، ولهذا قال المصطفي ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية...»[٥].

---

(١) قال العلماء: إنما لم يقله النبي ﷺ بيعته، لأنه لا يجوز لمن أسلم أن يترك الإسلام، ولا لمن هاجر إلى النبي ﷺ ـ للمقام عنده أن يترك الهجرة ويذهب إلى وطنه أو غيره، قالوا: وهذا الأعرابي كان ممن هاجر وبايع. (المصدرالسابق ١٥٥/٩).

(٢) مسلم ١٠٠٦/٢: كتاب الحج، باب المدينة تنفي شرارها.

(٣) البخاري ٢٢٥/٢: (سبق في فضائل المدينة) وفي مناقب الأنصار ٢٦٤/٤، وفي كتاب المرضى، باب عيادة النساء للرجال ٥/٧، وباب من دعا برفع الوباء والحمى ١١/٧، وفي كتاب الدعوات، باب الدعاء برفع الوباء والوجع ١٦٠/٧.

(٤) يكفي أن الله تعالى أثنى عليهم في محكم التنزيل فقال: ﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون﴾. (الحشر: الآية ٨).

(٥) البخاري ٢١٠/٣: كتاب الجهاد والسير، باب وجوب النفير وما يجب من الجهاد والنية، وفي جزء الصيد ٢١٤/٢ باب لا يحل القتال بمكة، وفي المغازي عن ابن عمر ٩٨/٥ (سبق)، ومسلم ١٤٨٨/٣ كتاب الإمارة، باب المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير وبيان معنى لا هجرة بعد الفتح.

قال النووي: قال أصحابنا وغيرهم من العلماء: الهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام باقية إلى يوم القيامة، وتأولوا هذا الحديث تأويلين: أحدهما لا هجرة بعد الفتح من مكة؛ لأنها صارت دار إسلام فلا تتصور منها الهجرة، والثاني وهو الأصح أن معناه أن الهجرة الفاضلة المهمة المطلوبة التي يمتاز بها أهلها امتيازا ظاهرا انقطعت بفتح مكة ومضت لأهلها الذين هاجروا قبل فتح مكة؛ لأن الإسلام قوي وعز بعد فتح مكة عزا ظاهرا بخلاف قبله. (شرح مسلم ٨/١٣)، وانظر: كلام الخطابي وغيره في تأويل هذا الحديث في الفتح ٣٨/٦. ٣٩).

وحين جاءه مجاشع بن مسعود السلمي[1] ـ بعد الفتح ـ بأخيه أبي معبد ليبايعه على الهجرة قال له : «إن الهجرة قد مضت لأهلها ، ولكن على الإسلام والجهاد والخير[2]» .

وقال للأعرابي الذي جاء يسأله عن الهجرة : «ويحك إن الهجرة شأنها شديد[3]» .

اختيار المدينة مكانا للهجرة :

روى البخاري في حديث الهجرة الطويل عن عائشة قولهﷺ: « إني أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين» ـ وهما الحرتان ـ[4]...

وذكر البخاري ، ومسلم قول أبي موسى عن النبيﷺ: «رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل ، فذهب وهلي إلى أنها اليمامة أو هجر ، فإذا هي المدينة يثرب[5]» .

وفي مسلم عن أبي هريرة قال رسول اللهﷺ:« أمرت بقرية تأكل القرى[6] يقولون يثرب وهي المدينة ، تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد»[7] .

---

(١) قال البخاري وغيره: له صحبة،وهو من شجعان المسلمين، له جهاده في فتح فارس، وكابل من بلاد الهند، قتل في الجمل الأولى ـ قبل قدوم علي إلى البصرة ـ سنة ٣٦هـ .(تاريخ خليفة ص ١٤٢ ، ١٦٤ ، والإصابة ٨٧/٩) .

(٢) البخاري ٩٧/٥ : في المغازي (سبق) ، ومسلم ١٤٨٨/٣ في الإمارة (سبق) .

(٣) البخاري ١٢٣/٢ : في الزكاة ، وفي الأدب ١١٢/٧ ، ومسلم ١٤٨٨/٣ :في الإمارة .

(٤) ٢٥٥/٤ : في مناقب الأنصار (سبق) وفي هجرة الحبشة (مختصرا) ٢٤٤/٤ وقوله : « وهما الحرتان » مدرج في الخبر وهو من تفسير الزهري .

والحرة : أرض حجارتها سود (الفتح ٢٣٤/٧) .

(٥) البخاري ٢٥٢/٤ : في الهجرة ، وفي كتاب التعبير ٨١/٨ : باب إذا رأى بقرا تنحر ،ومسلم ١٧٧٩/٤ : كتاب الرؤيا ، باب رؤيا النبي ﷺ .

(٦) ذكروا في معنى أكلها القرى وجهين : أحدهما أنها مركز جيوش الإسلام في أول الأمر فمنها فتحت القرى وغنمت أموالها وسباياها ، والثاني أن أكلها وميرتها تكون من القرى المفتتحة وإليها تساق غنائمها (شرح النووي ١٥٤/٩) .

(٧) مسلم ١٠٠٦/٢ : كتاب الحج ، باب المدينة تنفي شرارها .

ومن خلال هذه الروايات يرى ابن حجر أن الرؤيا في حديث عائشة غيرها في حديث أبي موسى، نظرا لكون الرؤيا في حديث أبي موسى تردد فيها النبي (كما سبق في الحديث)، ثم نقل قول ابن التين: «كأن النبي ﷺ أري دار الهجرة بصفة تجمع المدينة وغيرها، ثم أري الصفة بالمدينة فتعينت[1].

وإذا كانت رواية الصحيحين تشير إلى تردد النبي ﷺ - أول ماأري دار الهجرة - بين اليمامة وهجر، حتى تعينت له المدينة».

فهناك رواية عند الترمذي تخالف ذلك، والرواية عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « إن الله عز وجل أوحى إليّ أي هؤلاء البلاد الثلاث نزلت فهي دار هجرتك المدينة أو البحرين أو قنسرين»[2].

وفوق مافي هذا الحديث من مخالفة لرواية الصحيحين، فقد استغربه وأنكره جمع من العلماء[3].

أما ابن إسحق فلا نجده يذكر من هذه الروايات شيئا عند حديثه عن الهجرة.

---

(١) انظر: الفتح ٢٣٤/٧.

(٢) سنن الترمذي٧٢١/٥، وانظر: المستدرك للحاكم٢/٣ وقد صححه ووافقه الذهبي.

(٣) فالترمذي ساق الحديث بهذا السند: حدثنا الحسين بن حريث، حدثنا الفضل بن موسى، عن عيسى بن عبيد، عن غيلان بن عبدالله العامري، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير.. ثم ذكر الحديث وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الفضل بن موسى.

وابن حبان وإن كان ذكر «غيلان بن عبد الله العامري» في الثقات فقد قال: روى عن أبي زرعة حديثا منكرا في الهجرة (الثقات ٣١١/٧ نشر الدار السلفية، ط. الأولى١٤٠١هـ.

وقال ابن كثير : هذا حديث غريب جدا، وقد رواه الترمذي في المناقب من جامعه منفردا به عن أبي عمار الحسين بن حريث .. (السيرة٢١٤/٢).

والذهبي وإن كان وافق الحاكم على تصحيحه كما سبق ووثق غيلان بن عبد الله كما في الكاشف٣٧٧/٢ فقد قال في الميزان ٣٣٨/٣ :غيلان بن عبد الله..عن أبي زرعة البجلي ماعلمت روى عنه سوى عيسى بن عبيد الكندي، حديثه منكر، ما أقدم الترمذي على تحسينه بل قال: غريب.

وقال ابن حجر: في ثبوته نظر؛ لأنه مخالف لما في الصحيح من ذكر اليمامة... (الفتح ٢٢٨/٧)، وذكر في التهذيب ٢٥٤/٨ إنكار ابن حبان لحديث غيلان في الهجرة، وقول الترمذي.

هجرة المؤمنين إلى المدينة

أول من هاجر:

حين تعينت المدينة داراً للهجرة أذن النبي ﷺ للصحابة بالهجرة إليها، فكان أول من قدم المدينة من أصحاب النبي ﷺ: مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم، فجعلا يقرئان الناس القرآن ـ كما يقول البراء بن عازب رضي الله عنهما ـ [(١)].

وإذا كانت هذه رواية البخاري في أول من قدم المدينة من أصحاب النبي ﷺ فالأمر ـ في ظاهره ـ غير ذلك عند ابن إسحق، وقد ذكر أن أول من هاجر أبو سلمة بن عبد الأسد فقال:« .. فكان أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين من قريش من بني مخزوم: أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ـ واسمه عبد الله ـ هاجر إلى المدينة قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة، وكان قدم على رسول الله ﷺ مكة من أرض الحبشة، فلما آذته قريش، وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار خرج إلى المدينة مهاجرا[(٢)].

ويجمع بينهما بحمل الأولوية على صفة خاصة، هي أن أبا سلمة خرج لا لقصد الإقامة بالمدينة، بل فرارا من المشركين، بخلاف مصعب فكان على نية الإقامة بها، وإلا فقد جزم ابن عقبة بأن أول من قدم المدينة من المهاجرين مطلقا أبو سلمة[(٣)].

وقيل ـ في سبيل الجمع بينهما ـ إن خروج مصعب لما كان لتعليم من

---

(١) البخاري ٢٦٣/٤: كتاب مناقب الأنصار، باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة، وفي التفسير ٨٢/٦: في سورة الأعلى.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام ٧٧/٢. وقد ذكره ابن إسحق دون إسناد، لكن ذكر ابن سعد في طبقاته ٢٢٥/١ برواية مسندة أن أبا سلمة أول من قدم المدينةمن أصحاب النبي ﷺ.

(٣) ابن حجر: الفتح ٢٦١/٧.

أسلم بالمدينة لم يعده من الخارجين لأذى المشركين بخلاف أبي سلمة[1].

وعلى كل حال فقد روى مسلم في صحيحه عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت حين مات أبو سلمة: أي المسلمين خير من أبي سلمة؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ[2].

هجرة أبي سلمة وأهل بيته :

وما دمنا بصدد الحديث عن أبي سلمة وأهله، فلا نجد عن خبرهم في الهجرة في الصحيحين سوى ماذكر، لكنا نجد تفصيل ذلك عند ابن إسحق، حيث أخرج لنا الرواية المسندة التالية فقال: فحدثني أبي: إسحق بن يسار[3] عن سلمة بن عبد الله بن عمرو بن أبي سلمة[4] عن جدته أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل لي بعيره، ثم حملني عليه وحمل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجري، ثم خرج بي يقود بي بعيره، فلما رأته رجال بني المغيرة بن عبد الله ابن عمرو بن مخزوم قاموا إليه فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها في البلاد؟قالت: فنزعوا خطام البعير من يده فأخذوني منه، قالت: وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبي سلمة،قالوا: لاوالله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا، قالت: فتجاذبوا ابني سلمة بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد وحبسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة، قالت : ففرق بيني وبين زوجي وبين ابني، قالت: فكنت أخرج كل غداة فأجلس

(١) شرح المواهب للزرقاني ٣١٩/١ .

(٢) ٦٣٢/٢ : كتاب الجنائز ، باب مايقال عند المصيبة.

(٣) وثقة ابن معين، وأبو زرعة، وابن حبان، وقال الدارقطني: لا يحتج به.(التهذيب ٢٥٧/١).

(٤) ذكره البخاري في تاريخه، وذكر رواية ابن إسحق عن أبيه عن سلمة(التاريخ الكبير ٨٠/٤)،وذكره ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحا (الجرح والتعديل ١٦٦/٤)،وذكره ابن حبان في ثقات أتباع التابعين.(التهذيب ١٤٨/٤ ، ١٤٩).

بالأبطح، فما أزال أبكي حتى أمسي، سنة أو قريبا منها، حتى مرّ بي رجل من بني عمي أحد بني المغيرة، فرأى مابي، فرحمني، فقال لبني المغيرة: ألا تخرجون من هذه المسكينة؟ فرّقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها، قالت: فقالوا لي: الحقي بزوجك إن شئت، قالت:وردّ بنو عبد الأسد إليّ عند ذلك ابني، قالت: فارتحلت بعيري، ثم أخذت ابني فوضعته في حجري، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة، قالت: وما معي أحد من خلق الله، قالت: فقلت: أتبلغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجي، حتى إذا كنت بالتنعيم[1] لقيت عثمان بن طلحة[2] بن أبي طلحة أخا بني عبد الدار، فقال لي: إلى أين يابنت أبي أمية[3] ؟قالت: فقلت: أريد زوجي بالمدينة، قال: أوما معك أحد؟ قالت: فقلت:لا والله إلا الله وبنيّ هذا، قال: والله مالك من مترك، فأخذ بخطام البعير، فانطلق معي يهوي بي، فوالله ما صحبت رجلا من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي ثم استأخر عني، حتى إذا نزلت عنه استأخر ببعيري فحط عنه، ثم قيده في الشجرة، ثم تنحى إلى الشجرة فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فقدمه فرحله، ثم استأخر عني فقال: اركبي، فإذا ركبت فاستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه، فقاد بي حتى ينزل بي، فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء قال: زوجك في هذه القرية، وكان أبو سلمة بها نازلا، فادخليها على بركة الله، ثم انصرف راجعا

---

(١)موضع بمكة في الحل .

(٢) أسلم في هدنة الحديبية، وهاجر مع خالد بن الوليد، وشهد الفتح مع النبيﷺفأعطاه مفتاح الكعبة، وكان في من دخلوا معه في الكعبة، سكن المدينة إلى أن مات بها سنة٤٢هـ (الإصابة٦/٣٨٧).

(٣) هو أبوها، واسمه حذيفة، وقيل سهيل، ويلقب بزاد الراكب لأنه كان أحد الأجواد، فكان إذا سافر لا يترك أحدا يرافقه ومعه زاد، بل يكفي رفقته من الزاد (الإصابة ١٣/٢٢٢).

إلى مكة، قال: فكانت تقول: والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ماأصاب آل أبي سلمة، ومارأيت صاحبا قط أكرم من عثمان بن طلحة[١].

هذه الرواية ـ كما يبدو من إسنادها ـ حسنة الإسناد[٢]،وهي شاهد آخر يضاف إلى ما قبله من شواهد في تأكيد دوافع المسلمين للهجرة.

طائفة من المهاجرين:

جاء في بقية رواية البراء السابقة: «... فقدم بلال، وسعد، وعمار بن ياسر، ثم قدم عمر بن الخطاب في عشرين من أصحاب النبي ﷺ ثم قدم النبي ﷺ ...»[٣].

وهذا الإجمال في رواية البخاري عن الذين هاجروا مع عمر من الصحابة يكشف لنا ابن إسحق معظمه، فيذكر جملة ممن هاجر مع عمر فيقول: «ونزل عمر حين قدم المدينة ومن لحق به من أهله وقومه، وأخوه زيد بن الخطاب، وعمرو، وعبد الله ابنا سراقة بن المعتمر، وخنيس بن حذافة السهمي (وكان صهره على ابنته حفصة بنت عمر فخلف عليها رسول الله ﷺ بعده) وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وواقد بن عبد الله التميمي ـ حليف لهم ـ وخوليّ بن أبي خولي، ومالك بن أبي خولي ـ حليفان لهم ـ، وبنو البكير أربعتهم: إياس بن البكير، وعاقل بن البكير، وعامر بن البكير، وخالد بن البكير ـ حلفاؤهم من بني سعد بن ليث ـ على رفاعة بن عبد المنذر ابن زنبر في بني عمرو بن عوف بقباء، وقد كان منزل عياش بن أبي ربيعة معه عليه حين قدما المدينة[٤].

---

(١) انظر: السيرة لابن هشام (٢/٧٧، ٧٨).

(٢) وانظر رسالة الهجرة ص١٠٩.

(٣) البخاري٤/٢٦٣، ٢٦٤(سبق)،٦/٨٢(سبق).

(٤) انظر: ابن هشام٢/٨٨، وقد ذكره ابن إسحق دون إسناد.

ويمكن أن يضاف إلى من هاجر مع عمر: ابنه عبد الله بن عمر، وزوجه «زينب بنت مظعون الجمحية»[1] فقد جاء في رواية عند البخاري أن عمر حين فرض للمهاجرين الأولين أربعة آلاف في أربعة، فرض لابن عمر ثلاثة آلاف وخمسمائة فقيل له هو من المهاجرين فلم نقصته من أربعة آلاف؟ قال: إنما هاجر به أبواه، يقول ليس هو كمن هاجر بنفسه[2].

وهكذا يتضح أن جملة من خرجوا مع عمر: من أهله، وأقاربه، وحلفائهم، ولعل بقية العشرين كانوا من أتباعهم، كما قال الحافظ ابن حجر[3].

كيف كانت هجرة عمر ومن معه؟:

ويستمر ابن إسحق في تفصيل هجرة عمر ومن معه فيقول: فحدثني نافع[4]مولى عبد الله بن عمر، عن عبد الله بن عمر[5]، عن أبيه عمر بن الخطاب قال: «اتّعدت لما أردنا الهجرة إلى المدينة أنا وعياش بن أبي

---

(١) هي زوجة عمر، ووالدة ابنه عبد الله، وحفصة(أم المؤمنين)، ذكر الزبير أنها كانت من المهاجرات، ثم قال ابن عبد البر: وأخشى أن يكون وهما؛ لأنه قد قيل: إنها ماتت مسلمة بمكة قبل الهجرة، وحفصة ابنتها من المهاجرات.(الاستيعاب٣٢/١٣، ٣٣). وتعقبه ابن فتحون، وابن حجر الذي قال: بل الوهم ممن قال ذلك، ثم نقل رواية البخاري (المشار إليها آنفا)كدليل على مايقول (الإصابة ٢٨٧/١٢).

وكذا وقع الاختلاف في هجرة عبد الله بن عمر، فابن عبد البر، وابن الأثير يرون أن هجرته قبل هجرة أبيه(الاستيعاب٣١٠/٦ ،وأسد الغابة٣٤٠/٣) ،وخالفهم الذهبي وابن حجر فذكروا هجرته مع أبيه (سير أعلام النبلاء٢٠٤/٣ ، الإصابة ١٦٧/٦).

(٢) ٢٦١/٤: في مناقب الأنصار.

(٣)الفتح ٢٦١/٧ .

(٤) هو: أبو عبد الله المدني، ثقة ثبت فقيه، توفي سنة ١١٧هـ أو نحوها(التهذيب٤١٢/١٠، والتقريب٢٩٦/٢).

(٥) عبد الله بن عمر بن الخطاب، ولد سنة ثلاث من البعثة، وأسلم مع أبيه وهاجر وله عشر أو إحدى عشرة سنة، عرض على النبي ﷺ في بدر وأحد فاستصغره، ثم أجازه في الخندق، توفي سنة اثنتين أو ثلاث وسبعين للهجرة.(الإصابة ١٦٧/٦ ومابعدها).

ربيعة[1]، وهشام بن العاص بن وائل السهمي[2]، التناضب[3] من أضاة بني غفار فوق سرف، وقلنا: أينا لم يصبح عندها فقد حبس، فليمض صاحباه، قال: فأصبحت أنا وعياش بن أبي ربيعة عند التناضب، وحبس عنها هشام، وفتن فافتتن، فلما قدمنا المدينة نزلنا في بني عمرو بن عوف بقباء، وخرج أبو جهل بن هشام، والحارث بن هشام إلى عياش بن أبي ربيعة، وكان ابن عمهما وأخاهما لأمهما، حتى قدما علينا المدينة، ورسول اللهﷺ بمكة، فكلماه وقالا: إن أمك قد نذرت أن لا يمس رأسها مشط حتى تراك، ولا تستظل من شمس حتى تراك، فرق لها، فقلت له: ياعياش، إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم، فوالله لو قد آذى أمك القمل لا متشطت، ولو قد اشتد عليها حرّ مكة لاستظلت. قال: فقال: أبر قسم أمي، ولي هناك مال فآخذه، قال: فقلت: والله إنك لتعلم أني لمن أكثر قريش مالا، فلك نصف مالي ولا تذهب معهما. قال: فأبى عليّ إلا أن يخرج معهما، فلما أبى إلا ذلك قلت: أما إذ قد فعلت ما فعلت فخذ ناقتي هذه فإنها ناقة نجيبة ذلول فالزم ظهرها فإن رابك من القوم ريب فانج عليها، فخرج عليها معهما.

حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل : والله ياأخي لقد استغلظت بعيري هذا، أفلا تعقبني على ناقتك هذه ؟ قال : بلى، قال: فأناخ وأناخا ليتحول عليها ، فلما استووا بالأرض عدوا عليه فأوثقاه وربطاه ثم

---

(١) عياش بن أبي ربيعة واسمه (عمرو) بن عبد الله .. قرشي مخزومي، من السابقين إلى الإسلام، هاجر الهجرتين ودعا له النبي ﷺ، مات سنة ١٥ هـ بالشام، وقيل: استشهد باليمامة . وقيل: باليرموك.(الإصابة ٧/ ١٨٤) .

(٢) قديم الإسلام، هاجر إلى الحبشة، استشهد بأجنادين، وله فيها موقف محمود.(الإصابة ٢٤٦/١٠) .

(٣) هو بكسر الضاد: ضرب من الشجر، وأضاة بني غفار على عشرة أميال من مكة، والأضاة : الغدير. (الروض الأنف للسهيلي ١٨٨/٤ ـ١٩٠).

دخلا به مكة وفتناه فافتتن[1] قال:فكنا نقول:ماالله بقابل ممن افتتن صرفا ولا عدلا ولا توبة ، قوم عرفوا الله ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم قال:وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم،فلما قدم رسول اللهﷺ المدينة أنزل الله تعالى فيهم وفي قولنا وقولهم لأنفسهم: ﴿ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم* وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون* واتبعوا أحسن ماأنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون﴾.[2] قال عمر بن الخطاب: فكتبتها بيدي في صحيفة،وبعثت بها إلى هشام بن العاص، قال: فقال هشام: فلما أتتني جعلت أقرؤها بذي طوى[3] أصعد بها فيه وأصوب ولا أفهمها، حتى قلت: اللهم فهمنيها، قال: فألقى الله تعالى في قلبي أنها إنما أنزلت فينا وفيما كنا نقول لأنفسنا ويقال فينا، قال: فرجعت إلى بعيري فجلست عليه فلحقت برسول اللهﷺ[4].

هذه الرواية جيدة الإسناد، وقد أشار إلى صحتها الهيثمي[5]، وابن حجر[6]. ودلالتها على السرية في هجرة عمر واضحة،فليس فيها أي إشارة إلى إعلان الهجرة، بل إن تواعدهم في التناضب من أضاة بني غفار ــ وهي على عشرة أميال من مكة كما سبق ــ ليؤكد إسرارهم بهجرتهم، بل إن

---

(١) بعد هذا قال ابن إسحق:
فحدثني به بعض آل عياش بن أبي ربيعة أنهما حين دخلا به مكة دخلا به نهارا موثقا، ثم قالا: ياأهل مكة، هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا بسفيهنا هذا.
ونظرا لكونه بغير السند السابق، وما بعده تتمة للسند السابق، فقد وصلت الرواية المسندة.

(٢) سورة الزمر الآيات (٥٣ـ٥٥).

(٣) طوى: بالفتح والقصر ــ ومنهم من يضمها ــ والفتح أشهر:واد بمكة(معجم البلدان ٤/٤٥)١٠

(٤) انظر: السيرة لابن هشام ٢/٨٤ ــ ٨٧ .

(٥) مجمع الزوائد ٦/٦١ ــ وقد ساق القصة بطولها ثم قال: رواه البزار ورجاله ثقات.

(٦) في الإصابة ١٠/٢٤٦.

خروج أبي جهل ومن معه طلبًا لعياش يؤكد السرية ، ولو أعلنوا الخروج لما أحوج السفر للمدينة ولمنع بمكة أصلاً.

وفوق هذا فقد جاء الأمر صريحا في رواية ذكرها ابن سعد في هجرة عمر، حيث ساق نحوا من رواية ابن إسحق ـ السابقة ـ وزاد فيها قول عمر:« .. وكنا إنما نخرج سرا فقلنا ...»[١].

كل هذا يصحح ما توارثه الناس وألفوه من كون عمر أعلن هجرته على الملأ من قريش عند الكعبة، وتهددهم وتحداهم ، في رواية تنسب إلى علي رضي الله عنه فقال فيها: «ماعلمت أن أحدا من المهاجرين هاجر إلا مختفيا إلا عمر بن الخطاب فإنه لما همّ بالهجرة تقلد سيفه، وتنكب قوسه، وانتضى في يده أسهما واختصر عنزته[٢] ومضى قبل الكعبة، والملأ من قريش بفنائها، فطاف بالبيت سبعا متمكنا، ثم أتى المقام فصلى متمكنا، ثم وقف على الحلق واحدة واحدة وقال لهم: شاهت[٣] الوجوه، لايرغم الله إلا هذه المعاطس[٤]، من أراد أن تثكله أمه، ويوتم ولده، ويرمل زوجته، فليلقني وراء هذا الوادي، قال علي: فما تبعه أحد إلا قوم من المستضعفين، علمهم وأرشدهم ومضى لوجهه»[٥].

---

(١) الطبقات ٢٧١/٣.

(٢) العنزة ـ بفتح العين والزاي ـ مثل نصف الرمح أو أكبر شيئا، وفيها سنان مثل سنان الرمح ـ. (النهاية ٣٠٨/٣).

(٣) شاهت: أي قبحت . (النهاية في غريب الحديث والأثر ٥١١/٢).

(٤) المعاطس: الأنوف؛ لأن العطاس يخرج منها . (النهاية في غريب الحديث والأثر ٢٥٧/٣).

(٥) أخرج هذه الرواية عن علي:ابن عساكر ، وابن السمان في الموافقة (انظر:شرح المواهب ٣١٩/١)،(وسيرة الصالحي ٣١٥/٣) . كما ذكر هذه الرواية ابن الأثير في كتابه:أسد الغابة ١٥٢/٤ بهذا السند: أنبأنا عبد الوهاب بن هبة الله الدقاق إذنا ،أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي،حدثنا أبو محمد الجوهري إملاء،أنبأنا أبو الحسن علي بن أحمد الحافظ،حدثنا أبو روق أحمد بن محمد بن بكر الحفراني بالبصرة،حدثنا الزبير بن محمد بن خالد العثماني بمصر سنة خمس وستين ومائتين،حدثنا عبد الله بن القاسم الأبلي،عن أبيه،عن عقيل بن خالد، عن محمد ابن علي بن عبد الله بن عباس، عن أبيه عن عبد الله بن العباس قال:قال لي علي بن أبي طالب (ثم ذكر الرواية السابقة) .

أقول: هذه الرواية مع مخالفتها لرواية ابن إسحق السابقة في متنها، فهي ليست سلما في إسنادها، وإذا كان يكفي لإسقاطها وجود راو مجهول فيها، فكيف وفيها ثلاثة مجاهيل؟! [١] .

ومن المهاجرين الذين جاء ذكرهم في الصحيحين: عامر بن ربيعة[٢]،وزيد ابن حارثة[٣]، وسالم ـ مولى أبي حذيفة[٤]ـ، وقد جاء ذكر البخاري لهم مع جماعة كان فيهم أبو بكر ، وعمر، وأبو سلمة، وكان سالم يؤمهم في

---

(١) قال الشيخ الألباني في رده على البوطي في سيرته:

« جزمه بأن عمر ـ رضي الله عنه ـ هاجر علانية اعتمادا منه على رواية علي المذكورة، وجزمه بأن عليا رواها ليس صوابا؛ لأن السند بها إليه لا يصح وصاحب « أسد الغابة » لم يجزم أولا بنسبتها إليه ـرضي الله عنه ـ، وهو ثانيا قد ساق إسناده بذلك إليه لتبرأ ذمته، ولينظر فيه من كان من أهل العلم، وقد وجدت مداره على الزبير بن محمد بن خالد العثماني: حدثنا عبد الله بن القاسم الأملي(كذا الأصل ولعله الأيلي) عن أبيه، بإسناده إلى علي، وهؤلاء الثلاثة في عداد المجهولين، فإن أحدا من أهل الجرح والتعديل لم يذكرهم مطلقا...» .(دفاع عن الحديث النبوي والسيرة ص٤٣) .وانظر ماقاله صاحب رسالة الهجرة، وقد انتهى إلى هذه النتيجة ص ١١٣ .

قلت: والتأكيد على صحة الرواية أولا أولى من التكلف في استخراج الدروس والعبر في قضية قد لا تكون ثابتة أصلا ـ كهذه التي بين أيدينا، وانظر إلى تكلف السباعي، والبوطي ـ مثلا ـ في استخراج العبر منها ـ وهي كما رأينا.

(السيرة النبوية دروس وعبر ص٨٠)، (وفقه السيرة للبوطي ص ١٣٥ ، ١٣٦).

(٢) هو: أبو عبد الله، حليف بني عدي، ثم الخطاب ـ والد عمر ـ كان أحد السابقين الأولين، وهاجر إلى الحبشة ومعه امرأته، شهد بدرا وما بعدها ، كان صاحب عمر لما قدم الجابية، واستخلفه عثمان على المدينة لما حج ، قيل: إنه توفي سنة(٣٢هـ) ، (٣٧هـ)وقيل: بعد قتل عثمان بأيام. (الإصابة ٢٧٧/٥).

(٣) ابن شراحيل الكلبي، وقع في الرق نتيجة غارة خيل لبني القين على بني معن(قوم أمه) فبيع في سوق عكاظ، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة فوهبته للنبيﷺ بعد زواجها به، فكان يدعي زيد بن محمد حتى نهي عن ذلك، شهد بدرا وما بعدها، وقتل في مؤتة أميرا للجيش. (الإصابة ٤٧/٤).

(٤) هو: سالم بن معقل، يكنى أبا عبد الله، من أهل فارس، كان من فضلاء الموالي، ومن خيار الصحابة وكبارهم، كان عمر يفرط في الثناء عليه، شهد سالم بدرا، وقتل يوم اليمامة شهيدا هو ومولاه أبو حذيفة، فوجد رأس أحدهما عند رجلي الآخر.

(الاستيعاب ـ حاشية الإصابة ١٠١/٤).

مسجد قباء حين نزلوا القصبة ـ موضع بقباء ـ قبل مقدم رسول الله ﷺ، لكونه أكثرهم قرآنا [1].

وهؤلاء الثلاثة ذكر ابن إسحق هجرتهم، فأما عامر فقد عدّه ابن إسحق أول من قدم المدينة من المهاجرين بعد أبي سلمة، وذكر أن امرأته ليلى بنت أبي حثمة بن غانم كانت معه [2].

كما ذكر هجرة زيد وعلي من نزل [3] وكذا سالم مولى أبي حذيفة [4].

ومن المهاجرات ـ كما في الصحيحين ـ أم قيس بنت محصن الأسدية [5] وقد جاء ذكرها على أنها من المهاجرات الأول [6].

---

(١) ١/١٧٠: كتاب الأذان، باب إمامة العبد والمولى، وفي الأحكام ٨/١١٥ :باب استقضاء الموالي واستعمالهم= وقد استشكل قوله في الحديث ـ قبل مقدم رسول الله ـ ﷺ ذلك لأن أبا بكر ذكر مع من يؤمهم سالم، ومن المعلوم هجرة أبي بكر مع النبي ﷺ ـ كما سيأتي ـ وقد أجاب البيهقي باحتمال أن يكون سالم استمر يؤمهم بعد أن تحول النبي ﷺ إلى المدينة، ونزل بدار أبي أيوب قبل بناء مسجده بها، فيحتمل أن يقال كان أبو بكر يصلي خلفه إذا جاء إلى قباء.(الفتح ١٣/١٦٨).

(٢) ابن هشام ٢/٧٨.

(٣) المصدر نفسه ٢/٩٠.

(٤) المصدر نفسه ٢/٩١.

(٥) يقال: إن اسمها أمية أو آمنة (ولعله اختلاف في الضبط)، أسلمت قديما، وبايعت، وهاجرت إلى المدينة، دعا لها النبي ﷺ بطول العمر، فقيل: لم يعلم امرأة عمرت مثلها، وسبب ذلك أن ابنا لها توفي، فجزعت فقالت للذي يغسله: لاتغسل ابني بالماء البارد فتقتله. فذكر أخوها عكاشة ذلك للنبي فدعا لها.

(الاستيعاب ١٣/٢٦٧، والإصابة ١٣/٢٦٩، وتهذيب التهذيب ١٢/٤٧٦).

(٦) البخاري ٧/١٨، ١٩: كتاب الطب، باب العذرة وذات الجنب، ومسلم ١/٢٣٨: كتاب الطهارة، باب حكم بول الطفل الرضيع وكيفية غسله، وفي كتاب السلام ٤/١٧٣٥، باب التداوي بالعود الهندي وهو الكست = وعلى كل حال فقد ذكر ابن حجر والعيني احتمال أن يكون هذا الوصف لأم قيس بأنها من المهاجرات الأول، مدرجا من كلام الزهري، أو موصولا من كلام شيخه، ورجحه ابن حجر.

(الفتح ١٠/١٦٨، عمدة القاري ٢١/٢٥٠).

وعند ابن إسحق أن بني غنم بن دودان أهل إسلام، وقد أوعبوا[1] إلى المدينة مع رسول الله ﷺ هجرة رجالهم، ونسائهم، ثم ذكر «أم قيس» من بين نسائهم المهاجرات[2].

وهناك من المهاجرين والمهاجرات غير هؤلاء ذكرهم ابن إسحق[3] على أن الهجرة لم تنقطع، والمهاجرون لم يتوقفوا، حتى إذا فتحت مكة قال النبي ﷺ: «لاهجرة بعد الفتح» (كما سبق).

---

(١) أي: خرجوا جميعهم.

(٢) ابن هشام ٢/٨٠، ٨١ .

(٣) المصدر السابق ص ٩٠-٩٢ .

هجرة المصطفي ﷺ
ومن معه إلى المدينة

الإذن بالهجرة والوصول إلى غار ثور:

ظل النبيﷺ ـ بعد هجرة من هاجر من الصحابة ـ ينتظر الإذن من ربه في الهجرة، وفي هذه الفترة كان يعاود الإتيان إلى بيت أبي بكر ـ وهو ممن استبقاه النبيﷺ في مكة ـ طرفي النهار بكرة وعشية.

حتى إذا جاءه الإذن بالهجرة فاجأ أبا بكر في منزله،وأتاه في وقت لم يكن من عادته المجيء إليه فيه.

تقول عائشة رضي الله عنها ـ في رواية البخاري ـ: لقلّ يوم كان يأتي على النبيﷺ إلا يأتي فيه بيت أبي بكر أحد طرفي النهار.

وفي رواية : لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر عليهما يوم إلا يأتينا فيه رسول اللهﷺ طرفي النهار بكرة وعشية.

فلما أذن له في الخروج إلى المدينة لم يرعنا إلا وقد أتانا ظهرا، فخبّر به أبو بكر فقال: ماجاءنا النبيﷺ في هذه الساعة إلا لأمر حدث. فلما دخل عليه قال لأبي بكر: «أَخْرِج من عندك» ، قال: يارسول الله إنما هما ابنتاي يعني عائشة وأسماء، قال: أشعرت أنه قد أذن لي في الخروج.

وفي رواية: قالت عائشة: فبينما نحن يومًا جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة، قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ متقنعا في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فداء له أبي وأمي، والله ماجاء به في هذه الساعة إلا أمر، قالت: فجاء رسول اللهﷺ فاستأذن فأذن له ، فدخل فقال النبي ﷺ لأبي بكر : «أخرج من عندك» ، فقال أبو بكر إنما هم

أهلك[1] ،بأبي أنت يارسول الله، قال: «فإني قد أذن لي في الخروج»، فقال أبو بكر: الصحابة[2] بأبي أنت يارسول الله، قال رسول الله ﷺ: «نعم»، قال أبو بكر: فخذ بأبي أنت يارسول الله إحدى راحلتي هاتين، قال رسول الله ﷺ: بالثمن، قالت عائشة: فجهزناهما أحث الجهاز، وصنعنا لهما سفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاق[3]. قالت: ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثور[4] فكمنا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر ـ وهو غلام شاب ثقف لقن ـ فيدلج من عندهما بسحر فيصبح من قريش بمكة كبائت، فلايسمع أمرا يكتادان[5] به إلاوعاه، حتى يأتيهم بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة[6] مولى أبي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء، فيبيتان في رسل وهو لبن منحتهما ورضيفهما حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بغلس، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث، واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلا من بني الديل وهو من بني عدي بن عدي هاديا خريتا ـ والخريت الماهر بالهداية ـ قد غمس حلفا في العاص بن وائل السهمي، وهو على دين

(١) وفي الرواية السابقة: «إنما هم ابنتاي»وإنما قال أبو بكر: «إنما هم أهلك» لأنه كان أنكحه عائشة قبل ذلك.(الروض الأنف للسهيلي٤/٢٠٢).

(٢) وفي بعض الروايات:«الصحبة».

(٣) هكذا في هذه الرواية «ذات النطاق»وفي بعض الروايات:«ذات النطاقين»وهي عند ابن إسحق بالإفراد، وتعقبه ابن هشام بأنه سمع غير واحد من العلماء يقول:«ذات النطاقين». (السيرة ٢/٩٩).

(٤) جبل بمكة، قال الجوهري: وفيه الغار المذكور في القرآن، وقال الزمخشري: ثور أطحل من جبال مكة بالمفجر من خلف مكة على طريق اليمن. (معجم البلدان ٢/٨٦).

(٥) يكتادانه: مبني للمفعول من الكيد، أي: ما يدبر لهما من كيد .

(٦) عامر بن فهيرة: التميمي، مولى أبي بكر الصديق، أحد السابقين إلى الإسلام، وكان ممن يعذب في الله، كان ممن اشتكى بعد الهجرة للمدينة، ذكر ابن إسحق أنه مولد من الأزد ، كان للطفيل بن عبد الله، فاشتراه منه أبو بكر فأعتقه، قتل في بئر معونة رضي الله عنه. (الإصابة٥/٢٩٤).

كفار قريش، فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث[1].

هذه هي رواية البخاري في الإذن بهجرة النبيﷺ إلى أن وصل إلى غار ثور وهي تبرز قضايا، وتنشئ تساؤلات.

ولعل من أبرز هذه القضايا تكتم النبيﷺ، وإسراره بالإذن بهجرته، فهو أولا يأتي إلى أبي بكر على غير عادته، وفي وقت يستغرب المجيء فيه «نحر الظهيرة»، ثم هو يعمد إلى إخفاء هيئته، حيث جاء «متقنعا»، ومع هذا كله يأمر أبا بكر بإخراج من عنده، فالحدث جلل، والأمر خطير، ويدرك أبو بكر هذا فيقول: «والله ماجاء به في هذه الساعة إلا أمر».

فهل يعني هذا أن هناك عيونا تترصده؟ وسهاما تتصيده؟ وهل ذلك يشير - ولو من بعيد - إلى قصة تآمر المشركين عليه في دار الندوة، تلك الرواية التي أغفلتها رواية البخاري، وذكرها ابن إسحق كسبب مباشر للهجرة لكن بسند فيه مجهول[2]، وآخر مرسل[3].وذكر القصة غير ابن إسحق بسند أقوى[4].

---

(١) البخاري ٣/٢٤: كتاب البيوع، باب إذا اشترى متاعا أو دابة فوضعه عند البائع، وفي مناقب الأنصار٤/٢٥٥، ٢٥٦، والمغازي ٥/٤٣ في غزوة بئر معونة، وفي اللباس٧/٣٩ باب التقنع، وفي الأدب٧/٩١: باب هل يزور صاحبه كل يوم أو بكرة وعشيا.

(٢) قال ابن إسحق: فحدثني من لاأتهم من أصحابنا!! عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد بن جبر أبي الحجاج وغيره ممن لاأتهم، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، ثم ساق القصة، وفيها خبر الشيخ النجدي، ومجيء جبريل للنبيﷺ يطلعه على ماانتهى عليه كفار قريش، ويأمره بعدم المبيت على فراشه، ثم طلب النبيﷺ من علي بن أبي طالب أن يبيت على فراشه.
(انظر: السيرة لابن هشام ٢/٩٣-٩٥).

(٣) قال ابن إسحق: فحدثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي، ثم ساق قصة اجتماع المشركين على بابه، ثم خروجه من عندهم وذره التراب على رؤوسهم.(انظر: السيرة لابن هشام ٢/٩٥، ٩٦).

(٤) ذكر القصة ابن سعد في طبقاته١/٢٢٧، وذكر صاحب رسالة الهجرة أن رجال سنده كلهم ثقات عدا الواقدي(رسالة الهجرة ص ١١٨)وعبد الرزاق في مصنفه٥/٣٨٩ لكن بسند مرسل عن قتادة، كما ذكر الأمام أحمد عن ابن عباس رواية في قوله تعالى:﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا...﴾ الآية (٣٠) من الأنفال«تحكي تآمر المشركين ، ومبيت علي وخروج النبيﷺ إلى الغار ونسج العنكبوت عليه»، (المسند ١/٣٤٨)وحسن إسنادها ابن كثير في سيرته:(٢/٢٣٩).

ومع صحة رواية تآمر المشركين ينشأ السؤال: فهل يكون مجيء النبيﷺ إلى أبي بكر في نحر الظهيرة من اليوم الذي يلي ليلة تآمر المشركين عليه؟أم في نحر اليوم الذي أعقبته ليلة التآمر؟ وإذا كان مجيئه لأبي بكر بعد ليلة التآمر فأين كان مبيته تلك الليلة؟وأين قضى شطرا من النهار إلى أن جاء أبا بكر في نحر الظهيرة؟تلك تساؤلات استوقف بعضها «الزرقاني» في شرحه للمواهب[1]، و«صادق عرجون»في سيرته.

قال الزرقاني: قال صاحب النور: ولم أقف على ماصنع رسول اللهﷺ من حين خروجه إلى أن جاء إلى أبي بكر في نحر الظهيرة.

وقد حاول الزرقاني الإجابة عن ذلك فقال: روى الإمام أحمد بإسناد حسن: تشاورت قريش.. الحديث، وفيه فأطلع الله نبيه على ذلك فبات علي على فراشه، وخرج النبيﷺ حتى لحق بالغار - أي غار ثور - كما في رواية ابن هشام وغيره، فأفاد أنه توارى فيه حتى أتى أبا بكر منه في نحر الظهيرة، ثم خرج إليه هو وأبو بكر ثانيا، ومن هذا الحديث علم الجواب عن قوله في النور:«ولم أقف على ماصنع..».

كما ذكر الزرقاني رواية أخرى عن البيضاوي تفيد خروجه إلى الغار وبصحبته أبو بكر[2].

وثالثة عن الدمياطي تفيد أنه ذهب تلك الليلة إلى بيت أبي بكر ، فكان فيه إلى الليلة - أي المقبلة - ثم خرج هو وأبو بكر إلى جبل ثور[3].

أما صادق عرجون فقد علق الإجابة على هذه التسؤلات بسؤال آخر عن دور بني هاشم في الذود عن النبيﷺ في تلك المؤامرة الخطيرة،وانتهى إلى أنه من غير المعقول أن يقفوا فيها مكتوفي الأيدي، وهم الذين حموه من قبل في أكثر من موقف ، وبالتالي فهو يرجح مبيته تلك الليلة في مكان

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب ٣٢٣/١.

(٢) المصدر نفسه ٣٢٣/١.

(٣) المصدر نفسه ٣٢٣/١.

اختاره له بنو هاشم تحت أعينهم، وفي ظل حمايتهم، لكنه مع هذا يعترف بأن هذا الرأي الذي انتهى إليه لم يعثر له على سند في رواية من الروايات[1].

أما الإيحاءات التي اعتمد عليها في تعزيز هذا الرأي[2]، فهي في نظري غير كافية.

ونعود مرة أخرى إلى الروايات في المؤامرة، فنجد رواية الإمام أحمد ـ التي أشار إليها الزرقاني ـ أقرب الروايات إجابة عن التساؤل المطروح، لو استقامت لهذه الرواية علائم القبول.

بيد أن الذي نجده أن الفهم الذي فهمه الزرقاني «في شرحه على المواهب» من رواية أحمد لا توحي به الرواية ـ عند الرجوع إليها ـ فليس فيها التصريح بذهاب النبي ﷺ إلى الغار وحده، بل الذي في آخرها يوحي بكونه ذهب إلى الغار ومعه أبو بكر حيث جاء فيها «فمكث فيه ثلاثا» ومن المعلوم أن المكوث هذه المدة كان بصحبة أبي بكر رضي الله عنه.

ومما يؤكد هذا أن الإمام أحمد رواها عن «عبدالرزاق» و«عبد الرزاق» أخرج الرواية في «مصنفه» وصرّح بكون أبي بكر معه فقال: فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك، فخرج هو وأبو بكر إلى غار في الجبل يقال له ثور، ونام عليٌّ على فراش النبي ﷺ.[3]

وهناك رواية أخرى عند الإمام أحمد تفيد مجيء أبي بكر وعليٌّ نائم على فراش النبي ﷺ، وهو يحسب أنه نبي الله، فقال له: يانبي الله، فقال علي: إن

---

(١) انظر: محمد رسول الله ﷺ ـ منهج ورسالة، بحث وتحقيق لمحمد صادق عرجون، نشر دار القلم/دمشق ، ط. الأولى ١٤٠٥هـ.(٥١٢/٢ـ٥٢٠).

(٢) المرجع السابق ٥١٦/٢.

(٣) المصنف لعبد الرزاق:٣٨٩/٥، وهو مرسل.(ط. المكتب الإسلامي ط. الأولى ١٣٩٢هـ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي).

نبي الله قد انطلق نحو بئر ميمون[1] فأدركه، فانطلق أبو بكر فدخل معه الغار[2].

وهذه الرواية شهد لها بعض العلماء بالصحة[3]، لكنها لا تتفق مع رواية البخاري التي تشير إلى مجيء النبيﷺ إلى بيت أبي بكر دون أن يكون عنده سابق علم إلا إن أمكن الجمع بينهما بأن يكون مجيء النبيﷺ إلى أبي بكر في نحر الظهيرة من ذلك اليوم الذى حاصر المشركون فيه بيت النبيﷺ ليلا، فمرّ عليه أبو بكر ليلا فلم يجده، وبعدما أخبره علي خبره لحق به في بئر ميمون، ومنها انطلقا إلى غار ثور.

أما رواية «ابن سعد» فتفيد أن رسول اللهﷺ صار إلى منزل أبي بكر فكان فيه إلى الليل، ثم خرج هو وأبو بكر فمضيا إلى غار ثور فدخلاه[4].

لكننا لا نعلم أيقصد ابن سعد صيرورة النبيﷺ إلى بيت أبي بكر ليلة حصار المشركين له، بعد أن خرج وهم لايشعرون، فبات بقية ليلته عند أبي بكر، ومكث نهار الغد حتى إذا جن الليل خرجا إلى الغار؟

وهذا ما جزم به الدمياطي[5] والنجم عمر بن فهد[6].

أم أنه قصد صيرورة النبيﷺ إلى منزل أبي بكر بعدما بات تلك الليلة في مكان آخر، فجاءه في النهار ومكث عنده إلى الليل حيث خرجا إلى الغار؟

---

(١) بئر ميمون: في معجم البلدان: بمكة، منسوبة إلى ميمون بن خالد بن عامر الحضرمي، وقيل إن صاحبها ميمون أخو العلاء بن الحضرمي - والى البحرين - حفرها بأعلى مكة (٣٠٢/١).
وفي أخبار مكة: عدها من الآبار التي بين المعلاة ومنى، وهي التي الآن بسبيل الست بطريق منى .

(٢) المسند ٣٣٠/١، ٣٣١.

(٣) صححها الحاكم، ووافقه الذهبي (المستدرك ٤/٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد ١١٩/٩، ١٢٠، وصحح سندها المحقق أحمد شاكر كما في المسند ٢٥/٥.

(٤) الطبقات ٢٢٧/١ .

(٥) انظر شرح المواهب ٣٢٣/١.

(٦) صاحب: إتحاف الورى بأخبار أم القرى ٣٦٦/١.

وفوق ماذكرنا من الروايات فقد حكى ابن جرير عن بعضهم أن رسول الله ﷺ سبق الصدّيق في الذهاب إلى غار ثور، وأمر عليا أن يدله على مسيره ليلحقه، فلحقه في أثناء الطريق[1]، وهذه علق عليها ابن كثير بقوله: وهذا غريب جدا، وخلاف المشهور من أنهما خرجا معا[2].

وعلى كل حال ـ وإذا كان المشهور خروجهما إلى الغار سويا ـ فهناك عدد من الروايات تتجه إلى أن ذلك كان ليلا[3].

وأخيرا ـ وبعد هذه الجولة ـ في الروايات أعود فأقول: إن رواية البخاري وإن كانت لم تصرح بالمكان الذي بات فيه النبي ﷺ فلعل بإمكاننا أن نفهم أن مجيء النبي ﷺ إلى أبي بكر في نحر الظهيرة يحتمل أن يكون في اليوم نفسه الذي أعقبه ليلة المؤامرة ـ ويؤيد ذلك رواية عروة بن الزبير[4] ـ ويكون النبي ﷺ خرج من عند أبي بكر بعدما أخبره بالإذن بالهجرة والاستعداد لها إلى بيته، حيث ترصده المشركون فحفظه الله، فأغشى أبصارهم عن رؤيته حين خرج عليهم، مِتجها إلى بئر ميمون في طريقه إلى الغار. وجاء أبو بكر في الليلة نفسها إلى بيته فوجد عليا مكانه، فسأله عن رسول الله فدله على

---

(١) تاريخ الطبري ٣٧٤/٢.

(٢) السيرة النبوية ٢٣٦/٢ = وهذا التعليق لم يرضه صادق عرجون بل اعتبره نقدا غير مستوعب، وقال: إنه إلى السطحية أقرب منه إلى العمق!! (محمد رسول الله ٥١٠/٢) لكنه لم يذكر أسباب نقده لرأي ابن كثير، بل لقد نقد هو نفسه رواية الطبري وقال: إنه لا يعوّل عليها.

(٣) كرواية أحمد ـ السابقة ـ وعروة بن الزبير (مغازي عروة ص ١٢٨، ١٢٩) وموسى بن عقبة (انظر: السيرة لابن كثير ٢٤٤/٢) ورواية الحسن بن أبي الحسن البصري ـ ذكرها ابن هشام في السيرة ٩٨/٢، وإن كان فيها انقطاع من طرفها كما قال ابن كثير في السيرة (٢٣٧/٢)، وابن سعد في الطبقات (٢٢٧/١)، وابن حزم في جوامع السيرة ص ٩١، والدمياطي في سيرته كما نقله الزرقاني في شرحه على المواهب (٣٢٣/١).

(٤) مغازي عروة ص ١٢٩ = ونصها: «وبلغه ذلك اليوم الذي أتى فيه رسول الله ﷺ دار أبي بكر أنهم مبيتوه إذا أمسى على فراشه، وخرج من تحت الليل هو وأبوبكر قبل الغار بثور.. وعمد علي فرقد على فراشه..».

جهته، فاتجه أبو بكر إلى بئر ميمون، ومنه إلى الغار، سواء كان بصحبة النبيﷺ ـ وهو الأقرب[1]ـ أم كان على أثره كما تشير بعض الروايات. وبهذا نحل الإشكال، ونجمع بين ما صح وتوفر لنا من الأخبار ـ والله أعلم ـ.

ومن القضايا التي تبرزها رواية البخاري: جهد آل أبي بكر في الهجرة، فالراحلتان ـ منذ زمن ـ كان أبو بكر يعلفهما ورق السمر، والجهاز يشترك في إعداده بيت أبي بكر، وتفتدي إحدى بناته «أسماء» بنطاقها حين لا تجد ماتربط به فم الجراب!!

وعن أسماء ـ رضي الله عنها ـ قالت: صنعت سفرة رسول اللهﷺ في بيت أبي بكر حين أراد أن يهاجر إلى المدينة، قالت: فلم نجد لسفرته ولا لسقائه مانربطهما به، فقلت لأبي بكر: والله ماأجد شيئا أربط به إلا نطاقي، قال: فشقيه باثنين فاربطيه: بواحد السقاء، وبالآخر السفرة، ففعلت، فلذلك سميت ذات النطاقين[2].

وحين عيّر أهل الشام«ابن الزبير» بقولهم: يابن ذات النطاقين، ذكرت له أمه «أسماء» سبب هذه التسمية، فكان بعدها إذا عيروه بها يقول: إيها والإله «تلك شكاة ظاهر عنك عارها»[3].

وعبد الله بن أبي بكر ـ وهو الشاب الثقف اللقن ـ يختار ليكون عينا

---

(١) ويؤيد هذا ـ فوق ماتقدم ـ إحدى روايات البخاري ففيها: «.. فركبا فانطلقا حتى أتيا الغار وهو بثور..»٥/٤٣، ورواية الحاكم التي أكد فيها على خروجهما معا.وأن أبا بكر كان يمشي بين يدي النبيﷺ ساعة، وخلفه ساعة(شفقة عليه).المستدرك ٣/٦ قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين لولا إرسال فيه ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وذكر ابن كثير أن له شواهد أخر. انظر: السيرة(٢/٢٣٧).

(٢) البخاري٤/١٣ : الجهاد والسير، باب حمل الزاد في الغزو، وفي مناقب الأنصار٤/٢٥٨، وفي الأطعمة ٦/١٩٩ : باب الخبز المرقق والأكل على الخوان والسفرة.وهذا خلاف تفسير ابن هشام لها، وأنها علقت السفرة بواحد وانتطقت بالآخر فلهذا سميت ذات النطاقين.(السيرة٢/٩٩).

(٣) المصدر نفسه ٦/١٩٩ : كتاب الأطعمة، باب الخبز المرقق والأكل على الخوان والسفرة.

لهما على المشركين، يسمع مايكاد لهما، وينقل كل حزكة أو هاجس في مكة يتعلق بهما، وكانت حركته تلك لا تثير ريبا أوشكوكا إذ هو يدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت، فيعي مايقال ثم يعود إليهما إذا اختلط الظلام بالخبر[١].

ثم يأتي «عامر بن فهيرة» مولى أبي بكر بعده ليعفي على أثره، وليريح عليهما منحة لأبي بكر ليشربا من رسلها، وبحركة (هي الأخرى) لا تثير الرعاة من حوله، ومن يفطن له وقد اختار الدلجة زمانا لرواحه وغدوه عليهما!![٢]

كما تبرز رواية البخاري «دليل الهجرة» وهو كما جاء في الرواية: من بني الديل، من بني عبد بن عدي، لكنها لا تذكر اسمه، وقد جاءت تسميته عند ابن إسحق بـ«عبد الله بن أرقد»[٣].

وهو عند غيره[٤] «عبد الله بن أريقط» على المشهور.

والرواية تؤكد على كون الدليل مشركا حين استأجراه للهجرة، لكنهما

---

(١) المصدر السابق ٢٥٦/٤، ٣٩/٧.

(٢) المصدر نفسه ٢٥٦/٤، ٤٣/٥، ٣٩/٧.

(٣) هكذا جاء النقل عن ابن إسحق في تسميته «عبد الله بن أرقد» بالدال (انظر: تاريخ الطبري ٣٧٨/٢، ٣٨٠، والفتح ٢٣٨/٧، وشرح المواهب ٣٣٩/١) لكنه في المطبوع من سيرة ابن هشام (عبد الله بن أرقط) ٩٨/٢، ١٠٢، وكذا هو في أصل الروض الأنف ١٨١/٤، وعند الرجوع إلى أصل ابن هشام (مخطوط الأسكوريال) وجدته بالدال ق٤٦/ب فلعله (تصحّف) في المطبوع من سيرة ابن هشام.

(٤) ذكره موسى بن عقبة (انظر: الفتح ٢٣٨/٧، وشرح المواهب ٣٣٩/١)، وابن هشام في السيرة ١٠٢/٢، وابن سعد في الطبقات ٢٢٩/١، والطبري في تاريخه ٤٠٠/٢، وابن كثير في السيرة ٢٥٥/٢ وقال: وهو المشهور، وأبو نعيم في دلائل النبوة ص ١١٧، والبيهقي في دلائله ٤٧٩/٢ إلا أنه اكتفي بـ«أريقط» دون عبد الله، وابن حزم في السيرة ص ٩١، والسهيلي في الروض ٢٠٣/٤، ٢٢٥، والخشني في شرحه للسيرة ١٢٧/١ وغيرهم.

أمناه[1] ثم هي لا تشير إلى إسلامه، أو عدمه بعد ذلك، لكن الغالب من أقوال العلماء على أنه لم يسلم[2].

وعلى كل حال فالرواية تصفه بأنه كان هاديا خريتا، والخريت ـ كما جاء تفسيرها في بعض الروايات ـ: الماهر بالهداية، ولهذا السبب، وشدة الحاجة إليه، مع أمنهما جانبه، اختاره النبيﷺ دليلا في هجرته، مع كونه مشركا، ولهذا نبّه البخاري في إحدى تراجمه لقصة الدليل إلى هذا فقال: باب استئجار المشركين عند الضرورة..إلخ كما سبق.

في الغار:

وقد أفادت الرواية السابقة أنهم مكثوا في غار ثور ثلاث ليال، حيث واعدوا الدليل ـ فيه ـ صبح ثلاث.

وتفيد روايات أخرى أن المشركين وصلوا الغار الذي يكمنان فيه، بحثا عن النبيﷺ، ولم يكن بينهم وبين مايشتهون إلا أن يطأطئ أحدهم بصره إلى موضع قدميه، كما قال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ : كنت مع النبيﷺ في الغار، فرفعت رأسي فإذا أنا بأقدام القوم، فقلت يانبي الله: لو أن بعضهم طأطأ بصره رآنا، قال: «اسكت يا أبا بكر اثنان الله ثالثهما[1]».

(١) بالإضافة إلى ماسبق انظر:البخاري٤٨/٣ : كتاب الإجارة، باب استئجار المشركين عند الضرورة أو إذا لم يوجد أهل الإسلام...، وباب إذا استأجر أجيرا ليعمل له بعد ثلاثة أيام.

(٢) فقد جزم عبد الغنى المقدسي(ت٦٠٠هـ)في سيرته (الدرة المضيئة في السيرة النبوية) مخطوط في باريس ١٩٦٦(عن معجم ماألف عن رسول الله للمنجد ص١١٠) بأنه لم يعرف له إسلاما (انظر: الإصابة ٥/٦)، وتبعه النووي في سيرته(السيرة النبوية ص ٢٤، تحقيق عبد الرؤوف علي، بسام الجابي)،وقال السهيلي:ولاوجدنا من طريق صحيح أنه أسلم بعد ذلك٢٢٥/٤، وقال ابن حجر:ولم أر من ذكره في الصحابة إلا الذهبي في التجريد (الإصابة٥/٦)وانظر:التجريد٢٩٦/١ (تصحيح صالحة عبد الحكيم شرف الدين، نشر شرف الدين الكتبي وأولاده، الهند ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م).

(١) البخاري ١٦٣/٤ : مناقب الأنصار، وهذه إحدى روايات البخاري، وانظر الرواية مع اختلاف يسير في البخاري ـ أيضا ـ ١٩٠/٤ في فضائل أصحاب النبي ﷺ، وفي التفسير ٢٠٤/٥ باب قوله ﴿ثانى اثنين إذ هما في الغار..﴾، ومسلم ١٨٥٤/٤ : فضائل الصحابة ـ من فضائل أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ.

لكنها العناية الإلهية فوق كيد الماكرين ﴿ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ الأنفال آية ٣٠ .

وقد نسب «أبو نعيم» إلى ابن إسحق برواية زياد بن عبد الله أن أبا بكر الصديق قال ـ فيما يزعمون ـ في دخوله الغار مع رسول الله ﷺ، ومسيره معه حين ساروا في طلب سراقة بن جعشم إياهم أبياتا من الشعر منها:

قال النبي ولم أجزع يوقرني ... ونحن في سدنة في ظلمة الغار

لاتخش شيئا فإن الله ثالثنا ... وقد توكل لي منه بإظهار

وإنما كيد من تخشى بوادره ... كيد الشياطين كادته لكفار

... في أبيات طويلة ... [١]

ولم أجد ذلك في سيرة ابن هشام.

كما نسب ابن كثير إلى ابن إسحق ـ من رواية يونس بن بكير ـ هذه القصيدة أيضا لأبي بكر[٢]، ولم أجده كذلك في المطبوع من رواية يونس عن ابن إسحق.

وعلى كل حال فرواية الصحيحين في الغار، تؤكد رواية ابن إسحق في رصد المشركين للنبي ﷺ حين فقدوه، وجعلوا فيه مائة ناقة لمن يرده عليهم[٣].

وسيأتي ـ من رواية الصحيح أيضا ـ في قصة سراقة ـ مايؤكد طلب المشركين للنبي ﷺ، وأبي بكر، وجعلهم فيهما دية كل واحد منهما من قتله أو أسره[٤].

---

(١) دلائل النبوة: لأبي نعيم ص ١١٥.

(٢) السيرة النبوية : لابن كثير ٢٤٣/٢، ٢٤٤ .

(٣) انظر: ابن هشام ٩٩/٢= وهي دون إسناد، ثم ذكرها في قصة سراقة مسندة ١٠١/٢ وستأتي.

(٤) انظر ـ مثلا ـ البخاري: ١٨٩/٤، ١٩٠، في فضائل أصحاب النبي ﷺ ٢٥٦/٤، ٢٦٢ في مناقب الأنصار.

أما عن طعامهم في الغار، فقد سبق في رواية البخاري أن مولى أبي بكر كان يروح ويغدو عليهم بمنيحة أبي بكر فيبيتان في رسلها، كما سبق ـ في الرواية نفسها ـ أنهما جهزا بأحث الجهاز من بيت أبي بكر، ويضيف ابن إسحق :أن أسماء بنت أبي بكر تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما[٣].

وتتفق رواية الصحيح مع رواية ابن إسحق في صحبة « عامر بن فهيرة» مع الدليل لهما في طريق الهجرة، ففي آخر رواية البخاري السابقة قال: «وانطلق معهما عامر بن فهيرة، والدليل..»[٤].

وفي السيرة لابن إسحق: وأردف أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ عامر ابن فهيرة مولاه خلفه ليخدمهما في الطريق[٥].

كما يتفقان ـ أيضا ـ في تحديد الطريق الذي سلكوه ـ وسيأتي بيانه إن شاء الله ـ.

---

(٣) انظر: السيرة لابن هشام ٩٨/٢ : وقد ساقه ابن إسحق دون إسناد .

(٤) البخاري ٢٥٦/٤ (سبق).

(٥) ابن هشام ١٠٠/٢ وهو دون إسناد.

في طريق الهجرة
(حديث الرّحل)

أخرج البخاري ومسلم واللفظ له من حديث البراء بن عازب أنه قال: جاء أبو بكر الصديق إلى أبي في منزله فاشترى منه رحلا، فقال لعازب: ابعث معي ابنك يحمله معي إلى منزلي.فقال لي أبي: احمله، فحملته، وخرج أبي معه ينتقد ثمنه، فقال له أبي: ياأبا بكر حدثني كيف صنعتما ليلة سريت مع رسول الله ﷺ، قال: نعم، أسرينا ليلتنا كلها حتى قام قائم الظهيرة وخلا الطريق فلا يمر فيه أحد، حتى رفعت لنا صخرة[1] طويلة لها ظل، لم تأت عليه الشمس بعد، فنزلنا عندها، فأتيت الصخرة فسويت بيدي مكانا ينام فيه النبي ﷺ في ظلها، ثم بسطت عليه فروة، ثم قلت: نم يارسول الله وأنا أنفض لك ماحولك، فنام وخرجت أنفض ماحوله، فإذا أنا براعي غنم مقبل بغنمه إلى الصخرة يريد منها الذي أردنا، فلقيته فقلت: لمن أنت ياغلام؟ فقال: لرجل من أهل المدينة[2]. قلت: أفي غنمك لبن؟قال: نعم. قلت: أفتحلب لي؟قال: نعم، فأخذ شاة فقلت له:انفض الضرع من الشعر والتراب والقذى، فحلب لي في قعب معه كثبة من لبن، قال: ومعي إداوة أرتوي فيها للنبي ﷺ ليشرب منها ويتوضأ، قال: فأتيت النبي ﷺ وكرهت أن أوقظه من نومه، فوافقته استيقظ فصببت على اللبن من الماء حتى برد أسفله، فقلت: يارسول الله اشرب من هذا اللبن، قال: فشرب حتى رضيت،

---

(١) أي ظهرت لأبصارنا.

(٢) هكذا جاءت الرواية عند مسلم«لرجل من أهل المدينة» وعند البخاري: من أهل المدينة أو مكة.وفي رواية:«لرجل من قريش»وسيأتي بيان ذلك.

ثم قال: «ألم يأن للرحيل؟» قلت: بلى، قال: فارتحلنا بعدما زالت الشمس، واتبعنا سراقة بن مالك، قال: ونحن في جلد من الأرض[١]، فقلت: يارسول الله أتينا، فقال: «لا تحزن إن الله معنا»، فدعا عليه رسول الله ﷺ فارتطمت فرسه إلى بطنها، أرى، فقال: إني قد علمت أنكما قد دعوتما عليّ، فادعوا لي، فالله لكما أن أردّ عنكما الطلب، فدعا الله، فنجا، فرجع لا يلقى أحدا إلا قال: قد كفيتكم ماههنا، فلا يلقى أحدا إلارده، قال: ووفى لنا[٢].

ومن حديث الرحل نقف على الأمور التالية:

أولا: خبر الراعي:

وقد سبق في رواية مسلم أنه لرجل من أهل المدينة، وجاء في إحدى روايات البخاري «لرجل من أهل المدينة ـ أو مكة ـ[٣]» وهو شك من الراوي[٤] وفي بعضها «لرجل من قريش»[٥]، وفي بعضها الآخر «فإذا أنا براع.. فسألته لمن أنت ياغلام؟ فقال: أنا لفلان»[٦]. ولا تعارض، ولا وهم بين أو في هذه الروايات، إذ ليس المقصود «بالمدينة» الواردة في بعض الروايات ـ سواء بالقطع أم بالشك ـ مدينة الرسول ﷺ وإنما المراد بها مكة، ويؤيده التصريح بمكة ـ كما في بعضها ـ وكذا الإشارة إلى أنه لرجل من قريش، لأن قريشا لم يكونوا يسكنون المدينة النبوية إذ ذاك[٧]. وقول أبي بكر ـ في الرواية نفسها ـ: «فسماه فعرفته» مشعر بهذا، ولهذا كله قال الإمام النووي تعليقا على رواية

---

(١) أي أرض صلبة، وكانت الأرض مستوية صلبة. (النووي ١٨/١٤٩).

(٢) مسلم ٤/٢٣٠٩: كتاب الزهد والرقائق، باب في حديث الهجرة ويقال له: حديث الرحل، والبخاري ٤/١٨٩: كتاب فضائل أصحاب النبي، وفي المناقب ٤/١٨٠.

(٣) ٤/١٨١: كتاب المناقب، باب علامات النبوة.

(٤) انظر: الفتح ٦/٦٢٣.

(٥) البخاري ٣/٩٦: كتاب اللقطة، آخر أبوابه(لم يسمّ)، وفي فضائل أصحاب النبي ٤/١٩٠.

(٦) البخاري ٤/٢٦٢: في مناقب الأنصار، ومسلم ٣/١٥٩٢: كتاب الأشربة، باب جواز شرب اللبن = لكن دون قوله: «قال: أنا لفلان».

(٧) انظر: الفتح ٦/٦٢٣.

مسلم: «المراد بالمدينة هنا مكة، ولم تكن مدينة النبي ﷺ سميت بالمدينة، إنما كان اسمها «يثرب» هذا هو الجواب الصحيح، وأما قول القاضي: إن ذكر المدينة هنا وهم، فليس كما قال، بل هو صحيح والمراد بها مكة»[١].

وتضيف إحدى روايات الصحيحين ـ على خبر الراعي السابقة ـ أن النبيﷺ حين مروا بالراعي قد عطش[٢].

ثانيا: قصة سراقة بن مالك:

وهذه القصة التي جاءت مختصرة في حديث البراء ـ السابق ـ راوها البخاري ـ بما فيها من آيات وعجائب الإعجاز التي أكرم الله بها نبيه محمدا ﷺ ـ مستوفاة في باب الهجرة النبوية، فقال: بالسند الموصول إلى عائشة ـ رضي الله عنها[٣]ـ قال ابن شهاب: وأخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن أخي سراقة بن مالك بن جعشم أن أباه أخبره أنه سمع سراقة بن جعشم[٤] يقول: جاءنا رسول كفار قريش يجعلون في رسول اللهﷺ وأبي بكر دية كلّ واحد منهما من قتله أو أسره، فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي، بني مدلج، أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال: ياسراقة! إني قد رأيت آنفا أسودة بالساحل أراها محمدا وأصحابه، قال سراقة : فعرفت أنهم هم ، فقلت له : إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلانا

---

(١) شرح مسلم للنووي ١٤٨/١٨ .

(٢) البخاري ٢٥٩/٤ : في مناقب الأنصار، ومسلم ١٥٩٢/٣ :في الأشربة.

(٣) ذكر ذلك ابن حجر، وذكر أن البيهقي أفرده في الدلائل، وقبله الحاكم في الإكليل من طريق ابن إسحق. الفتح ٢٤٠/٧ .

(٤)قال ابن حجر: المعتمد : سراقة بن مالك، وحيث جاء سراقة بن جعشم في الروايات يكون نسب إلي جده.. (الفتح ٢٤٠/٧).

أما عبد الرحمن بن مالك المدلجي، فيظهر أنه نسب إلى جده، وإلا فهو عبد الرحمن بن الحارث ابن مالك، وهذا ما استدركه ابن هشام على ابن إسحق ـ كما سيأتي ـ .

وفلانا انطلقوا بأعيننا يبتغون ضالة لهم، ثم لبثت في المجلس ساعة، ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي وهي من وراء أكمة فتحبسها عليّ وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت فحططت بزجه الأرض وخفضت عاليه حتى أتيت فرسي فركبتها فرفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم، فعثرت بي فرسي فخررت عنها فقمت، فأهويت يدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزلام فاستقسمت بها أضرهم أم لا؟ فخرج الذي أكره، فركبت فرسي وعصيت الأزلام تقرّب بي حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات، ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين، فخررت عنها، ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها عثان ساطع في السماء مثل الدخان، فاستقسمت بالأزلام فخرج الذي أكره، فناديتهم بالأمان، فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع في نفسي حين لقيت مالقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ، فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية، وأخبرتهم أخبار مايريد الناس بهم، وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآني[1]، ولم يسألاني، إلا أن قال: أخف عنا، فسألته أن يكتب لي كتاب أمن، فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أديم، ثم مضى رسول الله ﷺ[2].

وتضيف رواية أخرى ـ عند البخاري ـ أن سراقة كان آخر النهار مسلحة للنبي ﷺ بعد أن كان جاهدا عليه أول النهار، وقد جاء في هذه الرواية أن أبا بكر التفت فإذا هو بفارس قد لحقهم، فقال :يارسول الله هذا فارس قد

(١) أي لم يأخذا ولم ينقصا من الزاد والمتاع الذي معي شيء.
(٢) ٤/٢٥٦، ٢٥٧ : كتاب مناقب الأنصار.

لحق بنا، فالتفت نبي الله ﷺ فقال: «اللهم اصرعه» فصرعه الفرس، ثم قامت تحمحم، فقال: يانبي الله: مرني بما شئت، فقال: «فقف مكانك لا تتركن أحدا يلحق بنا»، قال: فكان أول النهار جاهدا على نبي اللهﷺ، وكان آخر النهار مسلحة له[١].

كما تضيف رواية أخرى عند«مسلم» أن سراقة حين ساخ فرسه في الأرض إلى بطنه، ووثب عنه وقال: يامحمد! قد علمت أن هذا عملك، فادع الله أن يخلصني مما أنا فيه، ولك عليّ لأعمين على من ورائي، وهذه كنانتي فخذ سهما منها، فإنك ستمر على إبلي وغلماني بمكان كذا وكذا فخذ منها حاجتك. قال: «لا حاجة لي في إبلك[٢]».

وحين نعود إلى ابن إسحق في شأن هاتين الحادثتين في طريق الهجرة، نجده لا يذكر شيئا عن خبر الراعي، وبهذا تصبح زيادة للصحيحين ينفردان بذكرها دون ابن إسحق، تضاف إلى غيرها من زوائد السيرة في الصحيحين.

أما قصة سراقة فقد ذكرها ابن إسحق بسنده فقال: وحدثني الزهري أن عبد الرحمن بن مالك بن جعشم[٣] حدثه، عن أبيه، عن عمه سراقة بن مالك بن جعشم قال: لما خرج رسول اللهﷺ من مكة مهاجرا إلى المدينة جعلت قريش فيه مائة ناقة[٤] لمن رده عليهم، قال: فبينا أنا جالس في نادي قومي إذ أقبل رجل منا حتى وقف علينا، فقال : والله لقد رأيت ركبة ثلاثة

(١) ٢٥٩/٤.

(٢) ٢٣١١/٤: في باب حديث الرحل (المتقدم).

(٣) قال ابن هشام: عبد الرحمن بن الحارث بن مالك بن جعشم(السيرة١٠٤/٢) .وهذا مما استدركه ابن هشام على ابن إسحق، وقد أعجب ابن كثير هذا الاستدراك لابن هشام فقال: وهذا الذي قاله جيد.(السيرة٢٤٨/٢).

(٤) هنا عن الجعل الذي جعلته قريش ، أما في البخاري ففيه: دية كل واحد منهما ـ(كما سبق).

مروا عليّ آنفا إني لأراهم محمدا وأصحابه، قال: فأومأت إليه بعيني أن اسكت، ثم قلت: إنما هم بنو فلان يبتغون ضالة لهم، قال: لعله، ثم سكت، قال: ثم مكثت قليلا، ثم قمت فدخلت بيتي، ثم أمرت بفرسي فقيّد لي إلى بطن الوادي، وأمرت بسلاحي، فأخرج لي من دبر حجرتي، ثم أخذت قداحي التي أستقسم بها، ثم انطلقت فلبست لأمتي، ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها، فخرج السهم الذي أكره لا يضره[1]، قال: وكنت أرجو أن أرده على قريش فآخذ المائة الناقة، قال: فركبت على أثره، فبينا فرسي يشتد بي عثر بي فسقطت عنه، قال: فقلت: ماهذا؟ قال: ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها، فخرج السهم الذي أكره لا يضره قال: فأبيت إلا أن أتبعه، قال: فركبت في أثره، فبينا فرسي يشتد بي عثر بي، فسقطت عنه، قال: فقلت: ماهذا؟ قال: ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها، فخرج السهم الذي أكره لا يضره، قال: فأبيت إلا أن أتبعه، فركبت في أثره، فلما بدا لي القوم ورأيتهم عثر بي فرسي فذهبت يداه في الأرض، وسقطت عنه، ثم انتزع يديه من الأرض وتبعهما دخان كالإعصار[2]، قال: فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد منع مني، وأنه ظاهر، قال: فناديت القوم، فقلت: أنا سراقة ابن جعشم، أنظروني أكلمكم فوالله لا أريبكم ولا يأتيكم مني شيء تكرهونه، قال: فقال رسول اللهﷺ لأبي بكر:قل له وما تبتغي منا؟قال: فقال: لي ذلك أبو بكر، قال : قلت : تكتب لي كتابا يكون آية بيني وبينك قال:

(١) وهنا فيه تصريح(بالذي يكره) وفي البخاري اكتفي بقوله:«فخرج الذي أكره»ولم يصرح بقوله:«لا يضره».

(٢) لعل هذا تفسير لـ«العثان» الوارد في رواية البخاري.

«اكتب له يا أبا بكر[1]، فكتب لي كتابا في عظم أو في رقعة أو في خزفة[2] ثم ألقاه إلي، فأخذته فجعلته في كنانتي، ثم رجعت فسكت، فلم أذكر شيئا مما كان، حتى إذا كان فتح مكة على رسول اللهﷺ، وفرغ من حنين والطائف، خرجت ومعي الكتاب لألقاه، فلقيته بالجعرانة[3] قال: فدخلت في كتيبة من خيل الأنصار، قال: فجعلوا يقرعونني بالرماح ويقولون: إليك إليك، ماذا تريد؟قال: فدنوت من رسول اللهﷺ وهو على ناقته، والله لكأني أنظر إلى ساقه في غرزه كأنها جمّارة، قال: فرفعت يدي بالكتاب، ثم قلت: يارسول الله: هذا كتابك لي ، أنا سراقة بن جعشم، قال: فقال رسول الله ﷺ: «يوم وفاء وبر، ادنه» قال: فدنوت منه، فأسلمت،[4] ثم تذكرت شيئا أسأل رسول اللهﷺ عنه فما أذكره، إلا أني قلت: يارسول الله: الضالة من الإبل تغشى حياضي وقد ملأتها لإبلي، هل لي من أجر إن سقيتها؟ قال: «نعم في كل ذات كبد حرّى أجر» قال: «ثم رجعت إلى قومي فسقت إلى رسول اللهﷺ صدقتي[5].

---

(١) وفي رواية البخاري:«فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أديم (كما سبق) فلعله يجمع بينهما بكون النبيﷺ قال: لأبي بكر، وأبو بكر أمر خادمه«ابن فهيرة» فكتب ـ والله أعلم ـ انظر: رسالة الهجرة ص ١٧٩.

(٢) قال محقق سيرة ابن هشام(محيي الدين عبد الحميد): الخزفة هي الشقفة، وفي بعض النسخ «خرقة» اهـ. والأخيرة ذكرها صاحب الفتح.

(٣) **الجعرانة**: موضع قريب من مكة، وهي في الحل، وميقات للإحرام وهي، بتسكين العين والتخفيف، وقد تكسر العين وتشدد الراء.
النهاية (٢٧٦/١).

(٤) في هذا إشارة إلى إسلام سراقة، وهذا لم تصرح به رواية الصحيحين ويفهم من رواية ابن إسحق هذه أنه أسلم بعد فتح مكة، والذي ذكره ابن حجر أنه أسلم يوم الفتح(الإصابة١٢٧/٤)، وذكر غيره إسلامه بعد غزوة الطائف.انظر: الأعلام للزركلي(١٢٦/٣).

(٥) انظر: السيرة لابن هشام ١٠٢/٢ـ ١٠٤ وسند الرواية قوي ـ كما سأبين ـ.

هذه رواية ابن إسحق لقصة سراقة، وإذا تبين لنا قوة إسنادها[1] فالزيادة فيها على رواية الصحيحين ظاهرة.

وحيث يوجد ـ في رواية الصحيحين ـ في ثنايا قصة سراقة مالم تحط به رواية ابن إسحق، فيمكننا القول بأن الروايتين تكمل إحداهما الأخرى وتشكلان رواية صحيحة متكاملة لقصة سراقة.

ويروى عن ابن إسحق أن أبا جهل حين سمع بخبر سراقة مع النبيﷺ وتخوف أن يسلم ـ لما رأى ـ قال شعرا منه:

بني مدلج إني أخاف سفيهكم سراقة مستغوى لنصر محمد

عليكم به لا يفرقن جموعكم فتصبح شتى بعد عز وسودد

فأجابه سراقة بقوله:

أبا حكم والله لو كنت شاهدا لأمر جوادي إذ تسيخ قوائمه

عجبت ولم تشكك بأن محمدا نبي وبرهان فمن ذا يكاتمه[2]

لكن ابن إسحق لم يذكر لها سنداً، بل قال: فيما يزعمون[3].

---

(١) فرجال سندها رجال الصحيح(وهو نفس سند البخاري)ماعدا ابن إسحق وقد صرّح بالتحديث.

(٢) انظر: دلائل النبوة لأبي نعيم ص ١١٥ـ ١١٧ ، والفتح٧/٢٤٢.

(٣) دلائل النبوة ص ١١٦= ويمكن أن يلحق بهذه الرواية رواية أخرى ضعيفة ـ وإن كان ابن إسحق لم يروها ـ فقد ذكرها ابن عبد البر عن سفيان بن عيينة، عن أبي موسى عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال لسراقة: كيف بك إذا لبست سواري كسرى؟.. إلخ القصة. (انظر الاستيعاب النسخة المنشورة بهامش الإصابة٤/١٣١ ، والإصابة ٤/١٢٧) ففي سند الرواية انقطاع بين طرفيه (رسالة الهجرة ص ١٨١) وعلى فرض أن الحسن رواها عن سراقة، عن النبيﷺ فروايته عن سراقة منقطعة(انظر: التهذيب٣/٤٥٦)وقد سئل الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ سمع الحسن من سراقة؟ قال: لا .(المصدر نفسه٢/٢٦٨).

روايات أخر في طريق الهجرة

لقيا الزبير في ركب من المسلمين:

قال ابن شهاب[1] فأخبرني عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ لقي الزبير[2] في ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام فكسا الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياب بياض[3]...

كذا في رواية البخاري، أما ابن إسحق فلم يتعرض لها[4].

---

(١) هو متصل بالإسناد المذكور أولا إلى ابن شهاب، وقد أفرده الحاكم من وجه آخر عن يحيى بن بكير بالإسناد المذكور.

انظر: (الفتح ٢٤٣/٧).

(٢) صورة هذا الإسناد توحي بأنه مرسل ـ عن عروة ـ لكن وصله الحاكم من طريق معمر عن الزهري قال: أخبرنى عروة أنه سمع الزبير.(الفتح ٢٤٣/٧).

(٣) البخاري ٢٥٧/٤ : كتاب مناقب الأنصار ـ سبق ـ.

(٤) لكن تعرض لها أرباب السير غيره، مع اختلاف عن سياق الصحيح، فموسى بن عقبة أخرج الرواية عن ابن شهاب به وأتم منه وزاد: قال: «ويقال لما دنا من المدينة كان طلحة قدم من الشام، فخرج عائدا إلى مكة إما متلقيا أو معتمرا ،ومعه ثياب أهداها لأبي بكر من ثياب الشام فلما لقيه أعطاه فلبس منها هو وأبو بكر» .قال ابن حجر: وهذا إن كان محفوظا احتمل أن يكون كل من طلحة والزبير أهدى لهما من الثياب، والذي في السير هو الثاني، ومال الدمياطي إلى ترجيحه على عادته في ترجيح ما في السير على ما في الصحيح، والأولى الجمع بينهما وإلا فما في الصحيح أصح؛ لأن الرواية التي فيها طلحة من طريق «ابن لهيعة» عن أبي الأسود، عن عروة، والتي في الصحيح من طريق عقيل، عن الزهري عن عروة.(انظر: الفتح ٢٤٣/٧).

قصة أم معبد[1]:

وهذه لم تذكرها رواية الصحيحين،وأشار إليها«ابن إسحق» في روايته عن أسماء، وفيها أنها قالت:«ثم انصرفوا(تعني النبيﷺ وأبا بكر)، فمكثنا ثلاث ليال وما ندري أين وجّه رسول اللهﷺ، حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة يتغنى بأبيات من شعر غناء العرب، وأن الناس ليتبعونه يسمعون صوته وما يرونه، حتى خرجَ من أعلى مكة وهو يقول:

جزى الله رب الناس خير جـزائه .. رفيقين حلا خيـمـتي أم معبد

همـــا نـزلا بالبـــر ثـم تروحـا .. فـأفلح من أمسى رفيق مـحـمـد

ليـهـن بني كـعـب مكان فـتـاتـهم .. ومـقـعـدها للمـؤمنين بمرصـد

قال ابن إسحق: قالت أسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنها ـ: فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وجّه رسول اللهﷺوأن وجهه إلى المدينة[2].

تلك رواية مختصرة ذكر فيها ابن إسحق «أم معبد» وهي من طريق «البكائي» وعنه «ابن هشام»مع بعض التعقيب عليها[3].

---

(١) اسمها: عاتكة بنت خالد بن منقذ بن ربيعة، ويقال: عاتكة بنت خالد بن خليف إحدى بني كعب بن خزاعة، زوجها أبو معبد، وأخوها حبيش ـ أو خنيس ـ بن خالد له صحبة ورواية، قيل: إنها كانت مسلمة حين مرّ بها النبي ﷺ، وقيل: بل قدمت بعد ذلك وأسلمت.
(الاستيعاب١٣/٧٢، ٢٩٠، والإصابة ١٣/٢٨٩، وانظر: سيرة ابن هشام ٢/١٠١).

(٢) انظر: السيرة لابن هشام ٢/١٠٠، وسندها معضل (انظر: حاشية فقه السيرة للغزالي ص١٧٨).

(٣)قال ابن هشام ـ معقبا على هذه الرواية ـ :أم معبد : بنت كعب، امرأة من بني كعب من خزاعة، وقوله: «حلا خيمتي أم معبد»و« هما نزلا بالبر ثم تروحا»عن غير ابن إسحق (السيرة ٢/١٠١).

وقد روى ابن إسحق القصة بأطول من هذا من طريق «يونس بن بكير» فقال: «ونزل رسول الله ﷺ بخيمة أم معبد وهي التي غرد بها الجن بأعلى مكة، واسمها عاتكة بنت خالد بن منقذ بن ربيعة بن أصرم، فأرادوا القرى فقالت: والله ماعندنا طعام ولا لنا منحة، ولا لنا شاة إلا حائل، فدعا رسول الله ﷺ ببعض غنمها، فمسح ضرعها بيده، وذعا الله، وحلب في العس[1] حتى رغى[2] وقال: اشربي ياأم معبد، فقالت: اشرب فأنت أحقّ به، فرده عليها، فشربت ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فشرب ثم دعا بحائل أخرى، ففعل بها مثل ذلك فسقى دليله، ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى عامرا ثم تروح، وطلبت قريش رسول الله ﷺ حتى بلغوا أم معبد فسألوها عنه، فقالوا: رأيت محمدا وحليته كذا؟ فوصفوه لها، فقالت: ماأدري ماتقولون، قد ضافني حالب الحائل، قالت قريش: فذاك الذي نريد»[3].

هذه الرواية في سندها مقال، نظرا لكون ابن إسحق ذكرها دون إسناد لكن القصة رواها جمع من العلماء غير ابن إسحق[4].

---

(١) العس: القدح الكبير، وجمعه عساس، وأعساس، (كذا في النهاية لابن الأثير ٢٣٦/٣).

(٢) رغى: علت رغوته.

(٣) انظر: دلائل النبوة للبيهقي ٤٩٣/٢.

(٤) منهم ابن سعد في طبقاته ٢٣٠/١ وقد أخرج القصة بسند فيه «الحر بن الصباح» عن أبي معبد الخزاعي عن رسول الله ﷺ وهذا السند فيه ضعف فحديث الحر بن الصباح عن أبي معبد مرسل (انظر: الإصابة ٢٢١/٢)، وأبو معبد - أيضا - مات قبل النبي ﷺ قاله البخاري (انظر: الإصابة ٢١/١٢)، وبهذا السند أخرج القصة البخاري في تاريخه، وابن خزيمة في صحيحه، والبغوي وقد أعلها البخاري بالإرسال (انظر: الإصابة ٢١/١٢، وشرح الزرقاني للمواهب ٣٤١/١) كما رواها الطبراني في المعجم الكبير (٥٦/٤)، قال الهيثمي: وفي إسناده جماعة لم أعرفهم (مجمع الزوائد ٥٨/٦) كما رواها الطبراني من طريق آخر لكنه ضعيف أيضا (انظر: مجمع الزوائد ٧٩/٨) ومنهم الحاكم في مستدركه ٩/٣ - ١٠ من حديث هشام بن حبيش وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، قال الألباني: وفيما قالاه نظر(تعليقه على السيرة للغزالي ص ١٧٩) وروى القصة أبو نعيم بسنده، عن محمد بن إسحق السراج، قال: ثنا مكرم بن محرز الكعبي الخزاعي، قال: حدثني أبي محرز بن مهدي، عن حزام بن هشام عن أبيه هشام، عن جده حبيش بن خالد صاحب رسول الله ﷺ .. ثم ذكر القصة، وفيها أن النبي ﷺ نظر إلى شاة في كسر الخيمة.. إلخ (انظر: دلائل النبوة ص ١١٧).
=

= وهذا السند مثل سند الطبراني ـ المتقدم ـ إلى أن يصل إلى مكرم بن محرز حيث روى عنه في سند أبي نعيم «محمد بن إسحق السراج» وهو صدوق ثقة.(انظر: الجرح والتعديل١٥٦/٧)وفي سند الطبراني روى عنه موسى بن هارون الجمال، وعلي بن سعيد الرازي، وزكريا بن يحيى الساجي، وهؤلاء الأول ومنهم الأخير ثقات كما في التقريب، أما الأوسط فليس بذاك ، حكاه الدراقطني (انظر: الميزان ١٣١/٣ ، والمغني في الضعفاء٤٤٨/٢)(نشر دار المعارف، تحقيق نور الدين عتر، ط. الأولى١٣٩١هـ/١٩٧١م)وقال الذهبي: تفرد بأشياء.

وروى القصة ـ أيضا ـ البيهقي بسنده إلى عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ مع بعض الاختلاف في سياقها ـ ولهذا قال البيهقي في آخرها:« وهذه القصة وإن كانت تنقص عما روينا في قصة أم معبد ويزيد في بعضها فهي قريبة منها، ويشبه أن يكونا وحده»دلائل النبوة ٤٩٢/٢ .

ثم نقلها عنه ابن كثير، وحسن إسنادها، وقال: والظاهر أنها هي (السيرة٢٦٠/٢) .ويبدو أن في تحسين ابن كثير لها نظرا، فعبد الرحمن بن أبي ليلى لم يدرك أبا بكر، حيث ولد لست بقين من خلافة عمر، وإذا كان الحفاظ لا يثبتون سماعه من عمر(انظر: التهذيب٢٦٠/٦ـ٢٦٢) تأكد الانقطاع بينه وبين أبي بكر في هذه الرواية. وانظر: رسالة الهجرة ص ١٩٨ .

كما روى القصة: البزار بسنده قال: حدثنا محمد بن معمر، ثنا يعقوب بن محمد، ثنا عبد الرحمن ابن جابر، قال: حدثنا أبي ، عن أبيه، عن جابر قال: لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر مهاجرين. ثم روى القصة مختصرا... قال البزار:«لا نعلمه يروى بهذا اللفظ إلا بهذا الإسناد، وعبد الرحمن بن عقبة لا نعلم حدث عنه إلا يعقوب وإن كان معروفا في النسب» .(انظر: كشف الأستار بزوائد البزار٣٠٠/٢) وهو ضعيف بهذا السند(رسالة الهجرةص ١٩٩)وقال ابن عبر:«ثم مروا على خيمة أم معبد فكان من حديثها في قصة شاتها ماهو منقول مشهور عن الثقات»(الدرر في اختصار المغازي والسير ص ٥٢)وقصة أم معبد ذكرها ابن حجر في الفتح وسكت عنها٢٣٧/٧ ، ٢٥١ ، وتعرض لها «الوكيل» في تعليقه على الروض الأنف، وذكر من رواها وقال: قصة أم معبد ضعيفة السند(حاشية الروض ٢٢١/٤) .وانتهى «الألباني» إلى أن القصة بطرقها لا تنزل عن رتبة الحسن(فقه السيرة للغزالي، الحاشية ص ١٧٩) لكنه اعتمد فيما قاله على طريقين أوردهما ابن كثير ـ يعززان طريق الحاكم والطبراني ـ وقد سبق الحديث عن تحسين ابن كثير لأحد هذه الطرق ومتابعته فيما قال: لا سيما وهناك انقطاع في السند ـ كما بينت ـ ومال الباحث سليمان السعود إلى تحسين القصة في رسالته عن الهجرة ص ١٩٩ وممن مال إلى تحسينها ـ أيضا ـ محقق زاد المعاد، وقد اعتمد هو الآخر على الطريقين اللذين أخرجهما ابن كثير من حديث جابر، وأبي معبد ـ كشواهد ـ لهذه الرواية (انظر: حاشية زاد المعاد ٥٧/٣) .

فأما رواية جابر فهي التي أخرجها البزار، وقد سبق بيان ضعف إسنادها أما التي عن أبي معبد فهي إحدى روايات البيهقي ـ ساقها ابن كثير عنه ـ وهي التي من طريق«الحر بن الصباح» عن أبي معبد ـ وإن كانت وقعت عند ابن كثير عن« أبجر بن الصباح» ولعله تصحيف، فقد رواها «ابن سعد» عن «الحر بن الصباح» .وقد سبق بيان ضعفها لإرسال «الحر» عن أبي معبد، وعدم إدراك أبي معبد للنبي ﷺ .

ومع هذا كله فقد قال ابن كثير عن قصة أم معبد: «إنها مشهورة، مروية من طرق يشد بعضها بعضا»(السيرة ٢٥٧/٢) .

أبو بكر يلهي الناس عن النبي ﷺ
وهم في الطريق إلى المدينة

روى البخاري ـ بسنده ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:« أقبل نبي الله ﷺ إلى المدينة وهو مردف[1] أبا بكر، وأبو بكر شيخ[2] يعرف، ونبي الله ﷺ شاب[3] لا يعرف، قال: فيلقى الرجل أبا بكر فيقول: يا أبا بكر من هذا الرجل الذي بين يديك؟ فيقول: هذا الرجل يهديني السبيل، قال: فيحسب الحاسب أنه إنما يعني الطريق، وإنما يعني سبيل الخير، فالتفت أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحقهم...»[4].

---

(١) وفي رواية ـ في الباب بعده ـ «وكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ على راحلته، وأبو بكر ردفه» (البخاري ١٦/٤).

(٢) يريد أنه قد شاب، ويؤيده قول أنس ـ في رواية أخرى ـ: «قدم النبي ﷺ وليس في أصحابه أشمط غير أبي بكر فغلفها بالحناء والكتم». (انظر: البخاري٤/٢٦٢ من الباب نفسه في مناقب الأنصار = أما معرفته فلأنه كان يختلف إلى الشام، ويمر على أهل المدينة في سفر التجارة (انظر: طبقات ابن سعد ٢٣٣/١ ، والفتح٧/٢٥٠).

(٣) ظاهر هذا أن أبا بكر كان أسنّ من النبي ﷺ وقد ورد في هذا رواية لكنها مرسلة، واعتبرها المحققون وهما، وأصح منها وألزم ماورد في سن أبي بكر في صحيح مسلم، مما يؤكد كونه أصغر من النبي ﷺ. (انظر: الفتح ٢٥١/٧).

(٤)٢٥٩/٤ :باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة.

وهذه الرواية أيضا لم ترد عند ابن إسحق في سيرته، فهي زيادة للصحيح وقد أورد ابن سعد في طبقاته بنحو من هذا في أكثر من رواية، ومنها رواية أبي وهب مولى أبي هريرة(وإن كانت مرسلة، وفي سندها أبو معشر/انظر: رسالة الهجرة ص ٢١٤).أن رسول الله ﷺ ركب وراء أبي بكر ناقته، فكلما لقيه إنسان قال: من أنت؟ قال: باغ أبغي، فقال: من هذا وراءك؟ قال: هاد يهديني. (الطبقات ٢٣٤/١).

الطريق الذي سلكه النبيﷺ في هجرته:

ورد في رواية البخاري السابقة ـ في الإذن بالهجرة ـ «... وانطلق معهما عامر بن فهيرة، والدليل، فأخذ بهم طريق السواحل»(١).

وكذا جاء التأكيد على اختيارهم طريق الساحل في الهجرة، في قول أحد بني مدلج لسراقة: «ياسراقة، إني قد رأيت آنفا أسودة بالساحل أراها محمدا وأصحابه»(٢).

ويتفق ابن إسحق مع رواية الصحيح في هذا، لكن بنوع من الزيادة والتفصيل حيث يقول(٣): «فلما خرج بهما دليلهما عبد الله بن أرقط سلك بهما أسفل مكة، ثم مضى بهما على الساحل ـ حتى عارض الطريق ـ أسفل من عسفان(٤). ثم سلك بهما على أسفل أمج(٥)، ثم استجاز بهما حتى عارض بهما الطريق بعد أن أجاز قديدا(٦) ثم أجاز بهما من مكانه ذلك،

---

(١) انظر: ٢٥٦/٤.

(٢) المصدر نفسه ٢٥٦/٤.

(٣) هذه الرواية ساقها ابن إسحق دون إسناد، لكن أسندها غيره وصححها وسأبين ذلك ـ في نهايتها ـ .

(٤) عسفان: لبني المصطلق من خزاعة، سميت بذلك لتعسف السيل فيها، وهي من مكة على مرحلتين أو(٨٠) كيلا من مكة.(انظر: المناسك للحربي ص ٤٦٣، ومعجم البلدان١٢١/٤).

(٥) أمج: بلد من أعراض المدينة، وهي وغران: واديان يأخذان من مرة بني سليم ويفرغان في البحر(معجم البلدان٢٤٩/١).

وهو أسفل وادي«ساية» الوادي الذي يقع في أسفله(خليص).

(انظر: مجلة العرب، السنة الأولى ١٣٨٧هـ، الجزء السابع/محرم في مقال لحمد الجاسر بعنوان: «رحلة إلى طيبة» ص (٥٨٩).

(٦) قديد: اسم موضع قرب مكة، سميت بذلك لهبوب رياح شديدة فيها قدت خيام أصحاب تبع حين نزل بها.(معجم البلدان٣١٣/٤).

وقال حمد الجاسر : هو واد طويل، ويظهر أن طريق الرسول ﷺ كان على أسفل الوادي؛ لأن ابن هشام وغيره ذكر أن الدليل سلك بهما الخرار بعد قديد. (المرجع السابق ص ٥٨٩).

فسلك بهما الخرّار[١] ثم سلك بهما ثنية المرة[٢]، ثم سلك بهما لقفا[٣]، ثم أجاز بهما مدلجة[٤] لقف، ثم استبطن بهما مدلجة مجاج[٥]، ثم سلك بهما

---

(١) **الخرّار**: موضع قرب الجحفة.(النهاية في غريب الحديث والأثر٢/ ٢١)قال الجاسر: وبعضهم يعده فيها، والجحفة لاتزال معروفة.(انظر: مجلة العرب العدد السابق ص ٥٨٩).

(٢) **المرة**: قال السهيلي: كذا وجدته مخفف الراء مقيدا، كأنه مسهل الهمزة من المرأة. (الروض ٤/ ٢٤٨). وذكره ياقوت في معجمه ولم يحدد مكانه بأرض الحجاز(٢/ ٨٥).

وقال الجاسر: ولم أجد من يعرفها، ولكن يوجد بجهة«كُلَيَّة» فيما بينها وبين«رابغ» ثنية يسلكها المتوجه إلى كلية، والمتقدمون يقولون عن ثنية المرة: إنها قريبة من ماء يدعى (الأحياء)وإنه في وادي رابغ.

(المرجع السابق ص ٥٨٩).

(٣) **لقفا**: قال ابن هشام: ويقال: لفتا، قال ياقوت : هما موضعان في الطريق بين مكة والمدينة. (معجم البلدان ٥/ ٢٠، ٢١).

وقال الجاسر: هو واد لايزال معروفا وهو من روافد وادي النخل ويفيض فيه عند محطة بئر رضوان. (المرجع السابق ص ٥٨٩).

(٤) **مدلجة لقف**: قلعة كبيرة تصب في وادي(لقف) تبعد عن بئر رضوان مسافة١٠ أكيال إذا سندت في وادي لقف تفيض من جهة الشمال.

قال الجاسر: ويظهر من سياق الخبر أن الرسول ﷺ ترك طريق ثنية (هرشا) يساره إذ هوالطريق المعروف وأنه نزل من (مدلجة لقف) (العرب ـ العدد السابق ـ ص ٥٩٠).

(٥) كذا عند ابن إسحق«مِجَاج» ويقال «مَجَاج» فيما قال ابن هشام (السيرة ٢/ ١٠٦). ويقال «محاج» نسبها ياقوت إلى ابن إسحق.

وقال ياقوت: والصحيح(مجاح) بفتح الميم، وبعده جيم، ثم حاء مهملة، وهو موضع من نواحي مكة(معجم البلدان ٥/ ٥٥).

ومدلجة مجاح رافد من روافده وتقترب هي ومدلجة لقف حتى تلتقيان.(انظر: مجلة العرب ـ العدد السابق ـ ص ٥٩٠، ٥٩١).

مرجح[1] مجاج، ثم تبطن بهما مرجح من ذي الغضوين[2]،ثم من ذي كشر[3]، ثم أخذ بهما على الجداجد[4]، ثم على الأجرد[5]،ثم سلك بهما ذا سلم من بطن أعدا مدلجة تعهن[6]، ثم على العبابيد[7] ، ثم أجاز بهما

---

(١) «مَرْجِح» كذا ضبطها ياقوت بفتح أوله، وسكون ثانيه، وكسر الجيم، والحاء المهملة. (معجم البلدان). ومرجح: رافد من روافد مجاح مقابل لمدلجة مجاح يصب فيه.(مجلة العرب ص٥٩١).

(٢) **الغضوين**: قال ابن هشام ويقال(العصوين) بالصاد المهملة، وصوّبه حمد الجاسر (بالعصوين) (بالعين والصاد المهملتين)ويرى أن: الغضوين أو العضوين تصحيف (مجلة العرب ص ٥٩١).

(٣) **ذي كَشْر**: وهكذا أيضا ضبطه صاحب المعجم(بالفتح ثم السكون) بين مكة والمدينة (معجم البلدان) (٤٦٢/٤).

وضبطه حمد الجاسر(كِشْر) وقال: يعرف الآن باسم «أم كشد» بكاف مكسورة وشين معجمة ساكنة ودال مهملة، لا كما جاء في سيرة ابن هشام وفي معجم البلدان،وأم كشد هذه قلعة تصب في واد يدعى (ثقيب) وهو واد يجتمع مع وادي (القاحة) بعد أن يتجه المرء من (بئر مبيريك) إلى جهة المدينة بما يقرب من ١٥ كيلا (مجلة العرب، العدد السابق ص ٥٩١).

(٤) **الجداجد**: بالفتح جمع جدجد ، وهي الأرض المستوية الصلبة... ويجوز أن يكون جمع جدجد، وهي البئر القديمة، وأظنها على هذا آبارا قديمة في طريق ليس يعلم. (معجم البلدان١١٢/٢).وهو واد صغير من روافد وادي(ثقيب)(مجلة العرب، العدد السابق ص ٥٩٢).

(٥) **الأجرد**: وهو الموضع الذي لا نبات فيه، قال ياقوت: اسم جبل من جبال القبلية، له ذكر في حديث الهجرة عن ابن إسحق (معجم البلدان ١٠١/١).

ويقول الجاسر:ويسمى الآن(أجيرد) وهو على الشمال من (أم كشد)(المرجع السابق ص ٥٩٢).

(٦) **تِعْهِن**: اسم عين ماء سمي به، موضع على ثلاثة أميال من السقيا بين مكة والمدينة (المصدر السابق ٣٥/٢).

وقال الجاسر: إنها واد كبير يصب في (القاحة) عند المحطة المعروفة الآن باسم «أم البرك» وقديما باسم «السقيا» .(المرجع السابق ص٥٩٢).

(٧) **العبابيد**: قال ابن هشام: ويقال العبابيب، ويقال العثيانة..(انظر السيرة ١٠٧/٢، ومعجم البلدان ٧٣/٤).

قال الجاسر: ولم أجد أحدا يعرف شيئا عن هذا الموضع الذي ذكر ابن هشام له ثلاثة أسماء (مجلة العرب/ الجزء الثامن من السنة الأولى ص ٦٩٢).

الفاجة[1] . قال ابن هشام: ثم هبط بهما العرج[2]وقد أبطأ عليهما بعض ظهرهما ،فحمل رسول الله ﷺ رجل من أسلم يقال له«أوس بن حجر[3]»على جمل له يقال له«ابن الرداء» إلى المدينة، وبعث معه غلاما له يقال له: «مسعود بن هنيدة»[4] ثم خرج بهما دليلهما من العرج، فسلك بهما ثنية العائر عن يمين ركوبه[5] حتى هبط بهما بطن رئم[6]، ثم قدم بهما قباء

---

(١) قال ابن هشام: ويقال: القاحة، وهي مدينة على ثلاث مراحل من المدينة قبل السقيا بنحو ميل(انظر: السيرة لابن هشام ١٠٧/٢ ، ومعجم البلدان ٢٩٠/٤).

والسّقيا: هي سقيا بني غفار قبيلة معروفة قديما كانت من مساكنها في القديم، وأعالي السقيا تبتدئ من مكان يبعد عن «أم البرك» بما يقارب(٤٥) كيلا بعد أم البرك للمتوجه إلى المدينة ، عند محل يدعى «الرّصفة» ، وهو جبل منحوت قديما لسلوك المسافرين أرضه مرصوفة (حمد الجاسر، المرجع السابق ص ٦٩٣).

(٢) **العرج**: بفتح العين وسكون الراء: عقبة بين مكة والمدينة، جادة الحاج، تذكر مع السقيا.(معجم البلدان ٩٨/٤ ، ٩٩). والعرج على ما ذكره المتقدمون يبعد عن أول وادي «القاحة» بما يقارب ثلاثة عشر ميلا.(حمد الجاسر، المرجع السابق ص ٦٩٣).

(٣) هو: أوس بن عبد الله بن حجر الأسلمي ، وربما ينسب إلى جده فقيل:أوس بن حجر، روى قصة مرور النبي ﷺ وأبي بكر به في طريق الهجرة: البغوي، وابن السكن، وابن منده عن طريق فيض ابن وثيق، عن صخر بن مالك بن إياس بن مالك بن أوس بن عبد الله بن حجر الأسلمي، شيخ من أهل العرج، قال أخبرني أبي: مالك بن إياس بن مالك ، أن أباه إياسا أخبره أن أباه مالك بن أوس أخبره ، أن أباه أوس بن عبدالله بن حجر الأسلمي مرّ به رسول الله ﷺ.. ورواها الطبراني، وأبو العباس السراج في تاريخه، وقال ابن عبد البر: مخرج حديثه عن ولده وهو حديث حسن(الإصابة ١٣٨/١).

وفي حاشية الروض الأنف: قصة أوس لم يروها أحد من أصحاب الكتب الستة(ثم ذكر من رواها) .قال ابن حبان والطبراني: له صحبة ولم يخرج حديثه(٢٥٢/٤).

(٤)ذكر الحاكم في الإكليل قصة لقياه بالنبي ﷺ لقصد الإسلام (الإصابة١٣٨/١).

(٥) **ركوبه**: (بفتح أوله، وبعد الواو باء موحدة) ثنية بين مكة والمدينة عند العرج، صعبة سلكها النبي ﷺ عند مهاجره للمدينة.(معجم البلدان ٦٤/٣).

قال الجاسر: والعائر تصحيف وصوابه الغائر(بالغين المعجمة)(المرجع السابق ص٦٩٦).

(٦) **رئم**: واد لمزينة قرب المدينة، على أربعة أو ثلاثة برد من المدينة. (معجم البلدان ١١٤/٣).

على بني عمرو بن عوف لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، يوم الإثنين، حين اشتد الضحاء،وكادت الشمس تعتدل[1].وانظر الشكل رقم (١) في توضيح طريق الهجرة.

---

(١) انظر: السيرة لابن هشام٢/١٠٤ـ ١٠٩ =وقد ساق ابن إسحق هذه الرواية دون إسناد، لكن وصلها من طريقه الحاكم في مستدركه٣/٨وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وصححه ابن حجر.(الفتح٧/٢٣٨)وقال: وأخرجه الزبير بن بكار في «أخبار المدينة» مفسرا منزله إلى قباء، وكذلك ابن عائذ من حديث ابن عباس.

قلت:وقد تتبع«حمد الجاسر»طريق الهجرة في رحلة قام بها، وكتب خلاصتها في بحث له في مجلة العرب بعنوان«رحلة إلى طيبة» استغرق أكثر من خمسة أعداد من مجلته فليرجع إليه في أعداد السنة الأولى ١٣٨٧هـ .

وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ... (النحل - ٤١).

شكل رقم (١) من كتاب « معجم معالم السيرة النبوية »



الوصول إلى المدينة واستقبال الأنصار:

روى البخاري عن ابن شهاب، عن عروة[1]أن المسلمين في المدينة سمعوا مخرج رسول الله ﷺ من مكة، فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حرّ الظهيرة، فانقلبوا يوما بعد ما أطالوا انتظارهم، فلما أووا إلى بيوتهم أوفي رجل من يهود على أطم من آطامهم لأمر ينظر إليه، فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: «يامعشر العرب[2]هذا جدكم الذي تنتظرون...»[3].

كما روى ذلك ابن إسحق ـ وبأتم مما سبق ـ بسنده فقال:فحدثني محمد ابن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، عن عبد الرحمن بن عويم بن ساعدة، قال: حدثني رجال من قومي من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: لما سمعنا بمخرج رسول الله ﷺ من مكة، وتوكفنا[4] قدومه كنا نخرج إذا صلينا الصبح إلى ظاهر حرتنا ننتظر رسول الله ﷺ، فوالله مانبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال، فإذا لم نجد ظلا دخلنا وذلك في أيام حارة،حتى إذا كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله ﷺ جلسنا كما كنا نجلس حتى إذا لم يبق ظل دخلنا بيوتنا، وقدم رسول الله ﷺ حين دخلنا البيوت، فكان أول من رآه رجل من اليهود، وقد رأى ماكنا نصنع وأنا ننتظر قدوم رسول الله ﷺ علينا،

---

(١) سبق الحديث عن وصل هذا الحديث في البخاري.

(٢)وفي رواية ابن إسحق ـ كما سيأتي ـ يابني قيلة.

(٣) ٢٥٧/٤ : سبق .

(٤) في النهاية : وتوكف الخبر إذا انتظر، وكفه: أي وقوعه (٢٢١/٥).

فصرخ بأعلى صوته: يابني قيلة[1] هذا جدكم قد جاء، قال فخرجنا إلى رسول الله ﷺ وهو في ظل نخلة ومعه أبو بكر - رضي الله عنه - في مثل سنه وأكثرنا لم يكن رأى رسول الله ﷺ قبل ذلك، وركبه الناس وما يعرفونه من أبي بكر، حتى زال الظل عن رسول الله ﷺ فقام أبو بكر فأظله بردائه فعرفناه عند ذلك[2].

هذه الرواية والتي قبلها تؤكدان مدى الشوق والمحبة والتعلق برسول الله ﷺ، وقد صرحت إحدى روايات البخاري بأن أهل المدينة مافرحوا بشيء فرحهم برسول الله ﷺ حين قدم عليهم[3].

وتتجلى مظاهر الفرح والمسلمون يثورون إلى السلاح ليتلقوا به رسول الله ﷺ[4] ويحفون به دونه ودون صاحبه أبي بكر وهما راكبان[5]. وصعد الرجال

(١) هي الجدة الكبرى للأنصار والدة الأوس والخزرج، وهي قيلة بنت كاهل بن عذرة (الفتح ٢٤٣/٧). وقد سبق في الرواية قبلها: يامعشر العرب.

(٢) انظر: السيرة لابن هشام ١٠٩/٢: وإسناده حسن - كما يظهر من رجاله - فـ محمد بن جعفر ابن الزبير بن العوام الأسدي ثقة (انظر: التهذيب ٩٣/٩). وعروة بن الزبير ثقة أيضا - وهو معروف -. وعبد الرحمن بن عويم بن ساعدة الأنصاري: ولد على عهد رسول الله ﷺ، وقيل: ولد قبل الهجرة (أسد الغابة ٤٨٦/٣) وذكره البخاري في التاريخ الكبير ٣٢٥/٥ وذكر أن حديثه هذا مرسل (فهو تابعي كبير)، وقال البغوي - في شرح السنة - حديثه مرسل، وذكره ابن منده في الصحابة (الإصابة ٢٢٠/٧) ونظرا لكونه رواه عن رجال من قومه، وابن إسحق صرّح بالتحديث فيظهر حسن إسناده. وانظر: رسالة الهجرة ص (٢٢٧).

(٣) ٢٦٤/٤: في مناقب الأنصار، وفي التفسير ٨٢/٦ في سورة الأعلى.

(٤) البخاري ٢٥٧/٤.

(٥) المصدر نفسه ٢٦٠/٤.

والنساء فوق البيوت، وتفرق الغلمان والخدم في الطرق ينادون، يامحمد، يارسول الله، يا محمد يا رسول الله![1] وأشرف بعضهم يقول: جاء نبي الله، جاء نبي الله ﷺ[2].

أما عن تاريخ وصوله المدينة، وأول منزل له، فتتفق رواية الصحيحين مع ابن إسحق في كون ذلك يوم الإثنين من شهر ربيع الأول[3] لكنهما يختلفان في الوقت فعند ابن إسحق ـ كما سبق ـ حين اشتد الضحاء وكادت الشمس أن تعتدل[4]، بينما نجد في رواية الصحيحين أن ذلك كان ليلا[5]، ويزيد ابن إسحق أن ذلك كان لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول[6].

---

(١) مسلم ٢٣١١/٤.

(٢) البخاري ٢٦٠/٤=أقول: هذه العبارات الواردة في روايات الصحيحين في استقبال النبي ﷺ حين وصوله إلى المدينة مهاجرا، تخالف مااشتهر عند الناس من كونه استقبل بهذه الأبيات:

طلع البدر علينا ∴ من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ∴ مادعا لله داع

فهذه مع مافي سندها من مقال حيث رويت بسند معضل من طريق عبيدالله بن عائشة، كما أخرجها أبو سعيد في «شرف المصطفى» وفي «فوائد الخلعي» (انظر: الفتح ٢٦١/٧، ٢٦٢).

كذلك في متنها إشكال نظرا لكون ثنيات الوداع إنما هي من ناحية الشام لا يراها القادم من مكة إلى المدينة، ولا يمر بها إلا إذا توجه إلى الشام، ولهذا نسب «ابن القيم» الوهم لبعض الرواة الذين قالوا ذلك. (انظر زاد المعاد ٥٥١/٣).

قلت: في صحيح البخاري ما يفيد أن «ثنية الوداع» على طريق الشام، حيث ذكر خروج الغلمان إلى «ثنية الوداع» يتلقون رسول الله ﷺ مقدمه من غزوة تبوك ـ وتبوك على طريق الشام ـ ١٣٦/٥ كتاب المغازي، غزوة تبوك، كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر.

وعلى كل حال فالمسألة محل نظر وخلاف بين العلماء. (انظر في تفصيل ذلك: شرح المواهب ٣٥٩/١، ٣٦٠).

(٣) انظر: البخاري ٢٥٨/٤، والسيرة لابن هشام ١٠٩/٢، ٢٢٣.

(٤) ابن هشام ١٠٩/٢، ٢٢٣.

(٥) مسلم ٢٣١١/٤= قال الحافظ ابن حجر: والأكثر أنه قدم نهارا، ووقع في رواية مسلم ليلا، ويجمع بأن القدوم كان آخر الليل فدخل نهارا. (الفتح ٢٤٤/٧).

(٦) انظر: سيرة ابن هشام ١٠٩/٢، ٢٢٣. قال ابن كثير: وهذا هو المشهور الذي عليه الجمهور (السيرة لابن كثير ٢٩٠/٢) وبه جزم النووي في كتاب السير من الروضة. (انظر: روضة الطالبين، للنووي ٢٠٥/١٠). (وشرح المواهب ٣٥١/١).

كما يتفقان في أول منزل له: في بني عمرو بن عوف، وإن كان بينهما خلاف[١] في مدة المكوث فعند ابن إسحق أنه « أقام في بني عمرو بن عوف يوم الإثنين، ويوم الثلاثاء، ويوم الأربعاء، ويوم الخميس، وأسس مسجده، ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة..[٢]» . أما رواية الصحيحين ففيها أنه مكث فيهم بضع عشرة ليلة[٣]،وجاء تحديد هذا البضع في رواية أخري: بأربع عشرة ليلة[٤]،وإذا كان بعض أرباب السير أقرب إلى قول ابن إسحق[٥] فيبقى ما في الصحيح أصح خاصة إذا علم أن ابن إسحق لم يسند روايته، بل أشار في آخرها إلى احتمال القول الآخر حين قال: « ... وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه مكث فيهم أكثر من ذلك، فالله أعلم أي ذلك كان»[٦] .

ويبقى بعد ذلك أن نقول: إن الهجرة لما لها من أهمية ومكانة في سيرة

---

(١) ففي البخاري في كتاب مناقب الأنصار عن أنس: لما قدم رسول الله ﷺ نزل في علو المدينة في حي يقال لهم بنو عمرو بن عوف(٢٦٦/٤، ٢٥٨) ،وفي كتاب الإيمان عن البراء بن عازب رضي الله عنه «كان أول ماقدم المدينة نزل على أجداده، أو قال أخواله ـ من الأنصار ثم علق ابن حجر قائلا: وفي إطلاق أجداده أو أخواله مجاز؛ لأن الأنصار أقاربه من جهة الأمومة لأن أم جده عبد المطلب بن هاشم منهم وهي سلمى بنت عمرو أحد بني عدي بن النجار، وإنما نزل النبي ﷺ بالمدينة على إخوتهم بني مالك بن النجار ففيه على هذا مجاز ثان» . (انظر فتح الباري ٩٥/١، ٩٦) . أما ابن إسحق: فقد ذكر البيت الذي نزل فيه رسول الله ﷺ في بنى عمرو بن عوف، مشيرا إلى «كلثوم بن هدم» في قول، و«سعيد بن خثيمة» في قول آخر، وهو وإن نقل وجها للجمع بينهما فلم يقطع بأحدهما. كما ذكر البيت الذي نزل فيه أبو بكر الصديق(السيرة ١١٠/٢) .

(٢) السيرة لابن هشام ١١١/٢ .

(٣) البخاري ٢٥٨/٤ .

(٤) المصدر نفسه ٢٦٦/٤ .

(٥) «فموسى بن عقبة» قال: إن مكوثه بقباء (في بني عمرو بن عوف) ثلاث ليال، وجزم«ابن حبان» أن إقامته أربع ليال، وقال ابن كثير ـ بعد ذكره لهذه الأقوال وغيرها ـ : والأشهر ما ذكره ابن إسحق وغيره أنه عليه السلام أقام فيهم بقباء من يوم الإثنين إلى يوم الجمعة (السيرة لابن كثير ٢٩٢/٢، وشرح المواهب ٣٥١/١) .

(٦) السيرة لابن هشام ١١٢/٢ .

النبيﷺ، أصبحت معلما بارزا في تاريخ الإسلام، حتى عدت بداية للتاريخ عند المسلمين، وفي صحيح البخاري: «من أين أرخوا التاريخ» عن سهل بن سعد قال: «ماعدوا من مبعث النبي ﷺ ولامن وفاته، ما عدوا إلا من مقدمه المدينة»[1].

وهكذا تنتهي أحداث الهجرة النبوية لتنتهي معها مرحلة من مراحل الدعوة كانت لها سماتها وخصائصها، ولتبدأ بعدها مرحلة أخرى جديدة، لها ما يميزها ويخصمها عن الفترة السابقة.

** ** **

---

(١) ٢٦٧/٤: في كتاب مناقب الأنصار.



الخـاتمة
ونتائج البحث



الخاتمة ونتائج البحث

الحمد لله أولا وآخرا وهو الذي بنعمته تتم الصالحات.. وبعد

ففي نهاية هذه الرسالة ، ومن خلال المقارنة بين رواية الصحيحين، وابن إسحق في أحداث السيرة نستطيع أن نسجل الملاحظات الآتية:

أولا: كثرة أحداث السيرة في الصحيحين ـ خاصة في البخاري ـ بشكل لا يتوقعه الباحث، لكن جمع ذلك يحتاج إلى نوع من التقصي تفرضه طبيعة منهجهما ـ التي سبق الحديث عنها ـ وهذا المنهج من الدقة أحيانا، وعدم الوضوح أحيانا بحيث يحتاج إلى إمعان نظر، والرجوع إلى الشروح المعتبرة لتسهم في بيان المجمل وإيضاح المشكل.

ومع هذه الكثرة فلم تنتظم رواية الصحيحين جميع أحداث السيرة، ولعل من أبرز الأسباب في ذلك أن الشيخين اشترطا للتدوين في صحيحيهما علوا في الإسناد تقصر دونه بعض الأحداث في السيرة، وقبلها غيرهما كابن إسحق وغيره من أرباب السير، بل وأصحاب كتب الحديث الأخرى الذين لم يلتزموا بشرط الشيخين.

ومن هذه الأحداث التي أغفلتها رواية الصحيحين ـ في الفترة المكية ـ حديث إرضاع حليمة السعدية للنبيﷺ، وفترة إقامته في بادية بني سعد، يستثنى من ذلك حديث مسلم عن شق الصدر في تلك الفترة.

ومنها حديث ذهاب النبيﷺ ـ وهو غلام ـ مع عمه إلى الشام، وقصته مع «بحيرى» الراهب.

ومنها: خبر إسلام عمه حمزة بن عبد المطلب ـ رضي الله تعالى عنه ـ.

ومنها: الروايات في عرض النبيﷺ نفسه على القبائل.

ثانيا: وهناك نوع من الحوادث في السيرة وردت الإشارة إليها في الصحيحين بشكل مجمل دون الإسهاب في تفصيلاتها، وهذا النوع نستفيد

منه بتوثيق أصل الحادثة الواردة عند ابن إسحق ـ لورودها في الصحيحين أو أحدهما ـ ونحتاج في تفصيلاتها الأخرى إلى نوع من الدراسة المنهجية الناقدة لنتبين الصحيح من الضعيف.

ومن نماذج هذا النوع حادثة حصار الشعب، وتزويج خديجة رضي الله عنها للنبيﷺ، وإسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه، والهجرة إلى الحبشة... ونحوها.

ثالثا: وفي مقابل هذا نجد في الصحيحين روايات لا وجود لها عند ابن إسحق، وهذه تضيف إلى نصوص السيرة المشهورة نصوصا أخرى ربما غفل عنها بعض الباحثين، ففي «شق الصدر» مثلا تتفق رواية الصحيحين مع ابن إسحق على شق صدره ﷺ وهو في بني سعد، وتزيد رواية الصحيحين بذكر الواقعة مرة أخرى عند الإسراء والمعراج، وكذا «انشقاق القمر» وهو من معجزات النبوة في مكة تثبته رواية الصحيحين ولم أجد له ذكرا عند ابن إسحق.

ومثال ذلك يقال في صعودهﷺ جبل حراء بمكة هو ونفر من أصحابه، وإخباره حينها عن أمور غيبية وقعت كما أخبر وهذه ليس لها ذكر عند ابن إسحق، وهي من روايات«مسلم»، وفي وقائع الهجرة إلى المدينة تضيف رواية الصحيحين ـ في طريق الهجرة ـ أحداثا لم تأت عليها رواية«ابن إسحق» كخبر الراعي، ولقيا النبيﷺ للزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام، هذا فضلا عمّا في قصة«سراقة» من زيادات لا تذكرها رواية ابن إسحق ـ كما سبق بيان ذلك.

رابعا: وهناك نوع من الحوادث تختلف دلالته بين رواية ابن إسحق وبين الصحيحين، وتبرز الفروق جلية واضحة بينهما، وقد أبنت ـ في فصول الرسالة ـ أشياء كثيرة من هذا النوع، ومن أمثلة هذا النوع:

الاختلاف في كيفية بدء الوحي ونزول جبريل ـ أول مانزل على النبي ﷺ ـ فحين تعرضه رواية ابن إسحق والنبيﷺ نائم، تؤكد رواية الصحيحين أن ذلك كان في اليقظة.

وأول مانزل من القرآن ـ بعد فترة الوحي ـ «سورة الضحى» في رواية ابن إسحق، بينما في رواية الصحيحين سورة «المدثر».

وفي موت ورقة بن نوفل خلاف بين رواية ابن إسحق والشيخين في تحديد زمنها، فتذكره الأولى بعد أن اشتهر الإسلام وعذب من عذب من المؤمنين، وتذكره الأخرى بعد بدء الوحي وقبل إظهار الإسلام.

وفي هجرة الحبشة تذكر رواية ابن إسحق هجرة أبي موسى الأشعري ومن معه من مكة، بينما تذكره رواية الصحيحين من اليمن، وكذا الخلاف في أول من هاجر إلى المدينة من المسلمين.

ومن أعظم الخلاف بين رواية الصحيحين وابن إسحق خلافهما في موت أبي طالب وهل كان على الإسلام كما يفهم من رواية ابن إسحق، أم على الكفر كما في رواية الصحيحين وصريح القرآن.

** ** **

هذه نماذج لاختلاف الرواية بين ابن إسحق والشيخين في الفترة المكية، ولو انتقلنا إلى الفترة المدنية لوجدنا من ذلك ـ أيضا الشيء الكثير ومن أمثلته: في سرية«الرجيع» ذكر ابن إسحق أن عدة أصحابها ستة نفر، وأميرهم مرثد بن أبي مرثد الغنوي[1]، بينما نجد في البخاري أن عدتهم عشرة، وأميرهم عاصم بن ثابت بن الأقلح[2]، والقراء الذين قتلوا في بئر معونة عدتهم عند ابن إسحق أربعون رجلا[3]، وعند البخاري ومسلم سبعون رجلا[4].

وأصحاب الحديبية عند ابن إسحق سبعمائة[5]،والذي في الصحيحين أنهم ألف وأربعمائة أو أكثر[6]إلى غير ذلك من مناحي الاختلاف.

وأخيرا أشكره تعالى على مايسر وأعان على إنجاز هذه الرسالة وأقول ومع ماقضيته فيها من الوقت، وما أفرغته فيها من الجهد ماوسعني الجهد فإنني أقف في الخاتمة معتذرا عمّا زل به القلم، مما هو مندرج تحت طبائع البشر وتقصيرهم. وأسأله تعالى أن يتجاوز عن الخطأ ـ حيث وقع ـ وأن يجزي على الصواب الذي إليه هدى.. وهو حسبي ونعم الوكيل وصلى الله على نبينا محمد.

** ** **

---

(١) السيرة لابن هشام ١٦٠/٣,١٦١.

(٢) صحيح البخاري ١١/٥ كتاب المغازي.

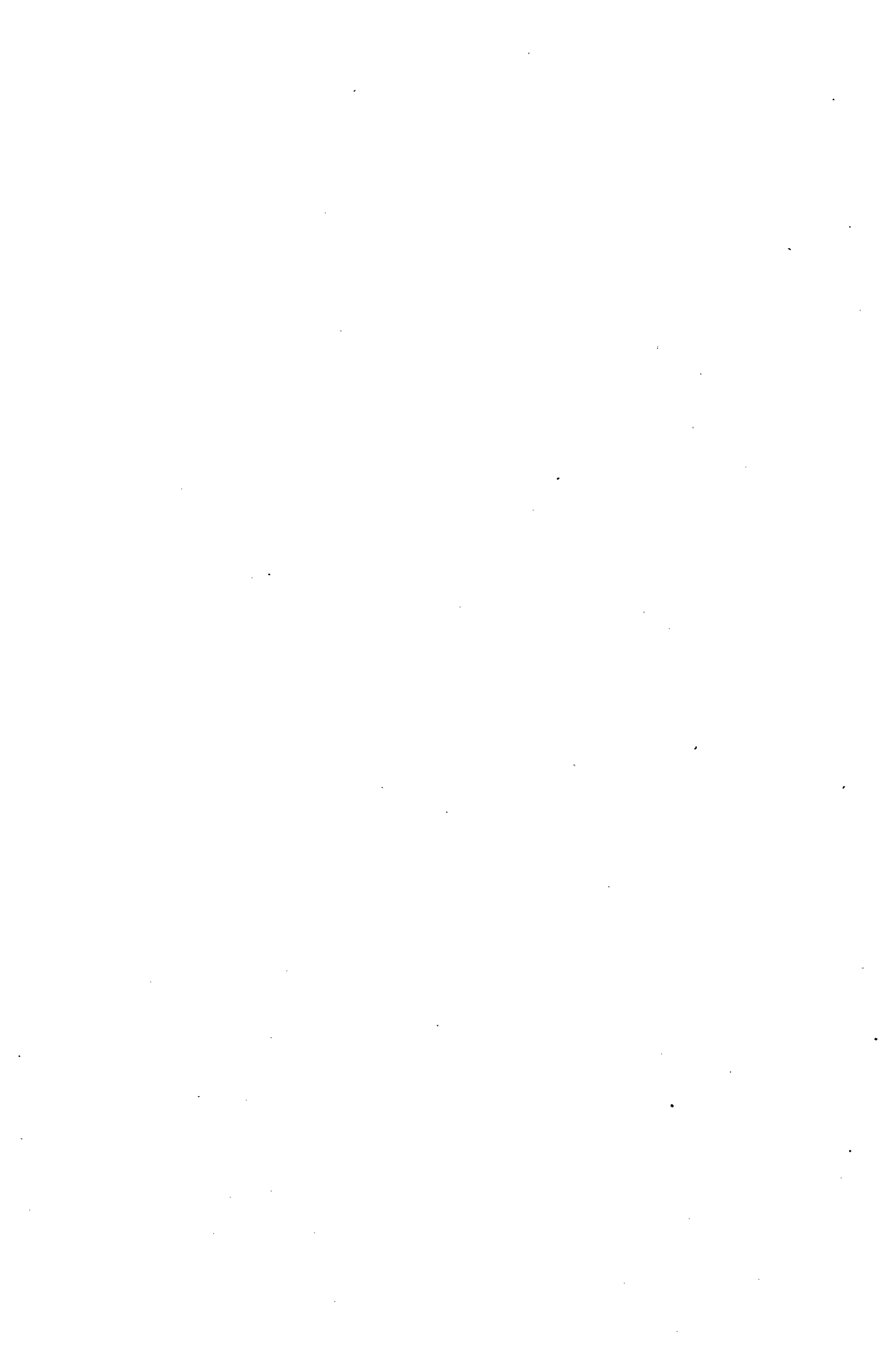
(٣) السيرة لابن هشام ١٨٥/٣.

(٤) صحيح البخاري ٥/ ٤١: كتاب المغازي، ومسلم ١٥١١/٣: كتاب الإمارة.

(٥) السيرة لابن هشام ٣٥٦/٣=وهذه الرواية لابن إسحق في العددهي التي اعتمدها في روايته المسند حيث قال: «وكان الناس سبعمائة رجل»،وإلا فقد نقل أيضا عن جابر بلاغا أنهم كانو أربع عشرة مائة ٣٥٦/٣.

(٦)صحيح البخارى ٦٢/٥، ٦٣: كتاب المغازي.

ثَبتُ المصَادِر والمرَاجِع



مسلسل	اسم المصدر أو المرجع
١	الأبي: محمد بن خليفة بن عمر التونسي (ت ٨٢٨هـ) **إكمال إكمال المعلم (شرح لصحيح مسلم)** نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٢	ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني(ت٦٣٠هـ) **أسد الغابة في معرفة الصحابة:** تحقيق: محمد إبراهيم البنا، محمد أحمد عاشور، محمود عبد الوهاب فايد، طبعة دار الشعب ـ القاهرة.
٣	**الكامل في التاريخ:** طبعة (مصورة) دار صادر بيروت١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.
٤	ابن الأثير الجزري: أبو السعادات المبارك بن محمد(ت٦٠٦هـ) **جامع الأصول في أحاديث الرسول:** تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، نشر مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان،١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.
٥	**النهاية في غريب الحديث والأثر:** تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، نشر: دار الفكر، طـ الثانية١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
٦	ابن إسحق: محمد بن إسحق بن يسار المطلبي(ت١٥١هـ) تقريبا **سيرة ابن إسحق المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي:** تحقيق:محمد حميد الله،نشر: جمعية الوقف للخدمات الخيرية/ قونية، تركيا، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.
٧	**السير والمغازي:** تحقيق:سهيل زكار،نشر:دار الفكر،الطبعة الأولى،١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.
٨	الألباني: محمد بن ناصر الدين: **تعليقه على فقه السيرة للغزالي.**
٩	**دفاع عن الحديث النبوي والسيرة:**

مسلسل	اسم المصدر أو المرجع
	نشر مؤسسة ومكتبة الخافقين ـ دمشق.
١٠	**نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق:**
	نشر: المكتب الاسلامي ـ بدمشق.
	الآلوسي: محمود
١١	**روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:**
	المطبعة المنيرية بالقاهرة.
	البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل(ت٢٥٦هـ)
١٢	**التاريخ الكبير:**
	طبع في مطبعة دائرة المعارف العثمانية ـ بحيدر آباد، (الهند)
١٣	**خلق أفعال العباد:**
	تحقيق: عبد الرحمن عميرة، نشر: دار المعارف السعودية، الرياض.
١٤	**صحيح البخاري (الجامع الصحيح)**
	نشر: المكتبة الإسلامية، محمد أوزدمير، إستانبول، تركيا.
	بروكلمان: كارل
١٥	**تاريخ الأدب العربي:**
	نقله إلى العربية: عبد الحليم النجار، نشر : دار المعارف مصر، الطبعة الرابعة.
	البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب (ت: ٤٦٣هـ)
١٦	**تاريخ بغداد أو مدينة السلام:**
	الناشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت، لبنان.
	البغدادي: عبد القادر بن عمر (ت: ١٠٩٣هـ)
١٧	**خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب :**
	تحقيق: عبد السلام هارون، الناشر/ الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية.
	البكري: عبد الله بن عبد العزيز (ت: ٤٨٧هـ)

مسلسل	اسم المصدر أو المرجع
١٨	**معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع:** تحقيق: مصطفى السقا، نشر: عالم الكتب ـ بيروت. البلاذري: أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جبار (ت: ٢٧٩هـ)
١٩	**أنساب الأشراف:** تحقيق: المحمودي والدوري وإحسان عباس وآخرين البيهقي : أحمد بن الحسين أبو بكر(ت: ٤٥٨هـ).
٢٠	**دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة:** تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، نشر: دار الكتب العلمية بيروت، ط، الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
٢١	**السنن الكبرى:** نشر دار الفكر. الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة(ت:٢٧٩هـ)
٢٢	**الجامع الصحيح:** تحقيق وتصحيح: عبد الوهاب عبد اللطيف، الناشر/ مكتبة الرياض الحديثة ـ الرياض ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م. ابن تيمية:أبو العباس أحمد بن عبد الحليم(ت: ٧٢٨هـ).
٢٣	**الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح:** مطابع المجد التجارية.
٢٤	**الفتاوى (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية:** جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، وابنه محمد، طبعة مصورة عن الطبعة الأولى (١٣٩٨هـ).
٢٥	**منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية:** الناشر: مكتبة الرياض الحديثة. الجاسر: حمد
٢٦	**رحلة إلى طيبة:** مجموعة مقالات كتبها في مجلة العرب، تصدر عن دار اليمامة

مسلسل	اسم المصدر أو المرجع
	للبحث والترجمة والنشر ـ الرياض.
	الجمحي: أبو عبد الله محمد (ت: ٢٣١هـ).
٢٧	**طبقات الشعراء:**
	إعداد اللجنة الجامعية لنشر التراث العربي، دار النهضة ـ بيروت.
	ابن الجوزي: أبو الفرج جمال الدين (ت: ٥٩٧ هـ)
٢٨	**صفة الصفوة:**
	تحقيق وتعليق محمود فاخوري، خرج أحاديثه محمد رواس قلعجي، الناشر: دار الوعي بحلب، الطبعة الأولى (١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م) ابن أبي حاتم:أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت: ٣٢٧هـ)
٢٩	**الجرح والتعديل:**
	نشر: مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن مصورة عن الطبعة الأولى ١٣٧٢هـ.
	الحاكم : محمد بن عبد الله أبو عبد الله(ت:٤٠٥هـ)
٣٠	**المستدرك على الصحيحين في الحديث :**
	نشر دار الكتب العلمية.
	ابن حبان: أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي (ت: ٣٥٤هـ)
٣١	**الثقات:**
	الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، مصورة عن الطبعة الأولى ١٤٠١هـ .
٣٢	**المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين:**
	تحقيق: محمود إبراهيم زايد، نشر دار الوعي ـ حلب.
	ابن حبيب: أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية (ت:٢٤٥هـ)
٣٣	**المحبر:**
	اعتنت بتصحيحه الدكتورة إيلزه ليختن شتينز، من منشورات دار

مسلسل	اسم المصدر أو المرجع
	الآفاق الجديدة ـ بيروت.
	ابن حجر: أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني(ت:٨٥٢هـ)
٣٤	**الإصابة في تمييز الصحابة:**
	تحقيق: الدكتور طه محمد الزيني، نشر مكتبة الكليات الأزهرية بالأزهر، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ ـ١٩٧٦م.
٣٥	**تغليق التعليق على صحيح البخاري:**
	دراسة وتحقيق سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، نشر المكتب الإسلامي، دار عمان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
٣٦	**تقريب التهذيب:**
	تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، نشر دار المعرفة ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.
٣٧	**تهذيب التهذيب:**
	الطبعة الأولى ـ مصورة ـ دار صادر ـ بيروت ١٩٦٨م.
٣٨	**فتح الباري:**
	رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه، واستقصى أطرافه: محمد فؤاد عبد الباقي، وقام بإخراجه وتصحيح تجاربه وأشرف على طبعه ـ محب الدين الخطيب، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.
٣٩	**نزهة الأثر شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر:**
	نشر مؤسسة ومكتبة الخافقين ١٤٠٠هـ.
٤٠	**هدي الساري (مقدمة فتح الباري):**
	نشر وتوزيع رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الرياض.
	ابن حديدة: محمد بن علي بن أحمد (ت: بعد سنة ٧٧٩هـ)
٤١	**المصباح المضيء في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك**

مسلسل	اسم المصدر أو المرجع
	الأرض من عربي وعجمي: نشر: عالم الكتب ، ط الثانية ١٤٠٥هـ.
	الحربي: أبو إسحق إبراهيم بن إسحق (ت: ٢٨٥هـ)
٤٢	**المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة:** تحقيق: حمد الجاسر، مطبعة المثنى ـ بيروت، ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م.
	ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد: (ت: ٤٥٦هـ)
٤٣	**جمهرة أنساب العرب:** تحقيق وتعليق: عبد السلام هارون، الناشر/ دار المعارف، الطبعة الرابعة.
٤٤	**جوامع السيرة:** تحقيق: د. إحسان عباس، د. ناصر الدين الأسد، مراجعة أحمد محمد شاكر، طبع المطبعة العربية،لاهور: ١٤٠١هـ ـ١٩٨١ م.
٤٥	**جوامع المجلى(ضمن كتاب الذخيرة من المصنفات الصغيرة) :** جمعها وحققها أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، السفر الأول، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
٤٦	**الفصل في الملل والأهواء والنحل:** ط. علي صبيح بالقاهرة.
٤٧	**نوادر الإمام ابن حزم:** خرجها وعلق عليها: أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.
	الحموي: أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، (ت:٦٢٦هـ)
٤٨	**معجم الأدباء:** نشر: مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه ـ مصر، طبع دار المأمون.
٤٩	**معجم البلدان:**

مسلسل	اسم المصدر أو المرجع
	نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
	حميد الله : محمد.
٥٠	**مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة:**
	نشر: دار الإرشاد ـ بيروت ، الطبعة الثالثة ١٣٨٩هـ ـ١٩٦٩م.
	ابن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت: ٢٤١هـ).
٥١	**فضائل الصحابة:**
	تحقيق وصي الله بن محمد عباس، من منشورات مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ـ١٩٨٣م.
٥٢	**المسند:**
	تحقيق : أحمد شاكر، نشر دار صادر، المكتب الإسلامي.
	خاطر: خليل إبراهيم ملا.
٥٣	**مكانة الصحيحين:**
	الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ ، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة
	الخشني:
٥٤	**شرح السيرة:**
	ابن خلكان: أبو العباس أحمد بن محمد(ت: ٦٨١)
٥٥	**وفيات الأعيان وأنباء الزمان:**
	تحقيق: إحسان عباس، نشر: دار صادر ـ بيروت.
	ابن خياط: خليفة بن خياط العصفري(ت: ٢٤٠هـ)
٥٦	**تاريخ خليفة بن خياط:**
	تحقيق: د. أكرم ضياء العمري، نشر : دار القلم، دمشق مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية:١٣٩٧هـ ـ١٩٧٧م.
٥٧	**الطبقات:**
	تحقيق أكرم العمري، نشر دار طيبة ـــ الرياض ١٤٠٢هـ.
	الدارقطني: أبو الحسن بن علي بن عمر بن أحمد(ت٣٨٥هـ)
٥٨	**الإلزامات والتتبع:**

مسلسل	اسم المصدر أو المرجع
	تحقيق ودراسة مقبل بن هادي بن مقبل، الناشر/ المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.
	الدارمي: عثمان بن سعيد(ت: ٢٨٠هـ).
٥٩	**تاريخ عثمان بن سعيد الدارمي:**
	تحقيق : د. أحمد محمد نور سيف، نشر/ مركز البحث العلمي بجامعة الملك عبد العزيز، طبع دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت
	الذهبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت (٧٤٨هـ).
٦٠	**تجريد أسماء الصحابة:**
	تصحيح: صالحة عبد الحكيم شرف الدين، الناشر/ شرف الدين الكتبي وأولاده ـ الهند ، سنة ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م.
٦١	**تذكرة الحفاظ:**
	طبعة مصورة عن الطبعة الهندية، دار إحياء التراث العربي بيروت.
٦٢	**تلخيص المستدرك للحاكم (بذيله)**
	نشر دار الكتب العلمية.
٦٣	**سير أعلام النبلاء:**
	أشرف على تحقيقه وخرج أحاديثه شعيب الأرنؤوط، وحقق أجزاء الكتاب جماعة منهم حسين الأسد، وصالح السمر، نشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ ـ١٩٨١م.
٦٤	**السيرة النبوية (مستقاة من كتاب تاريخ الإسلام للمؤلف) :**
	عني بتحقيق النص وتحرير الحواشي، حسام الدين القدسي، نشر دار مكتبة الهلال ،بيروت.
٦٥	**الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة:**
	تحقيق: عزت علي عيد عطية، موسى محمد علي الموشى، الناشر: دار الكتب الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.

مسلسل	اسم المصدر أو المرجع
٦٦	**المغني في الضعفاء:** تحقيق: نور الدين عتر
٦٧	**ميزان الاعتدال في نقد الرجال:** تحقيق: على محمد البجاوي، نشر دار المعرفة. بيروت. الزرقاني: أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي :(ت: ١١٢٢هـ)
٦٨	**شرح المواهب اللدنية:** نشر دار المعرفة ـ بيروت . الزركلي: خير الدين
٦٩	**الأعلام:** الطبعة الثالثة ـ بيروت: ١٣٨٩هـ ـ١٩٦٩م. الزمخشري: أبو القاسم محمد بن عمر (ت: ٥٣٨هـ)
٧٠	**الكشاف عن حقائق التنزيل:** ط/ الاستقامة بالقاهرة، ١٣٦٥هـ. الزهري:محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب(ت: ١٢٤هـ).
٧١	**المغازي النبوية:** تحقيق: د. سهيل زكار، الناشر/ دار الفكر ـ دمشق١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م. السبكي: أبو نصر عبد الوهاب بن علي (ت: ٧٧١هـ).
٧٢	**طبقات الشافعية الكبرى:** تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ ـ١٩٦٥م، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
٧٣	**قاعدة في الجرح والتعديل وقاعدة في المؤرخين:** تحقيق: عبد الفتاح أبوغدة، الناشر/ دار الوعي ـ حلب، الطبعة الثانية:١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م. السخاوي: محمد بن عبد الرحمن (ت:٩٠٢هـ).

مسلسل	اسم المصدر أو المرجع
٧٤	**الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ:** الناشر/ دار الكتاب العربي ـ بيروت، طبعة مصورة عن نسخة خزانة أحمد باشا تيمور(عني بنشره القدسي)١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م. سزكين : فؤاد
٧٥	**تاريخ التراث العربي:** نشر إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام مخمد بن سعود الإسلامية. ابن سعد : أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري (ت: ٢٣٠هـ)
٧٦	**الطبقات الكبرى:** نشر: دار صادر ـ بيروت. السعود: سليمان بن علي.
٧٧	**أحاديث الهجرة (جمع وتحقيق ودراسة) :** أطروحة ماجستير في الجامعة الإسلامية لعام١٤٠١ ـ١٤٠٢هـ. السلمي: محمد بن صامل العلياني:
٧٨	**منهج كتابة التاريخ الإسلامي:** الناشر: دار طيبة ـ الرياض ، الطبعة الأولي ١٤٠٦هـ ـ١٩٨٦م. السمهودي: علي بن أحمد: ت (٩١١هـ)
٧٩	**وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى:** تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت. السهيلي: عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد(ت: ٥٨١هـ).
٨٠	**الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام:** تحقيق وتعليق: عبد الرحمن الوكيل، نشر: دار الكتب الحديثة القاهرة. ابن سيد الناس: أبوالفتح مخمد بن محمد ت(٧٣٤هـ)
٨١	**عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير:**

مسلسل	اسم المصدر أو المرجع
	نشر: دارالمعرفة ـ بيروت.
	السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن، ت(٩١١هـ)
٨٢	**الإتقان في علوم القرآن:**
	الناشر/ مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ ـ١٩٧٨م.
٨٣	**الدر المنثور في التفسير المأثور:**
	الناشر/ دار المعرفة ـ بيروت.
٨٤	**لباب النقول في أسباب النزول:**
	نشر دار التحرير بالقاهرة سنة ١٣٨٢هـ .
	الشوكاني: محمد بن علي بن محمد(ت: ١٢٥٠هـ).
٨٥	**فتح القدير:**
	نشر دار الفكر، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ ـ١٩٧٣م.
٨٦	**نيل الأوطار:**
	تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مصطفى محمد الهواري، نشر مكتبة الكليات الأزهرية: ١٣٩٨هـ ـ١٩٧٨م.
	أبو شهبة:
٨٧	**الموضوعات والإسرائيليات:**
	الصالحي: محمد بن يوسف الشامي: ت(٩٤٢هـ)
٨٨	**سبل الهدى والرشادفي سيرة خير العباد.**
	تحقيق: الدكتور مصطفى عبد الواحد وآخرين، نشر لجنة إحياء التراث الإسلامي بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر.
	ابن الصلاح: أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ت:٦٤٢هـ)
٨٩	**صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط:**
	تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، نشر: دار الغرب

مسلسل	اسم المصدر أو المرجع
	الإسلامي ١٤٠٤هـ ـ١٩٨٤م.
٩٠	**مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث:**
	دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٣٩٨هـ ـ١٩٧٨م.
	الطرابيشي: مطاع
٩١	**مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مجلد ٥٦ ج ٣**
	مقال بعنوان: رواة المغازي والسير عن محمد بن إسحق.
	الطحان: محمود
٩٢	**تيسير مصطلح الحديث:**
	نشر دار القرآن الكريم ـ بيروت،الطبعة الثانية١٣٩٩هـ ـ١٩٧٩م
	الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير(ت: ٣١٠هـ)
٩٣	**تاريخ الأمم والملوك:**
	تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: دار المعارف بمصر.
٩٤	**جامع البيان في تفسير القرآن:**
	الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت.
	ابن عبد البر: يوسف بن عبد البر النميري(ت:٤٦٣هـ)
٩٥	**الاستيعاب في معرفة الأصحاب:**
	(بذيل الإصابة لابن حجر)، تحقيق، د. طه محمد الزيني نشر: مكتبة الكليات الأزهرية.
٩٦	**الدرر في اختصار المغازي والسير:**
	الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.
	ابن عبد الوهاب: محمد
٩٧	**مختصر سيرة الرسول ﷺ:**
	القسم الثالث من مؤلفات الشيخ، الناشر/ جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية.
	عتر: نور الدين:

مسلسل	اسم المصدر أو المرجع
٩٨	**الإمام الترمذي والموازنة بين جامعه وبين الصحيحين:** الطبعة الأولى: ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
	ابن عدي: أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني(ت:٣٦٥هـ)
٩٩	**الكامل في ضعفاء الرجال:** تحقيق وضبط ومراجعة لجنة من المختصين بإشراف الناشر (دار الفكر، بيروت)، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ ـ١٩٨٥م.
	ابن العربي: أبو بكر محمد بن عبد الله:(ت:٥٤٣هـ)
١٠٠	**أحكام القرآن:** تحقيق علي محمد البجاوي، الناشر/ دار الفكر ـ بيروت.
	عرجون: محمد الصادق إبراهيم
١٠١	**محمد رسول الله ﷺ (منهج ورسالة، بحث وتحقيق)** الناشر: دار القلم/ دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ١٩٨٥م.
	عروة بن الزبير: ت (سنة ٩٣أو ٩٤) هـ.
١٠٢	**مغازي رسول الله ﷺ: لعروة بن الزبير:برواية أبي الأسود عنه.** جمعه وحققه: الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، نشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج،الرياض،عام١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م
	العصامي: عبد الملك بن حسين(ت: ١١١١هـ).
١٠٣	**سمط النجوم العوالي:** المطبعة السلفية ـ القاهرة.
	العقيلي: أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى (ت:٣٢٢هـ).
١٠٤	**الضعفاء الكبير:** حققه ووثقه: د. عبد المعطي أمين قلعجي، الناشر/ دار الكتب العلمية ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ـ١٩٨٤م.
	ابن العماد الحنبلي: أبو الفلاح عبد الحي بن العماد ت:١٠٨٩هـ .

مسلسل	اسم المصدر أو المرجع
١٠٥	**شذرات الذهب في أخبار من ذهب:** نشر: دار السيرة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ ـ١٩٧٩م. العمري: أكرم ضياء.
١٠٦	**المجتمع المدني في عهد النبوة خصائصه وتنظيماته الأولى:** من مطبوعات الجماعة الإسلامية، الطبعة الأولى١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م. العيني: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى:ت(٨٥٥هـ)
١٠٧	**عمدة القاري شرح صحيح البخاري:** نشر: دار الفكر ـ بيروت . الغزالي: محمد.
١٠٨	**فقه السيرة:** بتعليق محمد ناصر الدين الألباني ، نشر دار الكتب الحديثة ط/السادسة ١٩٦٥م. العضبان: منير
١٠٩	**أبو ذر الغفاري الزاهد المجاهد:** نشر: الدار العربية للطباعة والنشر ، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ ـ١٩٧٠م. الفخر الرازي: محمد بن عمر بن الحسن (ت: ٦٠٦هـ)
١١٠	**التفسير الكبير:** نشر دار الكتب العلمية، طهران، الطبعة الثانية. الفسوي: يعقوب بن سفيان(ت: ٢٧٧هـ)
١١١	**المعرفة والتاريخ:** تحقيق أكرم العمري، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٣٩٤هـ . ابن فهد:عمر بن محمد بن محمد بن محمد بن فهد القرشي (ت:٨٨٥هـ)
١١٢	**إتحاف الورى بأخبار أم القرى:**

مسلسل	اسم المصدر أو المرجع
	تحقيق وتقديم فهيم محمد شلتوت، نشر مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى، بمكة المكرمة.
	فيدا: ليفي دلا
١١٣	**دائرة المعارف الإسلامية، ط طهران، مقال في مادة«سيرة»**
	القاري: الملا علي
١١٤	**شرح الشفا:**
	الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت.
	ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري(ت: ٢٧٦هـ)
١١٥	**المعارف:**
	تصحيح وتعليق: محمد إسماعيل الصاوي، نشر دار إحياءالتراث، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ ـ١٩٧٠م.
	القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت:٦٧١هـ)
١١٦	**الجامع لأحكام القرآن:**
	ط. دار الكتب بالقاهرة١٣٨٧هـ ، الطبعة الثالثة.
	القسطلاني: أبو العباس أحمد بن محمد(ت: ٩٢٣هـ)
١١٧	**إرشاد الساري إلى شرح البخاري:**
	نشر دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة السادسة.
١١٨	**المواهب اللدنية بالمنح المحمدية:**
	نشر دارالمعرفة ـ بيروت .
	القنوجي: أبو الطيب السيد صديق حسن:(ت:١٣٠٧هـ)
١١٩	**الحطة في ذكر الصحاح الستة:**
	نشر: إسلامي أكاديمي ـ لاهور ، باكستان ١٩٧٧م.
	ابن القيسراني: أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي المقدسي ت(٥٠٧هـ)
١٢٠	**الجمع بين رجال الصحيحين:**
	نشر دار الكتب العلمية ـ بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ

مسلسل	اسم المصدر أو المرجع
	ابن القيم: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر: ت(٧٥١هـ).
١٢١	**تهذيب سنن أبي داود(المطبوع في ذيل عون المعبود):** نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة،ط الثانية ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.
١٢٢	**جلاء الأفهام:**
١٢٣	**زاد المعاد في هدي خير العباد:** تحقيق: شعيب الأرنؤوط ،عبد القادرالأرنؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، ط الأولى ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
	ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمرو(ت:٧٧٤هـ)
١٢٤	**اختصار علوم الحديث (وعليه شرح أحمد شاكر«الباعث الحثيث»)** دار الكتب العلمية ـ بيروت، توزيع دار الباز ـ مكة المكرمة.
١٢٥	**البداية والنهاية:** تحقيق ومراجعة محمد عبد العزيز النجار، نشر: مؤسسة دار العربي للنشر والتوزيع ـ الرياض.
١٢٦	**تفسير القرآن العظيم:** تحقيق عبد العزيز غنيم، محمد أحمد عاشور، محمد إبراهيم البنا، ط. دار الشعب ـ القاهـرة.
١٢٧	**السيرة النبوية:** تحقيق: مصطفى عبد الواحد، ط. مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٨٤هـ ـ١٩٦٤م القاهرة.
	كحالة: عمر رضا:
١٢٨	**معجم المؤلفين:** نشر مكتبة المثنى ببغداد، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
	اللالكائي: أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري: ت:(٤١٨هـ)
١٢٩	**شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة**

مسلسل	اسم المصدر أو المرجع
	وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم: تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، الناشر/ دار طيبة للنشر والتوزيع / الرياض. المحمود: عبد الرحمن. بن صالح:
١٣٠	**القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه:** أطروحةماجستير في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة/ بكلية أصول الدين ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،عام ١٤٠١هـ ـ ١٤٠٢هـ. المزي: جمال الدين يوسف: ت(٧٤٢هـ).
١٣١	**تهذيب الكمال:** (مخطوط في ثلاث مجلدات)تصوير دار المأمون / دمشق. مسلم: ابن الحجاج القشيري النيسابوري: ت (٢٦١هـ)
١٣٢	**صحيح مسلم:** تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،الناشر/رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م. ابن معين: يحيى بن معين بن عون (ت: ٢٣٣هـ).
١٣٣	**التاريخ:** دراسة وتحقيق: د. أحمد محمد نور سيف، نشر مركز البحث العلمي بجامعة الملك عبد العزيز، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ. المنذري: عبد العظيم بن عبد القوي بن سلامة.ت (٦٥٦هـ)
١٣٤	**مختصر صحيح مسلم:** تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر/ المكتب الإسلامي دمشق، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ. ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي(ت: ٧١١هـ)
١٣٥	**لسان العرب: نشر دار صادر ـ بيروت.**

مسلسل	اسم المصدر أو المرجع
	ابن النديم: محمد بن إسحق(ت: ٤٣٨هـ)
١٣٦	**الفهرست:**
	نشر المكتبة التجارية ـ القاهرة.
	النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب(ت: ٣٠٣هـ)
١٣٧	**الضعفاء والمتروكين:**
	تحقيق: محمود إبراهيم زايد، نشر: دار الوعي ـ حلب الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ.
	النسفي: أبو البركات عبد الله بن أحمد:(ت: ٧١٠هـ)
١٣٨	**تفسير النسفي:**
	نشر: دار إحياء الكتب العربية.
	أبو نعيم: أحمد بن عبد الله الأصبهاني: (ت: ٤٣٠هـ)
١٣٩	**حلية الأولياء وطبقات الأصفياء:**
	الناشر/ دار الكتب العلمية ـ بيروت .
١٤٠	**دلائل النبوة :**
	الناشر/ عالم الكتب ـ بيروت، مكتبة المثنى، القاهرة، مكتبة سعد الدين ـ دمشق.
	النووي: أبو زكريا يحيى بن شرف (ت: ٦٧٦هـ)
١٤١	**تهذيب الأسماء واللغات:**
١٤٢	**روضة الطالبين:**
	نشر المكتب الإسلامي. بإشراف زهير الشاويش.
١٤٣	**السيرة النبوية:**
١٤٤	**صحيح مسلم بشرح النووي:**
	المطبعة المصرية ومكتبتها ـ القاهرة .
١٤٥	**ماتمس إليه حاجة القاري لصحيح الإمام البخاري:**
	تحقيق: علي حسن علي عبد الحميد، نشر: دار الفكر عمان، توزيع دار الكتب العلمية ـ بيروت.

مسلسل	اسم المصدر أو المرجع
	ابن هشام: أبو محمد عبد الملك بن هشام(ت: ٢١٣هـ)
١٤٦	**سيرة النبي ﷺ:**
	تعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر/ رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ـ الرياض .
	هورفتس: يوسف
١٤٧	**المغازي الأولى ومؤلفوها:**
	ترجمة: حسين نصار، نشر: مصطفى البابي الحلبي ـ مصر
	الهيثمي: علي بن أبي بكر: (ت: ٨٠٧هـ)
١٤٨	**كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة:**
	تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، نسخة مصورة عن الطبعة الأولى
	نشر مؤسسة الرسالة، ط. الأولى ١٣٩٩هـ ـ١٩٧٩م.
١٤٩	**مجمع الزوائد ومنبع الفوائد:**
	الناشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
	الواحدي: أبو الحسن علي بن أحمد، ت (٤٦٨هـ)
١٥٠	**أسباب النزول:**
	تحقيق الأستاذ سيد صقر، ط. دار الكتاب الجديد ـ القاهرة.
	الوادعي: مقبل بن هادي
١٥١	**الصحيح المسند من دلائل النبوة:**
	الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
	الواقدي: محمد بن عمر ـ ت(٢٠٧هـ)
١٥٢	**المغازي:**
	تحقيق: مارسدن جونس، نشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت.
	الوهيبي: عبد الله:

مسلسل	اسم المصدر أو المرجع
١٥٣	**مناقشة قصة الغرانيق عند المفسرين:** مقال في مجلة كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الخامس، العام الجامعي١٤٠٣هـ/١٤٠٤هـ. ابن أبي يعلى: أبو الحسين محمد بن أبي يعلى (ت:)
١٥٤	**طبقات الحنابلة:** نشر دار المعرفة ـ بيروت.

** ** **

فهرس الموضوعات



الموضـــوع	رقم الصفحة

الموضـــوع	رقم الصفحة

الموضـــوع	رقم الصفحة